الإمامة

للعلامة الفقيه الزاهد
السيد أسد الله الموسوي
ابن السيد محمد باقر الشفتي الجيلاني
حجة الإسلام

مكتبة مسجد السيد حجة الاسلام الشفتي

(۱۱)

الإمامة

للعلامة الفقيه الزاهد

السيد أسد الله الموسوي ابن المعروف بحجة الإسلام

السيد محمد باقر الشفتي الجيلاني

۱۲۲۷- ۱۲۹۰ هق

تحقيق

السيد مهدي الرجائي

* الكتاب: الامامة

* تأليف: السيد أسدالله الموسوى الشفتى

* تحقيق: السيد مهدى الرجائى

* طبع باهتمام: حفيد المؤلف السيد مهدى الشفتى

* الناشر: مكتبة مسجد السيد حجة الاسلام الشفتى ـ اصفهان

* تاريخ الطبع: ١٤١١ هـ ق

* طبع: مطبعة سيدالشهداء عليه السلام ـ قم

* الطبعة: الاولى

* العدد: ١٠٠٠ نسخة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدالمرسلين محمد ، وعلى أهل بيته الطاهرين .

ان البحث عن الامامة ــ التي هي زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا ، وعز المؤمنين ، والتي هي أس الاسلام النامي وفرعه السامي ، على ما هوالمنقول عن الامام علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء ــ بحث عن أصل من اصول الاسلام ، ذات التأثير على حياة المسلمين ، ودراسة للقيادة الاسلامية .

ولعظم خطرها وسعة نطاقها قد ألف فيها علماء الاسلام قديماً وحديثاً كتباً قيمة وأسفاراً نفيسة ، شكرالله مساعيهم الجميلة .

ومن أجل هذه الكتب وأنفعها ماألفه الفقيه الاوحد والحبر المؤيد الزاهد الورع ، صاحب النفس القدسية والآثار التاريخية والمؤلفات العديدة الحاج السيد أسدالله الموسوى البيدآبادي ابن المعروف على الاطلاق بالحجة الاسلام السيد محمد باقر رحمة الله عليهما .

وقدأتى فيه برؤيته العميقة ونظريته الصائبة مافيه كفاية للطالب ، وحجة

على المخالف ، وأعطى الدراسة عن الامامة حقها ، وخاض جداً في أغوارها ، واستوعب جميع جوانبها ، فصار بحمدالله ركيزة ثمينة .

ولذلك قام بطبعه استجابة لرغبات طلاب الحقيقة، وتلبية لطلباتهم المتكررة نجله الزكي وحفيده الوفـي العلم الحجة صاحب الفضيلة الحاج السيد مهدي الموسوي الشفتي دامت افاضاته العالية ، على نفقة جده الأمـي المرحوم الحاج علي معمارپور رحمةالله عليه .

نسألالله أن يوفقه لنشر سائر كتب أجداده بحق محمد وآله ـ والسلام .

٢٤ شوال ١٤١١ هـ ق — السيد حسن الفقيه الامامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة على خير خلقه محمد وآله الاطهار .

أما بعد : فقداتجه علماء الشيعة اتجاهاً ملحوظاً في جميع الميادين العلمية منذ أقدم عصورهم ، وامتد نشاطهم وحركتهم الفكرية والثقافية الى كل ما كان هناك من العلوم المعروفة المتداولة ، وشمل نشاطهم الى جانب الفقه وأصوله والكلام والرجال وعلوم القرآن وغيرها .

ونجدهذه الحركة بارزاً على مؤلفاتهم الكثيرة التي تعكس اتجاههم العلمي ونشاطهم الفكري .

ومن الواجب والحتم علينا أداءاً لحقهم أن لاننسى لهم ما قاموا به من الادوار الكبيرة في الحركة الثقافية في الاجيال الاسلامية الماضية ، ومن أهم ما ساهم به اتجاههم هذا ، وخاضوا فيها كمال الخوض ، هوالبحث عن المعارف الاسلامية .

فانهم قدس الله أسرارهم صرفوا فيها جهودهم الجبارة ، وأتعبوا نفوسهم الزكية ليلا ونهاراً لتنقيحها وبسطها الى المجامع العلمية ، وبالنتيجة حفظوا

الديـن القويم عـن الاندراس والتحريف ، وحفظوا الشريعة بجميع حدودها وجوانبها ، وكشفوا الغطاء والنقاب عن رموزها واسرارها .

ومن هنا نرى حث النبي المختار ﷺ والائمة الاطهار سلام الله عليهم على تعظيم العلم والعلماء ورجحان مدادهم على دماء الشهداء وغيرها مما ورد فـي الآثار .

ومن أحد حقوقهم علينا أن نحيي أفكارهم التي تعكس على آثارهم الخالدة ونشرها الى المجامع العلمية الثقافية .

ومن جملة علماء الشيعة الذين برزوا في جميع الميادين العلمية هـو العالم الكبير والمحقق النحريـر والفقيه المدقق والرجالي المتكلم والمجاهد الزاهد السيد أسدالله الموسوي نجل المولى العلامة الشهير على الاطلاق بحجة الاسلام السيد محمد باقر الشفتي الاصفهاني أسكنهماالله بحبوحات جناته .

المؤلف فـي سطور

له ترجمة مبسوطة ومختصرة في أكثر التراجم الرجالية ، وممن وافى حقه هـو الفاضل المعاصر السيد مصلح الديـن المهدوي ، فانه كتب ترجمة مبسوطة بالفارسية حول المؤلف وبحث فيها عـن حياته العلمية والثقافية والاجتماعية ، راجع كتابه بيان المفاخر ٢/٢٤٥ ـ ٣٥١ .

وأنا أورد ترجمة مختصرة جداً لحياته فأقول : قال الشيخ المحقق الطهراني فـي الطبقات : ولد فـي اصفهان سنة (١٢٢٧) ونشأ بها على أبيه الحجة الكبرى زعيم ايران يومذاك نشأة سامية، ولما درج تعلم القراءة والكتابة وبعض مقدمات العلوم ، ثم عين له والده المدرسين فاشتغلوا بتهذيبه ، وأتم مقدماته فحضر على والده الجليل وسائر علماء اصفهان يومذاك .

ثم هاجر الى النجف الاشرف ، فتخرج على الفقيه الاكبر الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر وغيره مدة طويلة ، حتى شهد بجلالته واتفق على مكانته العلمية وورعه وصلاحه وزهده وتقواه .

ولما شاع عنه طيب الذكر وطبق أرجاء المصر بعث اليه والده في سنة وفاته وهي (١٢٦٠) يأمره بالعودة الى اصفهان ، فعاداليها، وبعد قليل انتقل والده العظيم الى رحمة ربه ، فعطفت الناس على المترجم وانهالات عليه ، ولاقى قبولا تاماً من عامة الطبقات، ولم تمض مدة الا وهو الزعيم المقدم والرئيس المطاع، والمرجع العام في سائر الاحكام وأمور الدنيا والدين .

ومع كل ذلك كان رحمه الله ورعاً تقياً معرضاً عن الدنيا وزخرفها ،منصرفاً عن الرئاسة مع نفوذ قوله، قضى عمره الشريف في خدمة الدين وقضاء الحوائج وسائر الخيرات والمبرات والمشاريع والمصالح العامة .

وفي سنة (١٢٩٠) عزم على زيارت العتبات المقدسة بالعراق ، ولما وصل الى كرند أدركه الاجل بها ، فنقل جثمانه الشريف الى النجف فدفن خلف شباك الحجرة الاولى الواقعة على يمين الداخل الى الصحن الشريف من باب القبلة مقابل مرقد شيخ الطائفة المرتضى الانصاري أعلى الله درجته .

ثم ذكر جملة من تآليفه القيمة ، وجملة من آثاره الخيرية .

أقول : ليس في وسعي في هذه العجالة التحدث عن مكانته العلمية والثقافية والاجتماعية ، وكذا عن التحدث عن آثاره القيمة من تأليفه الممتعة ، واموراته الخيرية ، فان التحدث عن ذلك يحتاج الى مجال واسع وبال فارغ .

وأداءاً لبعض حقه أورد هنا رسالةاجازة الحديث لتلميذ والدالمؤلف المولى ملا أحمد بن علي أكبرالتربتي ، فانها اجازة مبسوطة ففيها نكات تاريخية وجملة من ترجمة حياة المؤلف ووالده وهي اجازة كتبها المجيز للمؤلف السيد أسدالله

في سنة (١٢٧٣) وفيها نص اجازة والد المؤلف للمجيز أوردها بتمامها ، وأني أورد الاجازة بتمامها هنا لتكون مصدراً للباحثين والناقدين .

وأصل الاجازة بخط المؤلف محفوظة في خزانة مخطوطات مكتبة آيةالله العظمى الكلبايكاني دام ظله الوارف برقم (٨٣) واليك نص الاجازة :

اجازة الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

يارحمن يا رحيم أعذنا من شرالشيطان الرجيم ، واهدنا صراطك المستقيم وأرشدنا الى النهج القويم ، وأنطق ألسنتنا بذكرك وشكرك ، ونور قلوبنا بنور معرفتك ومحبتك ، ولاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب .

الحمدلله على كل نعمة من نعمائه ، حمداً دائماً بدوام كبريائه ، والشكرلله على كل موهبة من آلائه ، شكراً خالداً بخلود مجده وسنائه .

وصلى الله على أكمل رسله وأشرف أنبيائه ، وأعلى المقربين وأفضل أصفيائه ، وعلى أحب الخلق اليه المخصوص باخائه ، وأقرب الناس اليه سيد أوصيائه ، وعلى آلهما الطيبين الطاهرين أولياءالله وخلفائه ، وعيبة علمه وأمنائه وحججه على من في أرضه وسمائه، صلاة مترادفة متواصلة الى يوم فصله وجزائه وسلم عليهم سلاماً كثيراً باقياً ببقاء فيضه وعطائه .

أما بعد : فيقول العبد الاحقر الخاطىء ، والغافل المقصر العاتي ، أحمد بن

علي أكبر التربتي عفى الله عما صدر عنه فيما مضي والاتـي ، لما انتهى نوبـة الرئاسة الشرعية لترويج أحكام الشريعة في غيبة الامام الثاني عشر القائم المهدي المنتظر، الحاضر في قلوب أهل الايمان ، وان خفي عن النظر ، عجل الله فرجه وأيد أشياعه بالنصرة والظفر ، فـي المائة الثالثة عشر من هجرة سيد البشر عليه وآله أفضل الصلوات من الله الاكبر .

الى المولى الامام العالم العلامة ، والحبر القمقام ، والفاضل الفهامة ، أعلم العلماء العاملين في عصره ، وأفقه الفقهاء الكاملين في دهره ، قدوة المحققين ، وزبدة المدققين ، فخر المجتهدين ، زيـن المحدثين ، غياث المسلمين ، كهف الحاج والمعتمرين ، شيخنا الاعظم ، واستادنا الاكرم ، ولي الاحسان والنعم ، ملاذ العرب والعجم .

المشتهر بالفضل والكرم في أطراف العالم، السيد السند والاستاد المعتمد المنتهي نسبه الشريف الى الامـام المعظم أبي ابراهيم موسى بـن جعفر الكاظم عليه الصلاة والسلام، ملجأ الانام، كفيل الارامل والايتام، ونائب الامام، المدعو بحجة الاسلام، مولانا وسيدنا الحاج سيد محمد باقر أعلى الله مقامه ، ووقع في الجنان مكانه، بذل جهده في ترويج الدين، وصرف همته في اصلاح أمور المسلمين وحصر وقته بأسره في تحصيل مرضاة رب العالمين .

فاشتغل عامة نهاره بعد عوده من المسجد بالتدريس وتحقيق المسائل الشرعية وتنقيح أجوبة السؤالات المسؤولة عنها في بلده وسائر البلاد الاسلامية، وتصدير الحكم في المرافعات ، والقضاء في المنازعات قضاءاً جامعاً لشرائطه اللازمـة حاوياً على آدابـه المستحسنة في غاية الدقة ونهايـة المتانة ، راغباً في اتمام الحكم بالاقرار والبينـة دون الحلف واليمين الا نادراً في غايـة العذرة ، ساعياً في اتمام المرافعات بالمصالحة، بل كثيراً ما بذل وجه الصلح من عنده من باب

الحسبة .

وبالجملة كان مشاغله رحمه الله في النهار بعد أداء الصلوات والامور الضرورية ماذكرنا، والتوجه الى الفقراء والمساكين والغرباء والاراملو الايتام والضعفاء بالبذل عليهم بذلا جزيلا وعطاءاً جميلا، حتى توهم في حقه عمل الاكسير والكيميا .

وكان حريصاً على الامر بالمعروف والنهي عن المنكرات، مصراً على اعانة المظلومين ، وطلب الدماء بالقصاص وأخذ الديات، ساعياً في اجراء الحدود والتعزيرات، مراقباً لاحترام العلماء بل المحصلين. وكلماذكر أحداً من العلماء الماضين قرن اسمه بالترحم أوالترضي أوالترفع أو التعلي . مراعياً للادب في معاشرته مع عموم الناس ،كل أحد بحسبه ورتبته .

وكان مع عوائق الرئاسة وكثرة المشغلة فيغاية التشرع والورع والديانة. واني في مدة ثلاثين سنة كنت في خدمته مشغولا بالاستفاضة ، مصاحباً معه في أحوال مختلفة وأوقات متفرقة في الكثرة والخلوة ، ماسمعت منه كذباً ولا غيبة ، مع أنه في دهرنا هذا قلما تنزه عنهما أحد من الخليقة ، هذا عادة نهاره .

وكان طريقته في الليل بعد ايابه من المسجد وفراغه عن أجوبة الناس وعن الامور العادية، الاشتغال بمطالعة كتب العلماء، وتتبع الاخبار والاثار والتصنيف والتأليف، وتحرير جواب الاستفتاءات، فاذاكان وقت السحر قام للتهجد، فاشتغل بالنوافل مع آدابها وشرائطها، والمناجاة مع ذي الجلال بالتضرع والابتهال الى أن يطلع الفجر .

ولم يكن عبادته وتهجده محض الظاهر ومجرد الصورة، كمايشاهد من أكثر العباد والمقدسين ، ولاصلاحه من قبيل صلاح الصلحاء الجامدين ، ولا زهده

مثل زهد الزاهدين اليابسين ، بل له ذوق وشوق في بساط العبودية ، ورتبة ومقام في حضرة الربوبية ، يشهد بذلك ماحرره في تضاعف مصنفاته ، ولاسيما ماذكره في كتاب تحفة الابرار الذي صنفه بالفارسية في آداب صلاة الوتر من الوجوه الستة ، لتضرع الانبياء والأولياء ، والاعتذار من زلاتهم ، والاستغفار من خطيئآتهم ، فلاحظه حتى يوقظك من نوم الغفلة، ويزيدك يقيناً وبصيرة .

هذا دأبه حتى يطلع الفجر ، فاذا طلع الفجر وأضاء خرج الى المسجد لاقامة صلاة الفجر بالجماعة، وفي بعض الاوقات خرج قبل الاتيان الى المسجد الى مقبرة المسلمين على باب داره، وقرأ بعض السور والاذكار والادعية، ويهدي ثوابها اليهم، ويقول: انهم أيضاً يتوقعون منا وينتظرون احساننا، وعلينا أن نذكرهم ولاننساهم .

والحاصل أنه رحمه الله مع كثرة مشاغله المستوعبة لاوقاته ، ليلا ونهاراً سراً وجهاراً، بحيث صار أمر غذائه في كثير من الايام في غاية الاختلال ، مورثاً في مزاجه الضعف والاعتلال، كان مواظباً للوظائف الشرعية ، مراقباً للاداب المرضية في الشريعة ، ومن مضى من علمائنا السابقين من المتقدمين والمتأخرين رضوان الله عليهم أجمعين .

مع أن كل واحد منهم كان في غاية الوثاقة والجلالة والعلم والفضيلة والزهد والديانة ، ونهاية الاهتمام في ترويج الدين والشريعة ، مع اختلاف درجاتهم في صفاتهم الحسنة وأخلاقهم المستحسنة، الا أن اجتماع هذه الخصال المذكورة قلما اتفق لاحد منهم ، أولم يتفق في الحقيقة .

فان اجراء الحدود واقامة القصاص وطلب الدماء كماينبغي لم يتفق لغيره من العلماء من عهد سيد الاوصياء الى زماننا هذا، وكذلك البذل بمثل بذله ، والعطاء شبيه عطائه، والبناء نظير بنائه، فان مسجده الذي أبدعه في محلة بيدآباد

اصفهان لم يقدر على بناء مثله الا السلطان .

وكذلك اقدامه على الامور الجليلة ، وتصديه للمهمات المشكلة . ولعظم شأنــه وعلو همته وسمو رتبته ، عظمه ورعي حرمته وأجرى أحكامــه ونفذ أمره السلطان المبرور والخاقــان المغفور فتحعلي شاه قاجار ، مع ملاقــه نحواً من أربعين سنة من ملكه لجمع كثير من العلماء ، وجم غفير من الفضلاء من العرب والعجم .

فبلغ من اعزازه له أن أكثر ماورد اصفهان في جلالـه وخدمه وحشمه سبق الى لقائــه وزيارته ، وكذلك أبنائــه وأحفاده وأمناء دولتـه ، عظموه ورعوا احترامه حق الاحترام ، ولجؤوا اليه في المهام والمطالب العظام، بل عظمه كثير من السلاطين وأمراء الفرق المخالفـة ، كالروم والروس والهنـد والسند والترك والافاغنة .

وكان رحمه الله جامعاً لانواع من العلوم ،كالنحو، والبيان، واللغة ،والرياضي والحكمة ، والتفسير ، والاصول ، والحديث ، والدراية ، ماهراً فـي الاجتهاد والفقاهة على سبك خاص مختص به، لـم يكن مولعاً بالاصول ولامعرضاً عنها ، كما أن خير الامور أوسطها ، بالغاً جهده في استناد الاحكام الشرعية ، ولـو فـي الفروع الخفية والمسائل المستحدثة ، الـى الاخبار والروايات بأقسامها ، حتى الضعيفة المنجبرة ، مكثراً من تتبع أقـوال الفقهاء وآرائهم ، مصراً فـي توجيه المنظور فيه من فتاويهم ، حاذقاً في علم الرجال .

مسلطاً في استعلام أحوال الرواة المختلف فيهم والمجهولين، ويشهد بذلك بعض رسائله الرجالية ، مع مايظهر من مطاوي مجلدات كتاب مطالع الانوار، التي لم يصنف في فقه الامامية مثلها من قديم الزمان الى هذه الازمنة .

وكان رحمه الله مروجاً للعلماء ، مربياً لطلاب العلوم بأحسن التربية ، كفيلا

لامورهم مـن غير من ولافضيحة . وببركة توجهه وخلوص نيته وصفاء سجيته ، صار جمع كثير من الطالبين وجم غفير من المحصلين من العلماء المستنبطين والفقهاء المجتهدين ، وأذن لهم في الاجتهاد والافتاء ، ونصب بعضهم للحكم والقضاء ، واجاز لاكثرهم بعد الاستجازة فـي الرواية ، وصرح لبعضهم مع الاجازة فـي الولاية العامة .

وكان رحمه‌الله مع تربيته للعلماء والطلاب مربياً لسائـر أصناف الكمال ، كما أنه جعل للشعراء يوماً معيناً يجتمعون فيه ، وينشدون أشعارهم وقصائدهم ، ويأخذون صلتهم بحسب أحوالهم ، وشـرح أحوال أكثرهم مع بعض قصائدهم مذكور ومسطور في الرسالة التي ألفها السيد الفاضل الحسيب والفصيح البليغ الاديب الشاعر الماهر النسيب، صاحب الطبع السليم والذوق العالي، ميرزا محمد علي الارجستاني الزواري المتخاص بالوفا ، تجاوز الله عنه وعفى ، وسمى تلك الرسالة بالمآثر الباقرية .

وكما أن جمعاً كثيراً من الكتاب وصاحب الخطوط الحسنة كانوا مشغولين بكتابة القرآن المجيد ، وكتب الادعية ، ورسائـل القدماء ومصنفات الفقهاء ، والمؤلفات الرجالية وغيرها من الفنون الاسلامية، مضافاً على مصنفاته ومؤلفاته موظفين من حضرته ، منعمين بانعامه .

وكما أن جماً غفيراً مـن الصلحاء والمقدسين كانـوا بأمره مقيمين للصلاة والصيام نيابة عن المؤمنين والمؤمنات ، كل في وقت خاص وبأجرة مخصوصة مرقومة في صك عنده بخطه، يتوجه بنفسه الى أمرهم وتعيين عملهم واعطاء اجرتهم وكما كان له دفتر بخطه فيه حساب أموال الصغار الذي يلي امورهم، ويعطي نقدهم الـى بعض الامناء ليتجربه ، ويوصل نفعـه اليهم لمعاشهم ، وينتفعون ـ أي : الامناء ـ أيضاً من تجارتهم .

ومع تلك المشاغل المشار اليها مع تشتتها وكثرتها ، كان جميع تحريراته ومؤلفاته ومراسلاته وسجلاته بخطه ، ولم يكل شيئاً من ذلك الى غيره الا في أواخر عمره .

ففوض بعض تحريراته ومراسلاته الى محرره الوحيد في عصره الفريد في دهره ، السيد الجليل والفاضل النبيل ، الممتاز من بين أقرانه بحسن الخط وجودة التحرير وبشاشة الوجه وملاحة التقرير ، الفائق على أمثاله بالتقوى والديانة وعلو الهمة وصفاء السريرة وخلوص العقيدة في حضرته الرفيعة ، الملقب من جنابه بمعتمد الشريعة ، السيد محمد بن السيد عبدالعظيم الحسيني اللنجاني ، أعزه الله في الاخرة وفي هذا المنزل الفاني .

وكما كان له أمناء في أطراف البلاد يروجون الشريعة ، ويبلغون الى الناس الاحكام الدينية ، ويعينهم ويروجهم من كل وجه وجهة . وكان أهل الاسلام ببركته في خفض عيش ودعة .

ثم سنح من نوائب الدهر وحوادث الزمان كما هو شأنه اثار الفتنة ، فمرض السلطان العظيم الشأن في اصفهان ، وتوفي فيها سنة خمسين ومائتين بعد الالف من الهجرة ، وظهر الهرج والمرج ، وكثر النهب والغارة ، وانتشر الاختلاف في الملك والسلطنة .

فبعد اللتيا والتي استقر الملك على ولد ولده محمد شاه بن عباس ميرزا بن فتحعلي شاه ، وهو لكونه في أيام حياة جده مواظباً على العسكر والنظام وأهل الجدال ، وعدم معاشرته مع أهل الفضل والكمال ، ولحداثة سنه وقلة تجاربه لم يكن مائلا الى أهل الكمال والفضل ، ولا مميزاً بنفسه أهل العلم من الجهل .

ومع ذلك كان أكثر أهل خدمته وأمناء دولته ومقربي حضرته من الصوفية ، وكانوا من أهل الجهل والغواية ، ومعاندتهم مع أهل الشريعة لايخفى على من

له أدنى خبرة على أحوالهم وبصيرة .

وفي خلال تلك الاحوال أرسلوا رسولا الى سلطان الروم واستدعوا منه عهداً لبعض المطالب المهمة ، فأجابهم بأن اتمام هذا العهد وانتظام ذلك القصد موقوف على امضاء الشريف حجة الاسلام ، فلما رأوا جلالة قدره وعلومرتبته ونفاذ أمره في الشرق والغرب في العجم والعرب ، أبغضوه وحسدوه وعاندوه ، ومهدوا لاستيصاله بكل حيلة ، وقطعوا أطرافه بكل وسيلة .

فورد على جنابه من الامراء الظلمة والخصماء الفسقة وأهل التصوف والضلالة ظاهراً وباطناً مالم يكن تحمله في وسع القوة البشرية . وهو رحمه الله وان كان قوي النفس وقوراً ، وفي الشدائد صبوراً ، لكنه لما كان متصلباً في الدين غيوراً ومع ذلك كان جلاله مانعاً من اظهار الواردات ، وتوكله عائقا من توسله لغير خالق الارضين والسماوات وحججه المقربين عليهم أفضل الصلوات .

كما أن البلايا والمحن والرزايا والفتن قدوة للانبياء والاولياء، ثم للمؤمنين المقربين الامثل فالامثل، تغيرمزاجه الشريف وعنصره اللطيف ، وابتلى بالمرض العنيف ، فاشتغل بالدواء، فأقبل الاطباء على العلاج ، وأكثر الناس على الدعاء وتصدى أهله للتصدقات ، وتوسلوا بالتضرع والبكاء ، فلم يفده الدواء ، ولا معالجة الاطباء ، ولا الورد والدعاء ، ولا التصدق واراقة الدماء ، ولا الضجيج ولا البكاء ، لماحتم القدرولزم القضاء ، فلما بلغ عمره الشريف النهاية ، وحضر أجله الذي أجل له ، أعرض عن دار الفناء وأقبل على دار البقاء ، فمضى شهيداً ومات سعيداً .

وتوفى رحمه الله في يوم الاحد ثالث شهر ربيع الثاني سنة ستين ومائتين بعد الألف من الهجرة ، ودفن في مقبرته التي بنيت بجنب مسجده الذي بناه في محلة بيد آباد، وكان سنه الشريف على مافهمت من بعض تقريراته سبعاً وسبعين

سنة ، أعلى الله مقامه ، ورفع في دارالخلد مكانه وحشره مع أجداده الطاهرين وجزاه عن الاسلام وأهله خير جزاء المحسنين ،وكان وفاته على الناس المصيبة الكبرى والداهية العظمى ، واشتد الامر عليهم لفقده ، وصاروا مبهوتين حيارى من بعده .

فسلاهم الله عن مصيبتهم وكشف عن كربتهم،وفرج عن تائيتهم ودفع بليتهم ورفع غائلتهم ، بـأن أقام مقامه وأنـاب منابه ولـده الخلف الصالح الجليل ، والعالم الفاضل النبيل ، والعابد الزاهد بلابديل ، الذي لسان التقرير والتحرير عن عد مدائحه كليل ، والذي قطع النظر عن زخارف الدنيا، وبلغ في العلم الى الغاية القصوى ، وفي العمل الى أعلى مراتب الاحتياط والتقوى ، قدوة الفضلاء والمحققين ، وزبدة الفقهاء والمجتهدين ، صاحب الصفات الجليلة، ومصاحب الاخلاق الجميلة ، ملجأ أهل الاسلام ، قبلة الانام ، مقتدى طوائف الامم، المرتضى عند العرب والعجم، الملقب بلقب سيد الاوصياء عليه آلاف التحية والثناء آقا سيد أسدالله أطال الله له البقاء .

فجنابه سلمه الله مع حداثة سنه،وابتلائه بمصائب ترتبت على وفاة والده تحمل أمور المسلمين، واشتغل بالتدريس لأفاضل الطلاب والمحصلين،وصرف أوقاته في تحقيق المسائل بالاستدلال والرد الـى الاخبار والاقـوال على طريقة سليمة وروية مستقيمة ، ومع ذلك الشواغل لم يغفل عما اعتاده من المناجات والعبادة، ولم يذهل عما اختاره من التواضع والزهادة، ومهما تيسر له حضر مسجد والده لاقامة صلاة الجماعة .

وكان ساعياً في قضاء حوائج المسلمين بحسن الخلق والبشاشة، وفي القضاء بين المترافعين بالتروي بل المصالحة، فاستأنس الناس به، لماشاهدوا منه جلالة القدر وعلو المنزلة، والتوجه الى أمورهم بحسن السيرة .

فبينا هم في رغد من العيش وأمن في الوطن، اذ هبت رياح الفتن، وأذهبت

فراغ النفس وراحة البدن ، وفتحت أبواب الشدائد والمحن ، بأن وصل الخبر أن مات محمدشاه في طهران ، وجلس مكانه ولده مع صغره ناصرالدين شاه . ولقلة سنه وعدموصوله مرتبة الرشد والسياسة ظهر الفتور فيأمر السلطنة ، فطمع في الملك غيرواحد من كل قبيلة، فحينئذ ظهر الفساد في كثير من البلدان، ولاسيما خراسان واصفهان .

أما خراسان فبخروج سالار بن آصف الدولة ، وادعائـه الملك والسلطنة ، وليس ذكر تفاصيله هنا محله .

وأما اصفهان فبتعدي الاشرار والمترفين والظلمة، فلم يعتنوا بالسلطان وأمناء الدولة ، فآل الامر الى أن أرسلوا من طهران والياً الى اصفهان، فلم يطيعوه بل أهانوه وضيعوه ، ثم أرسلوا الى اصفهان أمير الجنود غلام حسين خان مع العسكر والنظام، فلم يعتنوا به وبمقامه ولا بجيشه ونظامه، فأبرموا في المنازعة والجدال وأضرموا نار المحاربة والقتال، واجتمعوا في محلة بيدآباد، وأجمعوا على الفتنة والفساد، وأصروا على النزاع، وتمسكوا بشبهة الدفاع، وقتل من الطرفين جماعة كثيرة، ونهب أموال خطيرة .

فتوهم أتباع السلطان بل كثير من أهل اصفهان أن سيدنـا المقدم آقا سيد أسدالله سلمه الله رضي بأفعالهم ويصغي بأقوالهم ، مع أنه لم يتمكن من دفعهم ومادخل مواعظه في سمعهم لسبب لم يناسب ذكره فلم نهتك ستره .

فبقي سلمه الله متفكراً متحيراً ان خرج من البلد ولو خفاءاً، استولى عسكر السلطان على بيدآباد وبعض محلات أخر ، ونهبوا الاموال ، وقتلوا الرجال ، وسفكت الدماء، وسبيت النساء مع مفاسد أخرى. وان بقي بحاله وجلس في مكانه صار متهماً بالداعية ومخالفتـه للسلطان وأمناء الدولـة ، مع مايترتب عليها من المفاسد العظيمة .

فجزم عزمه الى أن سافر الى طهران لملاقاة أمناء الدولة بعد لقاء السلطان وتوسط عندهم واستشفع لديهم في أمر الاشرار والمقصرين، وان لم تقبل شفاعته ولم يثمر وساطته، فلاأقل من أن ترفع الغائلة عن أهل اصفهان، وتدفع البلية عن كثير من أهل الايمان .

فخرج الى خارج البلد لنقل المكان، بعد استمالة قلوب المقصرين ، وتهيأة الاسباب اللازمة للمسافرين في يوم الثلثاء غرة شهر ربيع الاول من شهور سنة ست وستين ومائتين بعد الالف من الهجرة، وأخرج معه جميع الاشرار والمقصرين وخرج معه كثير من الطلاب والمحصلين، وصاحبه جماعة من العلماء والاشراف والعلويين ، وتبعه بعض اخوانه وأقاربه وجيرانه ، وخرج جمع كثير من الرجال والنساء عازمين للزيارة ، لماسمعوا بنقل مكانه ، وصحب معه جم غفير مع مال خطير للتجارة الى كاشان وقم وطهران وغيرها من البلدان ، فخرجوا بأجمعهم وذهبوا حتى وصلوا قرية مورچه‌خوار على تسع فراسخ من اصفهان .

فأرسل الامير سپهدار جيشاً من الرجال والركبان وأمرهم أن يتعاقبوهم ويلحقوا بهم ويحاربوا معهم ، ويستأصلوا الاشرار والمقصرين، وأمر عليهم الغافل المتجبر والظالم المتكبر قيقاوس ميرزا ، فتعاقبوهم ولحقوا بهم أول النهار يوم الاحد سادس الشهر المذكور بعد خروجهم من مورچه خوار بقرب آب انبار في صحراء خالية وفضاء صافية لافيها حصن ولا جدار ولا ماء ولا أشجار .

فلماأحسوا بمجيء الجيش ووروده والظالم وجنوده ، توحش المقصرون ودهش الاشرار، فاحترزوا عن التوقف والقرار، وافترضوا التخلف والفرار ، فذهب كل الى قطر من الاقطار .

وبقي من لاجرم له ولا جناية، وماصدر منه تقصير ولا خيانة ، فأحاطوا بهم كالكلاب العادية ، وهجموا عليهم كالذئاب الضارية ، فشرعوا في شتمهم ، وأسرعوا الى زجرهم ولطمهم، وبادروا الى نهبهم وبالغوا في سلبهم ، فنهبوا أموالهم ، وأذهبوا رحالهم ، وغصبوا دوابهم ، وسلبوا ثيابهم ، وأصروا في ايذائهم ، ولم يقصروا في جفائهم ، فتفرقوا الى كل جهة ، وذهب كل الى ناحية من غير زاد وراحلة ، جائعين خائفين مزعورين متحيرين متزلزلين ، بدون ستر ولا غطاء ولباس يحفظهم من برودة الهواء ، وتشتتوا الى كل واد وصحراء .

فمرض لاكثرهم الامراض والاسقام ، وهلك بعضهم من شدة البرد وتوارد الالام، وصار كثير منهم بعد العز أذلاء ، وبعد الغنا فقراء، فورد عليهم من الظالم العنود مالم يفعل أحد بأحد من اليهود، ولم يتفق من صدر الاسلام الى تلك الايام بل لم يصدر من كفار الحرب وعبدة الاصنام .

وكل ماورد عليهم من النوائب والحدثان والمصائب والاشجان والهموم والاحزان، ورد ألمه في الحقيقة على رئيسهم، فاهتم لهمهم واغتم لغمهم ، مع ماورد على جنابه من هتك حرمته ، وماوصل الى أقربائه واخوته ، مضافاً الى تشنيعات الظالمين وتعييرات الفاسقين ، فصبر على مالم يكن في قوة أمثالنا تحمل أمثاله، واحتمل ماعجزت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتماله .

واقتدى بآبائه الصالحين وأجداده الطاهرين ، اذ التعب والعناء والشدائد والبلاء قدر في الاول وقرر في القضاء لخاتم الانبياء ولسيد الاوصياء ، والبتول العذراء ، والحسن المجتبى، والغريب المبتلى المظلوم الشهيد بسياف الاعداء ، المقتول ظماءاً بأرض كربلاء ويعقوب آل العباد وأولاده المظلومين الائمة المعصومين عليهم أفضل التحية والثناء ، ثم لافاضل ذريتهم وأماثل شيعتهم بعد

الانبياء والاوصياء على تفاوت درجاتهم في الزلفى .

حتى أن خاتم الاوصياء عليه أفضل الثناء ، مع اختفائـه عن الابصار، لئلا يكون في عنقه بيعـة أحد من الاشقياء والاشرار ، ولايصل اليه جور من الاعداء الفجار ، وابتلى بأشد البلاء ، اذ مـع تجرعه ماورد على جده وجدته وآبائـه وشيعتهم ومواليهم من الظلم والعناء يرى في مدة ألف سنة وأزيد جميع الشدائد الواردة على شيعته، والمكاره الموصلة الى رعيته، وكذلك البدع التي حدثت في غيبته ، والشبهات التي ظهرت في شريعته .

ولاسيمافي هذه الازمنة المتأخرة من خرافات الصوفية،وخرافات الشيخية، ومزخرفات البابية ، وترهات الكرمخية.

وكذلك يرى المنكرات والمعاصي التي فشت بينهـم ، وارتكابهم أنواع القبائح التي أنـزل‌الله العذاب على الامم السالفة بشيوع واحد منها لديهم ، ولم يتمكن مـن دفع الاذى عنهم ، واصلاح مفاسد أمـورهم ، لعدم الاذن مـن‌الله في ظهوره ، وينتظر الفرج في حفظ دين‌الله وسد ثغوره، والانتظار مـن أشد البلايا والمحن ، والاصطبار من أمر الرزايا والفتن .

وبالجملة رجع سلمه‌الله الى اصفهان مع قليل من أصحابه ومن بقي من أحزابه ، واشتد كربه وغمه وحزنه وهمه وصعبت بليته،حتى أسرعت اليه في سن انشباب شيبته ، وضعفت بنيته ، فعرضت له النقاهة وبعض الامراض، وظهرت في مزاجه كثير من العلل والامراض،ولم يجد أحداً يشكو عماورد عليه اليه،ولا من يعرض ماوصل اليه عليه .

فعزم على أن يسافر الى خدمة أجداده الطاهرين،ويلازم عتبة آبائه الطيبين، ويشكوغمه اليهم ، ويفرح همه لديهم ، فهجم الخواص وازدحم عموم الناس وسألوا منه أن لايفارقهم ،واستدعوا منه المقام عندهم،فاضطرالى اجابتهم ،والجأ

الى قبول مسألتهم ، فقبل منهم لاجل صبرتهم لما أصابهم من الضر والضرر في خدمته ، وتحملهم الاذى في جنبه .

فبعد مضي مدة تغير مزاجه وعسر علاجه ، فاشتغل بالدواء ، وخرج الى بعض القرى لتبديل الماء والهواء ، كما هو المتعارف عند المعالجين والاطباء .

ثم سافر من هناك الى العتبات العاليات على سبيل الخفاء ، فتشرف الى خدمة أجداده الطاهرين ، وفاز بزيارة آبائه المعصومين ، واشتغل بما كان يأمله من العبادة ، وأقبل على ما يرجوه من التوجه والزيارة ، وبعدهما على التصنيف والتأليف والتدريس لافاضل الطلبة ، ورزقه الله هناك حج بيته الحرام وزيارة جده وجدته وأئمة البقيع عليهم الصلاة والسلام .

ورجع بعد الحج والزيارة الى العتبة الغروية ، واشتغل بماكان شأنه الاشتغال به ، وأقبل على ماكان دأبه الاقبال عليه ، مع الاعزاز والاجلال على الوجه الاتم عند مشائخ العرب وأشراف العجم .

ثم انه بعد ماهاجر عن الاوطان ، صعب الامر على أهل اصفهان ، واشتد الامر على أهل الايمان ، فلم يجدوا بداً الا التوسل بالرحيم الرحمن ، والتوكل على الرؤوف الحنان، فمن الله عليهم بأن أهلك الوزير الملقب بالاميرفي دارالمؤمنين كاشان ، وتصدى أمر الوزارة الخان العظيم الشأن المدعو بلشكرنويس ميرزاآقا خان ، ولماكان من أهل بيت الشرف والفخامة، وكان متصفاً في عقله بحسن التدبير وفي نفسه بالسلامة ، لقب بالصدر الاعظم ، وفقه الله وحرسه من كل شدة وألم.

فأخذ في اصلاح مافسد وشرع في ترويج ماكسد بأمر السلطان بن السلطان والخاقان بن الخاقان ناصرالدين شاه ، فأرسل رسولا مع عرائضه ومراسلات من السلطان ومن تبعه الى خدمته ، معتذراً عما مضى من هتك حرمته ، مستدعياً منه العود الى محل توطن والده ومجاورة تربته ، وحراسة أهله وعشيرته .

ومع ذلك أرسل عرائض من اصفهان الى جنابه من أقاربه واخوته وأصدقائه وأحبته ، بل سافر جمع الى العتبات ووصلوا الى خدمته ، وسألوا منه العود الى موطنه ، اذ كلما أدبر شيء فأقبل ، فاعتكفوا في جواره واكتنفوا عتبة داره ، واستشفعوا بآبائه وأصروا ، ولم يقنعوا بابائه واستقروا وأقبلوا على الدعاء وسألوا عن ربهم كشف البلاء .

فاستجاب الله دعوتهم ، وأعطاهم مسألتهم ، وكشف كربتهم ، وتفضل عليهم بأن فسخ عزيمته ونقض همته وبدل شكيمته وقلب حيلته وغير نيته ، فقضى بمراجعته فرضي بمعاودته ، فترك المجاورة ، واختار المسافرة فرجع وفي خدمته جمع كثير من المؤمنين وأفاضل المحصلين .

فورد سلمه الله اصفهان يوم الجمعة ثامن شهر رمضان لما مضى من الهجرة بعد الالف من السنين احدى وسبعون ومائتان ، فلما سمع الناس بقدومه واقباله أجمعوا على اجلاله وأسرعوا الى استقباله ، فخرج من البلد من الرجال والنسوان عدة آلاف ، مع كون أكثرهم من الطلاب والسادات ، بل العلماء والاعاظم والاشراف .

ومارأيت في مدة توطني في اصفهان ، وهي نحو من سبع وأربعين سنة وأربعة أشهر لاحد من العلماء بمثل هذا الازدحام وهجوم الناس من العام والخاص ، وفرح بقدومه كافة الانام ، وبالغوا في احترامه غاية الاحترام ، فازداد بحمد الله يوماً فيوماً في القدر والمنزلة والقبول والمرتبة ، فتلقاه بالقبول العامة والخاصة بل الامراء وأمناء الدولة ، بل العلماء وأماثل المجتهدين ، أظهروا وثاقته وفضيلته والله أعلم حيث يجعل رسالته .

فأطاف الناس بعتبته ، واغتنموا حضوره بعد غيبته ، وفتح الله لهم أبواب السعادات ببركته ، مع استفادة الطلاب والمحصلين من تدريسه وافادته ، واستفاضة

الصالحين والصالحات لاقامة الصلوات من امامته ، وارتفاع شبهات المبدعين وانقلاعهم ببرهانه وحجته ، فأتم الله حجته على أهل اصفهان . وصارت بلدتها تذكرة الجنان، وأسبغ نعمه عليهم ظاهرة وباطنة على أحسن العافية وأدوم السرور.

حقيق على أن يقال في حقها : بلدة طيبة ورب غفور ، صانها الله عن الحدثان خوالي الاعوام ومر الدهور . فاشتغل سلمه الله بالتدريس والتصنيف والتأليف والافتاء والحكم والقضاء ، وتبليغ الاحكام الشرعية ، وترويج الشريعة النبوية .

فحقق المسائل الاصولية ، ودقق في المسائل الفروعية ، وفرع تفريعات جديدة وصنف تصنيفات حسنة ، وألف تأليفات مستحسنة ، فاجتمع فيه خلال العلم والفضيلة ، وعرج الى أعلى مراتب الاجتهاد والفقاهة ،ولم يخل بشيء من ضوابط العلم والدراية .

ولم يخل من شيء من روابط الحديث والرواية ، الاماهو المتعارف بين علمائنا الاخيار وفقهائنا الابرار من استجازة الاحاديث وكتب الاخبار واجازة الروايات ، وأصول الاثار من صدر السلف الى الخلف كابراً عن كابر حباءاً من الاول الى الاخر ، طلباً لاندراجهم في سلك حملة الفقه ومبلغي أحكام الله وحفظة الدين وورثة أنبياء الله ، واندراجهم في زمرة خلفاء خاتم النبيين حبيب الله صلى الله عليه وآله أجمعين .

فانه بعد مارجع عن العتبات العاليات وفرغ من التحصيل، اشتغل بالتدريس والتصنيف والتأليف ، وكان همته وأوقاته مصروفة في ذلك ، ولم يتوجه الى أمور أخرى ، ولم يعتن بشيء منها ، والمبرور حجة الاسلام أعلى الله مقامه وان أذن له في الحكم والفتوى ، بل صرح بكونه أفضل من بعض من تقدم من فحول الفقهاء لكنه لم يتفق له الاستجازة عن والده ، لشدة الحياء مع مايترجى له من طول البقاء ، اذ سنح سوانح في ذلك الاثناء ، كما أومأنا سابقاً اليها .

فمرض رحمه‌الله مرضاً مزمناً ، وفي‌ذلك المرض توفي‌ولم يتيسرله دام عمره مايتمنى ، فمع ابتلائه‌بمصيبة والده وردت عليه الواردات العظيمة التي‌أشرنااليها.

والى زماننا هذا لم يكن بصدد الاستجازة لاسباب هو أعلم بها منا .وبعض أجلة العلماء وأعمدة الفقهاء وان كتب لجنابه الاجازة ، لكنه لما كان بدون استجازته ، لما حصل له الوثوق والطمأنينة ، وبقي ذلك الامر في عهدة التعويق والعطلة ، حتى لم يبق من أصحاب المبرور حجة الاسلام ، ولا سيما أرباب الاجازات غير قليلهم ، ومضى أكثرهم لسبيلهم .

فتفطن سلمه‌الله أن البقاء لم يتيسر لاحد ،وفقد الواحدبعدالواحد يفني الجمع والعدد ، فأشار الي أن أجيزله اجازة كانت وديعة عن والده عندنا،وأمانة أمرالله تعالى أن تؤدى الى أهلها .

وأني وان لم أكن قابلا لان أجيزله ، الا أني لم أجد بداً الا أن أمتثله ، ولم أجد لهذا الخطب أحداً مثله،فأجزت له أدام‌الله بقاءه وزاد اجلاله أن يروي عني كلما جازلي روايته عن‌والده الاعظم وأستادنا الافخم،ومولانا الاكرم‌وسيدنا الاقدم ، جزاه‌الله عن الاسلام وأهله خير جزاء المحسنين ، وأسكنه مع أسلافه الصالحين في أعلى غرفات الجنان آمنين .

عن مشائخه العظام والعلماء الاعلام السيد السند رأس الاصوليين ورئيس الفقهاءوالمجتهدين أمير سيد علي‌الطباطبائي‌الحائري رحمه‌الله.وقدوة المحققين وزبدة المدققين ، مقنن قوانين الاصول للفضلاء الكرام ، والمبين لهم مناهج الاستنباط ، محتباً لها من غنائم الايام ، الفاضل العالم الرباني ميرزا أبوالقاسم القمي الجيلاني رحمه‌الله .

والعالم الفاضل الزكي ، والمحقق المتبحر الذكي،قدوة الزاهدين وأسوة العابدين ، السيد الجليل الهادي السيد محسن البغدادي رحمه‌الله .

والشيخ المكرم المحترم ملاذ العرب والعجم ،أعلم العلماء في عصره ، وأفقه الفقهاء في دهره ، مولانا الاكبر الحفي الشيخ جعفر النجفي رحمه‌الله.عن مشائخهم العظام ، عن العلماء الفحام ، عن الفقهاء الكرام ، عن أساتيدهم .

وهكذا خلفاً عن سلف، عن الحافظين لآثار الشريعة المحمدين الثلاثة : شيخ الطائفة المحقة محمد بن الحسن الطوسي رحمه‌الله،ورئيس المحدثين الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه‌الله ، وثقة الاسلام والمسلمين الذي حق احسانه ثابت على المتقدمين والمتأخرين محمد بن يعقوب الرازي الكليني رحمه‌الله ، عن أجلة رواة الأخبار وحملة الاحاديث ونقلة الآثار رحمهم‌الله ، عن الائمة الاطهار والرسول المختار عليهم صلوات‌الله الملك الغفار ، بالتفاصيل المذكورة في الاجازة التي كتبها المبرور حجة الاسلام أعلى الله مقامه لاقل الخليفة .

فالاولى أن يذكر صورة الاجازة بعينها، لاشتمالها مع ذكر طرق الاجازات بتفصيلها على فوائد أخرى ، على أن في نقل عبارته الشريفة بعينها بركات لاينبغي غمض العين عنها ، قال رحمه‌الله وتغمده بغفرانه :

بسم الله الرحمن الرحيم

ومنه التوفيق للفوز بجنات النعيم ، وبه الالتجاء للنجاة من عذاب الجحيم، واليه الاستعاذة من همزات الشيطان الرجيم . الحمدلله المعين لمن استعانه في كل شدة وصعاب ، والمجير لمن استجاره في الفوز بحسن المآب ، والمجير لمن استجاره من أهوال عدت ليوم الحساب ، والهادي لمن استهداه في كل ضلة الى الصواب ، والمنجي لمن استنجاه من أليم النكال وشدائد العقاب ، والمعطي لمن يشاء بما يشاء كيف يشاء بغير حساب .

والصلاة والسلام على أكمل سفن النجاة في كل باب ، وأفضل من يتوسل به لكشف البأساء والضراء من غير ارتياب . وعلى ابن عمه الذي حبه مفتاح السعادات كشاف الكربات في موقف الحساب ، وآله الهداة لابواب السعادات والمفاتيح للخيرات من غير ستر وحجاب .

وبعد : يقول المستجير الى رأفة ربه الرؤوف الرحيم : لما خلق الله تبارك وتعالى الانسان لمعرفته وعبادته بارتكاب أوامره ، واجتناب مبغوضاته ومناهيه ، ليتخلص بذلك من أليم النكال في الدرك الهاوية ، ويفوز به بالنعم الباقية الدائمة

في جنة عالية ، بين لهم طريقها بارسال الرسل وانزال الكتب الى أن انتهى الامر الى خاتم النبيين سيد المرسلين غاية خلقة السماوات والارضين ، فمن الله تعالى علينا بارساله «لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين» فتصدى ﷺ في عصره الشريف لابانة الحق وترويجه ، وازهاق الباطل وتمزيقه ، وبذل نفسه في مرضاته ، وصبر على ما أصابه في جنبه ، وأظهر دين الحق على الاديان كلها ولو كره المشركون ، وان بالغ في ايذائه المنكرون الملحدون ، وأصر في اضراره المعاندون الجاحدون .

ولما انقضت أيامه صلوات الله عليه وآله، ودان أوان تشرف غرفات الجنان بقدومه ، وكانت شريعته باقية الى يوم القيام ، نصب رسول الله ﷺ بأمر الله سبحانه أوصياء واحداً بعد واحد، لئلا يضمحل الحق وينتشر الباطل، فتصدى كل واحد عليهم صلوات الله الملك الماجد في عصره الشريف لابانة الحق واظهاره وابطال الباطل واذلاله .

وان منعوهم عن اقامة الحدود واستيصال الجحود وامضاء الاحكام وتهذيب الاسلام وقمع الاثام ، وأحاطت عليهم الفسقة الغواة والحسدة البغاة ، وفتحوا عليهم أبواب العداوة والشقاق وابتزوا مافي نفوسهم من الشقاوة والنفاق، وأصروا في كتمان الحق واخفائه، وبالغوا في ترويج الباطل واظهاره .

ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون، فمع مبالغتهم في كتمان الحق وستره أبى الله تعالى الا أن يكون الحجة ظاهرة في كل زمان، ويتوجه اليه لكشف الحجاب عن وجه الحق والصواب أولوا الالباب ، حتى فاق آثارهم آثار الانبياء وملات آفاق الارض والسماء .

الى أن انتهت النوبة الى الامام الثاني عشر عليه صلوات الله الملك الاكبر

في ستين ومائتين، فاقتضت الحكمة الالهية جلت عظمته، وتوالت آلاءه الى عباده اختفائه عن نظر الامام واحتجابه كالشمس تحت الغمام حتى بلغت حدته الى حال التحرير الثالث والعشرين من شهر شوال سنة سبع وأربعين ومائتين بعد الالف سبعاً وثمانين وتسعمائة، كما بلغ عمره الشريف حال التحرير اثنتين وتسعين وتسعمائة سنة أو نقصت واحدة .

وفي هذه المدة الطويلة كانت علماء شيعته حافظين لشريعته واقين لملته ، مبينين لاحكامه ، معلنين لمناهجه ، متصدين لمنهاجه ، هادين ارضائه فهم نوابه وخلفاؤه في ترويج الدين واظهاره وازهاق الباطل وتزييفه .

وقد روى شيخنا الصدوق في الفقيه ومعاني الاخبار والعيون عن النبي صلى الله عليه وآله أما في الفقيه ، فقد روى عنه ﷺ أنه قال : اللهم ارحم خلفائي، قيل: يارسول الله من خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي (١) .

وأما في المعاني، فقد روى في باب معنى قول النبي ﷺ اللهم ارحم خلفائي ثلاثاً ، عنه ﷺ أنه قال: اللهم ارحم خلفائي، اللهم ارحم خلفائي ، اللهم ارحم خلفائي ، قيل له : يارسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون بعدي يروون حديثي وسنتي (٢) .

وأما في العيون، فقد روى عنه ﷺ أنه قال: اللهم ارحم خلفائي ثلاث مرات قيل له: ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون بعدي يروون أحاديثي وسنتي، فيعلمونها الناس من بعدي (٣) .

(١) من لايحضره الفقيه ٤/٤٢٠ .

(٢) معاني الاخبار ص٣٧٤-٣٧٥.

(٣) عيون أخبار الرضا ٢/٣٧، ح٩٤.

وفي أصول الكافي قال رسول الله ﷺ : الفقهاء أمناء الرسل مالم يدخلوا في الدنيا، قيل: يارسول الله ومادخولهم في الدنيا؟ قال: اتباع الساطان، فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم (١) .

وفيه عن مبين الحقائق كاشف الدقائق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: الفقهاء امناء .

وفي الفقيه عن قائد أرباب المعرفة واليقين أمير المؤمنين عليه آلاف التحية من رب العالمين في جملة وصاياه لابنه محمد بن الحنفية : تفقه في الدين، فان الفقهاء ورثة الانبياء، ان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكنهم ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر .

واعلم أن طالب العلم يستغفر له من في السماوات والارض حتى الطير في جو السماء والحوت في البحر، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به، وفيه شرف الدنيا والفوز بالجنة يوم القيامة، لان الفقهاء هم الدعاة الى الجنان والادلاء على الله تعالى (٢) .

وفي كتاب أعلام الورى و كتاب الاحتجاج عن ثقة الاسلام عن اسحاق بن يعقوب،قال: سألت محمد بن عثمان العمري رحمه الله تعالى أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل اشكلت علي ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه: أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله (٣) .

واليهم الاشارة بقوله ﷺ : علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل ، فهم أمناء الرسل وأدلاء السبل وحصون الاسلام وهداة دار السلام ، فأيم الله لولا هؤلاء

(١) اصول الكافي ١/٤٦، ح٥.

(٢) من لايحضره الفقيه ٣٨٧/٤.

(٣) الاحتجاج ٢٨٣/٢.

لاندرست آثار النبوة وانطمست وانطوت المعالم الدينية واضمحلت ، فجزاهم الله تعالى عنا خير جزاء المحسنين ، وأسكنهم في الغرفات آمنين ، ومكنهم في أعلى عليين ، فطوبى لمن صرف العمر في اقتفاء آثارهم في نشر معالم الدين ، فانه من أهـم المصارف عند أهل اليقيـن ، وبذل جهده في كشف الحجب عن مدارك الحلال والحرام ، ويبلغـها الى المكلفين ومن أحب المطالب عند رب العالمين .

ففي الصحيح المروي في بصائر الدرجات وأصول الكافي عن سيد الاوائل والاواخر مولانا محمد الباقر عليه وعلى آبائه وأولاده آلاف التحية من الكريم الغافر : عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد (١) .

وفي البصائر: أفضل من عبادة سبعين ألف عابد (٢). ومافي الاصول أنسب كمالايخفى .

وفيه عن كاشف الحقائق والدقائق مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حين سئل رجل راوية لحديثكم يبث ذلك في الناس ويشدده في قلوبهم وقلوب شيعتكم ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيهما أفضل؟ قال: الراوية لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد(٣) .

وروى شيخنا الصدوق في المجالس، عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المؤمن اذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً فيمابينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكل حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات ، ومامن مؤمن يقعد ساعة عند

---

(١) اصول الكافى ١ /٣٣، ح٨ .

(٢) البصائر ص٦، ح١ .

(٣) اصول الكافى ١ /٣٣، ح٩ .

العالم الا ناداه ربه عزوجل جلست الى حبيبي، فوعزتي وجلالي لاسكنتك الجنة معه ولاأبالي (١) .

وروى فيه أيضاً عن الاصبغ بن نباتة قال قال أمير المؤمنين عليه السلام : تعلموا العلم ، فان تعلمه حسنة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لايعلمه صدقة ، وهو عندالله لاهله قربة ، لانه معالم الحلال والحرام ، وسالك بطالبه سبيل الجنة ، وهو أنيس في الوحشة ، وصاحب في الوحدة ، وسلاح على الاعداء ، وزين الاخلاء ، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم .

ترمق أعمالهم ، ويقتبس آثارهم ، وترغب الملائكة في خلتهم يمنحونهم بأجنحتهم في صلواتهم، لان العلم حياة القلوب، ونور الابصار من العمى، وقوة الابدان من الضعف، ينزله الله حامله منازل الابرار ، ويمنحه مجالسة الاخيار في الدنيا والآخرة، بالعلم يطاع الله ويعبد، وبالعلم يعرف الله ويوحد، وبالعلم توصل الارحام، وبه يعرف الحلال والحرام، والعلم امام العقل ، والعقل تابعه ، يلهمه الله السعداء، ويحرمه الأشقياء (٢) .

وفي جامع الاخبار عن سيدالابرار علي بن أبي طالب عليه آلاف التحية من الله العزيز الغفار قال : بينما أنا جالس في مجلس النبي اذ دخل أبوذر ، فقال : يارسول الله جنازة العابد أحب اليك أومجلس العالم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ياأباذر الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب عند الله تعالى من ألف جنازة من جنائز الشهداء، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب الى الله تعالى من ألف ليلة يصلى في كل ليلة ألف ركعة (٣) .

---

(١) امالي الصدوق ص٣٣ .

(٢) امالي الصدوق ص٥٥١ .

(٣) جامع الاخبار ص٣٧ .

وفي التفسير المنسوب الى مولانا الامام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليهما وعلى آبائهما أشرف الصلوات من الله العلي عن آبائه عن امام المتقين علي بن أبي طالب عليه صلوات الله الكريم الماجد: من كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم الى نور العلم الذى حبوناه ، جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور يضيء لاهل جميع العرصات ، وعليه حلة لايقوم لاقل سلك منها الدنيا بحذافيرها .

وينادي مناد هذا عالم من بعض تلامذة علماء آل محمد، ألا فمن أخرجه من ظلمة جهله في الدنيا فليتشبث به ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات الى ذروة الجنان ، فيخرج كل من كان علمه في الدنيا خيراً أوفتح عن قلبه من الجهل قفلا (١) .

وفيه عن مولانا الحسين بن علي عليهما السلام رجل سأله أيهما أحب اليك رجل يروم قتل مسكين قد ضعف تنقذه من هذه ، أو ناصب يريد اضلال مسكين من ضعفاء شيعتنا ، تفتح عليه مايمتنع به منه ويفحمه ويكسره لحجج الله تعالى .

قال: بل انقاذ هذا المسكين من يد هذا الناصب، ان الله تعالى يقول « ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » ومن أحياها وأرشدها من كفر الى الايمان ، فكأنما أحيا الناس جميعاً من قبل أن يقتلهم بسيوف الحديد (٢) .

وفيه أيضاً قال محمد بن علي عليهما السلام : العالم كمن معه شمعة تضيء للناس ، فكل من أبصر بشمعته دعا له بخير ، كذلك العالم معه شمعة تزيل ظلمة الجهل والحيرة ، فكل من أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجا بها من جهل، فهو من عتقائه من النار ، والله يعوضه من ذلك بكل شعرة لمن أعتقه ماهو أفضل له من

(١) تفسير الامام عليه السلام ص٣٣٩ .

(٢) تفسير الامام عليه السلام ص٣٤٨ .

الصدقة بمائة ألف قنطار على غير الوجه الذي أمر الله عزوجل به، بل تلك الصدقة وبال على صاحبها ، لكن يعطيه الله ماهو أفضل من مائة ألف ركعة بين يدي الكعبة [١] .

وفيه أيضاً عن موسى بن جعفر عليه السلام قال : فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عن مشاهدتنا بتعليمهم ماهو محتاج اليه أشد على ابليس من ألف عابد لان العابد همه ذات نفسه فقط ، وهذا همه مع ذات نفسه ذات عباد الله وامائه لينقذهم من ابليس ومردته ، ولذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف عابد [٢] .

وفيه بعده من غير فصل، وقال علي بن موسى عليه السلام : يقال للعابد يوم القيامة: نعم الرجل كنت همتك ذات نفسك ، وكفيت الناس مؤونتك ، فادخل الجنة . ويقال للفقيه: أيها الكافل لايتام آل محمد الهادي لضعفاء محبيه ومواليه، قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك، فيدخل الجنة معه فئام وفئام حتى قال عشراً وهم الذين أخذوا عنه علومه وأخذوا عمن أخذ عنه الى يوم القيامة ، فانظروا كم صرف مابين المنزلتين [٣] .

وفيه أيضاً وقال محمد بن علي عليه السلام : من تكفل أيتام آل محمد المنقطعين عن امامهم المتحيرين في جهلهم ، الاسراء في أيدي شياطينهم ، وفي أيدي النواصبين من أعدائنا، فاستنقذهم منهم ، وأخرجهم من حيرتهم، وقهر الشياطين برد وساوسهم، وقهر الناصبين لحجج ربهم ودليل أئمتهم ليفضلون عند الله بأفضل المواقع بأكثر من فضل السماء على الارض والعرش والكرسي والحجب على

(١) تفسير الامام عليه السلام ص٣٤٢ .
(٢) تفسير الامام عليه السلام ص٣٤٣ .
(٣) تفسير الامام عليه السلام ص٣٤٤ .

السماء (١) .

وقال علي بن محمد عليهما السلام : لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين له والدالين عليه ، والذابين عن دينه بحجج الله ، والمتقدمين اضعفاء عباد الله من شاك ابليس ومردتـه ، ومن فجاج النواصب لما بقي أحد الا ارتد عن الدين، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسك صاحب السفينة لسكانها، أولئك هم الافضلون عند الله عزوجل (٢) .

وقال الحسن بن علي عليهما السلام : يأتي علماء شيعتنا القوامون لضعفاء محبينا وأهل ولايتنا يوم القيامة والانوار تسطع من تيجانهم على رأس كل واحد منهم تاج بهاء قد انبثت تلك الانوار في عـرصـات القيامة ،ودورها مسيرة ثلاثمائة سنة ، فشعاع تيجانهم تنبث فيها كلها ، فلا يبقى هناك يتيم قد كفلوه ، ومن ظلمة الجهل قد علموه، ومن حيرة التيه أخرجوه، الا تعلق بشعبة من أنوارهم ،فرفعتهم الى العلو، حتى يحاذي بهم فوق الجنان ، ثم تنزلهم منازلهم المعدة فـي جوار استاديهم ومعلميهم ومحضرة أئمتهم الذين كانوا اليهم يدعون .

ولا يبقى ناصب من النواصب تصيبه من شعاع تلك التيجان الا عميت عينه ، وأصمت أذناه وأخرس لسانه ، ويحول عليه أشد من لهب النيران، فيحملهم حتى يدفعهم الى الزبانية، فيدعوهم الى سواء الجحيم (٣) .

فمن أعظم آلاء الله علي ، وأكمل نعمائه الي ، صعود ثلة ممن كثر اختلافه الي الى أعلى مدارج العلم والعمل ، وبلوغ جلـة ممن جد في تردده علي الى أقصى مراتب النظر والنبل، منهم العارج في معارج التحقيق، والصاعد في مدارج

(١) تفسير الامام عليه السلام ص٣٤٤ .

(٢) تفسير الامام عليه السلام ص٣٤٤-٣٤٥ .

(٣) تفسير الامام عليه السلام ص٣٤٥ .

التدقيق، قدوة العلماء العظام، زمرة الفضلاء الكرام، زبدة الفقهاء الفحام، العالم العامل الزكي، والفاضل الكامل العلي، ذوالفهم العلي الرشيق الرفيع، والمدرك الزكي الانيق البديع، الصاعد من حضيض التقليد الى أوج الاجتهاد، والمترقي من ظلمة الجهل الى أنـوار العلم والارشاد ، قرة عيني وسرور فـؤادي ، سمي فخرالعالم ﷺ ملا أحمد بن المكرم المعظم المفخم ملاعلي أكبر التربتي .

أرجو منه تعالى نصرته في ترويج دينه ، وصرف العمر في محابـه ورضائه وأن ينصر من نصره وأعانه ، ويخذل من خذله وأهانه ، وكبت أضداده وأعداءه وأهان من مد النظر في اهانته، وزاده فيمازانه وصانه عماشأنه بحق أكمل خليقته وأشرف بريته وآله وأصحابه، فاستجازني زيد فضله وعلمه وتقواه تيمناً باتصال أسانيد الاخبار الى حجج الله النبي والائمـة الاطهار عليه وعليهـم صلوات الله الملك الغفار، وحذراً عن منقصة الانقطاع والانفصال .

فأجزته أدام الله تعالى تأييده وعمره وتقواه، وكثر في الفرقة الناجية أمثاله أن يروي كل ماسمعه مني وقرأه علي، وماأبرزته من دقائق الافكار وخبايا الاثار التي خلت عنها كتب علمائنا الابرار، ومؤلفاتي ومقرواتي وكلما جاز لي روايته من الأخبار المرويـة عن ينابيع الفيوضات الالهية خاتم الرسالة الكاملة وعترته الطاهرة والادعية المأثورة، والزيارات المروية، والمصنفات الفقهية من أصحابنا الامامية وغيرها من المصنفات في العلوم الدينيـة من كتب التفاسير والدعوات والزيارات والرجال وغيرها .

سيماالاصول الاربعة المشتهرة في الاعصار: الكافي، والفقيه ، والتهذيب ، والاستبصار ، أسكن الله مصنفيـها جنات تجري قصورها الانهار ، وماتولد منها ومن غيرها ، كالوسائـل والوافي والبحار ، مكن الله تعالى مصنفيـها منازل الابرار .

فله زاد الله تعالى توفيقاتــه وأعان من هيأ نفسه لنصرتــه واعانته أن يرويها وكل ماجاز لي روايته عن ثلة من مشائخنا العظام وثلة من علمائنا الاعلام منهم: شمس فلك الافـادة والافاضة ، بدر سماء المجد والعز والسعادة ، محيي قواعد الشريعة الغراء، مؤسس مباني الاجتهاد في الملة البيضاء، فخر المجتهدين، ملاذ العلماء العامليــن ، ملجأ الفقهاء الكاملين ، سيدنـا وأستادنا العلي العالي الأمير سيدعلي الطباطبائي الحائري مسكناً ومدفنـاً ، حشره الله تعالى مع مشرفيها في الفردوس العلي العالي .

ومنهم : الملتزم مناهج التحقيـق والتدقيق ، مقنن قوانيـن الاصول ، مشيد مباني الفروع، قدوة الفقهاء العاملين، أسوة الفضلاء الراسخين، المولى المكرم والوالد المعظم، مولانا ميرزا أبوالقاسم الجيلاني القمي نور الله تعالى ضريحه وأفاض عليه أنواره .

عن المولى الساطع البرهان ، قاطع الريـب والشك عـن الحق بأوضح البيان ، ممهــد قواعد العلوم الدينية بعدما كانت تنطمس ، مجدد مباني الاصول عندماكانت تندرس،علامة زمانه، أعجوبة أوانه، الذي فضيلة كل من تأخر مأخوذة منه، والذي فزنا بالاستفادة من جنابه في أوائل التحصيل في علم الاصول، وقرأنا عليه من مصنفاته ماهو مشهور بالفوائد العتيق، مصداق قوله ﷺ « علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل» استاد الكل مولانا آقامحمد باقر البهبهاني الاصبهاني الحائري طيب الله برحمته مأواه ، وزين بفضله وكرمه مثواه .

عن والده الاجل الاكمل مولانا محمد أكمل، عن جملة من مشائخه العظام منهم: السحاب الهامر، والبحر الزاخر، مفتاح العلوم والاسرار ، كشاف الاستار عن وجوه الاخبار ، مستخرج اللئالي من بحار الاثار، مفخر الاوائل والاواخر، مولانا محمدباقر المجلسي نور الله تعالى ضريحه .

ومنهم: قطب دائرة الفضل والكمال ، قطر فلك العلم والافضال، مولانا آقا جمال الخوانساري مكنه الله تعالى المكان العالي. ومنهم: العلامة المحقق الزكي والفهامة المدقق العلي الذكي ، مولانا ميرزا محمد الشيرواني . عن مشائخهم المسطورة في الاجازات، وستعرف بعض الطرق عن بعضهم ـ .

ح ـ وعن استاده الاقدم ، وشيخه الاكرم ، العالم العامل الكامل الحسيب النسيب الاديب اللبيب الثقة الثقة المحقق المدقق، المبرء عن وصمة المين العالم الاوحد والافضل الافرد، قدوة المتقين، نخبة المتبحرين السيد أبي القاسم السيد حسين الخوانساري .

عن شيخه واستاده العالم الكامل، والفاضل العالم الفقيه الباذل الحاذق ، مولانا محمد صادق عن والده الشيخ الورع البارع التقي العلامة، مولانا عبدالفتاح التنكابني المشتهر بالسراب، عن شيخه العلامة الفهامة، قدوة العلماء المحققين ، نخبة الفقهاء والمتكلمين ، مولانا محمد باقر بن محمد مؤمن السبزواري صاحب الذخيرة والكفاية . عن علامة عصره وفريد دهره ، صاحب المقامات الفاخرة ، العالم الرباني ، مولانا محمد تقي المجلسي نور الله تعالى ضريحه . عن مشائخه الاتية .

ح ـ وعن الشيخ الرفيع الشأن المنيع المكان، المشار اليه بكل بنان، الافضل الأعلم الاكمل ، المتزين بمحاسن الاخلاق ، المتحلي بمحامد الصفات ، الفقيه النبيه المحدث، العالم الرباني ، الشيخ محمد مهدي الفتوني، عن شيخه رئيس المحدثين في عصره، قدوة الفقهاء في دهره، المولى أبي الحسن الشريف العاملي النجفي . عن عدة من المشائخ الكرام والفضلاء العظام ، منهم العلامة السمي المجلسي نور الله تعالى روحه الزكي، عن مشائخه الذين ستقف عليهم .

ومنهم الشيخ عبدالواحد بن محمد البدراني، عن الشيخ صفي الدين ، عن

والده الشيخ فخر الدين الطريحي صاحب كتاب مجمع البحرين، عن الشيخين السعيدين السيد شرف الدين علي الحسني الحسيني ، والشيخ محمد بن جابر ، عن والده الشيخ جابر بن عباس النخعي صاحب المؤلفات الفائقة ، عن الشيخ عبدالنبي شارح تهذيب الاصول، عن منبع الفضائل والمدارك السيد النبيل السيد محمد صاحب المدارك ، عن الشيخ المعتمد الشيخ حسين بن عبدالصمد والد شيخنا البهائي ، عن شيخنا الشهيد الثاني ، عن مشائخه الذين ستقف على بعضهم .

ومنهم: شيخنا العالم العامل المتقن الممتحن بأنواع المحن والالم الشيخ سليمان العاملي ، عن المحدث المتبحر ذي اليد الطولى في أخبار الائمة عليهم السلام مولانا الشيخ يوسف البحراني الحائري صاحب الحدائق، عن مشائخه العظام، منهم الفاضل المحقق النحرير المنيع مولانا محمد رفيع المجاور في المشهد الرضوي حياً وميتاً، عن مفخر الاوائل والاواخر مولانا محمد باقر المجلسي، عن مشائخه الاتية .

ومنهم : سيدنا النقي الزاهد العابد الزكي ، والفاضل الكامل العلي ، قدوة الزهاد والعباد والنساك، ناموس العصر ، قدوة المحققين وزبدة المدققين، مولانا وعمادنا السيد محسن النجفي البغدادي ، عن الدولى المكرم والوالد المعظم ميرزا أبو القاسم، وشيخنا المفخم الشيخ سليمان العاملي المقدم ذكرهما عن مشائخهما السالفة رفع الله تعالى قدرهم .

ومنهم : الشيخ المكرم المعظم ملجأ العرب والعجم ، ملاذ قاطبة الامم ، منبع الفضائل الجليلة ، مظهر السجايا العلية ، ناهج المناهج السوية ، بالغ المقاصد العلية ، مهذب المعالم الدينية ، ممهد مباني الاحكام الشرعية ، المشتهر في الاعصار والامصار والافاق ، شيخنا وعمادنا الشيخ جعفر النجفي قدس الله

تعالى روحه الزكي، عن مفخر الاوائل والاواخر عمادنا وعماد الكل، استاذنا بل استاذ الكل آقا محمد باقر، عن والده المعظم، عن المشائخ السالفة.

فقد علم مما بينا طرق جميع مشائخنا المذكورين مكنهم الله تعالى في الغرفات آمنين الى العلامة السمي المجلسي نور الله تعالى تربته، عدا طريق سيدنا الاستاد المحيي لمناهج الاجتهاد المقدم ذكره على مشائخنا المذكورين نور الله تعالى مراقدهم، فأخرته لذكر طريق واحد متصلا بالعترة الطاهرة عليهم آلاف التحية لئلا يخلو هذه الاجازة عن هذه المزية.

فنقول: روى سيدنا الاستاد وسع الله تعالى عليه أبواب السعادة في الاخرة عن السيد الجليل ذي الشرف الاصيل الراقي من الداني الى العالي، المرحوم المبرور ميرعبدالباقي الاصبهاني، عن والده المصون من كل مين وشين ميرمحمد حسين، عن شيخه وجده من طرف أمه العلامة السمي المجلسي، عن والده علامة عصره وفريد دهره صاحب المقامات الفاخرة، سالك المسالك البهية العالم الرباني، مولانا محمدتقي المجلسي رحمه الله، عن عدة من مشائخه.

منهم: شيخ فضلاء الزمان مربي علماء الاعيان، رئيس المحققين[1]، قدوة المدققين، الزاهد الورع التقي النقي مولانا ملاعبدالله بن الحسين التستري رفع الله تعالى مكانه في مكان مقربيه، عن الشيخ العالم الفاضل نعمة الله بن أحمدبن محمدبن خاتون العاملي، عن أبيه الشيخ الافضل الاكمل أحمد، وعن شيخ علماء الاسلام رئيس المحققين والمدققين نورالدين الشيخ علي بن عبدالعالي الكركي العاملي، عن الشيخ الاعلم والافضل الاكمل شمس الدين محمدبن خاتون.

عن الشيخ الاجل الاكمل جمال الدين أحمد بن الحاج علي العيناني عن الشيخ زين الدين جعفر بن حسام، عن السيد الاجل الحسن بن أيوب الشهير بابن نجم الدين، عن شيخنا الاعظم محقق حقائق الاولين والاخرين السعيد الشهيد

أبي عبدالله محمد بن مكي العاملي قدس الله تعالى روحه ونور ضريحه .

ومنهم : شيخ الاسلام والمسلمين ، أفضل المحققين ، رئيس المحدثين ، العلامة الاعظم ، والفهامة المعظم بهاء الملة والحق والدين محمد العاملي الهمداني نور الله رمسه الزكي وروحه المرضي ، عن والده العلامة الفهامة شيخ الاسلام والمسلمين الشيخ حسين بن عبدالصمد ، عن شيخ علماء الاسلام ، علامة علماء الاسلام العالم الرباني والمحقق الصمداني ، الفائز بسعادة الشهادة زين الدين بن علي بن أحمد العاملي شيخنا الشهيد الثاني رفع الله تعالى قدره ، وفتح الله عليه أبواب السعادة .

عن شيخ المحققين أكمل المدققين نورالدين علي بن عبدالعالي الميسي نور الله تعالى مرقده ، عن الشيخ شمس الدين محمد بن مؤذن الجزيني رحمه الله عن الشيخ الاجل ضياء الدين علي روح الله تعالى روحه ، عن والده السعيد الحائز لانواع الرأفة والسعادة ، الفائز بكرامة الشهادة ، فقيه أهل البيت في زمانه الشيخ الشهيد محمد بن مكي حشره الله مع صاحب الشريعة وعترته الهادية الطاهرة عليه وعليهم آلاف السلام والتحية ، عن جماعة من العلماء الاعلام ، منهم : فخر المحققين ، قدوة المدققين أبو طالب محمد .

ومنهم : السيد الجليل العالم النبيل عميدالدين عبدالمطلب بن السيد مجد الدين أبي الفوارس محمد بن علي بن الاعرج الحسيني .

ومنهم : السيد الامام العلامة النسابة تاج الدين أبو عبدالله محمد بن القاسم بن معية الحسيني الديباجي . ومنهم : السيد الجليل والعالم الكبير نجم الدين مهنا ابن سنان المدني .

ومنهم : الشيخ العلامة الفهامة قطب الدين بن محمد الرازي شارح المطالع والشمسية .

ومنهم : الشيخ الامام العلامة ملك الادباء والفضلاء رضي الدين أبو الحسن علي بن الشيخ جمال الدين أحمد بن يحيى. كلهم عن سلطان العلماء العاملين آية الله في العالمين ، برهان الملة والدين ، ترجمان الحكماء والمتكلمين ، مولانا الامام الحسن بن الشيخ الامام سديد الدين يوسف بن علي بن مطهر نور الله تعالى تربته ، وأفاض عليه المراحم الالهية ، عن عدة من مشائخه العظام .

منهم : والده المعظم سديد الدين نور الله تعالى مضجعه .

ومنهم : محقق حقائق الاولين والاخرين سلطان الحكماء والمتكلمين نصير الملة والدين محمد بن الحسن الطوسي رفع الله قدره وضاعف أجره .

ومنهم محقق الحقائق ، مظهر الدقائق ، قطب دائرة الفضل والافضال ، مركز فلك الجلال والكمال ، المشتهر بالمحقق في الافاق ، شيخنا الامام نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الحلي ، خصه الله تعالى بلطفه الخفي .

ومنهم : السيدان الامامان السعيدان الزاهدان العابدان رضي الدين أبو القاسم وجمال الدين أبو الفضائل أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني قدس الله تعالى أرواحهم .

جميعاً عن السيد الجليل شمس الدين فخار بن معد الموسوي ، عن الشيخ الامام أبي الفضل شاذان بن جبرئيل القمي ، عن الشيخ الفقيه أبي جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري ، عن الشيخ الجليل والفاضل النبيل أبي علي ، عن والده الجليل شيخ الطائفة ، فذلكة الفرقة المحقة ، محيي المراسم الدينية ، مكمل القواعد الاسلامية ، قدوة الفضلاء المتبحرين ، أسوة العلماء الكاملين ، الرافع الاستار عن أسرار الاخبار ، فتاح نقاب الاشكال عن وجوه الاثار أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي حشره الله مع النبي والوصي .

عن شيخه الامام الهمام، علم الاعلام ، كشاف الوعور فتاح الرموز، المرابط الساد ثغور الاسلام ، القاطع ألسنة الملحدين بقواطع البراهين ، الامام السعيد ذي الرأي السديد، شيخنا أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد نورالله تعالى روحه السعيد ، عن شيخه الجليل القدر الذي قال في حقه شيخنا النجاشي : كلما يوصف به الناس من جميل وفقه فهو فوقه ، فهو من أجلاء الاصحاب وثقاتهم أبو القاسم جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه .

عن ثقة الاسلام والمسلمين ، وغوث الايمان والمؤمنين ، رئيس المحدثين الذي أحيى بجده البليغ وسعيه الأنيق في ضبط الاحاديث الصادرة عن الانوار الالهية الائمة الطاهرين شريعة سيدالمرسلين عليه وعليهم أسنى التحيات من رب العالمين أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، جزاه الله تعالى عن الاسلام والمسلمين خير جزاء المحسنين ، عن محمد بن يحيى ، عن بعض أصحابه وعلي بن ابراهيم عن هارون بن مسلم ، عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، وعلي بن ابراهيم عن أبيه ، عن ابن محبوب رفعه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

ان من أبغض الخلق الى الله عزوجل لرجلين : رجل وكله الله الى نفسه ، فهو جائر عن قصد السبيل ، مشغوف بكلام بدعة ، قد لهج بالصوم والصلاة ، فهو فتنة لمن افتتن به ، ضال عن هدى من كان قبله ، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد مماته ، حمال خطايا غيره ، رهن بخطيئته .

ورجل قمش جهلا في جهال الناس ، غان بأغباش الفتنة، قدسماه أشباه الناس عالماً ، ولم يغن فيه يوماً سالماً ، بكر فاستكثر ، ماقل منه خير مما كثر ، حتى اذا ارتوى من ماء آجن ، واكتنز من غير طائل، جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره ، وان خالف قاضياً سبقه ، لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله ، وان نزلت به احدى المبهمات المعضلات ، هيأ لها

حشواً من رأيه ثم قطع ، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت ،لايدري أصاب أم أخطأ .

لايحسب العلم في شيء مما أنكرولايرى أن وراء ما بلغ فيه مذهباً ، ان قاس شيئاً بشيء لم يكذب نظره ، وان أظلم عليه أمراً اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكيلا يقال له لايعلم ثم جسرفقضى فهومفتاح عشوات ، ركاب شهوات ، خباط جهالات ، لايعتذر مما لايعلم فيسلم ، ولايعض في العلم بضرس قاطع فيغنم ، يذري الروايات ذروالريح الهشيم ، تبكي منه المواريث ، وتصرخ منه الدماء، يستحل بقضائه الفرج الحرام ، ويحرم بقضائه الفرج الحلال لامليء باصدار ما عليه ورد ولاهو أهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق [(١)] .

وبالاسناد السالف عن شيخنا المفيد قدس تعالى روحه السعيد عن رئيس المحدثين شيخنا أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه الصدوق جعله الله تعالى في الذين هم في الغرفات آمنون في كتاب القضايا من الفقيه ، عن محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه ، عن عمه محمد بن أبي القاسم ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي عمير ، عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير ، قال قال أبو جعفر عليه السلام : من حكم في درهمين فأخطأ كفر [(٢)]

والظاهر أن المراد من الخطأ في المقام هو الحكم بغير ما أنزل الله ، كما هو المذكور فيما رويناه بالاسناد السالف عن ثقة الاسلام في كتاب القضايا من الكافي عن علي عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن حمران ، عن أبي بصير ، قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله عزوجل

---

(١) اصول الكافي ١/٥٥-٥٦ .

(٢) من لايحضره الفقيه ٣/٧ .

فهو كافر بالله العظيم [١] .

وبالاسناد السالف عن شيخ الطائفة في كتاب القضايا من التهذيب، عن الشيخ المفيد ، عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه ، عن ثقة الاسلام محمد بن يعقوب ، عن علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير الى آخر ما تقدم [٢]

وحمل الخطأ عليه غير بعيد ، اذ الحاكم اما ان أصاب حكمه الواقع اولا، فيقال في الاول : انه حكم بما أنزل الله ، وفي الثاني: انه أخطأ فحكم بغير ما أنزل الله

فمدلول الحديث المعتبر الذي أطبقت المشائخ العظام على ايراده في الكتب المعتبرة ، ان الحكم بغير ما أنزل الله أوجب كفر الحاكم هذا اما مـن جهة عـدم القابلية لعدم استجماعه لشرائط الحكم ، اذ التقصير في البحث والفحص عن مدرك الحكم ، وعلى أي حال ان الالتفات والتذكر الى مداوله مـن أن الحكم بغير ما أنزل الله يوجب كفر الحاكم مما يزيل العيش والسرور عن المعتقدين لشدائـد يوم النشور .

وعلى تسليم صرف اللفظ عـن الظاهر يكون الداعي التنبيه على شدة الاثم والمعصية ، وكفى في هذا الباب ما خاطب الله جل جلاله به داود عليه السلام « ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله »

ثم اسمع مني ما أقول : ان تحصيل الاستعداد للاطلاع بالادلة المتعارضة وترجيح المستفاد منها بعضه على بعض وان كان صعباً ، لكن الانصاف أنه سهل والعمدة في هذا الباب ملاحظة الذي هو يدعيه وهو النيابة عن خليفة الله الذي به قامت السماوات والارضون ، وان ما يبرزه بين الناس أو يفتي أو يحكم بـه أنه

---

(١) فروع الكافي ٤٠٨/٧ ، ح ٢ .

(٢) تهذيب الاحكام ٦ / ٢٢١ ، ح ١٥ .

حكم الله سبحانه ، فهو يحكي عن الله عزشأنه بلسان نبيه ووصيه .

وهذا المنصب منصب عظيم واظهاره من اللسان وان كان سهلا يسيراً ، لكن اتصاف النفس بـه وكونـه مصداقاً لها فـي الواقع أمر صعب خطير لايمكن الاتصاف به الا بالمجاهدات العظيمة الموجبة لتخلية النفس عن الرذائل وتحليها بـالفضائل وتحصيل الانس التام بخالق الارضين والسماوات بالمناجاة الكثيرة في الخلوات المطلوبة .

فعليك ثم عليك بتحصيله ، فانه عمدة الاسباب وأس الاعانات ، فمن فاز به فاز بالحظ الوافـر وحصل القسط الكامل ، ومـن حرم منه حرم نفسه عن الامر الفاخر ، حرره خادم الشريعة ابن محمد نقي الموسوي محمد باقر في رابع عشر جمادي الاولى سنة (١٢٤٨) ه ق .

هذا آخر رسالة الاجازة التي كتبها للعبد الاحقر أحمد بن علي أكبر عامله الله تعالى بفضله في الدنيا وفي يوم العرض الاكبر.

بقي في المقام أمور ينبغي التنبيه عليها :

الاول : أنه أعلى الله مقامه كتب الاجازة لهذا الاحقر وأنا على شرف السفر الى آخر الرواية التي أوردها ، وأسندها الى ثقة الاسلام .

ثم قال: توضيح هكذا وجد سند الحديث ، الظاهر أنه وكلمة أنه أخر الورق ثم تأخر أمر السفر وتعوق لاصلاح بعض المهام الى مدة ستة أشهر وعدة أيام ، ولعلني فـي بعض الاوقات سألته أن يتفضل علي باتمام الاجازة ، فأجاب بأني أريد أن أشرح الرواية وأبين مافي سندها ومتنها من الغوامض والفائدة .

الى أن فاجأني المسافرة، فاستدعيت منه الاجازة ، فلما علم بلزوم مسافرتي على سبيل العجلة ولابد مـن أن يسلم الي رسالة الاجازة ألحق بها مارواه عن الصدوق رحمه الله في باب المحاكمة مع مايلزمها مـن البيان والتأييد بما رواه

عن شيخ الطائفة مع اختتامها بما ينفع كافة العلماء من التذكرة والنصيحة .

وبقي الروايـة الاولى بحالها من غير توضيح وترجمة ، وواعدني شرحها على سبيل البسط عند عودي الى حضرته المنيعة ، وتشرفـي الى عتبته الرفيعة ، وبعد عودي والتشرف بخدمته مضى الايام بالتسويف والعدة ، لابتلائـه بكثرة المشاغل وتوارد الرزايا ، كما أشرنا اليها غير مرة ، وبقي توضيح الرواية ومـا فيها في حجاب الخفاء ، الى أن قضى نحبه ، فتح الله على روحه أبواب الرحمة.

وعند ايـرادي عبارة الاجازة تركت قولـه توضيح هكذا الى آخره لعدم الفائدة ، واتبعت الرواية الاولى بالثانية من غيرفاصلة ، وأرجوأن يتحمل شرحها وتوضيحها سنداً ومتناً ولده الخلف الصالح صاحب الاجازة ـ كما تحمل سائر امورها بقدر الوسع والطاقة ، مدالله في عمره وأطال بقاؤه .

الثاني : ان مـانحن بصدده من الاجازة والاستجازة ليس أمراً مستحدثاً ، كما سمعت من بعض الطلبة أنه اصطلاح بين العلماء من دون ترتب فائدة ، ولم يكن له دليل ولم ترد به رواية ، اذ هو توهم فاسد ناش عن الجهل والغفلة ، اذ اطباق العلماء عليه مـن القدماء والمتأخرين أدل دليل عليه ، بـل يمكن ادعاء الاجماع في هذه القضية ، لاتفاق الاصوليين والاخباريين قديماً وحديثاً عليه مـن غير مخالفة .

بل نقول : انه كان شائعاً بين أصحابنا في عصر الائمة عليهم السلام والتحية ، بحيث يحصل العلم برضائهم به وتقريرهم اياهم عليه . فقد أخبرني أستادي ومن عليه في العلوم الشرعية استنادي الفائق بجمعه المآثر على سائر العلماء مـن الاوائل والاواخر مولانا الحاج سيد محمد باقر بن السيد محمد نقي الموسوي الجيلاني تغمده‌الله بغفرانه عن جماعة من العلماء .

منهم : العالم الفاضل العلامـة ، والمحقق المدقق الفهامة ، قدوة العلماء

الراسخين ، مولانا ميرزا أبوالقاسم القمي الجيلاني أعلى الله مقامه ، عن أستاده بل استاد كل مـن تأخر مولانا محمد باقر البهبهاني تغمده الله برحمته وحشره مع أئمته ، عـن والده العالم الافضل والعالم الكامل الاجل مولانا محمد أكمل رحمه الله .

عن أعلم علماء عصره وأفضل فضلاء دهره، قدوة المجتهدين وزبدة المحدثين ومروج شريعة سيد المرسلين ومحيي مراسم الائمة المعصومين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، وترجمان أخبار أهل بيت الرسالة ، وناشر آثار صاحب الشريعة المطهرة ، الفائز بكثرة تصانيفه وتآليفه على أمثاله، نظير العلامة العالم الربانـي مولانا محمد باقر المجلسي ، أجلسه الله تعالى مجلس الكرامة .

عن والده الاعظم ، واستاده الافخم ، أعلم العلماء ، وأفقه الفقهاء ، الحائز لفضيلة العلم والتقوى، والجامع لمنقبة العرفان والصفا، مولانا محمد تقي المجلسي طيب الله مضجعه .

عن شيخ الاسلام والمسلمين، وأفضل المحققين جامع العلوم العقلية والشرعية حاوي الفنون القريبة والغريبة، المدعو في عصره بخاتم المجتهدين ، بهاء الحق والملة والدين، الحبر الملي مولانا محمد العاملي الهمداني الحارثي، عطر الله تعالى روحه الزكي عـن والده العالم العلامة ، والفاضل الكامل الفهامة الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي رحمه الله تعالى .

عن أعلم العلماء ، وأفضل الفضلاء المتبحرين ، المستغني عن التوصيف ، باشتهاره وتداول كتبه بين المحصلين بل المجتهدين ، العالم الرباني ، المشتهر بالشهيد الثاني ، مولانا زين الدين بن علي بـن أحمد العاملي ، فتح الله تعالى عليه أبواب الكرامة في الجنة العالية .

عن أفضل المحققين وأكمل المدققين ، شيخنا نورالدين علي بن عبدالعالي

الميسي رفع الله درجته ، عن الشيخ شمس الدين محمد بن مؤذن الجزيني ، عن الشيخ الاوحدالذكي ، والمولى الامجد البهي ضياء الدين علي رحمة الله تعالى عليه ، عن والده الفريد ، وأستاده السعيد ، أفضل فضلاء الاسلام ، وأعلم العلماء الاعلام، قدوة الفقهاء المحققين، وأسوة الاذكياء المدققين ، العالم العامل التقي شيخنا الشهيد أبي عبدالله محمد بن مكي العاملي حشره الله تعالى مع أبي عبدالله سيدالشهداء عليه أفضل التحية والثناء .

عن جماعة من أفاضل العلماء ، منهم قدوة الفضلاء المدققين،وفخر الفقهاء والمجتهدين،مولانا أبوطالب محمد تغمده الله بغفرانه المؤبد،عن والده الجليل وأستاده النبيل،رئيس العلماء العاملين،ورأس الفضلاء الكاملين،ترجمان الحكماء والمتكلمين،المستغن لوضوح حاله عن التوصيف والتبيين، آية الله في العالمين، الامام العلامة الفهامة ، مولانا الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر الحلي ، وفقه الله تعالى قدراً وجزاه عن دين الاسلام خيراً ، عن جماعة من أماثل الفضلاء والمحققين .

منهم : أعلم العلماء الراسخين، وأفضل الفضلاء المتبحرين،أعجوبة الزمان نادرة الدوران ، المشتهر بالمحقق في كل عصر وأوان، شيخنا الامام نجم الدين أبوالقاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الحلي عامله الله تعالى بلطفه الخفي والجلي . عن السيد الجليل والسند النبيل الاكمل ، شمس الدين فخار بن معد الموسوي رحمه الله تعالى .

عن الشيخ الامام العالم الجليل الزكي أبي الفضل شاذان بن جبرئيل القمي رحمه الله،عن الشيخ الفقيه والعالم الوجيه أبي جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري رحمه الله تعالى، عن الشيخ الوحيد والعالم الفريد مولانا المؤتمن المكني بأبي علي المسمى بالحسن عليه رحمة ربه الكريم ذي النعم والمنن ، عن والده الاجل

الاكمل ، واستاده الاعـلم الافضل ، أعلم العلماء المتشرعين ، وأفضل الفضلاء المتورعين،ناشر أخبار آل طه وياسين،وحامل لواء سيد المرسلين، ﷺ أجمعين، محقق القواعد الاصولية بالبراهين،ومشيد الضوابط الفروعية بالتفصيل والتبيين، مؤسس أساس الفقاهة والاجتهاد ، ورئيس علماء الشريعة وهاديهم الى الرشاد ، الذي أذعن بفضله كل من تأخرعنه وانقاد،شيخنا رئيس الطائفة الحقة المحقة، أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، قدس الله تعالى سره القدوسي .

عن شيخه الامـام العالم الاعلم ، واستاده الحبر القمقام الافخم ، الحامـي لدين الله ،والمرابط في سبيل الله،المجاهد مع المخالفين،والمعارض مع المعاندين المشيدلاركان الدين، والمسدد لمناهج المذهب بالبراهين ، الامام الرشيد شيخنا أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد قدس الله تعالـى روحـه السعيد .

عن شيخه الجليل ، واستاده الجميل الاجمل ، والفقيه الكامل الاكمل ، شيخنا المقدم ،أبي القاسم جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه،أفاض الله تعالى رحمته عليه .

عن أسبق العلماء وأقدمهم ، وأرجه الفقهاء واكـرمهم ، وأفضل المحدثين وأجملهم ، وأجل القدماء وأمثلهم ، وأوثق الـرواة وأضبطهم ، علم الاعلام ثقة الاسلام شيخنا أبي جعفر،محمد بن يعقوب الرازي الكليني ، جزاه الله تعالى عن الاسلام وأهله خير الجزاء ، وأسكنه في الجنات العلي ، عن شيخ أصحابنا فـي زمانه،والثقة العين في أوانه،أبي جعفر محمد بن يحيى العطار رحمه الله تعالى ، باسناده عن الثقة الجليل الحال أحمد بن عمر الحلال .

قال قلت لابي الحسن الرضا عليه السلام: الرجل من أصحابنا يعطيني الكتاب ولا يقول اروه عني ، يجوزلي أن أرويه عنه ؟ قال فقـال : اذا علمت أن الكتاب لـه

فاروه عنه [١] .

اذ يستفاد من سياق هذه الرواية أن الراوي كان معتقداً لصحة رواية الكتاب مع الاجازة الصريحة القولية من غير تشكيك وريبة ، وانما تشكيكه في جواز الرواية بالاجازة الفعلية ، لان اعطاء الكتاب للغير ظاهر في اذنه الرواية ، فسأل عليه السلام عنه فقرره على ما اعتقده ، وأجاب عما سأله ، بل صحح ما اعتقده بالفحوى .

بل لايبعد اندراجه في مفهوم الرواية ، بأن يقال : المقصود من الرواية أنه اذا علم أن الكتاب له يكفي اعطاء الكتاب في صحة الرواية ، واذالم يعلم ذلك فلا يكفي هذا ، بل يحتاج الى الاجازة القولية ، اذلوكان الكتاب لغيره ،فلعله حصل في يده من غير اجازة ، ومجرد اعطاء الكتاب لم يدل على شيء يوجب الطمأنينة ، الافي صورة كون الكتاب للمعطي ، لظهوره في الاذن والاجازة .

وبالاسناد المقدم عن العلامة الحلي أعلى الله تعالى مقامه ، باسناده عن الشيخ العالم العلامة ، والحبر الفاضل النسابة ، أوثق علماء الرجال ، وأضبط الجامعين لكتبهم والاقوال أحمد بن علي بن أحمد بن العباس ، المعروف بين علمائنا بالنجاشي ، أعطاه الله أجره أضعافاً مضاعفة ، عن شيخه أبي عبدالله محمد بن علي بن شاذان القزويني رحمه الله تعالى ، عن الشيخ الجليل المقدار أحمد بن محمد بن يحيى العطار .

عن العالم الجليل القدر شيخ أصحابنا وفقيههم أبي القاسم سعد بن عبدالله ابن أبي خلف الاشعري القمي رحمه الله تعالى عن الشيخ الفاضل العالم فقيه أصحابنا القميين ، ورئيس الطائفة في عصره ، أدرك من الائمة الهادي والجواد بل الرضا عليهم آلاف التحية والثناء أبي جعفر أحمد بن محمد بن عيسى رحمه الله تعالى

(١) اصول الكافي ٥٢/١ ، ح ٦ .

قال: خرجت الى الكوفة في طلب الحديث فلقيت بها الحسن بن علي الوشاء فسألته أن يخرج لي كتاب العلاء بن رزين القلا، وأبان بن عثمان الاحمر، فأخرجهما الي ، فقلت له : أحب أن تجيزهما لي ، فقال : رحمك الله وما عجلتك اذهب فاكتبهما واسمع من بعد، فقلت :لاآمن الحدثان، فقال: لو علمت أن هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه ، فاني أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول : حدثني جعفر بن محمد، والحسن بن علي هذا من أجلة الرواة من أصحاب الرضا عليه السلام وأعاظم العلماء في عصره .

ومن سوق هذه الحكاية يعلم أن الاجازة والاستجازة أمر معهود شائع في زمان الائمة عليهم السلام ، سواء كان بالنسبة الى كتاب المجيز أو كتاب غيره ، ولايخفى أن هذه الطريقة الشائعة بين خواص أصحابهم لم تكن بدون اطلاعهم ورضائهم عليهم السلام والتحية .

بل نقول : لو كان حمل الاثار ونقل الاخبار منحصراً في قراءة الاحاديث بتفصيلها واستماعها بأجمعها ، لكان الامر صعباً ، بل ضيقاً حرجاً ، ولذا رخصوا عليهم السلام في الاكتفاء في الرواية بالاستماع عن الاخر بالاجمال والكلية .

فقد أخبرني الاستاد المعظم أسبغ الله على روحه أنواع السرور وأصناف النعم بالاسناد المقدم عن قدوة الانام ثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يحيى العطار عن الفاضل المسلم والثقة المفخم أبي جعفر أحمد بن محمد بن عيسى ، والثقة الجليل القدر المعظم بين الاصحاب كثير الرواية حسن الكتاب أبي جعفر محمد ابن الحسين بن أبي الخطاب جميعاً، عن المحدث الجليل الفريد في عصره الذي أجمعت العصابة على تصحيح مايصح عنه وأقروا له بالعلم والفقه أبي علي الحسن بن محبوب السراد ، عن العالم الجليل الثقة النبيل المعظم بين الاصحاب في كل زمان ، الذي لم يطعن عليه بشيء مع دخالته في أمر السلطان، وكونه للمنصور

وأبنائه من الخزان ، المتفرد بالامانة ، المتوحد بقوة الايمان عبدالله بن سنان عليه الرحمة والرضوان .

قال قلت لابي‌عبدالله عليه السلام : يجيئني القوم، فيستمعون مني حديثكم، فاضتجر ولا أقوى ، قال : فاقرء عليهم من أوله حديثاً ، ومن وسطه حديثاً ، ومن آخره حديثاً (١) .

والظاهر أن الضمائر الثلاثة راجعة الى كتاب الحديث بقرينة المقام ، كما أن مقتضاه الاكتفاء بذلك في الرواية مع الاجازة القولية أوالفعلية ، نظير الرواية المتقدمة ، وسند هذه الرواية في غاية العلو ونهاية الصحة ، وقلما اتفق سند بهذه المزية ، واجتمع فيه أربعة أبي جعفر من القضايا الاتفاقية ، وان لم يكن في أمثاله مدخل في الضعف والقوة .

وقال شيخنا النجاشي رحمه‌الله في ترجمة الصدوق محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي أعلى الله مقامه بعد تبجيله وتمجيده ، وله كتب كثيرة منها كتاب التوحيد ، كتاب النبوة ، كتاب اثباة الوصية ، وذكر نحواً من مائتي مصنف ، الى أن قال : أخبرني بجميع كتبه وقرأت بعضها على والدي علي بن أحمد بن العباس النجاشي رحمه‌الله ، وقال لي : أجازني جميع كتبه لما سمعنا منه ببغداد انتهى .

واني تتبعت كتاب الرجال من بدايته الى نهايته ، فوجدت في باب أحمد خمساً وعشرين رجلا من الرواة والعلماء ذكر في ترجمته حكاية الاجازة، وفيه الكفاية لمن له أدنى دراية، فلااحتياج الى تتبع سائر الرواة والترجمة .

مثل أن ذكر في ترجمة أحمد بن أبي‌زاهر عن النجاشي صنف كتباً، الى أن قال: أجازنا ابن شاذان عن أحمد بن محمد بن يحيى العطار عن أبيه عنه بجميع

(١) اصول الكافي ١ /٥٢ ، ح ٥ .

كتبه ، وفي ترجمة أحمد بن ادريس وأخبرني اجازة أبوعبدالله القزويني عن أحمدبن محمدبن يحيى عن سعد عنه بكتبه، وقس على هذا فعلل وتفعلل .

الثالث: أنه بعدما فاجأني السفر ،كماأشرت اليه سابقاً ،عرضت لي شواغل منعتني عن الاشتغال بالتدريس والتصنيف، وبعد العود من السفر سنحت موانع أخرى ، ثم ابتليت بمصيبة وفاة استادي الاعظم وولي نعمتي الاكرم ، وكثرت أسباب اختلال أموري وضاع عمري ، ولم أقدم لامر آخرتي عملا صالحاً أرجو به نجاتي .

اللهم الاّن يدركني العناية الالهية ، وشفاعة أهل بيت العصمة ورضاء ولي النعمة ، وتوجه صاحب الاجازة ، ودعاءه لاصلاح أمر الدنيا والاخرة ، فاني التمس من جنابه أن لاينساني في حياتي ولا بعد مماتي ، والانصاف أنه وان لم أكن قابلا لان استدعي من جنابه الدعاء بالخصوص ، الاّأنه سلمه الله لماكان جليلا مكرماً من أهل بيت الكرم، وتوجهه الى هذا الاحقر تام بل أتم، وبالتفات والده المبرور الي من غيره أعلم، ومن يشابه أبه فماظلم، فدعائه لنجاتي من شدائد الدنيا والاخرة لازم عليه بل الزم، مع مافيه لجنابه من دعاء الملائكة، أونداء الله عزوجل بأضعاف ماقدم وأقدم .

فقد أخبرني السيد الاستاد أنزل الله تعالى عليه الرحمة الى يوم المعاد بالاسناد المذكور فلا يعاد عن شيخ الطائفة وعماد الفرقة المحقة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس سره القدوسي ، عن شيخه الجليل الوحيد أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد قدس الله تعالى روحه السعيد .

عن العالم الفاضل المتبحر ، والمحدث الكامل الماهر ، المولود بدعاء الامام لترويج دين الاسلام ، رئيس المحدثين ، وناشر أخبار الائمة الطاهرين ،

فقيه أهل بيت العصمة ، المشتهر بالصدوق في جميع الازمنة ، شيخنا أبي جعفر محمدبن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه رحمة الله ومغفرته ورضوانه عليه قال قال الصادق عليه السلام: اذا دعا الرجل لاخيه بظهرالغيب نودي من العرش ولك مائة ألف ضعف مثله .

على أني أرجو أن يعفو الله تعالى عني ويقبلني ببركـة السيدين الجليلين العالمين العاملين الفاضلين الكاملين الزاهدين العابدين المقرنين اوقوعي بينهما في الاجازة والاستجازة ، فان الله تعالى أكرم مـن أن يرد الواسطة بعد قبـول الطرفين ،كماورد هذا المضمون في الدعاء بين الصلاتين على سادات الكونين محمد وآله المصطفين صلوات الله عليهم ملا الخافقين .

الرابع : أن ما اخترناه من تطويل الاجازة صدراً وذيلا ، وان كان خارجاً عما هو المتعارف بين علمائنا الماضين رضوان الله عليهم أجمعين ، الا أنـه مع اشتماله على فوائد كثيرة يتبعه مزيد الاجرفي الاخرة على مانرجو من فضل الله ورحمته الواسعة .

فقدأخبرني الاستاد المبرور أفاض الله على روحه أنواع النور بالاسناد المذكور عن رئيس المحدثين أبي جعفر الصدوق أنزل الله عليه رحمته الـى يوم النشور باسناده الصحيح عن المعلى بن محمد ، عن أحمد بن محمد بن عبدالله ، عـن عمر بن زياد،، عن مدرك بن عبدالرحمن،عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اذاكان يوم القيامة جمع الله عزوجل الناس في صعيد واحد ووضعت الموازين ، فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء ، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء (١) .

فعلى هذا زيادة التصنيف والتأليف أمرمرغوب مطلوب في الشريعة ، وسنده وان لم يكن من الاقسام الثلاثة المقبولة الا أن المسامحة في أدلة السنن بمقتضى

(١) من لايحضره الفقيه ٣٩٨/٤-٣٩٩.

الادلة المعتبرة توجب جواز العمل به والمصير اليه . ختم الله لنا بالخير والعافية وحشرنا مع خاتم النبيين وعترتـه الطاهرة صلى الله عليهم صلاة كثيرة دائمة ، حرره العبد الاحقر الخاطىء أحمد بن على أكبر التربتي البسقفيزني ، في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر شوال المكرم من شهور سنة ثلاث وسبعين ومائتين أحد الالف من الهجرة النبوية على مهاجرها وآله ألف ألف سلام وتحية (١٢٧٣) .

حول الكتاب

هو موسوعة كبيرة جداً في الامامة . في مقدمة والمقدمة تقع في بيان أمور في ضمن عدة فصول، وهي :

الفصل الاول : في معنى الامامة .

الفصل الثاني: في أن الامامة هل هي من أصول الدين أم لا ؟

الفصل الثالث: في مرتبة الامامة .

الفصل الرابع: في بيان وجه الحاجة الى الامام . والبحث في هذا الفصل يقع في مقامين :

المقام الاول : في بيان الوجـوه اللازمة الواجبة من طريق العقل الداعية لوجوب وجود الامام في كل عصر .

المقام الثاني : في بيان الوجـوه لوجوب وجـود الامام من طريـق النقل ويعاضده النقل .

الفصل الخامس: في صفات الامام .

وفي هذا الفصل مقاصد :

المقصد الاول: في أصل خلقته الى زمان ولادته .

المقصد الثاني: في نسب الامام وهو أن يكون من قريش .

المقصد الثالث: أن يكون من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وعترته ، وفيها مباحث هامة : وهي البحث عن أخبار الثقلين ، وحديث السفينة ، وفيه البحث عن الامامة في نهج البلاغة ، وفيه بحث مفصل جداً في اشتراط العصمة في الامام . وفيه تفسير سورة فاتحة الكتاب وفيه مباحث في العصمة وغيرها . الى هنا تنتهي المقدمة .

ثم شرع في أبواب الكتاب، وهي تقع في اثني عشرة باباً :

الباب الاول : في الامام الاول بعد النبي صلى الله عليه وآله وهو أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وفي هذا الباب مقاصد :

المقصد الاول : في النصوص الصراح على امامته من دون الحاجة الى واسطة أمر آخر ، واقتصر فيه على نص ، وهو خبر الغدير ، وتكلم حوله في فصول :

الفصل الاول : في صحة سند هذا الخبر على وجه الاجمال .

الفصل الثاني: في أصل الخبر مع ذكر أسانيد على وجه التفصيل .

وفي هذا الفصل جف قلمه الشريف ، وبقي هذه الموسوعة الثمينة ناقصة ، ولعمري لو لم يوافه الاجل لبلغ هذه الموسوعة في عدة مجلدات ضخام ، ولكن الاجل تخرم الاماني ، جزاه الله عن الاسلام وأهله خير الجزاء .

منهج التحقيق

قابلت هذا الكتاب على نسختين مخطوطتين ، وهي :

١ـ نسخة كاملة من أولها الى آخرها، مشحونة بحواش من المؤلف، والنسخة مصححة على نسخة المؤلف ، والنسخة لخزانـة مكتبة حفيد المؤلف الفاضل الحجة السيد مهدي الشفتي .

٢ ـ نسخة كاملة من أولـها الى آخرها ، مشحونـة بحواش من المؤلف ومصححة على نسخة المؤلف، والنسخة لخزانة مخطوطات مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي قدس سره الشريف برقم: ٢٣٤٤ .

أقول: تعريف هذه النسخة مع ثلاث نسخ اخرى ساقطة عند الطبع عن فهرس مخطوطات المكتبة ، وهي: الاولى الامامة ، الثانية: كتاب الغيبة للمؤلف أيضاً. الثالثة : مناقب الائمة للمؤلف أيضاً .الرابعة: الحاشية على اصول الكافي للعلامة المولى أحمد الشريف ابن كمال الدين فرغ منه سنة (١١١٧) والنسخة بخط مؤلفه .

وبالختام أقدم ثنائـي العاطر الى حفيد المؤلف لتوفيقه لنشر الكتاب على أحسن حال ، جزاه الله خير جزاء المحسنين ، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقه

لنشر سائر آثار أجداده الطاهرين .

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ونستغفره مماوقع من خالل وحصل من زال، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا والخيانة بالامانات ، وتضييع الحقوق ، وزلات أقدامنا ، وعثرات أقلامنا ، فهو الهادي الى الرشاد، والموفق للصواب والسداد، والسلام على من اتبع الهدى.

السيد مهدى الرجائى

١٥ شوال المكرم/١٤١١ هـ ق

قم المشرفة ص‌ب ٣٧١٨٥ـ٧٥٣

كتاب الامـامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

كتاب في الامامة

وفيه مقدمة وأبواب وخاتمة

المقدمة

في بيان أمور في ضمن فصول :

الفصل الاول

(في معنى الامامة)

هي مصدر بالتاء ، كالعدالة والكتابة ، وقد يطلق اسماً للوصف ، والامام كما في الكشاف في تفسير قوله تعالى « اني جاعلك للناس اماماً »[1] اسم من يؤتم

---

(١) سورة البقرة : ١٢٤ .

به على زنة آله كالازار لما يؤتزر به[١] .

ونحوه قال العلامة في الالفين قال: الامام في اللغة عبارة عن الشخص الذي يؤتم به ، كالرداء اسم لما يرتدى به ، واللحاف اسم لما يلتحف به[٢] .

وفي الصحاح والقاموس والمصباح المنير له معان ، فال في الاول : الامام الصقع من الارض والطريق ، قال الله تعالى « وانهما لبامام مبين » والامام الذي يقتدى به[٣] .

وفي الثاني : الامام ماائتم به مـن رئيس أو غيره ، والخيط يمد على البناء فيبنى ، والطريق وقيم الامر المصلح له ، والقرآن والنبي والخليفة وقائد الجند الى آخر كلامه[٤].

وفي الثالث : الامام الخليفة ، والامام العالم المقتدى به ، والامام من يؤتم به في الصلاة انتهى[٥].

وعلى كل حال فقد عرفوا الامامة في علم الكلام بأنها رئاسة عامة في امور الدين والدنيا. وأورد عليه جماعة بانتقاضه بالنبوة، ولذا زاد بعضهم على التعريف المذكور قيد الخلافة، وبعضهم عرفوها بنفس الخلافة، كصاحب المواقف حيث عرفها بأنها الخلافة عن الرسول ﷺ في اقامة الدين وحفظ الحوزة، بل في كتاب ابطال نهج الباطل حكاه عن الاشاعرة .

أقول : ويمكن دفع هذا الايراد من وجوه :

---

(١) الكشاف ٣٠٩/١ .

(٢) الالفين ص٦٣ .

(٣) صحاح اللغة ١٨٦٥/٥ .

(٤) القاموس المحيط ٧٧/٤ .

(٥) المصباح المنير ص٢٣ .

أحدها : أن النبوة لم يعرفوها بالرئاسة العامة حتى ينتقض أحدهما بالاخر ، فاحتاج أحدهما الى زيادة قيد ، فقد عرف النبي ﷺ في المواقف بأنه من قال الله تعالى أرسلناك ، أو بلغهم عني ، أو نحو ذلك .

وفي التجريد : النبوة كون الانسان مبعوثاً من الحق ، وليس كل من قال الله تعالى له أرسلتك الى قوم كذا أو الى الناس رئيساً ، ولوجمع في بعض المواد فمن قبيل اجتماع المفهومين في مصداق واحد .

وثانيها : [ومع] تسلم ذلك لامانع منه ، بل قد صرح بكون الرسول العام اماماً جمع ، منهم الشيخ المفيد (ره) في كلامه الاتي .

ومنهم : العلامة في صدر كتاب الالفين حيث قال : الامام هو الانسان الذي له الرئاسة العامة في أمر الدين والدنيا بالاصالة في دار التكليف ، ونقض بالنبي وأجيب بوجهين : الاول التزام دخوله في الحد ، لقوله تعالى : « اني جاعلك للناس اماماً » والثاني : نبدل[1] قولنا بالاصالة بنيابة عن النبي ﷺ[2] .

وقد يظهرذلك من الايات والاخبارمن اجتماع مرتبة النبوة والامامة في بعض الانبياء ، وهم أولوا العزم من الرسل ، أو بعضهم، قال الله تعالى في سورة البقرة «واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين »[3] .

روى في الكافي في باب طبقات الانبياء والرسل والائمة عن زيد الشحام،قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : ان الله تعالى اتخذ ابراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً وان الله تعالى اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولا ، وان الله تعالى اتخذه رسولا قبل

---

(١) في المصدر : تعديل .

(٢) الالفين ص١٢ .

(٣) سورة البقرة : ١٢٤ .

أن يتخذه خليلا ، وان الله تعالى اتخذه خليلا قبل أن يجعله اماماً ، فلما جمع له هذه الاشياء « قال اني جاعلك للناس اماماً » قال : فمن عظمها في عين ابراهيم « قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين » قال: لايكون السفيه امام المتقي(١).

وروى في الكافي أيضاً في باب نادر جامع في فضل الامام عليه السلام وصفاته مرفوعاً عن عبدالعزيز بن مسلم(٢) .

ورواه الصدوق في كتاب كمال الدين مسنداً عن عبدالعزيز بن مسلم ، قال : كنا مع الرضا عليه السلام بمرو ، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا ، فأداروا أمر الامامة ، وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها ، فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه ، فتبسم عليه السلام ، ثم قال: ياعبدالعزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم ، ان الله عزوجل لم يقبض نبيه حتى أكمل له الدين ، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء ، بين فيه الحلال والحرام، والحدود والاحكام، وجميع مايحتاج اليه الناس كملا ، فقال عزوجل « مافرطنا في الكتاب من شيء »(٣) .

وأنزل في حجة الوداع ، وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً »(٤) وأمر الامامة من تمام الدين ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بين لامته معالم دينهم ، وأوضح لهم سبيلهم ، وتركهم على قصد سبيل الحق ، وأقام لهم علياً علماً واماماً ، وماترك شيئاً يحتاج اليه الامة الا بينه ، فمن زعم أن الله عزوجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله ، ومن رد كتاب الله فهو كافر به .

---

(١) اصول الكافي ١٧٥/١ ، ح٢ ، وفي آخره : امام التقي .

(٢) اصول الكافي ١٩٨/١ ، ح١ .

(٣) سورة الانعام : ٣٨ .

(٤) سورة المائدة : ٣ .

هل تعرفون قدر الامامة ومحلها من الامة ؟ فيجوز فيها اختيارهم ، ان الامامة أجل قدراً ، وأعظم شأناً ، وأعلى مكاناً ، وأمنع جانباً ، وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم ، أوينالوها بآرائهم ، أو يقيموا اماماً باختيارهم .

ان الامامة خص الله بها ابراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرفه بها وأشاد(١) بهاذكره،فقال «اني جاعلك للناس اماماً» فقال: الخليل عليه السلام سروراً بها « ومن ذريتي » قال الله تعالى : «لا ينال عهدي الظالمين» فأبطلت هذه الاية امامة كل ظالم الى يوم القيامة ، وصارت في الصفوة ، ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة ، فقال : « ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة و كلاجعلنا صالحين*وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين »(٢).

ولم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناًفقرناً ، حتى ورثها اللهعزوجل النبي صلى الله عليه وآله فقال جل وتعالى « ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين »(٣) فكانت له خاصة ، فقلدها صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بأمر الله عزوجل على رسم ما فرض الله ، فصارت في ذريته الاصفياء الذين آتاهم الله العلم والايمان ، بقوله جل وعلا « وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث » (٤) فهي في ولد علي عليه السلام خاصة الى يوم القيامة ، اذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله فمن أين يختار هؤلاء الجهال .

ان الامامة هي منزلة الانبياء ، وارث الاوصياء ، ان الامامة خلافة اللهوخلافة

---

(١) الاشادة : رفع الصوت بالشيء وتعريف الضالة .

(٢) سورة الانبياء : ٧٣- ٧٤ .

(٣) سورة آل عمران : ٦٨ .

(٤) سورة الروم : ٥٦ .

الرسول ومقام أميرالمؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام ، ان الامامة زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا والدين ، وعز المؤمنين ، ان الامامة اس الاسلام النامي ، وفرعه السامي ، بـالامام[١] تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وتوفير الفيء والصدقات ، وامضاءالحدودوالاحكام، ومنع الثغور والأطراف .

الامام يحل حلال الله ، ويحرم حرام الله ، ويقيم حدود الله ، ويذب عن دين الله ، ويدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، والحجة البالغة ، الامام كالشمس الطالعة المجللة[٢] بنورها العالم[٣]وهي بالافق ، بحيث لا ينالها الايدي والابصار .

الامام البدر المنير ، والسراج الزاهر، والنور الساطع ، والنجم الهادي في غياهب[٤] الدجى وأجواز البلدان القفار [٥]والجج البحار ، الامام الماء العذب على الظماء [٦]، والدال على الهدى ، والمنجي من الردى .

---

(١) في كمال الدين : الامام بدون الباء «منه» أقول : وفي المطبوع من الاكمال : مع الباء .

(٢) جلل الشيء تجليلا ، أي : عم . والمجلل السحاب الذي يجلل الارض ، أي : يعمها ويشملها «منه» .

(٣) في الكمال : الامام كالشمس الطالعة للعالم «منه» .

(٤) الغيهب : الظلمة ، والجمع الغياهب ، يقال: فرس أدهم غيهب اذا اشتدسواده « منه » .

(٥) القفر : مغارة لا نبات فيها ولا ماء «منه» .

(٦) يحتمل أن يكون على فعال جمع ظامي ، والاظهر أن يكون مصدراً على وزن فعل ، وهوشدة العطش ، والاسم الظماء بالكسر «منه» .

الامام النار على اليفاع[١]، الحار لمن اصطلى[٢] به ، والدليل في المهالك، من فارقه فهالك ، الامام السحاب الماطر والغيث الهاطل[٣]، والشمس المضيئة، والسماء الظليلة ، والارض البسيطة والعين الغزيرة[٤] والغدير والروضة .

الامام الانيس الرفيق[٥]،والوالد الشفيق والاخ الشقيق، والامام البرة بالولد الصغير ، ومفزع العباد في الداهية ، الامام أمين الله في خلقه ،وحجته على عباده وخليفته في بلاده ، والداعي الى الله ، والذاب عن حرم الله .

الامـام المطهر من الذنوب ، والمبرء من العيوب ، المخصوص بـالعلم ، الموسوم بالحلم ، نظام الدين،وعز المسلمين ، وغيظ المنافقين ، وبوار الكافرين الامام واحد دهره لايدانيه أحد ، ولايعاد له عالم ،ولايوجد منه بدل ، ولاله مثل ولانظير، مخصوص بالفضل كله من غيرطلب منه له ولااكتساب، بل اختصاص[٦] من المفضل الوهاب .

فمن ذالذي يبلغ معرفة الامـام ، أو يمكنه اختياره ، هيهات هيهات ، ظلت العقول ، وتاهت[٧] الحلوم ، وحارت الالباب ، وخسئت [٨]العيون ، وتصاغرت

---

(١) اليفاع : ما ارتفع من الارض، وفي الاكمال : علىالبقاع بالباء والقاف «منه»

(٢) أي : استسخن به ، والاصطلاء التسخن بالنار «منه» .

(٣) الهاطل : المطر الضعيف الدائم ، والمراد هنا دوامه ، فـان المطر الضعيف يدوم «منه» .

(٤) يقال : غزرت الناقة اذاكثر لبنها «منه» .

(٥) في الكمال : الامين الرفيق « منه » .

(٦) في الكمال : بل اكتساب « منه » أقول : فيالمطبوع منالكمال : بل اختصاص كماهنا .

(٧) قوله « تاهت » أي:حارت من الحيران « منه » .

(٨) خسئت البصر :كلت « منه » .

العظماء ، وتحيرت الحكماء ، [وتقاصرت الحلماء][1]وحصرت[2] الخطباء ، وجهلت الالباء ، وكلت الشعراء ،وعجزت الادباء ، وعييت البلغاء،عن وصف شأن من شأنه ، أو فضيلة من فضائله ، واقرت بالعجز والتقصر .

وكيف يوصف بكله ، أوينعت بكنهه ، أويفهم شيء من أمره ، أويوجد من يقوم مقامه ويغني غناه ،لا كيف وأنى؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين ، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا وأين يوجد مثل هذا ؟

أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل محمد صلى الله عليه وآله كذبتهم والله أنفسهم ، ومنتهم الاباطيل فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً، تزل عنه الى الحضيض أقدامهم، راموا اقامة الامام بعقول حائرة بائرة ناقصة [3]، وآراء مضلة ، فلم يزدادوا منه الابعداً ، قاتلهم الله أنى يؤفكون[4]والرواية طويلة اقتصرنا على موضع الحاجة منها .

و روى فيه أيضاً في باب طبقات الانبياء والرسل والائمة عن هشام بن الحكم[5] ، قال قال ابو عبدالله عليه السلام الانبياء والمرسلون على أربع طبقات : فنبي منبأ في نفسه ولايعدو غيرها ، ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولايعاينه في اليقظة ولم يبعث الى احد وعليه امام ، مثل ماكان ابراهيم على لوط ، ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك ، وقد أرسل الى طائفة قلوا أو كثروا ، كيونس قال الله تعالى ليونس « وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون » [6] قال : يزيدون ثلاثين ألفاً وعليه امام ، والذي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين في

---

(١) الزيادة من الكافى والكمال .

(٢) أى : عجزت « منه » .

(٣) فى الكمال : بعقول حائرة دائرة متناقصة « منه » .

(٤) اصول الكافى ١/١٩٨ - ٢٠١ وكمال الدين ص٦٧٥ - ٦٧٨ .

(٥) فى الكافى : عن هشام بن سالم .

(٦) سورة الصافات : ١٤٧ .

اليقظة وهو امام مثل أولي العزم ، وقد كان ابراهيم نبياً وليس بامام حتى قال الله تعالى ذكره « اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي » فقال الله عزوجل « لاينال عهدي الظالمين » من عبد صنماً أو وثناً لايكون اماماً[١].

ويقرب من هذه الروايات الاخبار الدالة على اتصال الامامة من لدن ادم الى الخاتم عليه السلام كالخبر المروي في كمال الدين في باب اتصال الوصية عن صفوان بن يحيى عن ابى الحسن الاول يعنى موسى بن جعفر عليه السلام قال ماترك الله الارض بغير امام قط منذ يوم قبض ادم عليه السلام يهتدي به الى الله عزوجل وهو الحجة على العباد من تركه ضل، ومن لزمه نجا حقاً على الله عزوجل[٢].

وماروواه في الكافي في باب أن الارض لاتخلو عن حجة عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: والله ماترك الله أرضاً منذ قبض آدم عليه السلام الا وفيها امام يهتدي به الى الله وهو حجة[٣] على عباده ولاتبقى الارض بغير امام حجة فيه[٤] على عباده[٥]

الى غيرذلك من الروايات من هذا القبيل ، وكذلك الروايات الواردة في اتصال الوصية والحجة من لدن آدم الى الخاتم ، وسنذكرمنها انشاءالله تعالى جملة .

وثالثها: أن الرئاسة قدتكون مع الامامة ،وقد لاتكون كما اذا لم يطع الامام فليست من شرطها اتباع الناس ورئاسته عليهم في الدين والدنيا ، كما في بعض أيام عثمان وجملة من أئمة الهدى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

---

(١) اصول الكافى ١٧٤/١ - ١٧٥ .

(٢) كمال الدين ص ٢٢١ ، ح ٣ .

(٣) فى الكافى : وحجته .

(٤) فى الكافى : لله .

(٥) اصول الكافى ١٧٩/١ ، ح ٨ .

اذا عرفت ذلك ، فنقول : الامامة على مايظهر مـن الايات والاخبار هـي الولاية التي عهدالله الى الناس أجمع في الذر ، أو الى الانبياء أو ابراهيم عليه السلام أوالى محمد صلى الله عليه وآله أو في مواضع أخرالى من شاء وأراد .

فمن الايات: قوله تعالى«لاينال عهدى الظالمين» بعد قوله تعالى «اني جاعلك للناس اماماً»[١].

ومنها : قوله تعالى « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي»[٢].

وروى في الكافي في باب نكت ونتف من التنزيل في الولاية عن عبدالله بن سنان في قوله تعالى «ولقد عهدنا الى آدم من قبل» كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة عليهم السلام مـن ذريتهم «فنسي» هكـذا والله انـزلت على محمد[٣].

ومنها : قولـه تعالى فـي سورة بني اسرائيل« وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا»[٤] .

ومنها : قوله تعالى في سورة النحل « وأوفوا بعهدالله اذا عاهدتم ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا »[٥].

ومنها: قوله تعالى «واذا قلتم فاعدلوا ولوكان ذاقربى وبعهدالله أوفوا ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون * وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون»[٦] .

---

(١) سورة البقرة : ١٢٤ .

(٢) سورة طه : ١١٥ .

(٣) اصول الكافي ١/٤١٦ ، ح ٢٣ .

(٤) سورة الاسراء : ٣٤ .

(٥) سورة النحل : ٩١ .

(٦) سورة الانعام : ١٥٢ ـ ١٥٣ .

ومنها : قولـه تعالى فـي سورة البقرة «ومـايضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون»[١].

الى غير ذلك من الايات التي على هذه النمط .

فقد روى في الكافي في باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية باسناده الى أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام فـي قول الله عزوجل« واذا تتلى عليهم آياتنا بينات » الى أن قال قلت له : قوله «ولا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عندالرحمن عهداً » قال : الا من دان الله بولاية أمير المؤمنين عليه السلام والائمة من بعده فهو العهد عندالله[٢].

وروى في باب أن الائمة معدن العلم وشجرة النبوة، باسناده الى خيثمة قال قال لي أبو عبدالله عليه السلام : يا خيثمه نحن شجرة النبوة ، الى أن قال : ونحن ذمة الله ، ونحن عهدالله ، فمن وفى بعهدنا فقد وفـى بعهدالله ، ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده[٣].

وروى في باب أن الامامة عهد من الله عزوجل معهود مـن واحد الى واحد باسناده الى معوية بـن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان الامامة عهد مـن الله عزوجل معهود لرجال مسمين الخبر[٤].

وروى فيه باسناده الى عمرو بن الاشعث قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول أترون الموصي منا يوصي الى من يريد ؟ لا والله ولكن عهد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة البقرة : ٢٧ .

(٢) اصول الكافى ٤٣١/١ ، ح ٩٠ .

(٣) اصول الكافى ٢٢١/١ ، ح ٣ .

(٤) اصول الكافى ٢٧٨/١ ، ح ٣ .

لرجل فرجل حتى ينتهي الامر الى صاحبه(١).

الى غير ذلك من الاخبار من هذا القبيل ، كالاخبار الواردة في تفسير قوله تعالى « انالله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها»(٢) المستفاد منها ان المراد اداء أمانة الامامة ونذكر من هذه رواية واحدة .

روى في الكافي في باب أن الائمة لم يفعلوا شيئاً ولايفعلون الا بعهد من الله عزوجل وامرمنه لايتجاوزونه ، باسناده عن عيسى بن المستفاد أبي موسى الضرير قال:حدثني موسى بن جعفر عليهما السلام قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام:أليس كان أميرالمؤمنين عليه السلام كاتب الوصية ورسول الله صلى الله عليه وآله المملي عليه ، وجبرئيل والملائكة المقربون شهود ؟

قال : فأطرق طويلا ، ثم قال : يا أباالحسن قدكان ماقلت ، ولكن حين نزل برسول‌الله صلى الله عليه وآله الامر، نزلت الوصية من عندالله كتاباً مسجلا، نزل به جبرئيل عليه السلام مع أمناءالله تبارك وتعالى من الملائكة ، فقال جبرئيل: يا محمد صلى الله عليه وآله مر باخراج من عندك الاوصيك ليقبضها منا وتشهدنا بدفعك اياها اليه ضامناً لها يعنى علياً .

فامر النبي صلى الله عليه وآله باخراج من كان في البيت ماخلا علياً عليه السلام وفاطمة فيما بين الستر والباب فقال جبرئيل : يامحمد ربك يقرؤك السلام ويقول : هذا كتاب ما كنت عهدت اليك ، وشرطت عليك ، وشهدت بـه عليك ، وأشهدت بـه عليك ملائكتي وكفى بي يامحمد شهيداً .

قال : فارتعدت مفاصل النبي صلى الله عليه وآله وقال : ياجبرئيل ربي هو السلام ، ومنه السلام ، واليه يعود السلام ، صدق عزوجل وبر ،هات الكتاب، فدفعه اليه وأمره بدفعه الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : اقرأه فقرأه حرفاً حرفاً ، فقال : يـا علي

---

(١) اصول الكافي ١/٢٧٨ ، ح ٢ .

(٢) سورة النساء : ٥٨ .

هذا عهد ربي تبارك وتعالى الي وشرطه علي وامانته وقد بلغت ونصحت وأديت الخبر [١] .

الى غير ذلك من الاخبار الواردة في هذا الباب، وان عهد ولايته عهد من الله تعالى الى جميع خلقه والذي يدل على كون الامامة هي الولاية التي معناها الاولوية بالناس من الناس الايات والاخبار، وتذكر الايات في ضمن الاخبار .

روى في الكافي عن أحمد بن عيسى، عن أبي‌عبدالله عليه السلام في قول‌الله‌عزوجل «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا »[٢]قال: انمايعني بالولي أولى بكم،أي: أحق بكم وباموركم من أنفسكم[٣] وأموالكم ، الله ورسوله «والذين آمنوا » يعني : علياً وأولاده الائمة عليهم السلام الى يوم‌القيامة ، ثم وصفهم‌الله عزوجل ، فقال: « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » وكان أمير المؤمنين عليه السلام في‌صلاة الظهر، وقد صلى ركعتين وهو راكع وعليه حلة قيمتها ألف‌دينار، وكان النبي صلى الله عليه وآله كساه اياها ، وكان النجاشي أهداها له .

فجاءه سائل‌فقال:السلام عليك‌ياولي‌الله وأولى بالمؤمنين‌من أنفسهم،تصدق على مسكين،فطرح الحلة اليه وأومأ بيده اليه أن احملهافانزل الله عزوجل‌فيه‌هذه الاية ، وصير نعمة أولاد بنعمته ، فكل من بلغ من أولاده مبلغ الامامة يكون‌بهذه النعمة مثله ، فيتصدقون وهم راكعون، والسائل‌الذي سأل أميرالمؤمنين‌عليه السلام من الملائكة والذين يسألون الائمة من أولاده يكونون من الملائكة[٤] .

وروى فيه أيضاً باسناده الصحيح عن عمر بن اذينة ، عن زرارة ، والفضيل

---

(١) اصول الكافي ١/٢٨١ – ٢٨٢ .

(٢) سورة المائدة : ٥٥ .

(٣) في الكافي : وأنفسكم .

(٤) اصول الكافي : ١/٢٨٨ – ٢٨٩ .

بن يسار ، وبكير بن أعين ، ومحمد بن مسلم ، وبريد بن معاوية ، وأبي الجارود جميعاً عن أبي جعفر عليه السلام قال : أمر الله عزوجل رسوله بولاية علي عليه السلام وأنزل عليه « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة » وفرض ولاية أولي الامر ، فلم يدروا ماهي ، فأمر الله محمداً صلى الله عليه وآله أن يفسر لهم الولاية ، كما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج .

فلما أتاه ذلك من الله ضاق بذلك صدر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتخوف أن يرتدوا عن دينهم وأن يكذبوه ، فضاق صدره وراجع ربه عزوجل ، فأوحى الله عزوجل اليه « ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك فان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس »[١] فصدع بامر الله عن ذكره ، فقام بولاية علي عليه السلام يوم غدير خم فنادى الصلاة جامعة ، وأمر الناس أن يبلغ الشاهد الغائب .

قال عمر بن أذينة : قالوا جميعاً غير أبي الجارود ، وقال أبو جعفر وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الاخرى ، وكانت الولاية آخر الفرائض[٢] ، فأنزل الله عزوجل « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » يقول الله عزوجل لا انزل عليكم بعد هذه فريضة قد أكملت لكم الفرايض[٣] وروى فيه أيضاً عن عبد الرحيم بن روح القصير ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله »[٤] فيمن نزلت ؟ فقال : نزلت في الامرة ، ان هذه الاية جرت في ولد الحسين عليه السلام من بعده، فنحن أولى بالامر ورسول الله من المؤمنين والمهاجرين

---

(١) سورة المائدة : ٦٧ .

(٢) فى هذه الرواية فى المقام دلالة على أن الامامة ليست من اصول الدين «منه» .

(٣) اصول الكافى ٢٨٩/١ ح٤ .

(٤) سورة الانفال : ٧٥ .

والانصار الخبر[١] .

وروى فيه باسناده الصحيح عن أبي بصير قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم »[٢] فقال : نزلت في علي بن أبي‌طالب والحسن والحسين عليهم السلام فقلت له: ان الناس يقولون: فما له لم يسم علياً وأهل بيته عليهم السلام في كتاب الله عزوجل ، قال : فقال : قولوا لهم ان رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلوة ولم يسم لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر ذلك لهم ، ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهم‌حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر ذلك لهم، ونزل الحج فلم يقل لهم طوفوا اسبوعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر لهم ، ونزلت « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الامر منكم »ونزلت في علي‌والحسن والحسين فقال رسول‌الله صلى الله عليه وآله في علي : من كنت مولاه فعلي مولاه ، الى أن قال: فلما قبض رسول الله كان علي عليه السلام أولى الناس بالناس ، لكثرة مابلغ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله واقامته للناس وأخذه بيده الخبر[٣] .

وروى في‌الاحتجاج في احتجاج أميرالمؤمنين عليه السلام على كثيرمن المهاجرين والانصار لما تذاكروا فضلهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله من النص عليه وغيره من القول الجميل ، عن سليم بن قيس الهلالي أنه قال : رأيت علياً عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في خلافة عثمان ، وجماعة يتحدثون ويتذاكرون العلم ، فذكروا قريشاً وفضلها وسوابقها وهجرتها .

الى أن قال : وفي الحلقة أكثر من مائتي رجل منهم علي بن أبي طالب عليه السلام

---

(١) اصول الكافي ١/٢٨٨ ، ح٢ .

(٢) سورة النساء : ٥٩ .

(٣) اصول الكافي ١/٢٨٦ - ٢٨٧ .

وهو لاينطق ولاأحد من أهل بيته، فأقبل القوم عليه ، فقالوا: ياأباالحسن مايمنعك أن تتكلم ؟ فقال عليه السلام : مامن الحيين أحد الا وقد ذكر فضلا .

الى أن قال: فأنشدكم بالله أتعلمون حيث نزلت « ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » وحيث نزلت « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » وحيث نزلت « ولم يتخذوا من دون الله ورسوله ولا المؤمنين وليجة » قال الناس : يارسول الله أخاصة في بعض المؤمنين أم عامة لجميعهم، فأمر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وآله أن يعلمهم ولاة أمرهم ، وأن يفسر لهم من الولاية مافسر لهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم وحجهم فتعين[1] للناس بغدير خم .

ثم خطب فقال : أيها الناس ان الله تعالى أرسلني برسالة ضاق بها صدري ، وظننت أن الناس تحدني[2] ، فأوعدني لابلغنها ، أو ليعذبني .

ثم أمر فنودي بالصلاة جامعة ، ثم خطب فقال : أيها الناس أتعلمون ان الله عزوجـل مولاي ، وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : قم ياعلي ، فقمت فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره .

فقام سلمان فقال : يارسول الله ولائه[3] كماذا ؟ فقال : ولاءه كولائي ، فمن كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه ، فأنزل الله عزوجل « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : الله أكبر تمام نبوتي وتمامدين الله ولاية علي عليه السلام .

---

(١) فى المصدر : فنصبنى .

(٢) فى المصدر : مكذبى .

(٣) فى المصدر : والاه .

فقام أبو بكر وعمر قالا : يارسول الله هؤلاء الايات خاصة في علي ؟ قال : بلى فيه وفي أوصيائه الى يوم القيامة ، قالا : يارسول الله بينهم لنا ، قال : علي أخي ووزيري ووارثي ووصيي وخليفتي في امتي ، ولي[١] كل مؤمن بعدي ، ثم ابني الحسن ، ثم ابني الحسين ، ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد الى آخر الرواية[٢].

والاخبار في هذا المعنى كثيرة ، وان شئت قلت : الامامة هي الملك الالهي والسلطنة الربانية .

وروى في الكافي عن بريد العجلي ، قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » فكان جوابه « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا »[٣] يقولون لائمة الضلالة والدعاة الى النار : هؤلاء أهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله سبيلا ، « اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً * أم لهم نصيب من الملك » يعني : الامامة والخلافة « فاذا لايؤتون الناس نقيرا » نحن الناس الذين عنى الله والنقير[٤] النقطة التي في وسط النواة[٥] .

وروى في بصائر الدرجات عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله

---

(١) مولى – خ ل .

(٢) الاحتجاج ١/٢١٠ – ٢١٥ .

(٣) سورة النساء : ٥١ .

(٤) فى القاموس : النقير النكتة فى ظهر النواة كالنقرة ، وفى الكشاف : النقير النقرة فى ظهر النواة ، وهو مثل فى القلة كالفتيل والقطمير «منه» .

(٥) اصول الكافى ١/٢٠٥ ، ح١ .

عزوجل « ألم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب » الى قوله تعالى « أم لهم نصيب من الملك »[١] يعني الخلافة والامامة فاذا لايؤتون الناس نقيرا نحن الناس الذين عنى الله[٢] .

وروى أيضاً عن عمر بن أذينة عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تبارك وتعالى « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله »[٣] فنحن المحسودون على ما آتانا الله من الامامة دون الخلق جميعاً[٤] .

ومن هذا القبيل الاخبار الواردة في تفسير الملك العظيم في قوله تعالى « فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً »[٥] .

روى في الكافي أيضاً عن حمران بن أعين ، قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل « فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب » فقال: النبوة ، قلت : «الحكمة» فقال : الفهم والقضاء ، قلت « وآتيناهم ملكاً عظيماً » فقال : الطاعة[٦] .

وروى الصدوق في الامالي في الثلث الاخر منه عن الريان بن الصلت ، قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان ، فقال المأمون : أخبروني عن معنى هذه الاية « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » فقالت العلماء : أراد الله عزوجل بذلك الاية كلها ، فقال المأمون : ماتقول ياأباالحسن ؟ فقال الرضا عليه السلام : لاأقول كما قالوا

---

(١) سورة النساء : ٥١ ـ ٥٣ .

(٢) بصائر الدرجات ص٣٤ .

(٣) سورة النساء : ٥٤ .

(٤) بصائر الدرجات ص٣٥ ، والرواية عن ابن اذينة عن بريد بن معاوية عن أبي جعفر عليه السلام .

(٥) سورة النساء : ٥٤ .

(٦) اصول الكافي ١/٢٠٦ ، ح٣ .

ولكن[١] أقول : أراد الله العترة الطاهرة .

الى أن قال فقال المأمون هل فضل الله العترة على سائر الناس؟ فقال أبو الحسن ان الله عزوجل أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه، فقال له المأمون أين ذلك من كتاب الله ؟ قال له الرضا عليه السلام في قول الله عزوجل « ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض » وقال عزوجل في موضع آخر « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيما » ثم رد المخاطبة في أثر هذا الى سائر المؤمنين فقال : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم » يعني : الذين قرنهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليها ، فقوله « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيما» يعني: الطاعة للمصطفين الطاهرين والمراد بالملك هنا هو الطاعة لهم[٢] .

وروى في الكافي في باب أن الائمة عليهم السلام ولاة الامر والناس محسودون باسناده الصحيح عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل « فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً » قال: جعل منهم الرسل والانبياء والائمة ، فكيف يقرون في آل ابراهيم عليه السلام وينكرونه في آل محمد صلى الله عليه وآله قال : قلت « وآتيناهم ملكاً عظيماً » قال : الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة ، من أطاعهم أطاع الله ، ومن عصاهم عصى الله ، فهو الملك العظيم[٣] .

الى غير ذلك من الاخبار ، فان المستفاد من هذه الروايات ، ولاسيما بعد

(١) في المصدر : ولكني .

(٢) أمالي الشيخ الصدوق ص٤٦٨ ـ ٤٧٠ .

(٣) اصول الكافي ٢٠٦/١ ، ح٥ .

ضم بعضها الى بعض ، ان الملك العظيم والطاعة المفروضة والامامة والخلافة بمعنى واحد ، فالطاعة المفروضة مأخوذة في الامامة ، وهي لازم المعنى الاول ، فالامامة هي أصل الولاية ، ويلزمها لزوم الطاعة ، فالتفسير بها تفسير باللازم .

فنقول : المستفاد من الروايات الاولة ، أي : خبر بريد العجلي ، وخبري البصائر ان الامامة الملك العظيم المفسر في الروايات الاخيرة بالطاعة، والاخبار السابقة تدل على أن الامامة هي الولاية بالكسر ، وهي بمعنى السلطان والامارة .

وفي النهاية : هي بالكسر التولية ، وهي السلطان[١] .

قال في الصحاح : الولاية بالكسر السلطان[٢] . وحكاه عن ابن السكيت .

وفي القاموس : وبالكسر الخطة والامارة والسلطان انتهى[٣] .

لا بالفتح بمعنى النصرة، وفي المصباح المنير: هي بالفتح والكسر النصرة[٤].

بل وكذا في الصحاح ، وفيه عن سيبويه الولاية بالفتح المصدر وبالكسر الاسم مثل الامارة والنقابة ، لانه اسم لما توليته وقمت به ، واذا أرادوا المصدر فتحوا انتهى[٥] وفي الصحاح : كل من ولى أمر أحد فهو وليه[٦] . فالمراد من الاية المتولي للامر وهو السلطان .

والحاصل أن الايات والروايات بأجمعها دالة على كون الامامة هي السلطنة الالهية المأخوذة من سلطانه على عباده ، وهو الملك العظيم ، حيث أنه مأخوذ

---

(١) نهاية ابن الاثير ٢٢٨/٥ .

(٢) صحاح اللغة ٢٥٣٠/٦ .

(٣) القاموس المحيط ٤٠١/٤ .

(٤) المصباح المنير ص٦٧٢ .

(٥) صحاح اللغة ٢٥٣٠/٦ .

(٦) نفس المصدر .

من المالك الحقيقي ، ولذا صار طاعتهم طاعة الله عزوجل ، ومعصيتهم معصية الله عزوجل ، وجعل ذلك في تفسير الملك العظيم .

وان الامام هو المتولي لامور الناس ووليهم وأولى بهم من أنفسهم وأموالهم والاية المشهورة وهي قوله تعالى « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا »[١] أتم دلالة على هذا المعنى ، فان الولي هو الاولى بالامر، كما في ولي الدم ، وولي النكاح للمرأة ، وولي المجنون والصغير ، قال الله تعالى « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت »[٢] وقوله تعالى « ولم يكن له ولي من الذل وكبره »[٣] وقوله تعالى « ان وليي الله الذي نزل الكتاب » [٤] الى غير ذلك من الايات والروايات مفسرة لها ، كرواية الغدير ونحوها .

وان شئت قلت : الامامة هي خلافة الله في أرضه على عباده ، وهو في المعنى متحد للمعنى السابق ، وقد تدل عليه الروايات السابقة ، ولاسيما خبر عبدالعزيز ابن مسلم السابق المروي في أواخر الامالي للصدوق[٥]، وآخر اكمال الدين[٦] والكافي في الباب المشار اليه[٧] .

ولايقدح في ذلك صدقها على أولي العزم من الانبياء ، لان فيهم مرتبة الامامة كما عرفت ، الا أن الامتياز انما هو بالحيثية ، فمن حيث أنه مبلغ الاحكام من

---

(١) سورة المائدة : ٥٥ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٧ .

(٣) سورة الاسراء : ١١١ .

(٤) سورة الاعراف : ١٩٦ .

(٥) أمالي الشيخ الصدوق ص٦٠٢ .

(٦) اكمال الدين ص٦٧٥ – ٦٧٨ .

(٧) اصول الكافي ١/١٩٨ – ٢٠١ .

الله بلاواسطة غيره من أفرادالانسان نبي ورسول ، وماعليه الا البلاغ ، ومن حيث كونه قيما على العباد امام .

وان شئت التمييز الاخر حتى لايصعب علينا الكلام معك ، فقل الامامة هي خلافة الله ورسوله فيما يتعلق بأمر معاشهم ومعادهم .

اذا عرفت ذلك كله، عرفت أن تفسير الامامة وتعريفها بالرئاسة العامة لايخلو عن نظر، فان الرئاسة لايستعمل الاسم الفعلية ، ولعلها مأخوذة من العامة ، حيث أنهم جعلوا الامامة حاصلة من اختيار الامة ، وهولا ينفك عن الفعلية ، فان رئيس القوم هو متقدمهم لامن هـو أهل للرئاسة ، وان لميكن رئيسا لهم بالفعل ، مع أن الرئاسة أعم من الحقة والباطلة .

ومما يدل على ماذكرناه مضافاً الى ماتقدم منا الصحيح المروي فـي الكافي في باب نادر جامع فى فضل الامام عن اسحاق بن غالب ، عن أبي عبدالله عليه السلام في خطبة لهيذكر فيها حال الائمة عليهم السلام وصفاتهم : ان الله عـزوجل أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه ، وأبلج[١] بهم عن سبيل منهاجه ومنح فضل[٢] طلاوة اسلامه ، لان الله تبارك وتعالى نصب الامام علماً لخلقه ، وجعله حجة على أهل مواده وعالمه ، وألبسه الله تاج الوقار، وغشاه من نور الجبار يمد بسبب[٣] الى السماء لاينقطع عنه مواده ، ولاينال ماعندالله الابجهة أسبابـه ، ولايقبل الله أعمال العباد الا بمعرفته ، فهو عالم بمايـرد عليه من ملتبسات الدجى ، ومعميات

---

(١) أبلج من البلجة بمعنى الوضوح «منه» .

(٢) فى المصدر بعد قوله «منهاجه» : وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه ، فمن عرف من امة محمد صلى الله عليه وآله واجب حق امامه ، وجد طعم حلاوة ايمانـه ، وعلم فضل الى آخره .

(٣) السبب الحبل ومايتوصل به الى الشيء ـ القاموس .

السنن [ومشبهات الفتن ، فلم يزل][١] الله تبارك وتعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليه السلام من عقب كل امام ، يصطفيهم لذلك لخلقه ويرتضيهم ، كل مامضى منهم امام ونصب لخلقه من عقبه اماما علما نبياً وهادياً نيراً واماماً قيما وحجة عالماً .

الى أن قال عليه السلام : فاذا مضى والده عليه السلام فمضى وصار أمر الله اليه من بعده ، وقلده دينه ، وجعله الحجة على عباده وقيمه في بلاده وأيده بروحه ، وآتاه علمه وأنبأه فضل بيانه واستودعه سره وانتدبه ـ أي : اختاره ـ لعظيم أمره وأنبأه فضل بيان علمه ، ونصبه علماً لخلقه ، وجعله حجة على أهل عالمه وضياء لاهل دينه والقيم[٢] على عباده ، رضي الله به اماماً لهم الى آخر الخبر[٣] .

الفصل الثانى

فى أن الامامة هل هى من اصول الدين أم لا

صرح الاشاعرة أنها ليست من أصول الدين بل قالوا : انها من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين ، وقد بالغوا في فرعية هذه المسألة كما قيل ، حتى قالوا لايجب البحث عنها ، ولاطلب الحق فيها ، بل يكفي فيها التقليد ، ولهذا لايكفر مخالفها ، بل لايفسق في ظاهر أقوالهم .

ومذهب الشيعة أنها من أصول الدين كما نسبه اليهم المخالفون ، كشارح

---

(١) مابين المعقوفتين ساقطة من النسختين .

(٢) القيم على الشيء المستولى عليه ، ومنه قيم الخان والحمام ، ومنه أنت قيم السماوات والارض ومن فيهن ، أى : الذى يقوم بحفظها ومراعاتها ـ مجمع «منه» .

(٣) اصول الكافى ١/٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

المواقف وغيره ، ويدل عليه أنواع من الاخبار .

منها : الخبر المجمع عليه عند الفريقين عن النبي ﷺ : من مات بلا امام له ، فموته موت أهل الجاهلية ، ففي صحيح مسلم باسناده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية [١] أويدعو الى عصبة او ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية الخبر[٢].

وفيه أيضاً باسناده عن زياد بن رباح القيسي قال قال رسول الله ﷺ : من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ، مات ميتة جاهلية ، ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصبية ويقاتل للعصبية ، فليس من امتي الخبر[٣].

وفيه أيضاً عن أبي رجاء عن ابن عباس يرويه قال قال رسول الله ﷺ : من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فانه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية[٤].

وفيه أيضاً باسناده عن أبي رجا العطاردي، عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال : من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه ، فانه ليس أحد من الناس يخرج من السلطان شبراً فمات عليه الامات ميتة جاهلية[٥].

وفيه أيضاً باسناده عن نافع ، قال جاء عبدالله بن عمر الى عبدالله بن مطيع

---

(١) في القاموس : عمية كغنية ويضم الغواية واللجاج ، والعمية بالكسر والضم مشددتي الميم والياء الكبر والضلال، وقتل عميا كرديا لم يدر من قتله .

(٢) صحيح مسلم ٣/١٤٧٦ - ١٤٧٧ ، ح ٥٣ .

(٣) صحيح مسلم ٣/١٤٧٧ ، ح ٥٤ .

(٤) صحيح مسلم ٣/١٤٧٧ ، ح ٥٥ .

(٥) صحيح مسلم ٣/١٤٧٨ ، ح ٥٦ .

حين كان من أمر الحرة[١] ماكان زمن يزيد بن معاوية ، فقال : اطرحوا لابي عبد الرحمن وسادة ، فقال : اني لم آتك لاجلس ، أتيتك لاحدثك حديثاً سمعت من رسول‌الله ﷺ يقول : من خلع يداً من طاعة الله لقي‌الله يوم القيامة لاحجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية[٢].

ومن طريق الخاصة ما رواه ثقة الاسلام في الكافي في باب من مات وليس له امام باسناده الصحيح عن الحارث بن المغيرة ، قال : قلت لابي عبدالله عليه‌السلام : قال رسول‌الله ﷺ : من مات ولايعرف امامه مات ميتة جاهلية ، قال : نعم ، قلت: جاهلية جهلاء أوجاهلية لايعرف امامه ؟ قال: جاهلية كفر ونفاق وضلال[٣].

ومارواه فيه عن الفضيل بن يسار قال ابتدأنا أبوعبدالله عليه‌السلام يوماً وقال : قال رسول‌الله ﷺ : من مات وليس له امام فميتته ميتة جاهلية ، فقلت : قال ذلك رسول‌الله ﷺ ؟ فقال : أي والله قد قال ، قلت : فكل من مات وليس له امام فميتته ميتة جاهلية؟ قال نعم[٤].

وما رواه فيه عن ابن أبي يعفور قال: سألت أبا عبدالله عليه‌السلام عن قول رسول الله ﷺ من مات وليس له امام فميتته ميتة جاهلية ، قال فقلت : ميتة كفر؟ قال ميتة ضلال ، قال فقلت : فمن مات اليوم وليس له امام فميتته ميتة جاهلية ؟ فقال: نعم [٥].

---

(١) الحرة : وقعة كانت في أيام يزيد ، ويوم الحرة معروف ، وهو يوم قاتل عسكر يزيد بن معاوية أهل المدينة ونهبهم بامارة مسلم بن عقبة «منه».

(٢) صحيح مسلم ١٤٧٨/٣ ، ح ٥٨ .

(٣) اصول الكافي ٣٧٧/١ ، ح ٣ قوله «جاهلية جهلاء» الجهلاء بسكون الهاء مشتق من الاول على وجه التأكيد ، كما يقال: وتد واتد وليلة ليلاء ويوم ايوم «منه».

(٤) اصول الكافي ٣٧٦/١ ، ح ١ .

(٥) اصول الكافي ٣٧٦/١ ، ح ٢ .

ومارواه فيه في باب مايجب على الناس عند مضى الامام ، عن عبدالاعلى قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول العامة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من مات وليس له امام مات ميتة جاهلية، فقال : الحق والله الخبر[١].

ومارواه فيه في باب في الائمة عليهم السلام أنهم اذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود عليه السلام ، باسناده عن أبي عبيدة الحذاء قال :كنا زمان أبي جعفر عليه السلام حين قبض نتردد كالغنم لاراعي لها ، فلقينا سالم بن أبي حفصه ، فقال لي : يا أبا عبيدة من امامك ؟ فقلت : أئمتي آل محمد صلى الله عليه وآله ، فقال : هلكت وأهلكت ، أما سمعت أنا وأنت أبا جعفر عليه السلام يقول : من مات وليس عليه امام مات ميتة جاهلية فقلت : بلى لعمري الخبر[٢]

ومارواه فيه في باب فيمن دان الله عزوجل بغير امام من الله جل جلاله ، باسناده الصحيح عن محمد بن مسلم ، قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول :كل من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه ولا امام له من الله ، فسعيه غير مقبول وهو ضال متحير والله شانيء لاعماله ، ومثله كمثل شاة ضلت عن راعيها وقطيعها [٣] ، فهجمت[٤] ، ذاهبة وجائية يومها ، فلما جنها الليل بصرت بقطيع من غير راعيها فحنت اليها واغترت بها ، فباتت معها في ربضتها . فلما أن ساق الراعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها ، فهجمت متحيرة تطلب راعيها وقطيعها ، فبصرت بغنم مع راعيها فحنت اليها واغترت بها ، فصاح بها الراعي الحقي براعيك وقطيعك،

---

(١) اصول الكافى ٣٧٨/١ ، ح ٢ .

(٢) اصول الكافى ٣٩٧/١ ، ح ١ .

(٣) القطيع : الطائفة من البقر والغنم ـ مجمع «منه» .

(٤) الهجوم على القوم الدخول فيهم من غير استئذان ، وهجم سكت وأطرق، ومنه حديث الشاة المنقطعة فهجمت متحيرة ، أى : عرفت أن ذلك الراعي ليس راعياً لها ، فأطرقت متحيرة فى أمرها الى أن تذهب ـ مجمع «منه» .

فانك تائهة متحيرة عن راعيك وقطيعك فهجمت ذعرة [١] متحيرة نادة[٢] لاراعي لها يرشدها الى مرعاها ، أو يردها فبيناها هي كذلك اذا اغتنم الذئب ضيعتها[٣] فأكلها .

وكذلك والله يا محمد من أصبح من هذه الامة لا امام له من الله جل وعز ظاهراً عادلا ، أصبح ضالا تائها ، وان مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق. واعلم يامحمد أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله قدضلوا وأضلوا، فاعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد[٤]، الى غير ذلك من الاخبار .

ومنها : الاخبار الواردة في أن الحجة لا تقوم على الخلق الا بالامام ، كالصحيح المروي في الكافي في باب أن الحجة لا تقوم لله على خلقه الا بامام . عن داود الرقي عن العبد الصالح قال : ان الحجة لا تقوم لله عزوجل الا بامام حي يعرف[٥].

والصحيح المروي فيه عن الحسن بن علي الوشاء قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : ان أباعبدالله عليه السلام قال : ان الحجة لا تقوم لله عزوجل على خلقه الا بامام حي يعرف[٦] .

والصحيح المروي فيه فيه وفي اكمال الدين عن أبان بن تغلب قال : قال

---

(١) الذعر بضم الذال المعجمة الخوف «منه» .

(٢) أي : شاردة ، ند البعير نفر وذهب شارداً لوجهه «منه» .

(٣) قوله «ضيعتها» أي : تحيرها وانقطاعها عن القطيع «منه» .

(٤) اصول الكافي ١/٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٥) اصول الكافي ١/١٧٧ ، ح١ .

(٦) اصول الكافي ١/١٧٧ ، ح٢ .

أبوعبدالله عليه السلام : الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق[١].

والخبر المروي فيه فيه عن محمد بن‌عمارة عن أبي‌الحسن الرضا عليه السلام قال: ان الحجة لا تقوم لله على خلقه الا بامام حي يعرف[٢].

والحي في هذه الروايات فيه نسختان أخريان : الحق ، وحتى . وعلى الاخير يكون الضمير في «يعرف» راجعاً الى الله تعالى، وعلى النسختين الاخريين راجع الى الامام .

ومنها : الاخبار الواردة في أن الارض لاتخلو من حجة ، والاخبار في هذا الباب كثيرة ، نذكر منها ماهو الاصرح ،كالصحيح المروي في اكمال الدين في باب اتصال الوصية من لدن آدم ، عن‌صفوان بن يحيى عن أبي الحسن الاول ، قال : ماترك الله الأرض بغير امام قط منذ يوم قبض آدم عليه السلام يهتدي به الى الله عزوجل ، وهو الحجة على العباد من تركه ضل ، ومن لزمه نجا حقاً على الله عزوجل[٣].

والخبر المروي فيه‌عن ذريح[٤]عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول: والله ماترك الله الارض قط منذ قبض آدم الا وفيها امام يهتدى به الى الله عزوجل ، وهوحجة الله على العباد ، من تركه هلك ، ومن لزمه نجا حقاً على الله[٥].

ومنها : الأخبار الدالةعلى أن الامامة على حد النبوة أمرمتصل من لدن‌آدم

(١) اصول الكافي ١/١٧٧ ، ح٤ ، واكمال الدين ص٢٢١ ، ح٥ . وفي سنده خلف ورواه في‌الاكمال بسند آخر أيضاً «منه» أقول : في ص٢٣٢ ح٣٦ .

(٢) اصول الكافي ١/١٧٧ ، ح٣ .

(٣) اكمال الدين ص٢٢١ ، ح٣ .

(٤) ذريح ثقة هو ذريح المحاربي ثقة «منه» .

(٥) اكمال الدين ص٢٣٠ ، ح٢٨ .

الى الخاتم الى يوم القيامة ، وان الحاجة الى النبي والامام على نهج واحد .

كالخبر المروي في الكافي في باب الاضطرار الى الحجة ، عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال : للزنديق الذي سأله من أين أثبت الانبياء والرسل ؟ فقال : انا لما أثبتنا أن لنا خالقا ، صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ماخلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً ، لم يجز أن يشاهده خلقه ، ولا يلامسوه ، فيباشرهم ويباشروه ، ويحاجهم ويحاجوه ، يثبت أن له سفراء في خلقه يعبرون عنه الى خلقه وعباده ، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم .

فثبت الامرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه جل وعز ، وهم الانبياء وصفوته من خلقه ، حكماء مؤدبين بالحكمة ، مبعوثين بهاغير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم، مؤيدون عند الحكيم العليم بالحكمة ، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مماأتت به الرسل والانبياء من الدلائل والبراهين كي لا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته(١) .

والخبر المروي في الكافي أيضاً في باب ان الائمة صلوات الله عليهم في العلم والشجاعة والطاعة سواء ، عن عبدالرحمن بن كثير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال : « الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء »(٢) قال : الذين آمنوا النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين صلوات الله عليه، وذريته الائمة والاوصياء صلوات الله عليهم ألحقنا بهم ولم ننقص ذريتهم الحجة

---

(١) اصول الكافي ١٦٨/١ ، ح١ .

(٢) سورة الطور : ٢١ .

التي جاء بها محمد ﷺ في علي عليه السلام وحجتهم واحدة وطاعتهم واحدة[١].

والموثق المروي في اكمال الدين في الباب المذكور باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : ان الله عزوجل عهد الى آدم أن لا يقرب الشجرة ، الى أن قال: ثم ان آدم سأل ربه أن يهب له ولداً، فولد له غلام ، فسماه هبة الله ، لان الله عزوجل وهبه له فأحب له آدم حباً شديداً، فلما انقضت نبوة آدم عليه السلام واستكمل[٢] أيامه ، فاوحى الله عزوجل اليه، ان يا آدم أنه قد انقضت نبوتك واستكملت أيامك ، فاجعل العلم الذي عندك والايمان والاسم الاكبر وميراث العلم وآثار النبوة في العقب من ذريتك عند ابنك هبة الله ، فاني لم أقطع العلم والايمان والاسم الاكبر وميراث العلم وآثار النبوة من العقب من ذريتك الى يوم القيامة ، ولن أدع الارض الا وفيها عالم يعرف به ديني ، ويعرف به طاعتي ، ويكون نجاة لمن يولد فيما بينك وبين نوح .

الى أن قال : ثم ان نوحاً انقضت واستكملت أيامه ، أوحى الله عزوجل اليه : يانوح قد انقضت نبوتك ، واستكملت أيامك ، فاجعل العلم الذي عندك والايمان والاسم الاكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في العقب من ذريتك عند سام فاني لم أقطعها من بيوتات الانبياء الذين بينك وبين آدم ، ولن أدع الارض الا وفيها عالم يعرف به ديني ، ويعرف به طاعتي ، ويكون به نجاة لمن يولد فيما بين قبض النبي الى خروج النبي الاخر .

الى أن قال : حتى بلغت محمداً نبوته واستكمل أيامه أوحى الله تبارك وتعالى اليه أن يا محمد قد قضيت نبوتك ، واستكملت أيامك ، فاجعل العلم الذي عندك والايمان والاسم الاكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة عند علي بن أبي طالب

---

(١) اصول الكافي ١ / ٢٧٥ ، ح ١ .

(٢) في المصدر : واستكملت .

عليه السلام فاني لن أقطع العلم والايمان والاسم الاكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك ، كمالم أقطعها من بيوتات الانبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم ، وذلك قوله تعالى « ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم »(١) فان الله تبارك وتعالى لم يجعل العلم جهلا ، ولم يكل أمره الى ملك مقرب ولا الى نبي مرسل ، ولكنه أرسل رسولا من ملائكته الى نبيه ، فقال له كذا وكذا ، فأمره بمايحب ، ونهاه عماينكر ، فقص عليه ماقبله ومابعده بعلم ، فعلم ذلك العلم أنبياؤه وأصفياؤه من الاباء والاخوان والذرية التي بعضها من بعض ، فذلك قوله تعالى « فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكم وآتيناهم ملكاً عظيماً »(٢).

فأما الكتاب فالنبوة ، وأما الحكمة فهم الحكماء من الانبياء والاوصياء من الصفوة، وكل هؤلاء من الذرية التي بعضها من بعض الذين جعل الله تبارك وتعالى فيهم النبوة، وفيهم العاقبة ، وحفظ الميثاق حتى تنقضي الدنيا ، فهم العلماء وولاة الامر وأهل استنباط العلم والهداة .

فهذا بيان الفضل في الرسل والانبياء والحكماء وأئمة الهدى والخلفاء الذين هم ولاة أمر الله وأهل استنباط علم الله ، وأهل آثار علم الله عزوجل من الذرية التي بعضها من بعض ، من الصفوة بعد الانبياء من الال والاخوان والذرية من بيوتات الانبياء ، فمن عمل بعلمهم وانتهى الى أمرهم نجا بنصرهم ، ومن وضع ولاية الله وأهل استنباط علمه في غير الصفوة من بيوتات الانبياء ، فقد خالف أمر الله ، وجعل الجهال ولاة أمر الله والمتكلفين بغير هدى وزعموا أنهم أهل استنباط علم الله ، فقد كذبوا على الله ، وزاغوا عن وصية الله وطاعته ، فلم يضعوا فضل

(١) سورة آل عمران : ٣٣.

(٢) سورة النساء : ٥٤ .

الله حيث وضعه الله تبارك وتعالى فضلوا وأضلوا أتباعهم ، فلا يكون لهم يوم القيامة حجة ، انما الحجة في آل ابراهيم، لقول الله تعالى «ولقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً» .

فالحجة الانبياء وأهل بيوتات الانبياء حتى تقوم الساعة ، لان كتاب الله عزوجل ينطق بذلك، ووصيته جرت بذلك في العقب من البيوت التي رفعها الله تبارك وتعالى على الناس فقال « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه»(١) وهي بيوتات الانبياء والرسل والحكماء وأئمة الهدى .

فهذا بيان عروة الايمان التي نجا بها قبلكم، وبها ينجو من اتبع الائمة، وقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه « ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين * واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم * أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين»(٢) فانه وكل بالفضل من أهل بيته من الاباء والاخوان والذرية وهو قول الله عزوجل في كتابه فان يكفر بها امتك فقد وكلنا أهل بيتك بالايمان الذي أرسلتك به ، فلايكفرون بها أبداً .

الى أن قال: فاعتبروا أيها الناس وتفكروا فيما قلت، حيث وضع الله عزوجل ولايته وطاعته ومودته واستنباط علمه وحجته، فاياه فتعلموا ، وبه فاستمسكوا تنجوا، ويكون لكم به حجة يوم القيامة والفوز ، فانه صلة مابينكم وبين ربكم ولاتصل الولاية الى الله عزوجل الا بهم ، فمن فعل ذلك كان حقاً على الله

---

(١) سورة النور: ٣٦ .

(٢) سورة الانعام: ٨٤-٨٩ .

عزوجل أن يكرمه ولايعذبه ، ومن يأت الله بغير ماأمره كان حقاً على الله أن يذله ويعذبه [١] .

الى غير ذلك من الاخبار الكثيرة .

ومنها: الاخبار الواردة في لزوم طاعة الائمة عليهم السلام، وان الناس غيرمعذورين فيها ضالون .

روى في الكافي في باب فرض طاعة الائمة عن أبي سلمة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: نحن الذين فرض الله عزوجل طاعتنا، لايسع الناس الامعرفتنا ولايعذر الناس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمناً، ومن أنكرنا كان كافراً، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالا ، حتى يرجع الى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة، فان يمت على ضلالته يفعل الله به مايشاء [٢] .

وروى فيه أيضاً عن بشير العطار قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : نحن قوم فرض الله عزوجل طاعتنا، وأنتم تاملون[٣] بمن لايعذر الناس بجهالته [٤] الى غير ذلك من الاخبار .

ومنها : الاخبار الدالة على أن الائمة دين الله ورسوله الاعتقاد بامامتهم .

روى في الكافي في الباب السابق عن اسماعيل بن جابر قال قلت لابي جعفر عليه السلام : أعرض عليك ديني الذي أدين الله عزوجل بـه ، قال فقال: هات ، قال فقلت : أشهد أن لااله الاالله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، والاقرار بماجاء به من عند الله ، وان علياً كان اماماً فرض الله طاعته، ثم كان بعده

---

(١) اكمال الدين ص٢١٣-٢١٩ .

(٢) اصول الكافى ١/١٨٧، ح١١ .

(٣) فى المصدر: تأتمون .

(٤) اصول الكافى ١/١٨٦، ح٣ .

الحسن اماماً فرض الله طاعته، ثم كان الحسين عليه السلام بعده اماماً فرض الله طاعته، ثم كان علي بن الحسين بعدهم اماماً فرض الله طاعته حتى انتهى الامر اليه، ثم قلت أنت يرحمك الله، قال فقال: هذا دين الله ودين ملائكته (١).

وروى فيه فيه أيضاً عن أبي اسحاق عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: اعلموا أن صحبة العالم واتباعه دين يدان الله به، وطاعته مكسبة للحسنات، ممحات للسيئات، وذخيرة للمؤمنين، ورفعة فيهم في حياتهم وجميل بعد مماتهم (٢).

ومنها الاخبار الدالة على أن من لايعرفهم ولايواليهم فهو ضال غير مؤمن بالله.

روى فيه أيضاً في باب معرفة الامام، والرواية عن أبي حمزة قال قال لي أبو جعفر عليه السلام: انمايعبد الله من يعرف الله فاما من لايعرف الله، فانمايعبده هكذا ضلالا، قلت: جعلت فداك فمامعرفة الله؟ قال: تصديق الله تعالى، وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله وموالاة علي عليه السلام والائتمام به وبأئمة الهدى، والبراءة الى الله عزوجل من عدوهم، هكذا يعرف الله عزوجل (٣).

وروى فيه عن جابر قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: انمايعرف الله عزوجل ويعبده من عرف الله، وعرف امامه منا أهل البيت، ومن لايعرف الله عزوجل ويعرف الامام منا أهل البيت، فانما يعرف ويعبد غير الله هكذا والله ضلالا (٤).

وروى فيه فيه عن ابن أذينة، قال: حدثنا غيرواحد عن أحدهما عليهما السلام أنه

---

(١) اصول الكافي ١/١٨٨، ح١٣.
(٢) اصول الكافي ١/١٨٨، ح١٤.
(٣) اصول الكافي ١/١٨٠، ح١.
(٤) اصول الكافي ١/١٨١، ح٤.

قال : لايكون العبد مؤمناً حتى يعرف الله عزوجل ورسولـه والائمة كلهم وامام زمانه ، ويرد اليه ويسلم له ، ثم قال :كيف يعرف الاخر وهو يجهل الاول[١] .

الى غيرذلك من الاخبار، وهي أيضاً كثيرة .

ومنها: الاخبار الواردة في أنهم أبواب الهداية بهم يهتدى الى الله عزوجل.

روى في الكافي في باب معرفة الامام، عن ربعي بن عبدالله، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أبى الله أن يجري الاشياء الا بالاسباب فجعل لكل شيء سبباً ، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم[٢] باباً ناطقاً عرفه من عرفه، وجهله من جهله ، ذاك رسول الله ﷺ ونحن[٣] .

وروى فيه، عن بريد قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول في قول الله تبارك وتعالى «أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات»[٤] فقال: ميت لايعرف شيئاً، ونوراً يمشي به في الناس اماماً يؤتم به ، كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها قال: الذي لايعرف الامام[٥] .

وروى فيه عن أبي حمزة ، قال قال أبـوجعفر عليه السلام : ياأباحمزة يخرج أحدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلا وأنت بطرق السماء أجهل منك بطرق الارض فاطلب لنفسك دليلا[٦] .

---

(١) اصول الكافى ١/ ١٨٠، ح٢ .

(٢) الشيء الدخول فى الجنة ، أومعرفة الله عزوجل . والسبب طاعة الله أو طريق المعرفة. والشرح كيفية الطاعة وبيان المعرفة، والعلم المعرفة بكل منهما، والباب الدليل اليهم اس د .

(٣) اصول الكافى ١/ ١٨٣، ح٧ .

(٤) سورة الانعام: ١٢٣ .

(٥) اصول الكافى ١/ ١٨٥، ح١٣ .

(٦) اصول الكافى ١/ ١٨٤-١٨٥ .

وروى فيه فيه عن مقرن، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: جاء ابن الكواء الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ياأمير المؤمنين «وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم» فقال: نحن على الاعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الاعراف الذين لايعرف الله عزوجل الا بسبيل معرفتنا، ونحن الاعراف يعرف الله عزوجل يوم القيامة على الصراط، فلايدخل الجنة الا من عرفنا وعرفناه، ولايدخل النار الا من أنكرنا وأنكرناه.

ان الله تبارك وتعالى لوشاء لعرف العباد نفسه، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا، أوفضل علينا غيرنا فانهم عن الصراط لناكبون الخبر (١).

الى غير ذلك من الاخبار.

ومنها: الاخبار الواردة في أن معرفة الامام من دعائم الاسلام وعماده.

روى في الكافي في باب دعائم الاسلام باسناده الصحيح عن عيسى بن السري أبي اليسع، قال قلت لابي عبدالله عليه السلام: أخبرني عن دعائم الاسلام التي لايسع أحد التقصير عن معرفة شيء منها، التي من قصر عن معرفة شيء منها فسد عليه دينه ولم يقبل منه عمله، ومن عرفها وعمل بها صلح لـه دينه وقبل منه عمله ولم يضر به فيماهو فيه لجهل شيء من الامور جهله؟ قال فقال: شهادة أن لااله الاالله والايمان بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، والاقرار بماجاء بـه من عند الله وحق في الاموال الزكاة والولاية التي أمر الله عزوجل بها، ولاية آل محمد صلى الله عليه وعليهم.

قال فقلت له: هل في الولاية شيء دون شيء فضل يعرف لمن أخذ به؟ قال: نعم، قال الله عزوجل «ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي

---

(١) اصول الكافي ١/ ١٨٤، ح ٩.

الامر منكم» [١] وقال رسول الله ﷺ: من مات ولايعرف امامه مات ميتة جاهلية وكان رسول الله ﷺ وكان علياً عليه السلام، وقال الاخرون: وكان معوية، ثم كان الحسن عليه السلام ثم كان الحسين، وقال الاخرون: يزيد بن معوية وحسين بن علي ولا سواء.

قال: ثم سكت، ثم قال: أزيدك، فقال له حكم الاعور: نعم جعلت فداك، قال: ثم كان علي بن الحسين، ثم كان محمد بن علي أباجعفر، وكانت الشيعة قبل أن يكون أبو جعفر وهم لا يعرفون مناسك حجهم وحلالهم وحرامهم، حتى كان أبو جعفر عليه السلام ففتح لهم وبين لهم مناسك حجهم وحلالهم وحرامهم، حتى صار الناس يحتاجون اليهم من بعد ماكانوا يحتاجون الى الناس، وهكذا كان الامر والارض لاتكون الا بامام، ومن مات لايعرف امامه مات ميتة جاهلية، وأحوج ما تكون الى ماأنت عليه اذا بلغت نفسك هذه، واهوى بيده الى حلقه، وانقطعت عنك الدنيا تقول: لقد كنت على أمر حسن [٢].

وروى فيه فيه، باسناده الصحيح عن عيسى بن السري قال قلت لابي عبد الله عليه السلام: حدثني عما بنيت عليه الاسلام اذا أنا أخذت بها زكى عملي، ولم يضرني جهل ماجهلت بعده، فقال: شهادة أن لا اله الا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، والاقرار بماجاء به من عند الله، وحق في الاموال من الزكاة، والولاية الذي أمر الله بها ولاية آل محمد ﷺ، فان رسول الله ﷺ قال: من مات لايعرف امامه مات ميتة جاهلية قال الله تعالى «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم» ثم هكذا يكون الامر، ان الارض لا تصلح الا بامام، ومن مات لا يعرف امامه مات ميتة جاهلية، وأحوج مايكون أحدكم الى معرفته اذا بلغت نفسه هاهنا، وأهوى

(١) سورة النساء: ٥٩.
(٢) اصول الكافي ٢/١٩ - ٢١.

بيده الى صدره ، يقول حينئذ : لقد كنت على أمر حسن[١].

الى غير ذلك من الاخبار .

ومنها : الاخبار الواردة في السؤال عن الامام في القبر.

كالخبر المروي في فروع الكافي في باب المسألة في القبر ، عن أبي بكر الحضرمي ، قال قلت لابي جعفر عليه السلام : أصلحك الله من المسؤلون في قبورهم ؟ قال : من محض الايمان ومن محض الكفر، قال قلت : فبقية هذا الخلق ؟ قال : يلهون والله عنهم مايعبأ بهم ، قال قلت: وعمايسألون ؟ قال: عن الحجة القائمة بين أظهركم ، فيقال للمؤمن : ماتقول في فلان بن فلان ؟ فيقول: ذاك امامي ، فيقول نم أنام الله عينيك، ويفتح له باب الى الجنة ، فمايزال يتحفه من روحها الى يوم القيامة ، ويقال للكافر :ماتقول في فلان بن فلان؟ قال فيقول: قدسمعت به وماأدري ماهو فيقال له : لا دريت، قال: ويفتح له باب من النار، فلايزال يتحفه من حرها الى يوم القيامة[٢].

بيان :

« يلهون عنهم » أي : يشغل عنهم ويتركون بحالهم، ومنه قوله تعالى«فأنت عنه تلهى» [٣]أي : تتشاغل وتتغافل، وفي بعض النسخ « يلهي عنهم » وهوأنسب بما بعده .

والخبر الصحيح المروي فيه عن ابراهيم بن أبي البلاد، عن بعض أصحابه، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : يقال للمؤمن في قبره : من ربك؟ قال فيقول :

---

(١) اصول الكافي ٢ / ٢١ ، ح٩ .

(٢) فروع الكافي ٣ / ٢٣٧ ، ح٨ .

(٣) سورة عبس : ١٠ .

الله فيقال له : مادينك؟ فيقول : الاسلام، فيقال: من نبيك؟ فيقول محمد، فيقال من امامك ؟ فيقول: فلان، فيقال كيف علمت بذلك ؟ فيقول: أمر هداني الله له وثبتني عليه ، فيقال له : نم نومة لاحلم فيها نومة العروس، ثم يفتح له باب الى الجنة ، فيدخل اليه من روحها وريحانها ، فيقول : يارب عجل قيام الساعة لعلي أرجع الى أهلي ومالي .

ويقال للكافر: من ربك؟ فيقول : الله ربي، فيقال: من نبيك ؟ فيقول: محمد صلى الله عليه وآله ،فيقال : مادينك؟ فيقول: الاسلام، فيقال : من أين علمت ذلك؟ فيقول : سمعت الناس يقولون فقلته ، فيضربانه بمرزبة لو اجتمع عليه الثقلان الانس والجن لم يطيقوها ، قال: فيذوب كما يذوب الرصاص ، ثم يعيدان فيه الروح ، فيوضع قلبه بين لوحين من نار، فيقول: يارب أخر قيام الساعة[1].

بيان :

الحلم بضمتين قال في النهاية : الحلم عبارة عما يراه النائم في نومه ، لكن غلبت الرؤيا على مايراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحلم على مايراه من الشر والقبيح ، ومنه قوله تعالى «اضغاث أحلام» انتهى[2].

المرزبة بكسر الميم عصاة كبيرة من حديد تتخذ لتكسير المدر ، والاصح تخفيف الباء فيها، وحكي عن المحدثين تشديد الباء .

والخبر المروي في كتاب بصائر الدرجات باسناده عن رزين بن حبش عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعته يقول: اذا دخل الرجل حفرته أتاه ملكان اسمهما منكر ونكير، فأول مايسألانه عن ربه ثم عن نبيه ثم عن وليه ، فان أجاب نجى، وان

(١) فروع الكافي ٢٣٨/٣ - ٢٣٩ ، ح١١ .

(٢) نهاية ابن الاثير ٤٣٤/١ .

تحير عذباه ، فقال رجل: فما حال من عرف ربه ولم يعرف وليه؟ قال : مذبذب لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ، فذلك لا سبيل له الخبر[١].

ومنها : الاخبار الواردة في كفر المنكرين لهم عليهم السلام ، وخلودهم في النار ، وضلالة الجاهلين بهم عليهم السلام ، وان الناجي من آمن بهم عليهم السلام .

روى في الكافي في باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، وفي باب الكفر ، باسناده عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال ان الله تعالى نصب علياً علما بينه و بين خلقه ، فمن عرفه كان مؤمناً ، ومن أنكره كان كافراً ، ومن جهله كان ضالا ، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً ، ومن جاء بولايته دخل الجنة[٢].

وروى فيه في البابين المذكورين أيضاً عن أبي حمزة قال: سمعت أبى جعفر عليه السلام يقول : ان علياً عليه السلام باب فتحه الله تعالى ، فمن دخله كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة الذين قال الله تعالى لي فيهم المشيئة [٣].

وفي باب الكفر: في الطبقة الذين لله فيهم الميئة [٤].

ورواه في هذا الباب أيضاً بسند آخر[٥].

وروى فيه في باب فيه نكت ونتف[٦] من التنزيل في الولاية عن أبي بصير

---

(١) بصائر الدرجات ص٤٩٨ ، ح٩ .

(٢) اصول الكافى ٤٣٧/١ ، ح٧ ، وج٣٨٨/٢ ، ح٢٠ .

(٣) اصول الكافى ٤٣٧/١ ح٨ .

(٤) اصول الكافى ٣٨٨/٢ ، ح١٨ .

(٥) اصول الكافى ٣٨٩/٢ ، ح٢١ .

(٦) النتف جمع نتفة كطرف جمع طرفة ، يقال : أفاده نتفة فى علم «منه» .

عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى «ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا»[١] قال : يعني به ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، قلت: «ونحشره يوم القيامة أعمى» قال: يعني أعمى البصر في الاخرة أعمى القلب في الدنيا عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام قال : وهو متحير يوم القيامة يقول: «لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا » قال : الايات الائمة عليهم السلام « فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » فكذلك اليوم ننسى يعني تركتها وكذلك اليوم تترك في النار، كما تركت الائمة عليهم السلام فلم تطع أمرهم ولم تسمع قولهم .

قلت «وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الاخرة أشد وأبقى» قال : يعني من أشرك بولاية أمير المؤمنين عليه السلام غيره ، ولم يؤمن بآيات ربه وترك الائمة معاندة ، فلم يتبع اثارهم ولم يتولهم الخبر[٢].

وروى فيه فيه عن ابن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى «هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا» بولاية علي «قطعت لهم ثياب من نار» [٣].

وروى فيه فيه باسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى «سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين » بولاية علي «ليس له دافع»[٤] ثم قال: هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله[٥].

وروى فيه فيه باسناده عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى «فلنذيقن الذين كفروا» بتركهم بولاية أمير المؤمنين عليه السلام « عذاباً شديداً » في

(١) سورة طه : ١٢٤ .
(٢) اصول الكافى ١/٤٣٥ – ٤٣٦ ، ح٩٢ .
(٣) اصول الكافى ١/٤٢٢ ، ح٥١ ، والاية فى سورة الحج : ٢٠ .
(٤) سورة المعارج : ٢–٣ .
(٥) اصول الكافى ١/٤٢٢ ، ح٤٧ .

الدنيا «ولنجزينهم أسوء الذي كانوا يعملون»[١].

وروى فيه فيه باسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزوجل «لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون» قال: لتنذر القوم الذين أنت فيهم كما أنذر آباؤهم، فهم غافلون عن الله وعن رسوله وعن وعيده «لقد حق القول على أكثرهم» ممن لا يقرون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام والائمة من بعده «فهم لا يؤمنون» بامامة أمير المؤمنين والاوصياء من بعده، فلما لم يقروا كانت عقوبتهم ماذكر الله «انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون» في نار جهنم.

ثم قال «وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون» عقوبة منه لهم حيث أنكروا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والائمة من بعده هذا في الدنيا وفي الاخرة في نار جهنم مقمحون. ثم قال: يا محمد «وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» بالله وبولاية علي ومن بعده.

ثم قال «انما تنذر من اتبع الذكر» يعني أمير المؤمنين «وخشى الرحمن بالغيب فبشره» يامحمد «بمغفرة وأجر كريم»[٢].

وروى فيه في باب من دان الله عزوجل بغير امام من الله عزوجل، عن عبدالله ابن أبي يعفور، قال قلت لابي عبدالله عليه السلام: اني أخالط الناس، فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلاناً وفلاناً، لهم أمانة وصدق ووفاء وأقوام يتولونكم ليس لهم تلك الامانة ولا الوفاء والصدق، قال: فاستوى أبوعبدالله عليه السلام جالساً فأقبل علياً كالغضبان، ثم قال: لادين لمن دان الله بولاية امام جائر ليس من الله ولاعتب على من دان الله بولاية امام عادل من الله، قلت: لادين لاولئك ولاعتب

---

(١) اصول الكافي ١/ ٤٢١، ح٤٥.

(٢) اصول الكافي ١/ ٤٣١-٤٣٢، ح٩٠.

على هؤلاء ؟ قال : نعم لادين لاولئك ولاعتب على هؤلاء .

ثم قال : ألاتسمع لقول الله عزوجل « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » يعني : ظلمات الذنوب الى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل امام عادل من الله ، قال « والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات» انماعنى بهذا أنهم كانوا على نور الاسلام، فلماأن تولوا كل امام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم اياه من نور الاسلام الى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار مع الكفار، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (١) .

بيان :

« ولاعتب على هؤلاء » أي : لاوجد عليهم ولاسخط ولاغضب عليهم ،وهو بسكون التاء .

وروى فيه باسناده، عن حنان، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وآله الا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة ؟ فقال: المقداد بن الاسود وأبوذر الغفاري، وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم، ثم عرف اناس بعد يسير ، وقال : هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا ، وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤا بأمير المؤمنين مكرهاً فبايع ، وذلك قول الله عزوجل « ومامحمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين» (٢) .

وروى فيه في باب أن الائمة ورثوا علم النبي صلى الله عليه وآله وجميع الانبياء والاوصياء من قبلهم ، عن عبدالله بن جندب أنه كتب اليه الرضا عليه السلام : أما بعد، فان محمداً

---

(١) اصول الكافي ١/٣٧٥-٣٧٦ ، ح٣ .

(٢) الروضة من الكافي ٨/٢٤٥-٢٤٦، ح٣٤١ ، والاية في سورة آل عمران:١٤٤.

كان أمين الله في خلقه فلما قبض عليه السلام كنا أهل البيت ورثته ، فنحن أمناء الله في أرضه ، عندنا علم البلايا والمنايا، وأنساب العرب، ومولد الاسلام ، وانا لنعرف الرجل اذا رأيناه بحقيقة الايمان وحقيقة النفاق، وان شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا، ويدخلون مدخلنا، ليس على ملة الاسلام غيرنا وغيرهم، نحن النجباء النجاة، ونحن أفراط الانبياء، ونحن أبناء الاوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله عزوجل، ونحن أولى الناس بكتاب الله ، ونحن أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله .

ونحن الذين شرع الله لنا دينه ، فقال في كتابه « شرع لكم » يا آل محمد «من الدين ماوصى به نوحاً» قد وصانا بماوصى به نوحاً «والذين أوحينا اليك» يامحمد « وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى » فقد علمنا وبلغنا علم ما علمنا واستودعنا علمهم ، نحن ورثة أولي العزم من الرسل « أن أقيموا الدين » يـا آل محمد «ولا تتفرقوا فيه» وكونوا على جماعة «كبر على المشركين» مـن أشرك بولاية علي عليه السلام «ماتدعوهم اليه» من ولاية علي عليه السلام «ان الله» يامحمد «يهدي اليه من ينيب»(١) من يجيبك الى ولاية علي عليه السلام(٢).

وروى فيه في كتاب الايمان والكفر في باب نادر بعد الباب في قوله تعالى «ومن الناس من يعبد الله على حرف » عن سليم بن قيس، قال سمعت علياً صلوات الله عليه يقول ــ وأتاه رجل فقال له : ماأدنى مايكون به العبد مؤمناً ؟ وأدنى ما يكون به العبد كافراً ؟ وأدنى مايكون به العبد ضالا؟ فقال له: قد سألت فافهم الجواب أما أدنى مايكون به العبد مؤمناً أن يعرفه الله تبارك وتعالى نفسه فيقر له بالطاعة ، ويعرفه نبيه صلى الله عليه وآله ، فيقر له بالطاعة ، ويعرفه امامه وحجته في أرضه وشاهده على

(١) سورة الشورى : ١٢ .

(٢) اصول الكافي : ١/٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

خلقه فيقر له بالطاعة ، قلت له : يا أمير المؤمنين وان جهل جميع الاشياء الا مـا وصفت ؟ قال : نعم اذا أمر أطاع واذا نهي انتهى .

وأدنى مايكون به العبدكافراً من زعم أن شيئاً نهى الله عنه أن الله أمر به ونصبه ديناً يتولى عليه ويزعم أنه يعبد الذي أمره به ، وانما يعبد الشيطان .

وأدنى مايكون به العبد ضالا أن لا يعرف حجة الله تبارك وتعالى وشاهده على عباده الذي أمر الله عزوجل بطاعته وفرض ولايته . قلت : يا أمير المؤمنين صفهم لي ، فقال : الذين قرنهم الله عزوجل بنفسه ونبيه، فقال «ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم» قلت : ياأمير المؤمنين جعلني الله فداك أوضح لي ، فقال : الذين قال رسول الله ﷺ في آخر خطبته يوم قبضه الله عزوجل اليه : اني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما ان تمسكتم بهما : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فان اللطيف الخبير قد عهد الي أنما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين ، وجمع مسبحتيه ولا أقـول كهاتين ، وجمع بيـن المسبحة والوسطى، فتسبق احداهما الاخرى، فتمسكوا بهما لاتزالوا ولاتضلوا ولاتقدموهم فتضلوا [1].

بيان :

اعلم أنه يظهر من هذه الروايـة أن أدنى الكفر عبادة الله من طريق لايجعله له طريقاً ، والتدين بدينه من طريق نهى الله عن السلوك فيه ، وان كان على ظاهر التوحيد وتصديق النبي ﷺ ، وأدنى الضلال هو عدم معرفة حجة الله فلاحظ .

ومنها : أخبار الثقلين ، وقد تقدم بعض منها ، وسيأتي جملة الدالة على أن الضلال في ترك كل منهما، والنجاة في التمسك بهما، وانهما ان يفترقا وهي كثيرة

(١) اصول الكافي ٢/٤١٤ - ٤١٥ .

المطابقة على قوله ﷺ «اني تارك فيكم ماان تمسكتم به لن تضلوا» فان المستفاد منها أن الضلال في ترك التمسك بهما .

ومنها : الاخبار الواردة في أن أهل البيت سفينة النجاة من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، وهي كثيرة أيضاً بهذا المضمون: ان مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق .

ومنها: الاخبار الواردة في أن معرفة الله ومعرفة رسوله لاتكون الا بمعرفتهم وان من لم يعرفهم ولم يهتد بهداهم ولم يسلك سبيلهم ، فلم يعرف الله ولم يعرف رسوله ولم يطعهما ، وليس له الهداية، ولم يقبل أعماله، وقد تقدم بعض الاخبار في ذلك .

كالخبر المروي في الكافي في باب معرفة الامام، والرواية عن أبي حمزة قال قال لي أبو جعفر عليه السلام : انما يعبد الله من يعرف الله ؟ فأما من لايعرف الله ، فانما يعبده هكذا ضلالا، قلت: جعلت فداك فمامعرفة الله ، قال: تصديق الله تعالى وتصديق رسوله ﷺ ، وموالاة علي عليه السلام والائتمام به وبائمة الهدى ، والبراءة الى الله عزوجل من عدوهم، هكذا يعرف الله عزوجل (١) .

وروى فيه، فيه عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انكم لاتكونون صالحين حتى تعرفوا، ولاتعرفوا حتى تصدقوا، ولاتصدقوا حتى تسلموا أبواباً أربعة ، لاتصلح أولها الا بآخرها، ضل أصحاب الثلاثة ، وتاهوا تيهاً (٢) بعيدا ، ان الله عزوجل لايقبل الاالعمل الصالح ، ولايقبل الله الا الوفاء بالشروط والعهود، فمن وفى لله عزوجل بشرطه واستكمل (٣) ماوصف من

(١) اصول الكافي ٢/١٨٠، ح١ .
(٢) التيه بفتح التاء وبكسرها: الضلال «منه»
(٣) في المصدر: واستعمل .

عهده ، نال ماعنده ، واستكمل وعده ، ان الله تبارك وتعالى أخبر العباد بطرق الهدى، وشرع لهم فيها المنار ، وأخبرهم كيف يسلكون ، فقال عزوجل « واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى »[١] وقال تعالى « انما يتقبل الله من المتقين»[٢] فمن اتقى الله فيما أمره لقي الله مؤمناً بماجاء به محمد ﷺ هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا وأشركوا من حيث لايعلمون .

انه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى ، ومن أخذ في غيرها سلك سبيل الردى ، وصل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله ، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الامر لم يطع الله ولا رسوله ، وهو الاقرار بمانزل من عند الله ،خذوا زينتكم عندكل مسجد ، والتمسوا البيوت الذي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، فانه أخبركم أنهم رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكرالله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه الابصار .

ان الله قد استخلص الرسل لامره ، ثم استخلصهم مصدقين بذلك في نذره، فقال«ان من امة الا خلا فيها نذير»[٣] تاه من جهل ، واهتدى من أبصر وعقل، ان الله عزوجل يقول «فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور»[٤] وكيف يهتدي من لم يبصر ؟ وكيف يبصر من لم يتدبر ؟ اتبعوا رسول الله ﷺ وأهل بيته ، وأقروا بمانزل من عند الله واتبعوا آثارالهدى ، فانهم علامات الامانة والتقى .

---

(١) سورة طه : ٨٥ .

(٢) سورة المائدة : ٣١ .

(٣) سورة الفاطر : ٦٦ .

(٤) سورة الانبياء : ٤٦ .

واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى بن مريم ، وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن اقتصوا الطريق بالتماس المنار والتمسوا من وراء الحجب بالآثار تستكملوا أمر دينكم ، وتؤمنوا بالله ربكم(١).

بيان :

قوله « أبواباً أربعة » اما منصوب بفعل مقدر، من أعني وكانت ونحوذلك ، أو في حكم البيان لقوله « صالحين » الى آخره . والمراد من الابواب الاربعة حينئذ : المعرفة ، والتصديق ، والتسليم ، والصلاح. وقد تقدمت في قوله «انكم لا تكونون صالحين» الى آخره .

والمراد من الاول في قوله «لا يصلح أولها» الاول في الذكر وهو الصلاح. واما أن يكون مفعولا لتسلموا ، والمراد من الابواب الاربعة ما اشتمل عليه قوله تعالى في الاية المذكورة من قوله تعالى « واني لغفار » الاية أي : التوبة ، والايمان ، والعمل الصالح ، والهداية ، ولايصلح الثلاثة الا بالرابعة .

أو مادلت عليه الفقرات فيمابعد ، من طاعة الله، وطاعة رسوله، وطاعة أولياءه والاقرار بمانزل من عند الله . والمراد بالثلاثة التي ضل أصحابها : اما الخلفاء الثلاثة ، أو ماعدا الرابعة من الاربعة ، وهي الولاية .

قوله «وهو الاقرار» لعل الضمير راجع الى الطاعة ، وتذكير الضمير من جهة المعنى . ويحتمل أن يكون راجعاً الى العهد والشرط في قوله « فمن وفى لله بشرطه » الى آخره .

قوله «قد استخلص الرسل» أي : جعلهم خالصين لامره .

وقوله «ثم استخلصهم» الضمير: اما راجع الى الرسل، أي : جعلهم هداة

---

(١) اصول الكافي ١/ ١٨١ - ١٨٣ .

مبشرين ومنذرين . واما راجع الى ولاة الامر .

وقوله « ان الله قد استخلص لامره » لعله للدلالة على أن المراد من الرجال في الاية ليس الانبياء ولا البيوت بيوتهم .

قوله « اقتصوا الطريق بالتماس المنار » قال في القاموس قص اثـره قصا وقصصا تتبعه والخبر أعلمه[١]. أي : اهتدوا الطريق والسبيل بالفحص عن المنار والمنار موضع النور، أو النار ، أو العلم، أو مايهتدى به في الطريق .

في القاموس : المنار موضع النوركالنار، ثم قال: والمنار العلم ومايوضع بين الشيئين من الحدود ومحجة الطريق[٢].

وروى فيه في باب أن الائمة عليهم السلام ولاة أمر الله وخزنة علمه، باسناده الصحيح عن علي بن جعفر، عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، قال: ان الله عزوجل خلقنا فأحسن خلقنا ، وصورنا فأحسن صورنا ، وجعلنا خزانه في سمائه وأرضه ، ولنا نطقت الشجرة وبعبادتنا عبد الله تعالى ، ولولانا ما عبد الله[٣].

بيان :

قوله «بعبادتنا» أي : بعبادتنا لله عبد الله تعالى ، حيث أن عبادتهم حق العبادة أو أن عبادة الناس مأخوذة من عبادتهم ، أو المراد بالعبادة الطاعة ، وهو بعيد.

وروى فيه في باب أن الائمة خلفاء الله في أرضه، عن أبي بصير، قال قال أبو عبدالله عليه السلام : الاوصياء هم أبواب الله عزوجل التي يؤتى منها، ولولاهم ماعرف

(١) القاموس المحيط ٢/ ٣١٣ .

(٢) القاموس المحيط ٢/ ١٤٩ .

(٣) اصول الكافي ١/ ١٩٣ ، ح٦ .

الله تعالى وبهم احتج الله تعالى على خلقه[١].

الى غير ذلك من الاخبار ، ويمكن الاستدلال لذلك بجملة من الايات القرآنية .

منها : قوله تعالى في سورة الرعد «ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد»[٢].

روى في الكافي في باب أن الائمة هم الهداة ، عن الفضيل قال : سألت أبا عبدالله عن قول الله عزوجل « ولكل قوم هاد » قال : كل امام هاد للقرن الذي هو فيهم[٣] .

وروى فيه باسناده الصحيح ، عن بريد العجلي ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل «انما أنت منذر ولكل قوم هاد» فقال : رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر، ولكل زمان منا هاد يهديهم الى ماجاء به نبي الله ، ثم الهداة من بعده علي ثم الاوصياء واحد بعد واحد[٤].

الى غير ذلك من الروايات في تفسير هذه الاية .

ومنها : قوله تعالى في سورة بني اسرائيل يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولايظلمون فتيلا »[٥].

روى في الكافي في باب فرض طاعة الائمة عليهم السلام، عن عبدالاعلى قال: سمعت أبي عبدالله عليه السلام يقول : السمع والطاعة أبواب الخير، السامع المطيع لا حجة

---

(١) اصول الكافى ١/١٩٣ ، ح٢ .

(٢) سورة الرعد : ٧ .

(٣) اصول الكافى ١/١٩١ ، ح١ .

(٤) اصول الكافى ١/١٩١ ــ ١٩٢ .

(٥) سورة الاسراء : ٧١ .

عليه ، والسامع العاصي لاحجة له ، وامام المسلمين تمت حجته واحتجاجه يوم يلقى الله عزوجل، ثم قال: يقول الله عزوجل «يوم ندعو كل اناس بامامهم »[١].

وروى علي بن ابراهيم في تفسيره باسناده الصحيح عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم قال يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قومه ، وعلي عليه السلام في قومه، والحسن عليه السلام في قومه ، وكل من مات في ظهراني قوم جاء وأصحابه[٢].

وروى البرقي في محاسنه باسناده الصحيح ، عن يعقوب بن شعيب ، قال قلت لابي عبدالله عليه السلام « يوم ندعو كل اناس بامامهم » فقال: ندعو كل قرن من هذه الامة بامامهم ، قلت : فيجيء رسول الله صلى الله عليه وآله في قرنه ، وعلي عليه السلام في قرنه والحسن عليه السلام في قرنه ، والحسين عليه السلام في قرنه ، وكل امام في قرنه الذي هلك بين أظهرهم ؟ قال : نعم [٣].

وروى العياشي في تفسيره باسناده عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام انه اذا كان يوم القيامة يدعى كل بامامه الذي مات في عصره ، فان أثبته أعطي كتابه بيمينه ، لقوله تعالى «يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم» واليمين اثبات الامام ، لانه كتاب يقرأه ، لان الله يقول: «فمن اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه» الاية ، والكتاب الامام فمن نبذه وراء ظهره كان كما قال «فنبذوه وراء ظهورهم» ومن أنكره كان من أصحاب الشمال الذين قال الله عزوجل «ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم »[٤] الاية .

(١) اصول الكافي ١/١٨٩ - ١٩٠ .
(٢) تفسير القمي ٢/٢٣ .
(٣) المحاسن للبرقي ص١٤٤ ، ح٤٤ .
(٤) تفسير العياشي ٢/٣٠٢ ، ح١١٥ .

وقد روى أيضاً باسناده عن عمار الساباطي ، قال : لاتترك الارض بغير امام يحل حلال الله ويحرم حرام الله ، وهو قول الله عزوجل « يوم ندعو كل اناس بامامهم » ثم قال قال رسول الله ﷺ : من مات بغير امام مات ميتة جاهلية ، فمدوا أعناقهم وفتحوا أعينهم ، فقال أبوعبدالله عليه السلام : ليست الجاهلية الجهلاء ، فلما خرجنا من عنده ، فقال لنا سليمان : هو والله الجاهلية الجهلاء ، ولكن لما رآكم مددتم أعناقكم وفتحتم أعينكم قال لكم كذلك[1].

الى غير ذلك من الاخبار .

ومنها : قوله تعالى في سورة ابراهيم «ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها فبئس القرار»[2].

روى في الكافي في باب أن النعمة التي ذكرها الله في كتابه الائمة عليهم السلام ، باسناده عن الاصبغ ، قال قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما بال أقوام غيروا سنة رسول الله ﷺ ، وعدلوا عن وصيه ، لايتخوفون أن ينزل بهم العذاب ، ثم تلا هذه الاية « ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار» ثم قال : نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده وبنا يفوز من فاز يوم القيامة[3] ونحو ذلك من الاخبار .

ومنها : قوله تعالى في أواخر سورة هود « ولا يزالون مختلفين * الا من رحم ربك ولذلك خلقهم »[4].

وقوله تعالى في سورة الاعراف «واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة

---

(١) تفسير العياشي ٢/٣٠٣ ، ح١١٩ .

(٢) سورة ابراهيم : ٢٨ - ٢٩ .

(٣) اصول الكافي ١/٢١٧ ، ح١ .

(٤) سورة هود : ١١٨ - ١١٩ .

انا هدانا اليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم باياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التورية والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه اولئك هم المفلحون»(١).

روى في الكافي في باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ، باسناده الصحيح عن أبي عبيدة الحذاء ، قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس ، فقال وتلا هذه الاية « ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » يا أباعبيدة الناس مختلفون في اصابة القول وكلهم هالك ، قال قلت : قوله « الا من رحم ربك » قال : هم شيعتنا ورحمته خلقهم ، وهو قوله تعالى «ولذلك خلقهم » يقول : لطاعة الامام(٢) الرحمة التي يقول «ورحمتي وسعت كل شيء» يقول : علم الامام ووسع علمه الذي هو من علمه كل شيء هو شيعتنا .

ثم قال «فسأكتبها للذين يتقون» يعني ولاية أمير المؤمنين عليه السلام غير الامام وطاعته ، ثم قال «يجدونه مكتوباً عندهم في التورية والانجيل» يعني النبي صلى الله عليه وآله والوصي والقائم «يأمرهم بالمعروف» اذا قام «وينهاهم عن المنكر» والمنكر من أنكر فضل الامام وجحده «ويحل لهم الطيبات» أخذ العلم من أهله «ويحرم عليهم الخبائث» والخبائث قول من خالف «ويضع عنهم اصرهم» وهي الذنوب التي كانوا فيها قبل معرفتهم فضل الامام «والاغلال التي كانت عليهم» والاغلال ما كانوا يقولون مما لم يكونوا أمروا به من ترك فضل الامام، فلما عرفوا فضل الامام وضع

(١) سورة الاعراف : ١٥٦ – ١٥٧ .

(٢) قوله «لطاعة الامام» مبتدء خبره الرحمة التي يقول الخ «منه» .

عنهم اصرهم ، والاصر الذنب وهي الاصار .

ثم نسبهم ، فقال « الذين آمنوا » يعني بالامام « وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه اولئك هم المفلحون » يعني الذين اجتنبوا الجبت والطاغوت أن يعبدوها ، والجبت والطاغوت فلان وفلان وفلان ، والعبادة طاعة الناس لهم الخبر(١).

بيان :

قوله « يقول لطاعة الامام الرحمة التي يقول ورحمتي » الى آخره الظاهر أن الضمير في يقول الاول راجع الى الله تعالى ، فيكون اللام في قوله «لطاعة الامام» للتأكيد ويكون لطاعة مبتداء خبره الرحمة ، أي : يريد الله تعالى من قوله « رحمتي وسعت كل شيء » طاعة الامام .

ويحتمل أن يكون يقول الاول تفسير لقوله تعالى ولذلك خلقهم المفسر أولا بقوله « ولرحمته خلقهم » أي: لطاعة الامام خلقهم، والرحمة التي يقول خبر مبتدأ محذوف ، أي : هذه الرحمة تلك الرحمة .

ويحتمل أن يكون الرحمة مفعول ، أي : يقول لطاعة الامام الرحمة التي يقول .

وقوله «يقول علم الامام » يحتمل أن يكون المعنى يقول لعلم الامام ووسع علمه الذى هو علمه «وكل شيء » مفعول لوسع .

وقوله « هو شيعتنا » الضمير راجع الى الشيء في قوله تعالى « ورحمتي وسعت كل شيء » فان رحمة الله وسعهم دون غيرهم، بل وفي قوله أيضاً ووسع علمه كل شيء .

(١) اصول الكافي ٤٢٩/١ ، ح٨٣ .

قوله « وهي الاصار » الضمير: اماراجع الى الاية ، أي الاية في مصحفهم عليهم السلام الاصار كذا قيل ، أوالى كلمة الاصر، أي الاصر مأخوذ من الاصار بكسر الهمزة .

قال في الصحاح: الاصر الذنب والثقل ، والاصار والايصر حبل قصير يشد به في أسفل الخباء الى وتد ، وجمع الاصار اصر وجمع الايصر أياصر يقال : هو جاري مؤاصري أي اصار بيته الى جنب اصار بيتي، ثم قال: والاصار والايصر أيضاً الحشيش يقال لفلان محش لايجز أيصره ، أي لايقطع، وحي متآصرون ، أي متجاورون انتهى [(١)] .

والمراد ان أصل الاصر الاصار ، فانه كالقيد للشخص في الرجل في مقابل الغل في العنق في قوله تعالى «ويضع عنهم اصرهم والاغلال» ويحتمل أن يكون المراد أنه الاصر بضمتين جمع الاصار كمايدل عليه قوله « وهي الذنوب » الى آخره بصيغة التأنيث والجمع في الالفاظ ويحتمل أن يكون الاصار في قوله «وهي الاصار» جمع الاصر على وزن الافعال .

قال في القاموس: في جمع الاصر آصار وآصرات [(٢)] .

ومنها: قوله تعالى في سورة زمر « ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين »[(٣)].

روى في الكافي في الباب المذكور ، عن الحكم بن بهلول عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى « ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن

(١) صحاح اللغة ٢/٥٧٩–٥٨٠ .

(٢) القاموس المحيط ١/٣٦٤ .

(٣) سورة الزمر: ٦٥ .

أشركت ليحبطن عملك» يعني: ان أشركت في الولاية غيره «بل الله فاعبد وكن من الشاكرين» يعني بل الله فاعبد بالطاعة وكن من الشاكرين أن عضدتك بأخيك وابن عمك [١] .

ومنها: قوله تعالى في أوائل سورة آل عمران «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيـات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكروا الا اولوا الالباب» [٢] .

روى فيه فيه باسناده عن عبدالرحمن بـن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب » قال: أمير المؤمنين عليه السلام والائمة « واخر متشابهـات » قال: فلان[٣] وفلان وفلان « وأما الذين في قلوبهم زيغ» أصحابهم وأهل ولايتهم « فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم» أمير المؤمنين عليه السلام والائمة عليهم السلام [٤] .

ومنها: قوله تعالى في سورة البقرة « قولوا آمنا بالله وماانزل الينا وماانزل الى ابراهيم» الاية« فان آمنوا بمثل ماآمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم» [٥] .

باسناده عن سلام، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى«آمنا بالله وماانزل الينا »

---

(١) اصول الكافی ١/٤٢٧، ح٧٦ .

(٢) سورة آل عمران: ٧ .

(٣) فهم آيات العذاب الملتبسات بالحق ـ أسد .

(٤) اصول الكافی ١/٤١٤-٤١٥، ح١٤ .

(٥) سورة البقرة: ١٣٦-١٣٧ .

قال: انما عنى بذلك علياً عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين وجرت بعدهم في الائمة ثم يرجع القول من الله في الناس، فقال « فان آمنوا» يعني الناس «بمثل ما آمنتم بـه » يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين والائمة عليهم السلام « فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق »(١) .

ومنها : قولـه تعالى في سورة الشورى « كبر على المشركيـن ماتدعوهم اليه » (٢) .

روى فيه فيه عن محمد بن سنان ، عن الرضا عليه السلام في قول الله عزوجل« كبر على المشركين» بولاية علي «ماتدعوهم اليه » يامحمد من ولاية علي، هكذا في الكتاب محفوظة (٣) .

ومنها: قوله تعالى في سورة الاعراف « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونـودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون» (٤) .

روى فيه فيه عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل «الحمدلله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانـا الله » فقال : اذا كان يوم القيامة دعي بالنبي صلى الله عليه وآله وبأمير المؤمنين عليه السلام وبالائمة من ولده، فينصبون للناس ، فاذا رأتهم شيعتهم قالوا «الحمدلله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» يعني هدانا الله في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والائمة من ولده عليهم السلام (٥) .

---

(١) اصول الكافي ١/ ٤١٥–٤١٦، ح١٩ .

(٢) سورة الشورى : ١٣ .

(٣) اصول الكافي ١/ ٤١٨، ح٣٢، وفي آخر: مخطوطة .

(٤) سورة الاعراف: ٤٣ .

(٥) اصول الكافي ١/ ٤١٨، ح٣٣ .

ومنها: قوله تعالى «عم يتساءلون * عن النبأ العظيم * الذي هم فيه مختلفون»[١].

روى فيه فيه باسناده، عن عبدالله بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى «عم يتساءلون * عن النبأ العظيم» قال النبأ العظيم الولاية وسألته عن قوله «هنالك الولاية لله الحق»[٢] قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[٣].

ومنها: قوله تعالى في سورة المدثر «الا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ماسلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين»[٤].

روى فيه فيه، عن ادريس بن عبدالله، قال: سألته عن تفسير هذه الاية «ماسلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين» قال: عني بهذا لم نك من اتباع الائمة الذين قال الله تبارك وتعالى فيهم «والسابقون السابقون اولئك المقربون» أما ترى الناس يسمون الذي يلي السابق في الحلبة مصلي، فذلك الذي عنى حيث قال «لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين» من اتباع السابقين[٥].

بيان:

قال في القاموس: صلى[٦] صلاة لاتصلية دعا والفرس تلى السابق[٧].

---

(١) سورة النبأ: ١-٣.

(٢) سورة الكهف: ٤٤.

(٣) اصول الكافى ١/٤١٨، ح ٣٤.

(٤) سورة المدثر: ٣٩-٤٧.

(٥) اصول الكافى ١/٤١٩، ح ٣٨.

(٦) فى القاموس الصلا وسط الظهر منا ومن كل ذى أربع أوماانحدر من الوركين أوالفرجة بين الجاعرة والذنب أوما عن يمين الذنب وشماله «منه».

(٧) القاموس: ٤/٣٥٣.

وفي المصباح المنير: والصلا وزان العصا مغرز الذنب من الفرس والتثنية صلوان ، ومنه قيل للفرس الذي بعد السابق في الحلبة المصلى لان رأسه عند صلا السابق [١] .

الحلبة في المصباح المنير : وزان سجدة خيل يجمع للسباق من كل أوب [٢].

وفي القاموس : الحلبة الدفعة من الخيل في الرهان وخيل تجتمع للسباق من كل أوب للنصرة [٣] .

ومنها : قوله تعالى في سورة حم السجدة « فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوء الذي كانوا يعملون» [٤] وقوله في سورة تبارك «فستعلمون من هو في ضلال مبين»[٥] .

روى فيه فيه عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله « فستعلمون من هو في ضلال مبين » يامعشر المكذبين حيث أنبأتكم رسالة ربي في ولاية علي عليه السلام والائمة من بعده «من هو في ضلال مبين» كذا أنزلت، وفي قوله: « ان تلووا أو تعرضوا»[٦] فقال: ان تلووا أوتعرضوا عماأمرتم به، فان الله كان بماتعملون خبيراً وفي قوله « فلنذيقن الذين كفروا » بتركهم ولاية أمير المؤمنين « عذاباً شديداً

(١) المصباح المنير ص٣٤٦ .

(٢) المصباح المنير ص١٤٦ .

(٣) القاموس ١/٥٨ .

(٤) سورة فصلت: ٢٧ .

(٥) سورة الملك: ٢٩ .

(٦) سورة النساء : ١٣٥ .

في الدنيا ولنجزينهم أسوء الذي كانوا يعملون» (١) .

ومنها : قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع. روى فيه فيه عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى «سأل سائل بعذاب واقع للكافرين » بولاية علي عليه السلام «ليس له دافع » ثم قال : هكذا والله نزل بها جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله (٢) .

الى غير ذلك من الايات والاخبار الفائقة حد الاحصاء ، وسيأتي منها ان شاء الله تعالى جملة وافية اذا اطلعت على هذه الاخبار والايات المفسرة ، علمت أن الامامة من أصول الدين بل من معظمها .

الفصل الثانی

(فی مرتبة الامامة)

اعلم أنه ربما وقع الاختلاف في أن الامامة والمعرفة بها من أصول الدين ، أومن أصول المذهب، أومن فروع الدين، أوخارجة عن الجميع؟ وبهذا العنوان قل من تعرض لهذه المسألة، ويترتب على هذا الخلاف اسلام المنكر لها وكفره وضلالته وعدمها، وغيرذلك من ثمرات هذا المقام وهي عظيمة ، وأذكر في هذا المقام قدر مااقتضاه المجال .

فأقول هاهنا أقوال :

أولها أنها من أصول الدين، والذي يظهر أن هذا القول هو أصل القول في الامامة .

(١) اصول الكافی ١/ ٤٢١، ح٤٥ .

(٢) اصول الكافی ١/ ٤٢٢، ح٤٧ .

قال البيضاوي في المنهاج وبعض شراحه في الخبر المتواتر: ان الخبر الذي علم كذبه قسمان :

الاول : خبر علم خلافه عقلا ، اما ضرورة كقولنا النار بـاردة ، أو استدلالا كقولهم العالم قديم ومن هذا الباب قول القائل الذي لم يكذب قط : أنا كاذب فانه معلوم الكذب قطعاً، لانه انصرف الى الاخبار السابقة فظاهر، وان انصرف الى نفسه فكذلك لاستحالته، ضرورة لزوم تأخر الخبر عن المخبر عنه بالرتبة، وامتناع تأخر الشيء عن نفسه .

الثاني : خبر لم يتواتر ومن شأنه أنه لو صح لتواتر ، لتوفر الدواعي على نقله ، اما لتعلقه بأصول الدين كالامامة ، أو لغرابته كسقوط المؤذن عن المنارة ، أو لهما جميعا كالمعجزات ، أو عدم تواتره دليل عدمه ، كما يعلم أن لا بلدة بين مكة والمدينة أكبر منهما ، ولا سبب لذلك الا عدم النقل المتواتر.

فان قلت: هذا اثبات للقاعدة الكلية بمثال جزئي .

قلت : القاعدة ضرورية وايراد المثال للتنبيه عليها فانه كثيراً مـا ينبه على البديهيات بالامثلة ، وادعت الشيعة أن النص الجلي دل على امامة علي رضى الله عنه ، ولم يتواتر، قالوا : كما لم يتواتر الاقامة أنها مثنى أو فرادى، وكالتسمية فلانه لم يتواتر الجهر بها ولا اسرارها، أو كمعجزات الرسول ﷺ مثل انشقاق القمر وتسبيح الحصاة وحنين الجذع الى غير ذلك، فانها امور توفرت الدواعي على نقلها ولم يتواتر .

فان كان عدم التواتر فيما توفر الدواعي على نقله يستلزم الكذب في هذه الامور قلنا في الجواب عنه : انا ندعي ان عدم التواتر فيما توفر الدواعي على نقله بـلا مانع يستلزم الكذب ، وحينئذ لا يرد النقوض .

اما الاولان أعني : الاقامة والتسمية ، فلكونهما من فروع الدين، ولا كفر ولا

بدعة في تخالفهما ، فلم يتوفر الدواعي على نقله ، بخلاف الامامة فانها لماكانت من أصول الدين ومخالفتها يقتضي الكفر والبدعة ، فلابد وأن يتوفر الدواعي على نقلها ، فلما لم يتواتر علم كذبه . وأما تلك المعجزات ، فلان المانع من النقل موجود فيها وهو قلة المشاهدين .

ثم قال : وفيه نظر، لجواز قلة سامعي ذلك النص ، مع أنهم رووا مثله في طرف أبي بكر ولم يجزموا بكذبه .

فان قلت : السامعون للنص ان كانوا قليلين ، صارت الرواية من باب الاحاد، فلايكون حجة قطعية . وان كانوا بالغين حد التواتر ، وجب ظهور النقل .

قلت : جاز بلوغ السامعين حد التواتر، لكن لمخالفته الاعتقاد لم يفد العلم لغير الشيعة ، وجاز أيضاً كثرتهم ، لكنهم لما كانوا مشتغلين بالجهاد نسوا ما سمعوه أو قتلوا ، فصارت من باب الاحاد .

قوله «فلايكون قطعية» قلنا : سلمنا أنه لايكون قطعية، ولكن لماذا يلزم كذبه والكلام فيه ، على أن العمل بالاحاد واجب عندكم كما يجيء، فيكون حجة قطعية انتهى ونقلناه بطوله لما فيه من الفائدة .

وقال السيد المرتضى(ره) في الشافي في أوائله حيث رد على صاحب المغني في أنه لو كان النص لما خفي على المهاجر والانصار، قال : وكيف ينسى خصومنا في هذا الموضع مالايزالون يقولونه لنا ، ويعتمدونه في تقبيح قولنا، والتشنيع على مذهبنا من تعظيمهم لامر الامامة ، وتفخيمهم لشأن النص عليها، وان النصوص فيها تجب أن تكون أظهر وأشهر من النصوص على سائر الفرائض والعبادات ، لانها أصل الدين وقطبه ، والمنزلة الثالثة للنبوة ، ولان العبادة بمعرفتها عامة ، وبكثير من العبادات خاصة الى غير ماذكرناه[1].

---

(١) الشافي ١٣٢/١ .

وقال أيضاً بفاصلة كراس تقريباً، قال صاحب الكتاب: ثم يقال لهم: من جملة الشريعة الايمان بالامام والمعرفة بأحواله، فلابد من أن يعلم، لانه من أعظم أمر الدين عندهم، فيقال لهم: أيعلم ذلك بالتواتر أو من جهة الامام الى آخر كلام صاحب الكتاب(١).

وقال أيضاً بفاصلة كراسين مثلا نقلا عن صاحب الكتاب: ومن يسلك هذه الطريقة يجعل الامام حجة في الزمان كالرسول، ويقول: من لم يعرف امام زمانه فهو كافر ويروى: ان من مات وهو لايعرف امامه مات ميتة جاهلية، فلابد من أن يحصل الضرورة للكل، أو ان يقال: من لم يحصل عارفاً بذلك فليس بمكلف أصلا أو ليس بمكلف للامامة ومعذور فيها، كما يقوله أهل المعارف في سائر الديانات الى آخره وارتضاه السيد المرتضى(٢).

وقال في اعتقاداته في باب الاعتقاد في الظالمين: اعتقادنا فيمن جحد امامة علي بن أبي طالب والائمة عليهم السلام أنه بمنزلة من جحده نبوة جميع الانبياء وأنكر نبوة محمد، واعتقادنا فيمن أقر بامامة أميرالمؤمنين عليه السلام وجحده وأنكر واحداً من بعده من الائمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الانبياء وأنكر نبوة محمد صلى الله عليه وآله الى آخر كلامه.

وقال الشيخ المفيد في أول كتاب المقنعة: وأنا أفتتحه أي: كتابه المقنعة بمايجب على كافة المكلفين من الاعتقاد الذي لايسع اهماله البالغين، اذهو أصل الايمان والاس الذي عليه بناء جميع أهل الاديان، وبه يكون قبول الاعمال ويتميز الهدى من الضلال وبالله استعين.

الى أن قال: باب مايجب في اعتقاد الامامة ومعرفة ائمة العباد، ويجب على

---

(١) الشافى ١/١٨٣.

(٢) الشافى ١/٢٨٣.

كل مكلف أن يعرف امام زمانه ، ويعتقد امامته وفرض طاعته ، وانه أفضل أهـل عصره وسيد قومه ، فانهم في العصمة والكمال كالانبياء عليهم السلام ، ويعتقد أن كـل رسول الله تعالى فهو نبي امـام ، وليس كل امام نبياً ولا رسولا ، وان الائمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حجج الله وأوليائه وأصفيائه وخاصته .

أولهم وسيدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف عليه أفضل السلام ، ثم الحسن بن علي بن أبي طالب ، ثم الحسين ، وبعد الحسين علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي بن الحسين ، ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي بن موسى ، ثم علي بن محمد بن علي ، ثم الحسن بن علي بن محمد ، ثم الحجة القائم بالحق ابن الحسن ابن علي بن محمد بن علي بن موسى عليهم السلام ، لا امامة لاحد بعد النبي صلى الله عليه وآله ، ولا يستحقها سواهم ، وانهم في الحجة على كافة الانام كالانبياء ، وانهم أفضل خلق الله بعد نبيه عليه وآله السلام ، والشهداء على رعاياه يوم القيامة ، كما أن الانبياء شهداء الله على اممهم ، وأن بمعرفتهم وولايتهم تقبل الاعمال ، وبعداوتهم والجهل بهم يستحق النار .

الى أن قال في آخـر باب مايجب من اعتقاد المعاد : ومـن شك في شيء مماسميناه ، أو أنكره ، خرج عن ملة الاسلام ، ولم يقبل منه شيء مـن الاعمال انتهى[١] .

وقال العلامة في كتاب الزكاة من المنتهى في أوصاف مستحقها : انه يشترط فيه الايمان لان الامامة من أركان الدين واصوله[٢] . الى آخر كلامه الاتي انشاء الله تعالى .

---

(١) المقنعة للشيخ المفيد ص٢٧ ـ ٣٤ .

(٢) منتهى المطلب ١ / ٥٢٢ .

وقال في صدر كتاب الالفين : الامام لطف عام والنبوة لطف خاص، لامكان خلو الزمان عن نبي حي بخلاف الامام لماسيأتي ، وانكار اللطف العام شر من انكار اللطف الخاص ، والى هذا أشار الصادق عليه السلام[١].

وقال أيضاً في الدليل الثالث والخمسين من أدلة وجوب عصمة الامام : انه يجب على مجموع الامة بعد عصر النبي صلى الله عليه وآله اتباع الامام ، لان قوله مساو لقول النبي صلى الله عليه وآله وفعله كفعله ، لقوله تعالى « ولوردوه الى الله والى الرسول والى اولي الامرمنهم » الاية اما ان يكون على سبيل الجمع أولا ، والاول محال ، لان مع حصول النبي لاحاجة الى الامام . والثاني اما أن يكون قول واحدحجة من غير اشتراط قول آخر وقول واحد، بشرط قول الاخر دون العكس، والثاني محال لان المشروط اماقول النبي صلى الله عليه وآله وهومحال بالضرورة ، أو قول الامام فمع نص النبي صلى الله عليه وآله لا اعتبار بقول الامام ولاحاجة اليه ، فتعين الاول فساوى النبي صلى الله عليه وآله في وجوب الاتباع

وقال أيضاً : ان الايات الدالة على وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وآله ومساواته اياه عامة لكل الامة ، وهو اجماع بين المسلمين[٢].

وقال أيضاً في الدليل الثامن والسبعين : الامام ركن من أركان الشرع، لان قوله مبدء من المبادى الى آخر كلامه .

وقال أيضاً في الدليل التاسع والسبعين:ان النبي صلى الله عليه وآله لم يخرج من الدنيا حتى صارت أمر الدين كاملا ، كما قال الله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم » والامام أعظم أركان الدين ، وهذا يقتضي أن أمر الامام قد تم قبل وفاته والاحكام التي قد ثبتت في زمانه قد نص عليها قطعاً ، خصوصاً فيما هو

(١) الالفين ص١٣ .

(٢) الالفين ص٣٤٠ .

أعظم أركان الدين[١] انتهى الى غير ذلك من كلماته فيه .

وقال في الباب الحادي عشر، فيما يجب على عامة المكلفين من معرفة أصول الدين : أجمع العلماء كافة على وجوب معرفة الله وصفاته الثبوتية والسلبية والنبوة والامامة والمعاد بالدليل لا بالتقليد ، فلابد من ذكر ما لا يمكن جهله على أحد من المسلمين ، ومن جهل شيئاً منه خرج عن ربقة المؤمنين واستحقوا العقاب الدائم.

وقال القاضي نور الله في احقاق الحق ، حيث رد الفضل بن روزبهان في قوله « ان بحث الامامة ليست من اصول الديانات الى آخره » ان ما ذكره من أن مبحث الامامة عند الاشاعرة ليس من اصول الديانات ، بل من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين الى آخره ، دليل على عدم ديانتهم، أوعدم اطلاعهم على حقائق اصول الدين، فان انكارهم لاصالته مكابرة مردودة بما ذكره المصنف: من ان الائمة حفظة الشرع ، والقوامون به ، حالهم كحال النبي ﷺ الى آخر كلامه[٢].

وفيه أيضاً في رد الفضل أيضاً ، حيث رد على العلامة المستدل على وجوب ولاية علي عليه السلام بقوله تعالى «عم يتساءلون عن النبأ العظيم» : والرواية التي وردت فيها من طريق العامة أنه لو كانت من المسئولات في القبر ، لكان ينبغي أن يعلمنا رسول الله ﷺ ، وتواتر واشتهر ، كما اشتهر باقي الاركان ، قال : قد سبق دلالة الايات والاحاديث على ان امامة علي عليه السلام من أركان الدين ، وقد تواتر واشتهر في زمان النبي ﷺ وقبل استقرار شبهته الخلاف في قلوب الناس[٣] الى آخر كلامه الى غير ذلك من كلماته .

---

(١) الالفين ص٣٥٥ .

(٢) احقاق الحق ٢/٣٠٥ .

(٣) احقاق الحق ٣/٤٨٧ ـ ٤٨٨ .

وقال المولى عبدالرزاق اللاهيجي في كوهرمراد : جمهور[1]امامية امامت را از اصول دين دانند ، بنا براينكه بقاء دين وشريعت را موقوف دانند بوجود امام ، چنانكه ابتداء شريعت موقوف است بوجود نبي ، پس حاجت دين بامام بمنزلة دين است بنبي ، وبيانش درفصل أول ذكر كرده‌شد ، ونيزحديث‌مستفيض مقبول بين الجانبين كه قول بمضمون‌آن بحسب ظاهر اجماعى امت‌است، وهو قوله ﷺ « من مات ولم‌يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية » مؤيد ما است كما لا يخفى .

وقال في سرماية ايمانـه ، وهو كتاب له أيضاً مختصر من كوهر المراد، في الفصل السادس من فصول الباب الرابع في الامامة : فصل ششم در احوال ائمة جور ووجوب برائت ازايشان، چون معلوم‌شد اعيان أئمه كه منصوصند ازجانب خدا ورسول وواجب العصمة ومفترض الطاعه‌انـد ، پس هركه دفع ايشان از مراتب ومنازلى كـه خداى تعالى بجهت ايشان مقرر داشته نمايد وخود بجاى ايشان بحيله يابغلبه قراركيرد كافر باشد ، وهركـه اعانت اونيز كند كذلك كافر باشد باجماع اماميه ، وبنابر آنكه دفع امامت مثل دفـع نبوت باشد ، ودافع نبوت لامحاله كافراست، پس دافع امامت كافر باشد .

بيانش آنستكه: همچنانكـه شريعت محتاج است بنبي در حدوث وابتداء كذلك محتاج است بامـام درحفظ وبقاء ، وعقل فرق ميانـۀ اين دو صـورت نميكند ، ووجوب هردو بدلايل عقليه قطعيه ثابت شد ، ومؤيد اين‌است حديث «من مات ولم‌يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية» كـه مخالف ومؤالف متفقند درصحت اين وهم چنين حديث « حربك ياعلي حربـي وسلمك سلمي » وشك

(١) فى القاموس والصحاح : الجمهور من الناس جلهم ومعظم كل شيء والجل المعظم «منه» .

نیست که میتهٔ جاهلیه میته کفراست، وکذلك حرب نبي کفراست ، پس هرگاه جاهل بامام کافر باشد بمقتضای حدیث اول جاحد ومحارب امام ودافـع اواز منزلت امام بطریق اولی کافر باشد .

وازانچه گفتیم ثابت شد که امامت اصلی است از اصول دین مثل نبوت ، پس خلفای ثلاثه متقدمه بر امیرالمؤمنین عليه السلام وخامس منازع وسائر منازعين ، وهم چنین جمیع خلفای بنی امیه وبنیالعباس وجماعتی که انصار واعوانایشان بودهاند در امر خلافت همه مقطوع الکفرند بلاشبهه .

الى أن قال: وامامخالفین که معتقدند امامت ائمه ضلال، اگر ازاهلجحود باشند شك نیست در کفر ایشان الى آخر کلامـه (١) المؤدى الى كفـر جميع المخالفيـن وعلى كل حال جعل الامامة من اصول الديـن على وجه التسليم والمفروغية عنه .

وقال ولده في شمع اليقين : وچون بمن الله تعالى وحمده وتوفيقه ثابت شد که امامت نظیر نبوتاست، واحتیاج بهردو یکیاست، وایمان واسلام بیآن تمام نیست، وکسي که بیمعرفت امام بمیردکافراست ، چنانکه از ادله مذکوره بغایت ظاهراست ، پس ثابت شد بفضل الله تعالى کـه مسئلهٔ امامـت از مسائل اعتقادیه یقینیه واز جمله اصول دین وارکان ایمان است، نه از مسائل ظنیه فروع چنانکه اعتقاد سنیاناست .

واز جمله غرائب افعال ایشان اینکـه وجود اعتراف باتحاد احتیاج بنبي وامام وخروج جاهل بامام ازاسلام، نبوترا ازاصول دین میدانند، وامامت را داخل فروع میگردانند الى آخر کلامه الى غيرذلك من كلماتهم .

ويظهر منهم أن كون الامامـة من أصول الدين أمر مسلم بين علمائنا كافـة

(١) سرمایه ایمان ص١٥٤–١٥٥ .

رضوان الله عليهم أجمعين، ولا خلاف بينهم في ذلك، وان الخلاف بينهم وبين أهل السنة والجماعة، حيث يعدون هذه المسألة من فروع الدين كما ستعرف، بل في كثير من الكلمات مايظهر منه الاتفاق منهم على ذلك .

قال الخفري في شرح الباب الحادي عشر في عبارته السابقة ، بعد أن قيد العلماء في قوله « أجمع العلماء » بالمتصفين باليقين من الطائفة المحقين، وانما خصصنا العلماء بعلماء الطائفة المحقة [١] ، أعني : الامامية الاثنى عشرية ، لان الاشاعرة لايقولون بامتناع شيء عليه تعالى ، حتى أنهم جوزوا عليه تعالى أن يدخل جميع الانبياء والمقربين في النار ، وتخصيص نعيم الجنان بالكفار وينسبون اليه جميع الافعال الواقعة ، حسنة كانت أوقبيحة ، ويعتبرون التقليد ، ولايجعلون الامامة من أصول الدين ، والكلام في الاصول وتفسير الاجماع هنا باتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد ﷺ صحيح، ان قصد بأهل الحل والعقد المجتهدون من علماء أهل البيت خاصة، وأما ان حمل على مايعم العامة أيضاً كما فعل جمع غير صحيح لماذكرناه .

الى غير ذلك من كلماتهم في حديقة الشيعة والصريحة في كون الامامة من أصول الدين وانه أمر مسلم بين الشيعة ، بحيث لم يشر أحد الى خلاف بينهم فيه بوجه ، وانما الخلاف منسوب الى العامة والاشاعرة منهم ، حيث جعلوا أمر الامامة من فروع الدين ، كما ستعرف انشاء الله تعالى .

الثاني: انها من فروع الدين، ويترتب عليه جواز الاجتهاد والعمل بالظن فيها للمجتهد من أخبار الاحاد والقياسات ونحوها ، وجواز التقليد لغيره ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، كما نسب اليهم جماعة، ومذهب الاشاعرة كما نسب اليهم جماعة .

---

(١) في «ش» : المحقين .

قال في شرح المقاصد : لانزاع في أن مباحث الامامة بعلم الفروع أليق ، لرجوعها الى أن القيام بالامامة ونصب الامام الموصوف بالصفات المخصوصة من فروض الكفايات، وهي أمور كلية يتعلق بها مصالح دينية أودنيوية ، لاينتظم الامر الا بحصولها، فيقصد الشارع تحصيلها في الجملة من غير أن يقصد حصولها من كل أحد، ولاخفاء في أن ذلك من الاحكام العملية دون الاعتقادية .

الى أن قال: ولكن لماشاعت بين الناس في باب الامامة اعتقادات فاسدة ، واختلافات بل اختلافات[1] باردة، سيما من فرض الروافض والخوارج، وقالت كل فئة الى تفصيلات يكاد يفضي الى رفض كثير من قواعد الاسلام ، وبعض عقائد المسلمين ، والقدح في الخلفاء الراشدين ، مع القطع بانه ليس للبحث عن أحوالهم واستحقاقهم وأفضليتهم كثير تعلق بأفعال المكلفين، ألحق المتكلمون هذا الباب بأبواب الكلام ، وربما أدرجوه في تعريفه ، حيث قالوا : هوالعلم الباحث عن أحوال الصانع والنبوة والامامة والمعاد ومايتصل بذلك على قانون الاسلام .

الى أن قال : نصب الامام بعد انقراض زمن النبوة واجب علينا سمعاً عند أهل السنة وعامة المعتزلة ، وعقلا عند الجاحظ والكعبي وأبي الحسين البصري الى آخر كلامه .

وقال في المواقف وشرحه: المرصد الرابع في الامامة ، ومباحثها ليست من أصول الديانات والعقائد، خلافاً للشيعة ، بل هي عندنا من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين، اذ نصب الامام عندنا واجب على الامة سمعاً، وانماذكرناه في علم الكلام تأسياً بمن قبلنا انتهى .

اعلم أنه قد وقع الاختلاف في أن نصب الامام واجب أولا ، ثم اختلف

---

(١) في «ش» : اختلاف .

الاولون بأنه هل واجب على الله تعالى ، أوعلى الناس، والاول مذهب الامامية والاسماعيليـة ، الاأن الامامية كماقال في المواقف أوجبـوه عليه لحفظ قوانين الشرع، والاسماعيلية أوجبوه ليكون معرفاً لله تعالى وصفاته .

أقول : ولعل مذهب الامامية وجوبـه للامرين ، والثاني مذهـب الاشاعرة والمعتزلة والزيديـة الاأن الاشاعرة وهم أهل السنة كماظهر ممامر قالوا : انـه واجب على الامة سمعاً لاعقلا، وقالت المعتزلة والزيدية : انه واجب عليهم عقلا وقال الجاحظ والكعبي وأبوالحسين من المعتزلـة ، كمافي شرح المواقـف : انه واجب عليهم عقلا وسمعاً وقالت الخوارج: انه لايجب نصب الامام أصلا، وبينهم قولان بالتفصيل عند الامن من الفتنة وعدمه .

فعن هشام الفوطي وأتباعه أنه يجب عند الامن من الفتنة، لاظهار شعارالشرع ولايجب عند ظهور الفتنة ، لانه يصير سبباً لزيادة الفتنة ، وذهب أبو بكر الاصم من المعتزلة الى عكسه، واستدل أهل السنة وهم الاشاعرة بوجهين :

أحدهما : وهو العمدة اجماع الصحابـة ، وبيانه كمافي المواقـف وشرح القوشجي باختلاف يسير بينهما ، أنـه تواتر اجماع المسلمين في الصدر الاول بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله على امتناع خلو الوقت عن خليفة وامام ، حتى قال أبو بكر في خطبته المشهورة حين وفاته عليه السلام : ألاأن محمداً قد مات، ولابد لهذا الدين ممن يقوم ، فبادر الكل الى قبوله، ولم يقل أحد لاحاجة الى ذلك، وتركوا أهم الاشياء وهو دفـن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولم يزل الناس على ذلك في كل عصر الى زماننا هذا من نصب امام متبع في كل عصر .

وثانيهما : مافيهما أيضاً من أن فـي نصب الامام استجلاب منافع كثيرة ، واستدفاع مضار كثيرة ، وكل ماهو كذلك فهو واجب أما الصغرى فظاهر. وأما الكبرى، فبالاجماع .

ويرد على الاول امور:

منها : أن الاجماع لايدل على نفي وجوبه العقلي ، نعم هو دليل على الخوارج المنكر لوجوب نصب الامام .

ومنها : أن اتفاقهم على امتناع خلو الوقت عن امام يدل على وجوبه العقلي، وكذا قول أبي بكر في خطبته أنه لابد لهذا الدين ممن يقوم به دليل على ذلك.

ومنها : أن الاجماع على كل عصر على نصب الامام غير موافق لمذهبهم مع أن القرشية معتبرة عندهم في الامام ، وهي غير حاصلة في مطلق الرئيس .

وعلى الثاني أيضاً امور:

منها : أنه أقرب الى الدليل العقلي،وأين الاجماع لمن لايطلع على المذاهب في الصدر الاول وهكذا .

ومنها : أنه لا دلالة فيه على نفي العقلية .

ومنها : أنه ان كان ملاحظة المصلحة والمفسدة بالنظر الى كل واحد أو بالنظر الى الكل ، فان كان الاول فغير مسلم وان كان الثاني فكذلك، لان التكليف مخصوص بمن عليه الضرر وله المصلحة ، سلمنا ذلك كله وأنه واجب سمعاً بهذين الدليلين ، فليس هذا مما يدل على فرعية المسألة ، اذ ليس كل ما دليله الاجماع من الفروع كالاجماع على حاجة الناس الى الرسول ، ونحو ذلك من المسائل.

الثالث : أن الامامة من اصول المذهب ، لا من اصول الدين ، وهو مذهب جماعة من الاواخر .

قال المحقق القمي في رسالته الفارسية : بدانكه اصول دين سه چيز است: توحيد ، ونبوت ومعاد . وأما عدل وامامت ، پس آنها از اصول مذهبند ، پس هر كه منكر يكى ازسه چيز اول بشودكافر ونجس است ، وذبيحه او حلال نيست وساير احكام كفر برا وجاريست ، اما اگر اقرار بآن سه تا داشته باشد ومنكر

عدل وامامت باشد کافر نیست ، لکن شیعه هم نیست ، وبـلا شك از اهل جهنم است ، واینها را از اصول دین می گویند بجهت آنکه اصل عبارت است از پی وریشه ، وهـر چیزیکه بدان اساس میگذارنـد ، مثل پـی دیوار وریشه درخت وأمثال اینها وسائرعبادات ومسائل حلال وحرام فروع دینند ، یعنی مثل دیـوار وشاخ وبرگ درختان .

پس أصل هرچیز را اگر پا برجا باشد فرع برسر آنقرار میگیرد واگراصل نباشد فرع را ثبات وبقآئی نیست ، پس هر که اصول دین اوصحیح باشد امید نجات از برای او هست ، هرچند فروع او خراب باشد ، واعمال او نـاشایسته باشد ، هرچند بعد ازسوختن بسیار درجهنم باشد ، وهر که اصول دین اوخراب باشد فروع دین وأعمال وطاعات وعبادات باو نفعی ندارد هرچند تمام شب وروز عبادت کند انتهى كلامه في هذا المقام .

أقول في قوله «واینها را اصول دین میگویند» الى آخر كلامه ، وفي آخر مواضع من رسالته المذكورة دلالة على أنها من اصول الدين .

قال في غيبة الامام الثاني عشر: وآنکه سنی وشیعه حدیثی نقل کرده‌اند از رسول خدا ﷺ که فرمود من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية، مسلم کل است یعنی هر کس بمیرد ونشناخته باشد امام زمانش راپس بتحقیق که مرده است مردن جاهلیت یعنی که کافر مرده است .

وقال في آخر رسالته : این اصول دین تو بود که گفتیم وامافروع دین الى آخر كلامه .

وقال في القوانين في آخرها : قانون عدم جواز التقليد في اصول الدين. الثالث: أن المراد باصول الدين هو أجزاء الايمان، وهوعندنا خمسة:هي المعرفة بوجود الباري جل شأنه ، ثم التصديق بنبوة نبينا محمد ﷺ ، وما جاء بـه

تفصيلا فيماعلم به ، واجمالا فيما لايعلم ، والمعاد الذي جعلوه أحداً من الاصول الخمسة يمكن اندراجه فيماجاء به النبي ﷺ خصوصاً الجسماني .

الى أن قال : ثم الاذعان بامامة الائمة الاثنىعشر، هذا اذا اردنا بيانمايجب علينا اليوم ، وان جعلنا الكلام في اصول الدين مطلقا فلا يخص الكلام بنبينا وأئمتنا عليهم السلام ، فان البحث عن وجوب النظر في الاصول لا تخصيص بدين دون دين ، وزمان دون زمان .

الى أن قال : والظاهر أن الاكتفاء في الاسلام بالشهادتين انما هو لاندراج غيرهما فيهما ، كمالايخفى على المتأمل الى آخر كلامه وبالجملة يظهرمن مواضع من كلماته في ذلك القانون ماذكرناه[١].

وقال المولى الكرباسي في الاشارات ، في اشارة أنه هل يكفي التقليد في اصول العقائد ، أم يجب النظر ، أو يحرم فيجب التقليد : اعلم ان المسائل الاصولية منها يتوقف عليه الدين ، كوجودالصانع والنبوة والمعاد ، ومنهايتوقف عليه المذهب كمامر والعدل والامامة ، فيمايجب عليه منها اصول المذهب، ومنها اصول الدين ، ومنها ما لايتوقفان ولا أحدهما عليه ، ككون العلم في الواجب حصولياً أوحضورياً أو همامعاً ، أو لا ذا ولا ذاك بل علم الكمالي ذاته ، والعلم بحقيقة القضاء والقدر ، وحدوث الكلام وقدمه ، وعينية الصفات وزيادتها ، الى غير ذلك من المسائل التي لاتجب معرفتها ، وان وجب الاذعان بماهوثابت في الواقع ، وهو أشرف أنحاء الوقوع .

فالكلام في أن مايجب على المكلف الاعتقاد به ويتوقف عليه الاسلام ، هل يجب فيه النظر أو لا؟ لا أن كل مايتعلق بالاعتقاد وان لم تجب معرفته ولا يتوقف عليه الاسلام يجب فيه النظر ومعرفته بالادلة العقلية ، بل ما لايتوقف عليه الاسلام

---

(١) راجع القوانين ص٣٤١ ، طبع الخوانساري .

لاتجب معرفته بالادلة العقلية ، بل يكفي فيمايجب معرفته ولايتوقف عليه الاسلام الادلة النقلية ، بل ظاهر بلاكلام عدم وجوب معرفته بالادلة العقلية ، بـل يكفي فيمايتوقف عليه المذهب الادلة النقلية، وكذا غيره مماتجب معرفته، ومالايجب الاعتقاد به لاتجب معرفته مطلقا ، ولايوجب عدمها الكفر كذلك .

نعم لوكان حكم من أحكام الدين أو المذهب ضرورياً وأنكره ولـم يكن معذوراً ، صار بذلك كافراً ، أوخارجاً من المذهب ، وهذا غير مختص بالمسائل الاصولية ، بل الفروعية أيضاً كذلك ، فان انكار الاحكام الضرورية يجعل منكرها كافراً ، سواءكان من الاصول أو الفروع .

فبذلك علم أن ماوجب اعتقاده في الشريعة وتوقف عليه الاسلام ، هو محل النزاع في لزوم اثباته بالعقل دون الشرع ، لاجميع ما يتعلق بـالاعتقادات وان وجب الاعتقاد به ، أو لاتجب معرفته ، فان مالايجب الاعتقادبأحد طرفيه، كمعاد البهائم ووضع النار لاطفال الكفار ونحوهما لا يجب فيه الاجتهاد ولا العقلية ، بل يكفي فيه أن يكون اعتقاده ان ما طابق الواقع هـو الحق ، وان لـم يعلمه بالخصوص ، بل يمكن أن لايكون في بعضها ذلـك واجباً أيضاً ، كما يجوز أن يعرف ما لايتوقف عليه الاسلام بالادلة النقلية ومنها الضروريات أو الاجماعيات بشرط علمه بكونها كذلك .

فبان أن مايتوقف عليه حصول الدين ويجب اعتقاده محل البحث لا غير ، وان صار انكار ماخالف ضرورة الدين أو المذهب ، موجباً لكفره وخروجه عن الاسلام أو المذهب ، وأمكن حصول الكفر بالثاني أحياناً ، فبانكاره يخرج عنهما أو عن أحدهما ، والا لايصح حصر الاقوال في لزوم الاستناد بالادلة العقلية عندنا وعند المعتزلة ، وادعاء الدور في النقليات فتدبر .

وأما في غيرها ، فيجوز الاستناد الى العقل والنقل معاً أواحدهما، فلاينبغي

النزاع في العلم بغيره الى آخر كلامه .

وفي كلامه مواضع للنظر نقتصر على بعضها ، فان عنوان هذا البحث في اصول العقائد التقليد أويجب الاجتهاد والنظر فيها كما صنفه أولا ؟ ثم انه جعل محل الكلام والنزاع اصول الدين والاسلام ، وجعلها ثلاثة : التوحيد والنبوة والمعاد ، وأخرج اصول المذهب من الامامة والعدل ، خارجاً من محل النزاع لجواز الاكتفاء فيها بدليل النقل، مع أن النزاع المذكور وهو جواز التقليد في اصول العقائد وعدمه يأتي فيهما أيضاً قطعاً ، والكلام على حد واحد ، وجواز الاكتفاء فيهما بدليل النقل لايخرجهما من محل الكلام ، فان الدليل النقلي أيضاً نظر واجتهاد .

ثم ان وجوب الاعتقاد لا مدخلية له في جواز التقليد وغيره، حتى أخرجهما من محل الكلام ، أوالكلام في جواز التقليد في اصول العقائد ، سواء وجب الاعتقاد أم لا فتدبر، وعلى كل حال فكلامنا في أمر آخر ، وهوجعل الامامة من اصول المذهب ، وهوصريح كلامه .

فنقول : هذا القول انما حدث في الأواخر ، كمافي رسالة القمي والاشارات ونحوهما من بعض كتب المعاصرين ككتاب المولى الحاج ملاجعفر الاسترابادي ونحو ذلك ، وقدشاع في مابين الناس هذا الرأي، والداعي لهم على جعل اصول العقائد على قسمين : اصول دين ، واصول مذهب ، أن فرق الاسلام كثيرة، منهم الامامية الاثنى عشرية ، وأكثرهم مسلمون مع اختلافهم في مسألة الامامة، وبها افترق المسلمون على فرق كثيرة ، فلو كانت الامامة من اصول الدين للزم الخروج عن الدين والاسلام بهذا الاختلاف ، وكان المسلم فرقة واحدة والباقي كفاراً .

أقول : قد تلونا عليك عبارات العلماء ، من أهل الفقه والكلام والحكمة ،

وان الامامة عند علمائنا من اصول الدين ، وأهل السنة قدجعلوها من الفروع كما عرفت ، واختيار الاصل أصلين بمعزل بعيد ، حيث لم يشر اليه أحد من علمائنا ولا من علماء مخالفينا ، وقد نسب مخالفونا الينا جعلها من اصول الدين ، وهذا هو المعروف من مذهبنا عندهم ، واما مادعى هذه الاواخر الى هذا الاختيار مما قد أشرنا اليه ففيه امور:

الاول : أن كلامنا في المقام في نفس الامامة ووجوب الحاجة الى امام في الجملة لا في تعيين امام مخصوص ، والمخالف حينئذ من الخوارج ، وهم من الكفار كماذكره علماؤنا ولعلنا نشير اليه ، ومن ذلك يظهر الك مافي جعل السنة الامامة من الفروع .

الثاني : انا لانسلم أن كفر المخالفين المنكرين لامامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله أمر مسلم البطلان فلانسلم بطلان التالي في القياس المستفاد من كلمات هؤلاء الاواخر ، وهو أنه لوكانت الامامة من اصول الدين ، للزم كفر المنكرين لها والتالي باطل ، فقد يظهر من جملة من علمائنا كفرهم .

قال المفيد في المقنعة في باب تلقين المحتضرين : ولايجوز لاحد من أهل الايمان أن يغسل مخالفاً للحق في الولاية ، ولايصلي عليه، الا أن تدعوه ضرورة الى ذلك من جهة التقية ، فيغسله تغسيل أهل الخلاف ولا يترك معه جريدة، واذا صلى عليه لعنه في صلاته[١].

وقال شيخنا الطوسي في التهذيب في شرح هذا المقام: الوجه فيه أن المخالف لاهل الحق كافر[٢]. الى آخر مايأتي منه .

وقال في السرائر في الاسآر : المؤمن في عرف الشرع هـو المصدق بالله

(١) المقنعة ص٨٥ .

(٢) تهذيب الاحكام ١/٣٣٥ .

وبرسله وبكل ماجاءت به رسله ، والمستضعف كل من لايعرف اختلاف الناس في الاراء والمذاهب ، ولايبغض أهل الحق ، بل لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، كما قال الله تعالى ، فكل من أبغض المحق على اعتقاده ومذهبه فليس بمستضعف، بل هو الذي ينصب العداوة لاهل الايمان . فأما الكافر ، فمن خالف المؤمن والمستضعف ، هو الذي يستحق العقاب الدائم ، والخلود في نار جهنم طول الابد نعوذ بالله[١].

وقال في باب الصلاة على الاموات : ولا تجب الصلاة الا على المعتقدين للحق ، أو من كان بحكمهم من أطفالهم الذين بلغوا ست سنين على ما قدمناه ومن المستضعفين . وقال بعض أصحابنا : تجب الصلاة على أهل القبلة ومن يشهد الشهادتين ، والاول مذهب شيخنا المفيد ، والثاني مذهب شيخنا أبي جعفر الطوسي ، والاول أظهر في المذهب ويعضده القران ، وهوقوله تعالى «ولاتصل على أحد منهم مات»[٢] يعني : الكفار ، والمخالف للحق كافر بلاخلاف بيننا[٣].

وقال ابن النوبخت في فص الياقوت في آخر المسألة الثانية عشر في حكم المخالفين قال: القول في حال المخالفين دافعوا النص كفرة عندجمهور أصحابنا ومن شيوخنا من يفسقهم فقط ، ثم اختلفوا فقيل: بتخليدهم ، وقيل : بعد التخليد اما النقل الى الجنة ، وهوقول بعض شذوذنا ، أولا اليهما وهوقريب ومحاربوه كفرة للنص المتفق عليه في قوله «حربك حربي» .

وأحكام الكفار مختلفة ،كاليهودي المحارب مع اليهودي الذمي، ومخالفونا في مسائل التوحيد ، وفي مسائل العدل ، وفي مسائل الوعد والوعيد وفي مسائل

---

(١) السرائر ١/ ٨٤ .

(٢) سورة التوبة : ٨٤ .

(٣) السرائر ١/ ٣٥٦ .

الامامة فسقة مبدعون ، ومخالفون في بعض فروعها مخطئون لا يوجب فسقاً ولا براءة والله أعلم .

وقال العلامة في شرح هذا الكلام : أما دافعوا النص ، فقد ذهب أكثر أصحابنا الى تكفيرهم ، لان النص معلوم بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وآله ، فيكون ضرورياً فجاحده كافر ، ومن أصحابنا من يحكم بفسقهم خاصة ، ثم اختلف أصحابنا في أحكامهم في الاخرة ، فالاكثر قالوا بتخليدهم ، لان الثواب يستحق بالايمان ، وهو لايتحقق بدون الامامة ، ومنهم من قال : بعدم الخلود ، وذلك اما بان ينقلوا الى الجنة ، وهو قول شاذ أولا اليها، واستحسنه المصنف بعدم كفرهم عندهم ، وعدم استحقاق الثواب لفقد المقتضي وهو الايمان .

وأما محاربوا أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد اتفق أصحابنا على تكفيرهم لقوله عليه السلام «حربك حربي» واما الكفار ، فاحكامهم مختلفة ، فان اليهودي المحارب يجب قتله ، أوطلب الاسلام منه ، أو بذل الجزية واليهودي الذي يؤخذ منه ولايقتل ولا يطلب منه الاسلام .

واما المخالف في مسائل التوحيد كمسألة الرؤية مثلا، وكونه سميعاً بصيراً معان مغايرة للعلم ، واثبات المعاني وماأشبه ذلك .

وفي مسائل العدل كالمجبرة وفي مسائل الوعد والوعيد كالقائلين بتخليد العاصي وفي مسائل الامامة فساق أهل بدعة . واما المخالفون في الفروع كالمسائل الشرعية فانهم خاطئون غير فسقة بالاجماع انتهى كلامه[١].

وقال المحقق في المعتبر في أوصاف مستحقي الزكاة: ان الايمان هو تصديق النبي صلى الله عليه وآله في كل ماجاء به والكفر جحود ذلك، فمن ليس بمؤمن فهو كافر، وليس

(١) شرح الياقوت للعلامة مطبوع ، وهذه المسألة ساقطة منه .

للكافر زكاة لما بيناه[١].

وقال العلامة أيضاً في المنتهى في أوصاف مستحقي الزكاة : الوصف الاول الايمان ، ذهب اليه علماؤنا أجمع ، خلافاً للجمهور كافة ، واقتصروا على اسم الايمان ، لنا : أن الامامة من أركان الدين وأصوله ، وقد علم ثبوته من النبي ﷺ ضرورة ، فالجاحد بها لايكون مصدقاً للرسول ﷺ في جميع ماجاء به، فيكون كافراً فلايستحق الزكاة[٢].

وقال القاضي نورالله في شرح المبحث الخامس من الفضائل الدالة على خلافة علي عليه السلام قال : ومن المعلوم أن الشهادتين بمجردهما غير كافيين الا مع الالتزام بجميع ماجاء به النبي ﷺ من أحوال المعاد والامامة ، كمايدل عليه ما اشتهر من قوله عليه السلام «من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية» ولاشك أن المنكر بشيء من ذلك ليس بمؤمن ولامسلم ، فان الغلاة والخوارج وان كانا من فرق المسلمين نظراً الى الاقرار بالشهادتين ، فيهما من قبيل الكافرين ، نظراً الى جحودهما ماعلم من الدين وليكن منه ، بل من أعظم اصوله امامة أمير المؤمنين عليه السلام وقد يظهر من بعض الكلمات أنهم كفار جرى بعض أحكام المسلمين عليهم مماقد ثبت ذلك .

قال في التهذيب في شرح عبارة المقنعة السابقة : ان المخالف لاهل الحق كافر ، فيجب أن يكون حكمهم[٣] حكم الكفار الا ما خرج بالدليل ، واذا كان غسل الكافر لايجوز، فيجب أن يكون غسل المخالف أيضاً غيرجائز. وأما الصلاة عليه ، فيكون على حد ماكان يصلي النبي ﷺ والائمة على المنافقين[٤].

---

(١) المعتبر ٢/٥٧٩.

(٢) منتهى المطلب ١/٥٢٢ .

(٣) في المصدر : حكمه .

(٤) تهذيب الاحكام ١/٣٣٥ .

وينبغي ختم المقام بذكر بعض كلام المتقدمين من علمائنا الصالحين .

قال في اكمال الدين في صدر الكتاب : فان الله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه «واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة»[١] فبدأ عزوجل بالخليفة قبل الخليقة ، فدل ذلك على أن الحكمة في الخليفة أبلغ من الحكمة في الخليقة ، فلذلك ابتدأ به ، لانه سبحانه حكيم ، والحكيم من بدأ بالاهم دون الاعم ، وذلك تصديق الصادق جعفر بن محمد حيث يقول « الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق » ولو خلق الله عزوجل الخليقة خلواً من الخليفة، لكان قد عرضهم للتلف ، ولم يردع السفيه من سفهه بالنوع الذي يوجب حكمته ، من اقامة الحدود ، وتقويم المفسد . واللحظة الواحدة لاتسوغ الحكمة ضرب صفح عنها ، ان الحكمة تعم كما ان الطاعة تعم .

ومن زعم أن الدنيا تخلو ساعة من امام ، لزم أن يصحح مذهب البراهمة في ابطالهم الرسالة ، ولولا أن القرآن نزل بأن محمداً ﷺ خاتم الانبياء ، لوجب كون رسول في كل وقت ، فلما صح ذلك ارتفع معنى كون الرسول بعده ، وبقيت الصورة المستدعية للخليفة في العقل ، وذلك أن الله تقدس ذكره لا يدعو الى سبب الا بعد تصوير في العقول حقائقه ، واذا لم يصور ذلك لم تبق[٢] الدعوة ، ولم تثبت الحجة ، وذلك أن الاشياء تألف أشكالها ، وتنبو عن أضدادها فلو كان في العقل انكار الرسل لما بعث الله عزوجل نبيا قط .

مثال ذلك الطبيب يعالج المريض بما يوافق طباعه، ولو عالجه بدواء يخالف طباعه أدى ذلك الى تلفه ، فثبت أن الله أحكم الحاكمين لا يدعو الى سبب الا وله في العقول صورة ثابتة ، وبالخليفة يستدل على المستخلف ، كما جرت العادة في

---

(١) سورة البقرة : ٣٠ .

(٢) في المصدر : لم تتسق .

العامة والخاصة، وفي المتعارف متى استخلف ملك ظالماً استدل بظلم خليفته على ظلم مستخلفه، واذا كان عالماً دلالة استدل[١] بعدله على عدل مستخلفه، فثبت أن خلافة الله توجب العصمة، ولاتكون الخليفة الا معصوماً.

ولما استخلف الله آدم في الارض، وجب على أهـل السماوات الطاعة، فكيف الظن بأهل الارض، ولما أوجب الله عزوجل على الخلائق الايمان بملائكة الله، وأوجب السجود على الملائكة لخليفة الله، ثم لما امتنع ممتنع من الجن عن السجود له أحل الله به الذل والصغار والدمار، وأخزاه ولعنه الى يوم القيامة، علمنا بذلك رتبة الامام وفضله، وان الله تبارك وتعالى لما أعلم الملائكة أنه جاعل في الارض خليفة، أشهدهم على ذلك، لان العلم شهادة، فيلزم من ادعى أن الخلق يختار الخليفة أن تشهد ملائكة الله كلهم من أولهم الى آخرهـم عليه، والشهادة العظيمة تدل على الخطب العظيم، كما جرت به العادة في الشاهد، فكيف وأنى ينجو صاحب الاختيار من عذاب الله، وقد شهدت عليه ملائكة الله أولهم وآخرهم وكيف وأنى يعذب صاحب النص وقد شهدت له ملائكة الله كلهم.

ثم قال: وله وجه آخر، وهو أن القضية في الخليفة باقية الى يوم القيامة، ومن زعم أن الخليفة أراد به النبوة فقد أخطأ من وجـه، وذلك أن الله عزوجل وعد أن يستخلف من هـذه الامة خلفاء راشدين، كما قال الله جل وتقدس « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً »[٢] ولو كانت قضية الخلافة قضية النبوة أوجبت

---

(١) في المصدر: واذا كان عادلا استدل.

(٢) سورة النور: ٥٥.

حكم الاية أن يبعث الله عزوجل نبياً بعد محمد ﷺ وماصح قوله «وخاتم النبيين»[1] فثبت أن الوعد من الله عزوجل ثابت في غير النبوة ، وثبت أن الخلافة تخالف النبوة بوجه ، وقد يكون الخليفة غير نبي ، ولايكون النبي الا خليفة .

ثم قال : ووجه آخر ، وهو أن الكلمة تتفاضل على أقدار المخاطب والمخاطب ، فخطاب الرجل عبده يخالف خطاب سيده ، والمخاطب كان الله عزوجل ، والمخاطبون ملائكة الله عزوجل أولهم وآخرهم ، والكلمة العموم لها مصلحة عموم ، كما أن الكلمة الخصوص لها مصلحة خصوص ، والمثوبة في العموم أجل من المثوبة في الخصوص ، كالتوحيد الذي هو عموم على عامة خلق الله ، بخلاف الحج والزكاة وسائر أبواب الشرع الذي هو خصوص ، فقوله عزوجل « اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » دل على أن فيه معنى من معاني التوحيد ، لما أخرجه مخرج العموم ، والكلمة اذا جاورت الكلمة في معنى لزمها مالزم اختها اذا جمعهما معنى واحد[2].

الفصل الثالث

(فى بيان وجه الحاجة الى الامام)

اعلم أن الحاجة الى الامام من وجوه شتى نذكرها في مقامين :

(١) سورة الاحزاب : ٤٠ .

(٢) اكمال الدين ص٤ـ٦ .

الاول

فى بيان الوجوه اللازمة الواجبة من طريق العقل الداعية لوجوب وجود الامام فى كل عصر

وهي عديدة :

منها : جهة السياسة . بيانها : أن كل فرد من أفراد الانسان لابد له من تعيش وتمدن واجتماع كي يتم له البقاء في الدنيا بمقدار ما قدر له من العمر ، لان كل شخص لابد له من المأكل والمشرب والملبس والمسكن ، والذي يدفع بـه المضار عن نفسه من ضرر السباع والانفس ، الى غير ذلك من موارد حاجاته باختلاف أنواعه، فان المريض يحتاج الى غذاء مخصوص والى أدوية مخصوصة وكذلك الطفل في بعض حالاته ، والانسان في الصيف والشتاء يحتاج الى ألبسة مخصوصة وسراويل تقيه عن الحر والبرد ، ومن هذا القبيل حاجته الى المساكن العديدة .

ثم ان هذه محاويجه القريبة ، وله محاويج بعيدة مقدمات لحاجاته القريبة ، كالتجارة والزراعة لتحصيل المعاش، وكل ذلك يحتاج الى ممد ومعاون واجتماع أنفس وأسباب تحتاج تلك الانفس الى مقدمات أخر .

ثم ان بقاء النوع في العالم يتوقف على نكاح وازدواج ، وقد خلق في طبيعته الشهوات الكثيرة لابقاء نفسه وابقاء نوعه ، فخلقت فيه شهوة الطعام والشراب والنكاح والزواج ، وخلقت فيه القوة الغضبية لدفع المضار ، وجعل لكل ذلك آلات وأدوات لجلب المنافع ودفع المضار والمؤذيات ، وجميع ذلك محتاجة على اجتماع أنفس كثيرة مع اختلاف الشهوات ، وكون القوى المذكورة في

الجميع على حد الشخص الواحد ، وكل في شهواته يريد تحصيل مقصوده منها ، وان لم يتحصل مقصوده الاخر ، فيقع الاختلاف وبه يظهر الفساد .

فلابد من شخص سالم عن المقاصد الفاسدة ، رابح المقاصد العامة والمصالح الشاملة للجميع ، يحفظ كل واحد واحد عن التعدي عن حده والظلم لغيره ، ويحفظ النوع عن الفساد والاختلال ، ويمنع المتعدي على غيره عن المجاوزة عن حده وأخذ حق غيره ، حتى يكون به النظام وفي يده هذا الزمام ، ويكون حكمه العدل والانصاف ، مانعاً من وقوع الاختلاف ، وسبباً للايتلاف ، ذا ملكة قدسية لايميل الى هوى ولا يميل الى طرف دون طرف ، ولايجتلب الى نفسه ولا الى غيره من الافراد ما يمنع عن غيره ، وهو الامام العادل القاسط في الرعية القاسم بالسوية .

ومنها : جهة الشرع . بيانها : أن التمدن للانسان في أكثر الحالات وحاجته في تعيشه الى اجتماع الانفس والادوات ، وكون موارد الحاجات لابدلها من الاختصاص والاشتراك ، وان اختلفت الحيثيات ، وهذا الاختصاص قد يقع بين الاشخاص ، كالمواريث والمناكات وجملة المشتركات وهكذا ، وقد يقع الالتباس لاهل الاختصاص ، ثم قد لايدرون كيفية الانتفاع من موارد الحاجات والمشتهيات من المناكح والمذابح وجهات الاختصاص والاجتماع ، ولابد في الاجتماع على موارد الحاجات من تبدل الاختصاص ووقوع المعاملات ، فيشتري واحد ويبيع آخر وهكذا ، فلابد في جميع ذلك من قانون وهو الشرع ، وعالم يرجعون اليه يرشدهم الى تلك القوانين ، ينتظم الامور بالرجوع اليه ، وهذا هو الامام الرئيس المخصوص بذلك العلم ، وليس العقل كافياً في معرفة هذه القوانين الكلية الموجبة للانتظام .

فان العقل لايستقل غالباً بجميع مايحتاجون اليه ، وقد لايدرك الا بعد حصول التجارب ، كما في خواص الادوية ، والتجربة ربما توجب الهلاك الى أن يحصل

التجربة، وهكذا والتصرف في المباحاة تصرف في مال الله تعالى بغير اذنه، فلابد من رئيس منصوب من الله تعالى نبياً كان أو أماماً.

وهذا الذي ذكره الفلاسفة في بيان الحاجة الى النبي ﷺ، قالوا: ان الانسان مدني بالطبع، أي: يحتاج في معيشته الى التمدن، وهو اجتماعه من بني نوعه، للتعاون والتشارك في تحصيل ما يحتاجون اليه، من الغذاء الموافق واللباس الواقي من الحر والبرد وهكذا، وكل ذلك ممايحصل بالصناعات، ولا يمكن للانسان الواحد القيام بجميعها، بل لابد أن يجبى هذا لذاك، وذلك يخيط لاخر واخر تتخذ الابرة، الى غير ذلك من المصالح التي لا بقاء للنوع بدونها.

ثم ذلك التعاون والتشارك لايتم الا بمعاملات فيما بينهم ومعاوضات، ولا ينتظم الا بقانون متفق عليه مبني على العدل والانصاف لما لاحصر له من الجزئيات لئلا يقع الجور ويختل النظام، لما جبل عليه كل أحد من أنه يشتهي مايحتاج اليه ويغضب على من يزاحمه، وذلك القانون هو الشرع.

ولابد له من شارع يقرره على ماينبغي، متميز عن الاخرين بخصوصية فيه من قبل الخالق، واستحقاق طاعة وانقياد، والالماقبلوه ولم ينقادوا له، وأن يكون انساناً يخاطبهم ويلزمهم المعاملة على وفق ذلك القانون ويراجعون في مواقع الاحتياج ومظان الاشتباه.

والحاصل أن الغاية الالهية لمخلوقاته، أعني: احاطة علمه السابق بنظام الموجودات على الوجه الاليق في الاوقات المترتبة التي يقع كل موجود منها في واحد من تلك الاوقات يقتضي افاضة ذلك النظام على ذلك الترتيب، والتفضيل الذي من جملته وجود الشرع والشارع، ووجود ما به يكون النظام على وجه الصواب.

وهذا ماقال في الشفاء: ان العناية الالهية تقتضي المصالح التي لهامنفعة ما،

كانبات الشعر على الاشفار والحاجبين وتقصير[١] الاخمص من القدمين ، فكيف لايقتضي المنفعة التي هي في محل الضرورة للبقآء ولتمهيد نظام الجزء وأساس للمنافع كلها[٢].

أقول : وهذا الكلام وان كان في حق النبي ، لكن المراد في المقام المبين لتلك القوانين والرئيس المطلق الذي هو الاعم من النبي ، والذي بيده هذه القوانين الذي يحتاج اليه ، مهما كانت الحاجة باقية ، وبيان القانون في الجملة في عصر مع تشتت الصور والفروع الجزئية للاصول الكلية وتشابه الصور وتماثل الكيفيات لايكتفي به، والا لاكتفى الباري لنبي واحد مع ان من الشاهد والعيان اختلاف الارآء وغلبة الهوى والمقاصد الفاسدة في الخلق ، فلابد في كل عصر من الرئيس الذي هو معنى الامام في كل عصر وأوان ، ماكانت الخلق على هذه الطبيعة الداعية لتأسيس هذا القانون ، ولذا ترى الرسل تترى ، والانبياء تتابع وتترادف ، وكذلك الاوصياء في كل عصر وأوان .

ومنها : جهة التكليف . وبيانها : أن خلقة الانسان ليست للتعيش في الدنيا والجهتان السابقتان ، أي : التمدن والسياسة ، واقامة الشرع لانتظام الامر في الخليقة انما تكونان لامر آخر هو المقصود الاصلي في الخلقة ، وهو معرفة الباري ، والاتيان بما يحبه ويرضيه ، كي يصل ذلك الى درجات عالية في الدنيا والاخرة ، وتحصيل مرضاته .

وطريق عرفانه لايمكن الا بتلقين من الله تعالى، وتلقيه الاحكام من طرق العلم والعمل ، ولاتيسر ذلك الا لمن له ربط تام بالمبدء ، وله ارتباط بالخلق يتلقى الاحكام والاوامر والنواهي من الخالق ، أومرتبط بالمتلقي ويبلغ الى الخلق ،

---

(١) في المصدر : وتقعير .

(٢) الشفاء ص٤٤١ ، الالهيات .

وهذا هو النبي والامام ، ولايكتفى في ذلك بالنبي في عصر ، بل لابد في كل الاعصار من مبلغ وحافظ بلاشبهة ، لجهل الناس في هذه المرحلة جهلاتاماً لايكاد يمكن الاحاطة بها .

حيث أن مرضيات الخالق المخفي عن الانظار المتعالى رتبته عن الافهام ومبغوضاته مع دقة نظره وكماله وعلو درجته خفية ، وطرق طاعاته ومعاصيه وشروط كل من ذلك ، وكثرة الصور وتجدد الوقائع وتواتر الشبهة ، لكثرتها وتشتتها وتفرقها ، مما لايمكن الاقتناع فيها ببيان النبي في مدة قليلة من عمره .

والى هذه الطريقة أشار الصادق عليه السلام في رواية هشام بن الحكم عنه عليه السلام أنه قال للزنديق الذي سأله من أين أثبت الانبياء والرسل ؟ قال : انا لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياعنا وعن جميع ماخلق ، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً ، لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه ، فيباشرهم ويباشروه، ويحاجهم ويحاجوه ثبت أن له سفراء في خلقه يعبرون عنه الى خلقه وعباده ، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم ، ومابه بقآؤهم ، وفي تركه فناؤهم .

فثبت الامرون والناهون عن الحكيم في خلقه ، والمعبرون عنه جل وعز، وهم الانبياء وصفوته من خلقه ، حكمآء مؤدبين بالحكمة ، مبعوثين بها ، غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم مؤيدون من عند الحكيم العليم بالحكمة ، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والانبياء من الدلائل والبراهين لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته(١).

ومنها : جهة رفع الشبهة بواضح البيان ، فان المذاهب مختلفة ، والافهام متفاوتة ، والشبه متطرقة ، ويزداد مع ذلك حب الطريقة السالفة للابآء، وفرحة

---

(١) اصول الكافي ١٦٨/١ ، ح١ .

كل حزب بمالديهم من الاراء ، والكلام الباقي من النبي مثلا في عصرلايرتفع منه جميع ذلك بل قد يزداد .

وقد أشارت الىهذه الجهة روايةصحيحة مروية فيالكافيفي كتابالاضطرار الى الحجة عن منصور بن حازم ، قال قلت لابي عبدالله : ان الله أجل وأكرم من أن يعرف بخلقه ، بلالخلق يعرفون بالله ، قال: صدقت ، قلت: ان منعرف أن له رباً ، فقد ينبغي له أن يعرف أن لذلك الرب رضاً وسخطاً ، وانه لايعرف رضاه وسخطه الا بوحي أو رسول ، فمن لم يأته الوحي فقد ينبغي له أن يطلب الرسل ، فاذا لقيهم عرف أنهم الحجة ، وان لهم الطاعة المفترضة .

وقلت للناس : أليس تزعمون أن رسول الله ﷺكان هوالحجة منالله على خلقه ؟ قالوا : بلى ، قلت: فحين مضى ﷺ من كان الحجة على خلقه ؟ فقالوا : القرآن ، فنظرت في القرآن فاذا هويخاصم به المرجي والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به ، حتى يغلب الرجال بخصومته ، فعرفت أن القرآن لايكونحجة الا بقيم ،فماقال فيه من شيءكانحقاً .

فقلت لهم من قيم القرآن ؟ فقالوا : ابن مسعود قد كان يعلم ، وعمر يعلم وحذيفة يعلم ، قلت كله ؟ قالوا : لا، فلم أجد أحداً يقال : انه يعرف ذلك كله الا علياً واذاكان الشيء بين القوم، فقال هذا :لا أدري، وقال هذا لا أدري ، وقال هذا : لاأدري ، وقال هذا : أنا أدري فأشهد أن علياً عليه السلام كان قيم القرآن ، وكانت طاعته مفترضة وكان الحجة علىالناس بعد رسول الله ﷺ وان ماقال في القرآن فهو حق قال رحمك الله[1].

بيان :

المرجئة كما في النهاية : فرقة من فرق الاسلام ، يعتقدون أنه لا يضر مع

(١) اصول الكافي ١٦٩/١ ، ح٢ .

الايمان معصية ، ولا مع الكفرطاعة ، سموا مرجئة لان الله أرجى تعذيبهم على المعاصي أي أخره عنهم[١] انتهى .

وقيل : تطلق أيضاً على من أخر علي بن أبي‌طالب في الخلافة. والقدري: لعل المراد منه الجبري ، وهومن ينسب أفعال العباد الى الله تعالى والزنديق : هو النافي للصانع بالمرة ، وينسبون هذا العالم الى الطبيعة ، ومنهم من يقول بالنور والظلمة الهين في العالم .

والخبر المروي في الكافي في الباب المذكور ، عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبدالله عليه السلام جماعة من أصحابه ، منهم حمران بن أعين ، ومحمد ابن النعمان ، وهشام بن سالم ، والطيار ، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهوشاب فقال أبوعبدالله عليه السلام : ياهشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد ؟ وكيف سألته ؟ قال هشام : يا بن رسول الله اني أجلك وأستحييك ، ولا يعمل لساني بين يديك،فقال أبوعبدالله عليه السلام : اذا أمرتكم بشيء فافعلوا .

قال هشام : بلغني ماكان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة ، فعظم ذلك ، فخرجت اليه ودخلت البصرة يوم الجمعة ، فأتيت مسجد البصرة، فاذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد ، وعليه شملة[٢] سوداء متزر بها من صوف ، وشملة مرتد بها والناس يسألونه ، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي ، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي .

ثم قلت : أيها العالم اني رجل غريب تأذن لي في مسألة ؟ فقال لي : نعم ، فقلت : ألك عين؟ فقال لي: يا بني أي شيء هذا من السؤال وشيء تراه كيف تسأل عنه ، فقلت : هكذا مسألتي ، فقال : يا بني سل وان كانت مسألتك حمقاء ، قلت :

---

(١) نهاية ابن الاثير ٢/٢٠٦ .

(٢) قوله « الشملة » بكسر الشين كساء يشتمل به ويتغطى به ـ الصحاح «منه» .

اجبني فيها ، قال لي : سل .

قال : ألك عين ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع بها ؟ قال : أرى بها الالوان والاشخاص، قلت: ألك أنف؟ قال: نعم ، قلت: فما تصنع به، قال: أشم به الرائحة، قلت : ألك فم ؟ قال: نعم، قلت: فماتصنع به ؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: فلك أذن ؟ قال : نعم، قلت : فماتصنع بها ؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع به ؟ قال : أميز به كل ماورد على هـذه الجوارح والحواس ، قلت: أو ليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ قال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة ، قال: يابني ان الجوارح اذا شكت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته أوسمعته ردته الى القلب ، فيستيقن اليقين ويبطل الشك.

قال هشام فقلت له : فانما أقام الله القلب لشك الجوارح ؟ قال: نعم، قلت : لابد من القلب والا لم تستيقن الجوارح؟ قال : نعم، فقلت له : ياأبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها اماماً يصحح لها الصحيح ويتيقن به ماشكت فيه ، ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم ، لايقيم لهم اماماً يردون اليه شكهم وحيرتهم ، ويقيم لك اماماً لجوارحك ترد اليه حيرتك وشكك ، قال : فسكت ولم يقل لي شيئاً .

ثم التفت الي فقال لي : أنت هشام بن الحكم ؟ فقلت : لا ، قال : فمن أين أنت ؟ قال قلت: من أهل الكوفة ، قال: فانت اذاً هو ، ثم ضمني اليه وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه، ومانطق حتى قمت . قال: فضحك أبو عبدالله عليه السلام وقال: ياهشام من علمك هذا ؟ قلت : شيء أخذته منك وألفته، فقال : هذا والله مكتوب في صحف ابراهيم وموسى[١].

---

(١) اصول الكافي ١/ ١٦٩ - ١٧١ .

ورواه الكشي في رجاله بتفاوت يسير[١]. وهشام بن الحكم هذا من متكلمي أصحاب الصادق عليه السلام له مجلس آخر يناسب ايراده في المقام .

روى الصدوق في كتاب الغيبة عن محمد بن أبي عمير قال : أخبرني علي الاسواري ، قال: كان ليحيى بن خالد مجلس في داره يحضره المتكلمون من كل فرقة وملة يوم الاحد ، فيتناظرون في أديانهم ، يحتج بعضهم على بعض ، فبلغ ذلك الرشيد ، فقال ليحيى بن خالد: ياعباسي ماهذا المجلس الذي بلغني من منزلك يحضره المتكلمون ؟ فقال : ياأمير المؤمنين ماشيء ممارفعني به أمير المؤمنين ، وبلغ من الكرامة والرفعة أحسن موقعاً عندي من هذا المجلس ، فانه يحضره كل قوم مع اختلاف مذاهبهم، فيحتج بعضهم على بعض، ونعرف المحق منهم ، ويتبين لنا فساد كل مذهب من مذاهبهم .

فقال له الرشيد : أنا أحب أن أحضر هذا المجلس، وأسمع كلامهم من غير أن يعلموا بحضوري ، فيحتشمون[٢] ولا يظهروا مذاهبهم ، قال: ذاك الى أمير المؤمنين متى شاء ، قال : فضع يدك على رأسي أن لاتعلمهم بحضوري ، ففعل ذلك ، فبلغ الخبر المعتزلة ، فتشاوروا فيما بينهم وعزموا أن لايتكلموا هشاما الا في الامامة ، لعلمهم بمذهب الرشيد وانكاره على من قال بالامامة .

قال : فحضروا وحضر هشام وحضر عبدالله بن يزيد الاباضي[٣]وكان من أصدق الناس لهشام بن الحكم ، وكان يشاركه في التجارة، فلما دخل هشام سلم على عبدالله بن يزيد من بينهم، فقال يحيى بن خالد لعبدالله بن يزيد : ياعبدالله كلم هشاماً

(١) اختيار معرفة الرجال ٢/٥٤٩ ، برقم : ٤٩٠ .

(٢) فى المصدر : فيحتشموني .

(٣) يظهر من هذا الكلام أن الاباضي من الخوارج كما رأيت فى موضع آخر « منه » .

فيما اختلفتم فيه من الامامة .

فقال هشام : أيها الوزير ليس لهم علينا جواب ولا مسألة ، هؤلاء قوم كانوا مجتمعين معنا على امامة رجل ، ثم فارقوا بلاعلم ولا معرفة ، فلاحين كانوا معنا عرفوا الحق ، ولا حين فارقونا علموا على ما فارقونا ، فليس لهم علينا مسألة ولا جواب .

فقال بيان وكان من الحرورية : أنا أسألك ياهشام أخبرني عن أصحاب علي عليه السلام يوم حكموا الحكمين أكانوا مؤمنين أم كافرين ؟ قال هشام : كانوا ثلاثة أصناف : صنف مؤمنون، وصنف مشركون، وصنف ضلال ضالين. أما المؤمنون، فمن قال مثل قولي ان علياً عليه السلام امام من عند الله ومعاوية لايصلح لها ، فامنوا بما قال الله عزوجل في علي عليه السلام وأقروا به . وأما المشركون ،فقوم قالوا علي عليه السلام امام ومعاوية يصلح لها ، فأشركوا اذ أدخلوا معاوية مع علي عليه السلام . وأما الضلال ، فقوم خرجوا على الحمية والعصبية للقبائل والعشائر لم يعرفوا شيئاً من هذا وهم جهال .

قال فاصحاب معاوية ماكانوا ؟ قال : كانوا ثلاثة أصناف : صنف كافرون ، وصنف مشركون، وصنف ضلال وأما الكافرون فالذين قالوا ان معاوية امام وعلي لا يصلح لها ، فكفروا من جهتين : جحدوا اماماً من الله عزوجل ، ونصبوا اماماً ليس من الله . وأما المشركون ، فقوم قالوا ان معاوية امام وعلي يصلح لها، فأشركوا معاوية مع علي عليه السلام. وأما الضلال، فعلى سبيل اولئك، أي: الاشخاص السابقين من حزب علي عليه السلام خرجوا للحمية والعصبية للقبائل والعشائر فانقطع بيان عند ذلك .

فقال ضرار: فأنا أسألك ياهشام في هذا ، فقال هشام : أخطأت، قال: ولم؟ قال : لانكم كلكم مجتمعون على دفع امامة صاحبي ، وقد سألني هذا من مسألة

وليس لكم أن تثبتوا بالمسألة علي حتى أسألك ياضرار عن مذهب في هذا الباب قال ضرار فسل ، قال: أتقول ان الله عدل لايجور ؟ قال: نعم عدل لايجور تبارك وتعالى ، قال: فلو كلف الله المقعد المشي الى المساجد والجهاد في سبيل الله وكلف الاعمى قراءة المصاحف والكتب ، أتراه كان عادلا أو جائراً ؟ قال ضرار : ماكان الله ليفعل ذلك ، قال هشام : قد علمنا أن الله لا يفعل ذلك وعلى سبيل الجدل والخصومة أن لو فعل ذلك أليس كان في فعله جائراً اذ كلفه تكليفاً لايكون له السبيل الى اقامته وأدائه ، قال : لو فعل ذلك لكان جائراً .

قال : فأخبرني عن الله عزوجل كلف العباد ديناً واحداً لا اختلاف فيه لايقبل منهم الا أن يأتوا به كما كلفهم ؟ قال : بلى ، قال : فجعل لهم دليلا على وجود ذلك الدين ، أو كلفهم ما لا دليل على وجوده ، فيكون بمنزلة من كلف الاعمى قراءة الكتب والمقعد المشي الى المساجد والجهاد فسكت ضرار ساعة ثم قال لابد من دليل وليس لصاحبك .

قال : فتبسم هشام وقال : تشيع شطرك وصرت الى الحق ضرورة، ولاخلاف بيني وبينك الا التسمية ، قال ضرار: فاني أرجع اليك في هذا القول، قال هات: قال ضرار : كيف تعقد الامامة ؟ قال هشام : يعقد كما عقد الله عزوجل النبوة ، قال : فاذا هو نبي ، قال: لا لان النبي يعقدها أهل السماوات ، والامامة يعقدها أهل الارض ، فعقد النبوة بالملائكة ، وعقد الامامة بالنبي ، والعقدان جميعاً باذن الله تعالى ، قال : فما الدليل على ذلك ؟ قال هشام : الاضطرار في هذا ، قال ضرار : كيف ذلك ؟

قال هشام لا يخلو الكلام في هذا من أحد ثلاثة وجوه : اما أن يكون الله عزوجل رفع التكليف عن الخلق بعد الرسول ، فلم يكلفهم ولم يأمرهم ولم ينهاهم ، وصاروا بمنزلة السباع والبهائم التي لا تكليف عليها ، أفتقول هذا

يا ضرار ان التكليف عن الناس مرفوع بعد الرسول ؟ قال : لا ما أقول هذا .

قال هشام : فالوجه الثاني ينبغي أن يكون الناس المكلفين قد استحالوا بعد الرسول علماء في مثل حد الرسول في العلم حتى لا يحتاج أحد الى أحد ، فيكونوا كلهم قد استغنوا بأنفسهم ، وأصابوا الحق الذي لااختلاف فيه، أفتقول هذا ان الناس استحالوا علماء حتى صاروا في مثل حد الرسول في العلم حتى لايحتاج أحد الى أحد مستغنين بأنفسهم من غيرهم في اصابة الحق؟ قال لا أقول هذا ولكنهم يحتاجون الى غيرهم .

قال : فبقي الوجه الثالث ، وهو أنه لابد لهم من عالم يقيمه الرسول لهم لا يسهو ولا يغلط ولا يحيف ، معصوم من الذنوب ، مبرء من الخطايا ، يحتاج اليه ولايحتاج الى أحد، قال : فما الدليل عليه ؟ قال هشام: ثماني دلالات أربع في نعت نسبه ، وأربع في نعت نفسه .

فأما الاربع التي في نعت نسبه[1] بان يكون معروف الجنس ، معروف القبيلة ، معروف البيت ، وأن يكون من صاحب الملة والدعوة اليه اشارة ، فلم ير جنس من هذا الخلق أشهر من جنس العرب الذين منهم صاحب الملة والدعوة الذي ينادى باسمه في كل يوم خمس مرات على الصوامع « أشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ» فتصل دعوته الى كل بر وفاجر وعالم وجاهل ومقر ومنكر في شرق الارض وغربها .

ولوجاز أن تكون الحجة من الله على هذا الخلق في غير هذا الجنس ، لاتى على الطالب المرتاد دهر من عصره لايجده ، ولجاز أن يطلبه في أجناس من غير هذا الخلق من العجم وغيرهم ، ولكان من حيث أراد الله أن يكون صلاحـا أن يكون فسادا ، ولا يجوز هذا في حكم الله تبارك وتعالى وعدلـه أن يفرض على

---

(١) في المصدر : فانه .

الناس فريضة لا يوجد .

فلما لم يجز ذلك أن يكون الا في هذا الجنس لاتصالـه بصاحب الملة والدعوة ، ولم يجز أن يكون من هذا الجنس الا في هذه القبيلة ، لقرب نسبها من صاحب الملة وهي قريش ، ولما لم يجز أن يكون من هذا الجنس الا في هذه القبيله لم يجز أن يكون من صاحب الملة والدعوة الا في هذا البيت لقرب نسبه من صاحب الملة والدعوة .

ولما كثر أهل هذا البيت وتشاجروا في الامامة لعلوها وشرفها ادعاها كل واحد منهم ، فلم يجز الا أن يكون من صاحب الملة والدعوة اشارة اليه بعينه واسمه ونسبه كيلا يطمع فيها غيره .

وأما الاربعة التي في نعت نفسه ، فأن يكون أعلم الناس كلهم بفرائض الله وسننه وأحكامه حتى لايخفى عليه منها دقيق ولا جليل ، وأن يكون معصوماً مـن الذنوب كلها ، وأن يكون أشجع الناس، وأن يكون أسخى الناس .

فقال عبدالله بن يزيد الاباضي: من أين علمت أنه أعلم الناس؟ قال: لانه ان لم يكن عالماً بجميع حدود الله وأحكامه وشرائعه وسننه لـم يؤمـن عليه أن يقلب الحدود فمن وجب عليه القطع حده ، ومن وجب عليه الحد قطعه ، فلا يقيم الله حداً على ما أمر به ، فيكون من حيث أراد الله صلاحاً يقع فسادا .

قال : فمن أين قلت : انه معصوم من الذنوب ؟ قال: لانه ان لم يكن معصوماً من الذنوب دخل في الخطاء ، فلايؤمن أن يكتم على نفسه ، ويكتم على حميمه وقريبه ، ولايحتج الله عزوجل بمثل هذا على خلقه .

قال : فمن أين قلت أشجع الناس؟ قال : لانه فئة للمسلمين الذين يرجعون اليه في الحروب ، وقال الله عزوجل «ومن يولهم يومئذ دبره الامتحرفاً لقتال أو

متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله»[١] فان لم يكن شجاعاً فرفيبوء بغضب من الله ، ولا يجوز لمن يكون من يبوء بغضب من الله حجة لله على خلقه .

قال : ومن أين قلت أنه أسخى الناس ؟ قال : لانه خازن المسلمين ، فـان لم يكن سخياً تاقت نفسه الى أموالهم ، فأخذها وكان خائناً ، ولايجوز أن يحتج الله بخائن .

فقال عند ذلك ضرار : فمن هذا بهذه الصفة في هذا الوقت، فقال: صاحب القصر أمير المؤمنين ، وكان هارون الرشيد قد سمع كلامه ، فقال عنـد ذلـك : أعطاناه والله من جراب النورة ، ويحك ياجعفر وكان يحيى بن جعفر جالساً معه في السر من يعني بهذا ؟ قال: ياأمير المؤمنين يعنى به موسى بن جعفر، قال : ما عنى بهذا غير أهلها ، ثم عض على شفتيه ، وقال : مثل هذا حي ويبقى لي ملكي ساعة واحدة ، فوالله للسان هذا أبلغ في قلوب الناس من مائة ألف سيف .

وعلم يحيى أن هشاماً قد أتي[٢]، فدخل الستر فقال: ياعباسي من هذا الرجل فقال : ياأمير المؤمنين حسبك تكفى تكفى ، ثم خرج الى هشام فغمزه، فعلم هشام أنه قد أتي، فقام بهم أنه يبول أويقضي حاجـة ، فلبس نعليه وانسل ومر بيته ، وأمرهم بالتواري ، وهرب مـن فوره نحو الكوفـة ، ونزل علـى بشر النبال ، وكان من جملة الحديث من أصحاب أبي عبدالله عليه السلام فأخبره الخبر ، ثم اعتل علة شديدة .

فقال له بشر : آتيك بطبيب ؟ قال: لا أنا ميت ، فلما حضره الموت قال لبشر اذا فرغت من جهازي فاحملني في جوف الليل وضعني بالكناسة ، واكتب رقعة وقل هذا هشام بن الحكم الذي طلبه أمير المؤمنين مات حتف أنفه .

---

(١) سورة الانفال : ١٦ .

(٢) في القاموس : أتي فلان كعني أشرف عليه العدو «منه» .

وكان هارون قد بعث الى اخوانه وأصحابه فأخذ الخلق به ، فلما أصبح أهل الكوفة رأوه ، وحضر القاضي وصاحب المعونة والعامل والمعدلون بالكوفة ، وكتب الى الرشيد بذلك،فقال الحمدلله الذي كفانا أمره فخلى عمن كان أخذ به[١].

بيان :

مايحتاج الى البيان : قوله « أعطانا من جراب النورة» وهذه كلمة يستعمل كثيراً ، الجراب بالكسر المزود أو الوعاء مطلقا ، أوالوعاء من أهاب شاة يوعي فيه الحب والدقيق ونحوهما . والنورة معروفة .

وهي كمافي مجمع البحرين على الاستعارة، والاصل فيه أنه سأل سائل محتاج من حاكم قسي القلب شيئاً ، فعلق على رأسه جراب نورة عند فمه وأنفه ، كلما تنفس دخل في أنفه شيء منها، فصار مثلا يضرب لكل مكروه غيرمرضي[٢] انتهى.

المقام الثانى

فى بيان الوجوه لوجوب وجود الامام

من طريق النقل ويعاضده العقل

وهي أيضاً أمور :

منها : دفع تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين، وهو مروي من الطريقين عن النبي صلى الله عليه وآله .

روى في مشكاة المصابيح من كتب العامة الموجود عندي : وعنه أي عن

---

(١) اكمال الدين ص٣٦٢ ـ ٣٦٨ .

(٢) مجمع البحرين ٣/٥٠٦ .

أبي هريرة فيما أعلم ، عن رسول‌الله ﷺ قال: ان الله عزوجل يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها[١]. قال : رواه أبوداود ابراهيم بن عبدالرحمن العذري .

قال قال رسول‌الله ﷺ : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين[٢].رواه البيهقي في كتاب المدخل الى السنن .

وروى الحسين بن مسعود الفراء البغوي المنسوب الى بغى بلد بين مدينة هراة ومرو ، وهو من أعاظم علماء العامة ، عن أبي هريرة في ما أعلم عن النبي صلى الله عليه وآله قال : ان الله عزوجل يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها[٣].

وفيه أيضاً عن ابراهيم بن عبدالله العذري ، قال قال رسول الله ﷺ: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين[٤]. وهذا الكتاب موجود عندي .

وفي الصواعق في باب الامان ببقائهم : وأورد المحب الطبري بلا اسناد حديث : في كل خلف من امتي عدول من أهل بيتي ينفون من هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الحديث[٥] .

---

(١) جامع الاصول لابن الاثير ٦٣/١٢ ، وله تحقيق حول الرواية راجع ٢١٨/١٢.

(٢) كنز العمال ١٧٦/١٠ ، برقم : ٢٨٩١٨ .

(٣) كنز العمال ١٩٣/١٢ ، برقم : ٣٤٦٢٣ ، ومصابيح السنة ١٧٩/١ ، برقم: ١٨٩ .

(٤) مصابيح السنة للبغوى ١٧٩/١ ، برقم : ١٩٠ .

(٥) السنن الكبرى ٢٠٩/١٠ .

وأشهر منه الحديث المشهور : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه الى آخره ، ثم قال : وهذا مسند ابن عبدالبر وغيره ان كل من حمل العلم ولم يتكلم فيه يخرج فهو عدل انتهى .

وروى محمد بن الحسن الصفار في كتاب بصائر الدرجات في باب النوادر من باب ما أمر الناس بأن يطلبوا العلم من معدنه ومعدنه أئمة آل محمد عليهم السلام .

قال بعد ذكر جملة من أخبار هذا الباب نادر من الباب وهومنه : ان العلماء هم آل محمد عليهم السلام عن أبي البختري عن أبي عبدالله عليه السلام قال ان العلماء ورثة الانبياء ،وذلك أن الانبياء لم يورثوا درهماً، ولا ديناراً ، وانما ورثوا أحاديث من أحاديثهم ، فمن أخذ شيئاً منها ، فقد أخذ حظاً وافراً . فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه ، فان فينا أهل البيت في كل خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين[١].

وروى فيه أيضاً عن الحسن بن علي بن فضال ، يرفعه الى أبي عبدالله عليه السلام، قال : ان العلماء ورثة الانبياء ، وذلك أن الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وانما ورثوا أحاديث من أحاديثهم ، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً ، فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه ، فان فينا في كل خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين[٢].

وروى في الكافي في باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء ، عن أبي البختري مثل ماتقدم عن البصائر بعين ذلك السند[٣].

---

(١) بصائر الدرجات ص١٠ ، ح١ .

(٢) بصائر الدرجات ص١١ ، ح٣ .

(٣) اصول الكافي ١/٣٢ ، ح٢ .

بيان :

« من أحاديثهم » امامتعلق بورثوا ، أي : ورثـوا مـن أحاديثهم أحاديث أو بالاحاديث ، أي : بعضاً من أحاديثهم .

والخلف بفتحتين ، امابمعنى القرن من الناس ، فانـه اسم لكل من يجيء بعد من مضى، وهوالمناسب لرواية العامة. أو بمعنى الولدالصالح، وهوالمحتمل في رواياتنا ولمأجده من احتمله .

قال في مجمع البحريـن : ان فينا أهل البيت الخبر ، الخلف بالتحريـك والسكون من يجيء بعد من مضى الأنـه بالتحريك في الخير ، وبالتسكين في الشر يقال: خلف صدق وخلف سوء بالتسكين، ومعناهما جميعاً القرن من الناس والمراد في الحديث المفتوح [1] .

ونحوه في حاشية مولانا محمدصالح المازندراني[2]، وفي بعض الحواشي المجلسي على الكافي[3] ، واحتملا أيضاً أن يكون المراد في كل ماتخلـف عنه صلى الله عليه وآله من الاحاديث والعلوم، بل في الثاني جعله أول المعنيين .

لكن في القاموس : الخلف نقيض القدام ، والقرن بعد القرن ، ومنه خلف سوء، الى أن قال: وبالتحريك الولد الصالح، فاذا كان فاسداً أسكنت اللام[4].

والتحريف الميل والصرف والتغيير، قال في القاموس: حرف الشيء عن وجهه صرفه وقال أيضاً: التحريف التغيير ، وقال: احرورف مال وعدل كانحرف

---

(١) مجمع البحرين ٥٢/٥ .

(٢) شرح الكافي ٣١/٢-٣٢ .

(٣) مرآة العقول ١٠٥/١ .

(٤) القاموس ١٣٦/٣ .

وتحرف [١] .

وفي حاشية الفاضل المذكور : التحريف تغيير الكلام عن موضعه [٢]. وفيه نظر، فان الاختصاص بالكلام والموضع كماترى، واعله لاحظ الحديث، ولعل المراد من الحديث ماهو الاعم .

والغالين: اماخصوص الغالين في حق الائمة من القائلين في حقهم مالايقولون في حق أنفسهم من الربوبية ونحوها ، أوكل من تجاوز في الحد عن الدين ، ولعله من قولهم « غلا السهم» .

قال في القاموس غلى السهم ارتفع في ذهابه، وجاوز المدى وكل مرماة [٣] انتهى أي من ارتفاعه وخطأ سيره مال وعدل عن المرمى حتى جاوز عن المدى، وهو الغاية والنهاية المقصود في الرمي .

«وانتحال المبطلين» قال في القاموس: انتحله وتنحله ادعاه لنفسه وهو لغيره ونحله القول كمنعه نسبه اليه، وقال أيضاً: النحلة بالكسر الدعوى [٤] .

وكذا في المصباح المنير في القول الاخر [٥] .

وعلى كل حال ، فالمراد من نفي العدول عن الدين انتحال المبطلين نفيهم عنه ماينسبونه الى أنفسهم أنهم من أهل الدين، أومن رؤساء الدين، أوماينسبون أنفسهم الى الدين وليسوا منه، أونفيهم الدعاوي الفاسدة الباطلة المفسدة المبطلة عن الدين .

---

(١) القاموس ١٢٧/٣ .

(٢) شرح الكافي ٣٢/٢ .

(٣) القاموس ٣٧١/٤ .

(٤) القاموس ٥٥/٤ .

(٥) المصباح المنير ص٥٩٥ .

والاظهر نفي ماليس من الدين عن الديـن ، يعني : ان المبطل الذي يأتي بالباطل يدخل في الدين ماليس منه من الاحاديث الموضوعة والبدع المضلة، فالعدول ينفون عنه ذلك ، والله العالم .

ومن ذلك يظهر مافي شرح الفاضل المذكور، حيث قال: يقال فلان انتحل مذهب كذا اذا انتسب اليه، وانتحل قول غيره اذا دعا لنفسه، ثم قال: والانتحال اما بمعنى الانتساب ، أو بمعنى سرقة الشيء واخراجه عن موضعه، والعدول من أهل البيت يحفظون بيت الشريعة ، ويمنعون المبطلين لاساسـها المنتسبين اليها على الوجه الباطل من الدخول فيها والتصرف فيها، ويدفعون السارقين القاصدين لسرقة مافيها من السرقة وتغيير الشيء من أصله واخراجه عن وضعه [١] انتهى .

والكل كماترى، كمالايخفى بعد التأمل، فان المنفي نفس الانتحال، فلو كان بمعنى الانتساب لكان المنفي الانتساب لا دخول المنتسبين، وعلى السرقة بالمعنى الثاني لكان المنفي السرقة ، وهو بعيد كماهو ظاهر ، بل الظاهر ماذكرناه من أن المنفي الادخال على وجه أنه من الدين ومن أحكامه .

والتأويـل ارجاع الكلام وصرفـه عن ظاهره الى خلاف ظاهره كما في المجمع [٢] .

وقال في القاموس: أول الكلام دبره وقدره وفسره [٣]، ولعل المراد التفسير بعد التقدير .

والجاهلون: الجاهلون بموارد التأويل .

فان قلت : هذا الخبر يقتضي أن يكون في كل عصر جماعة من العدول من

---

(١) شرح الكافي ٢/ ٣٢ .

(٢) مجمع البحرين ٥/ ٣١٢ .

(٣) القاموس ٣/ ٣٣١ .

أهل البيت هكذا شأنهم، فليس المراد منه الائمة .

قلت : ينفي هذا الاحتمال التخصيص بأهل البيت ، لقوله عليه السلام « فينا أهل البيت » والجمع: امامن جهة الدلالة على كون الاختصاص بفرد من الافراد ليس بوجه فيه سوى كونه كذلك ، والجمع : اما باعتبار الاختلاف ، أو من الجمع المنحصر في فرد للمبالغة ، أو باعتبار تابعيه وناصريه، مع أن في بعض الاخبار انماهي بلفظ الافراد .

روى الصدوق في كتاب كمال الدين، باسناده، عن أبي الحسن الليثي، قال : حدثني جعفر بن محمد ، عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال: ان في كل خلف من أمتي عدلا من أهل بيتي ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، وان أئمتكم قادتكم الى الله تعالى ، فانظروا بمن تقتدون في دينكم وصلاتكم [1] وهيهنا روايات أخر بغير هذه اللفظة .

وروى فيه أيضاً في باب ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله في النص على القائم باسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام ، عن آبائه صلوات الله عليهم أجمعين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ان الله عزوجل اختار من الايام الجمعة، ومن الشهور شهر رمضان، ومن الليالي ليلة القدر، واختارني على جميع الانبياء ، واختار مني علياً وفضله على جميع الاوصياء ، واختار من علي الحسن والحسين ، واختار من الحسين الاوصياء من ولده، ينفون عن التنزيل تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل المضلين الخبر [2] .

وروى محمد بن الحسن الصفار في البصائر، باسناده عن اسحاق بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: ان الارض لاتخلو الا وفيها حجة كلمازاد

---

(١) كمال الدين ص٢٢١، ح٧ .

(٢) كمال الدين ص٢٢٣، ح١٢ .

المؤمنون شيئاً ردهم، وان نقصوا شيئاً أتمه لهم [١] .

ورواه في الكافي أيضاً في باب أن الارض لاتخلو عن حجة [٢] .

وروى الصدوق في كمال الدين أيضاً عن أبيه ومحمد بن الحسن، باسنادهما عن اسحاق بن عمار ، قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : ان الارض لم تخل الا وفيها عالم كيما ان زاد المؤمنون شيئاً ردهم الى الحق ، وان نقصوا شيئاً تممه لهم [٣] .

وروى الصدوق فيه أيضاً باسناده ، عن عمار بن موسى الساباطي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : لم تخل الارض منذ كانت من حجة عالم يحيي فيها مايميتون من الخلق، ثم تلا هذه الاية «يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون» [٤] .

وروى فيه أيضاً عن الحسين [٥] بن أبي حمزة الثمالي، عن أبيه، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : لن تخلو الارض الا وفيها رجل منا يعرف الحق ، فاذا زاد الناس فيه ، قال: قد زادوا ، واذا نقصوا منه قال : قد نقصوا، واذا جاؤا وخلوا به صدقهم، ولو لم يكن ذلك كذلك لم يعرف الحق من الباطل، قال عبدالحميد بن عواص الطائي: بالله الذي لااله الاهو لسمعته منه [٦] .

وروى في الكافي في باب أن الارض لاتخلو عن حجة ، باسناده عن أبي بصير

---

(١) بصائر الدرجات ص٣٣١ ح٢ .

(٢) اصول الكافي ١/١٧٨ ، ح٢ .

(٣) كمال الدين ص٢٢١، ح٦ .

(٤) كمال الدين ص٢٢١، ح٤ .

(٥) في المصدر : الحسن .

(٦) كمال الدين ص٢٢٣، ح١٢ .

عن أحدهما عليهما السلام قال: ان الله لم يدع الارض بغير عالم، ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل (١) .

وروى في البصائر في باب أن الارض لاتخلو عن الحجة، عن اسحاق بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول : لاتكون الارض الا وفيها من يعرف الزيادة والنقصان، فاذا جاء المسلمون بالزيادة رمى بالزيادة، واذا جاؤا بالنقصان أتمه لهم (٢) .

وفي هذا المعنى أخبار اخر اكتفينا بماذكرناه لان فيه وبه كفاية .

ومنها: أن بالامام يحصل الدين والايمان، وبعدمه يضل الناس ، ويخرجون عن الاسلام ، ويكونون في حد أهل الجاهلية ، وفي هذا المعنى روايات كثيرة ، ويقتصر هاهنا على ماورد من طريق المخالفين، وقد ذكرنـا بعضها في ماتقدم ، لكن نذكر جملة منها في المقام، مقدار الحاجة منها ليجتمع الاخبار في طرق .

روى محمد بـن اسماعيل البخاري في صحيحه الموجود عندي في كتاب الحكام في باب السمع والطاعة للامام، قال: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد، عن الجعد، عن أبي رجاء، عن ابن عباس يرويه، قال قال النبي صلى الله عليه وآله: من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر، فانه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً، فيموت الا مات ميتة جاهلية (٣) .

وروى مسلم بن الحجاج النيسابوري في صحيحه باسناده، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية

---

(١) اصول الكافى ١/١٧٨، ح٥ .

(٢) بصائر الدرجات ص٣٣١ .

(٣) صحيح البخارى ٨/١٠٥ .

الخبر [١] .

وروى فيه أيضاً باسناده عن زياد بن رباح القيسي قال قال رسول الله ﷺ: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية الخبر [٢] .

وروى فيه أيضاً باسناده عن أبي رجاء عن ابن عباس يرويه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فانه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية [٣] .

وروى فيه باسناده، عن نافع قال: جاء عبدالله بن عمر الى عبدالله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ماكان زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لابي عبدالرحمن وسادة، فقال: اني لم آتك لاجلس، أتيتك لاحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقول: من خلع يداً من طاعة الله لقى الله يوم القيامة لاحجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية [٤] .

الى غير ذلك من الاخبار المذكورة فيه ، أي : في الصحيح المذكور وغيره، بل وغيرهما من الصحاح الستة، بل وغيرها من كتبهم، بل وقد يظهر من بعض رواياتنا أن هذا المضمون هو المشهور من المخالفين .

روى في الكافي في باب مايجب على الناس عند مضي الامام عن عبدالاعلى قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول العامة ان رسول الله ﷺ قال: من مات وليس له امام مات ميتة جاهلية، فقال: الحق والله الخبر [٥] .

---

(١) صحيح مسلم ٣/١٤٧٦، ح٥٣ .

(٢) صحيح مسلم ٣/١٤٧٧ .

(٣) صحيح مسلم ٣/١٤٧٧، ح٥٥ .

(٤) صحيح مسلم ٣/١٤٧٨، ح٥٨ .

(٥) اصول الكافي ١/٣٧٨، ح٢ .

وبالجملة الروايات متواترة في هذا المعنى من الطريقين، بل متواترة لفظاً فضلا عن تواترها معنى، وهذه الروايات وان كان مقتضاها كفر الجاحد بل الجاهل لكن قد يظهر من بعض رواياتنا المراد بموت الجاهلية موت ضلال لاموت كفر وليس المقام مقام بيان ذلك، وقد تقدم بعض الكلام في ذلك، وتحقيق حاله في محل آخر .

ومنها: أن بالامام بقاء الارض ومن عليها، وصلاح الدنيا ومافيها، والاخبار الدالة على ذلك على ضروب يأتي في محالها ، ونذكر هنا ضربين :

الاول : ماقد ورد في أخبار كثيرة أنه اولا الامام لساخت الارض وماجت بأهلها .

روى في بصائر الدرجات في الباب الثامن والسبعين بعد المائة ، وهو باب أن الارض لاتبقى بغير امام ولو بقيت لساخت، باسناده عن أبي حمزة الثمالي قال قلت لابي عبدالله عليه السلام : تبقى الارض بغير امام ؟ قال : لو بقيت الارض بغير امام لساخت [١] .

وروى فيه أيضاً باسناده عن أبي هراسة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو أن الامام رفع من الارض لساخت بأهلها، كمايموج البحر بأهله [٢] .

ورواه في الكافي في الباب الاتي عن أبي هراسة عنه عليه السلام، الاأنه هكذا: لو أن الامام رفع من الارض ساعة لماجت بأهلها، كمايموج البحر بأهله [٣] .

وروى فيه أيضاً باسناده ، عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال قلت له: يكون الارض بلاامام فيها ؟ قال: لا اذاً لساخت بأهلها [٤] .

---

(١) بصائر الدرجات ص٤٨٨، ح٢ .

(٢) بصائر الدرجات ص٤٨٨، ح٣ .

(٣) اصول الكافي ١/١٧٩، ح١٢ .

(٤) بصائر الدرجات ص٤٨٨، ح٤ .

وروى فيه أيضاً باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة، قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام : تبقى الارض بغير امام؟ قال: لو بقيت الارض بغير امام لساخت(١).

ورواه في الكافي في بـاب أن الارض لاتخلو عن حجة ، باسناد آخر عن محمد بن الفضيل عنه عليه السلام (٢) .

وروى في البصائر أيضاً عن أحمد بن عمر ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال قلت له : هل تبقى الارض بغير امام؟ قال: لا قلت: فانا نروى عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: لاتبقى الا أن يسخط الله على العباد، قال: لاتبقى اذاً لساخت (٣) .

وروى فيه وفي الكافي عن الحسن بن علي الوشا قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام هل تبقـى الارض بغير امام ؟ قال : لا ، قلت : فانا نروي أنها لاتبقى الارض الا أن يسخط الله عزوجل على العباد ، قال : لاتبقى اذاً لساخت (٤) .

وروى في الكافي عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ، قال قلت له : أتبقى الارض بغير امام ؟ قال قلت: فانا نروى عن أبي عبدالله عليه السلام أنها لاتبقى بغير امام ، الا أن يسخط الله على أهل الارض أو على العباد ؟ قال : لا ، لاتبقى اذا لساخت الارض (٥) .

وروى في البصائر، عن سليمان الجعفري، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام قلت : تخلو الارض من حجة الله ؟ قال : لو خلت الارض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها (٦) .

وروى الصدوق في كتاب اكمال الدين في باب العلة التي من أجلها تحتاج

(١) بصائر الدرجات ص٤٨٨ ، ح٢ .

(٢) اصول الكافى ١ / ١٧٨، ح١٠ .

(٣) بصائر الدرجات ص٤٨٩ ، ح٦ .

(٤) بصائر الدرجات ص٤٨٩، ح٧ اصول الكافى ١ / ١٧٩، ح١٣ .

(٥) اصول الكافى ١ / ١٧٩ ، ح١١ .

(٦) بصائر الدرجات ص٤٨٩، ح٨ .

الى الامام جملة من الاخبار السابقة وغيرها [١] .

وروى فيه أيضاً عن ابراهيم بن أبي محمود، قال قال الرضا عليه السلام: نحن حجج الله في أرضه، وخلفاؤه في عباده، وأمناؤه على سره، ونحن كلمة التقوى، والعروة الوثقى، ونحن شهداء الله وأعلامه في بريته، وبنا يمسك الله السماوات والارض أن تزولا، وبنا ينزل الغيث وينشر الرحمة، ولاتخلو الارض من قائم منا ظاهر أو خاف، ولو خلت يوماً بغير حجة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله [٢] .

وروى فيه باسناده عن زرارة بن أعين، عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث له في الحسين بن علي عليهما السلام أنه قال في آخره: ولولا من على الارض من حجج الله لنفضت الارض مافيها وألقت ماعليها ان الارض لاتخلو ساعة من حجة [٣] .

وروى فيه باسناده عن عمرو بن ثابت، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول: لو بقيت الارض يوماً بلاامام منا لساخت بأهلها ، ولعذبهم الله بأشد العذاب، ان الله تبارك وتعالى جعلنا حجة في أرضه وأماناً في الارض لاهل الارض لن يزالوا في أمان من أن تسيخ بهم الارض مادمنا بين أظهرهم ، فاذا أراد الله أن يهلكهم ثم لايمهلهم ولاينظرهم ، ذهب بنا من بينهم ورفعنا الله اليه ، ثم يفعل الله ماشاء وأحب [٤] .

وروى فيه باسناده عن سليمان الجعفي قال : سألت أباالحسن الرضا عليه السلام ، فقلت: تخلو الارض من حجة؟ فقال: لو خلت من حجة طرفة عين لساخت بأهلها [٥].

---

(١) اكمال الدين ص٢٠١ .
(٢) اكمال الدين ص٢٠٢-٢٠٣، ح٦ .
(٣) اكمال الدين ص٢٠٢، ح٤ .
(٤) اكمال الدين ص٢٠٤، ح١٤ .
(٥) اكمال الدين ص٢٠٤، ح١٥ .

بيان :

قال في القاموس: ساخت قوائمه ثاخت، والشيء رسب والارض بهم سيوخا وسؤوخا وسؤخانا انخسفت [١] .

وقال ايضاً في الحمرة : ساخ يسيخ سيخاً وسيخانا رسخ وثاخ [٢] .

ولعل المتعرض له بالحمرة بعد السواد، للدلالة على أن الاول واوي والثاني يائي فالاولى حينئذ أن يذكر المضارع في الاول، وان كان يظهر من ذكر المصادر كما صنعه فى الصحاح .

قال: ساخت قوائمه فى الارض تسوخ وتسيخ ، دخلت فيها وغابت مثل ثاخت [٣] .

ثم ان قوله «والشيء رسب» بعد أن جعل العنوان فعلا مؤنثاً كما ترى .

ثم ان في القاموس قال فى فصل الثاء : ثاخت الاصبع تثوخ وتثيخ خاضت فى وارم أو رخو [٤] .

وقال في الصحاح: ثاخت قدمه في الوحل تثوخ وتثيخ ، خاضت وغابت فيه [٥] انتهى .

والانسب للقاموس أن يذكر في معنى ثاخت هذا الذي ذكره فى الصحاح أولم يفسر ساخت بثاخت فتدبر .

ثم ان المؤاخذة عليه من وجه آخر، وهو أنه لو أراد صاحب القاموس امتياز

---

(١) القاموس المحيط ٢٦٢/١ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) الصحاح ٤٢٤/١ .

(٤) القاموس ٢٥٨/١ .

(٥) الصحاح ٤١٩/١ .

الواوي من اليائي، لكان الاولى أن يصنع كذلك في ثاخت، ثم انه ذكر في فصل التاء كانبا بالحمرة تاخت الاصبع في الشيء الوارم أو الرخو خاضت، ولعله التباس بالثاء المثلثة .

وماج البحر اضطرب أمواجه ، كذا في الصحاح [١] .

وهاهنا روايات أخر ذكرها الكليني في باب أن الائمة عليهم السلام أركان الارض بهذه اللفظة ان الله عزوجل جعل الائمة عليهم السلام أركان الارض أن تميد بأهلها [٢] .

قال في الصحاح : ماد الشيء يميد ميدا تحرك [٣] والروايات طويلة .

الثاني: الأخبار الدالة على أن الامام أمان أهل الارض وصلاحها، وبه يرتفع العذاب عنهم .

روى الصدوق في كتاب علل الشرايع باسناده عن جابر بن يزيد الجعفي قال : قلت لابي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام : لاي شيء يحتاج الى النبي والامام؟ فقال: لبقاء العالم على صلاحه، وذلك أن الله عزوجل يرفع العذاب عن أهل الارض اذا كان فيها نبي أو امام، قال الله عزوجل «وماكان الله معذبهم وأنت فيهم» وقال النبي صلى الله عليه وآله : النجوم أمان لاهل السماء وأهل بيتي أمان لاهل الارض فاذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء مايكرهون ، واذا ذهبت أهل بيتي أتى أهل الارض مايكرهون ، يعني بأهل بيته الائمة عليهم السلام الذين قرن الله عزوجل طاعتهم بطاعته، فقال « ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم» وهم المعصومون المطهرون الذين لايذنبون ولايعصون وهم المؤيدون الموفقون المسددون، بهم يرزق الله عباده، وبهم تعمر بلاده ، وبهم

---

(١) الصحاح ٣٤٢/١ .

(٢) اصول الكافي ١٩٦/١، ح١ .

(٣) الصحاح ٥٣٨/١ .

ينزل القطر من السماء، وبهم يخرج بركات الارض، وبهم يمهل أهل المعاصي ولايعجل عليهم بالعقوبة والعذاب ، لايفارقهم روح القدس ولايفارقونه ، ولا يفارقون القرآن ولايفارقهم صلوات الله عليهم أجمعين (١) .

وروى في كتاب اكمال الدين باسناده عن عبدالملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه ، عن جده ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: النجوم أمان لاهل السماء ، فاذا ذهبت النجوم ذهبت السماء(٢)، وأهل بيتي أمان لاهل الارض ، فاذا ذهبت أهل بيتي ذهب أهل الارض(٣).

وروى فيه أيضاً باسناده ، عن فضيل الرسان ، قال : كتب محمد بن ابراهيم الى أبي عبدالله عليه السلام أخبرنا مافضلكم أهل البيت ؟ فكتب أبوعبدالله عليه السلام : ان الكواكب جعلت في السماء أماناً لاهل السماء ، فاذا ذهبت نجوم السماء جاء أهل السماء ماكانوا يوعدون ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : جعل أهل بيتي أماناً لامتي ، فاذا ذهب أهل بيتي جاء امتي ماكانوا يوعدون(٤).

وروى فيه باسناده ، عن سليمان بن مهران الاعمش ، عن الصادق جعفر ابن محمد ، عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عليهم السلام ، قال : نحن أئمة المسلمين ، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين ، وقادة الغر المحجلين، وموالي المؤمنين ، ونحن أمان أهل الارض كما أن النجوم أمان لاهل السماء ، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الارض الا باذنه ، وبنا يمسك الارض أن تميد بأهلها ، ثم قال: ولم تخل الارض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيه ظاهر

(١) علل الشرائع ص١٢٣-١٢٤ .

(٢) فى المصدر : ذهب أهل السماء .

(٣) كمال الدين ص٢٠٥ ، ح١٩ .

(٤) كمال الدين ص٢٠٥ ، ح١٧ .

مشهور أوخائف مغمور ولاتخلو الى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله ، قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام : فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور ؟ قال كماينتفعون بالشمس اذا سترها السحاب[١].

الى غير ذلك من الاخبار من طريق الامامية .

وأما من طريق العامة فقد روى أحمد بن حنبل في مسنده ،كمافي الطرائف قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : النجوم أمان لاهل السماء ، فاذا ذهبت النجوم ذهبوا ، وأهل بيتي أمان لاهل الارض ، فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الارض .

ثم قال في الطرائف : ورواه أيضاً المعروف عندهم بصدر الائمة موفق بن أحمد المكي في كتابه في المفاريد[٢] باسناده الى علي وابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله بهذه الالفاظ [٣].

وقال ابن حجر في الصواعق الموجود عندي في باب الامان ببقائهم أخرج جماعة لسند ضعيف خبر النجوم أمان لاهل السماء ، وأهل بيتي أمان لامتي .

وفي رواية لاحمد وغيره النجوم أمان لاهل السماء ، فاذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء ، وأهل بيتي أمان لاهل الارض ، فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الارض .

ثم قال : وصح النجوم أمان من الغرق، وأهل بيتي أمان لامتي من الاختلاف أي : المؤدى لاستيصال امتي ، فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا من حزب ابليس .

وفي الصواعق أيضاً في الباب الحادي عشر المنعقد في فضائل أهل البيت ،

---

(١) كمال الدين ص٢٠٧ ، ح٢٢ .

(٢) جمع المفرد «منه» .

(٣) الطرائف ص١٣١ .

حيث يعد الايات في هذا المعنى ، قال: الاية السابعة قوله تعالى « ومـا كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » أشار ﷺ الى وجود ذلك المعنى فـي أهل بيته ، وانهم أمان لاهل الارض ، كماكان هو ﷺ ، وفي ذلك أحاديث كثيرة يأتـي بعضها ، ومنها : النجوم أمان لاهل السماء ، وأهل بيتي أمان لامتي ، أخرجه جماعة كلهم بسند ضعيف .

وفي رواية ضعيفة أيضاً أهل بيتي أمان لاهل الارض، واذا هلك أهل بيتي جاء أهل الارض من الايات مايوعدون .

وفي الاخرى لاحمد ، فاذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء ، واذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الارض[١].

وفي رواية صححها الحاكم على شرط الشيخين : النجوم أمان لاهل الارض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لامتي من الاختلاف، فاذا خالفتها قبيلة مـن العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس[٢].

وفي غاية المرام نقلا عن مسند أحمد بن حنبل باسناده المذكور فيه، عن عبدالملك بن هارون ، عن عنترة ، عن أبيه عن جده ، عن علي عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ : النجوم أمان لاهل السماء ، فاذا ذهبت النجوم ذهبوا، وأهل بيتي أمان لاهل الارض فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الارض[٣].

وفيه أيضاً نقلا عن ابراهيم بن محمد الحمويني ، من أعيان العلماء العامة باسناده الطويل المذكور فيه عن أياس بن سلمة بن الاكرع عن أبيه أن رسول الله

---

(١) الصواعق المحرقة ص٢٣٣ و١٨٥ ط مصر .

(٢) المستدرك للحاكم ١٤٩/٣ . ورواها أيضاً في ج٤٤٨/٢ .

(٣) ذخائر العقبى عنه ص١٧ .

صلى الله عليه وآله قال : النجوم أمان لاهل السماء ، وأهل بيتي أمان لامتي[١].

وفيه أيضاً نقلا عن ابراهيم بن محمد[٢] الحمويني باسناده المذكور فيه عن شاذان بن جبرئيل القمي ، عن جعفر بن محمد الدورستي ، عن أبيه، عن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ، وروى أيضاً بأسانيد اخر عن ابن بابويه مرجعها الى روايات مذكورة فلانعيد ذكرها[٣].

ومنها : اقامة الحجة من الله تعالى على خلقه ، وتوقف تمام حجته على وجود الامام ، ويدل على ذلك روايات من الطريقين ، ونقتصر هنا بالاخبار من طريق الخاصة .

فقد روى في كتاب البصائر في باب الارض لا تخلو من الحجة في باب السادس والسبعين بعد المائة ، باسناده عن محمد بن عمارة ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ، قال : ان الحجة لاتقوم لله على خلقه الا بامام حتى يعرف[٤].

وروى فيه باسناده عن هشام بن سالم عن أبي اسحاق الهمداني ، قال حدثني الثقة من أصحابنا أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول: اللهم انك لاتخلي الارض من حجة لك على خلقك ظاهر أو خاف مغمور لئلا تبطل حجتك وبيناتك[٥].

ورواه الصدوق في كتاب اكمال الدين في الباب الاتي[٦].

وروى في الكافي في باب أنه لو لم يبق في الارض الا رجلان لكان أحدها الحجة ، باسناده عن كرام قال قال أبو عبدالله عليه السلام : لو كان الناس رجلين لكان

(١) مجمع الزوائد ٩/١٧٤ .

(٢) جد ابراهيم هذا محمد بن حموية فلذا نسب اليه «منه» .

(٣) كمال الدين للصدوق ص٢٠٥ ، ح١٨ و١٩ .

(٤) بصائر الدرجات ص٤٨٦ ، ح١٣ .

(٥) بصائر الدرجات ص٤٨٦ ، ح١٥ .

(٦) كمال الدين ص٣٠٢ ، ح١٠ .

أحدهما الامام ، وقال: ان آخرمن يموت الامام ، لئلايحتج أحد على الله عزوجل أنه تركه بغير حجة لله عليه[١].

وروى الصدوق في كمال الدين ، في باب ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله في باب النص على القائم باسناده عن علي بن الحسين السائح، قال: سمعت الحسن بن علي العسكري يقول: حدثني أبي، عن أبيه ، عن جده عليهم السلام ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام : ياعلي لايحبك الا مؤمن طابت ولادته ، ولا يبغضك الا من خبثت ولادته ، ولا يواليك الا مؤمن ، ولا يعاديك الاكافر، فقام اليه عبدالله بن مسعود ، وقال : يا رسول الله قد عرفنا علامة خبث الولادة والكافر في حياتك ببغض علي وعداوته ، فماعلامة خبث الولادة والكافر بعدك اذا أظهر الاسلام بلسانه اذ أخفى مكنون سريرته .

فقال صلى الله عليه وآله : يابن مسعود علي بن أبي طالب امامكم بعدي ، وخليفتي عليكم فاذا مضى فالحسن ابني امامكم بعده ، وساق الرواية وسيأتي تمامها في مظانها، وذكر الائمة عليهم السلام ، ثم قال صلى الله عليه وآله وهو رافع يديه الى السماء : اللهم وال من والى خلفائي ، وأئمة امتي من بعدي، وعاد من عاداهم ،وانصر من نصرهم، واخذل من خذلهم ، ولا تخل الارض من قائم منهم بحجتك ظاهراً أو خافياً مغموراً ، كيلا تبطل حجتك ودينك وبيناتك، ثم قال : ياابن مسعود قد جمعت لكم في مقامي هذا ماان فارقتموه هلكتم ، وان تمسكتم به نجوتم ، والسلام على من اتبع الهدى[٢].

وروى فيه في باب ماأخبر به أمير المؤمنين عليه السلام من وقوع الغيبة بالامام القائم ، بأسانيده المتكثرة المذكورة في كتابه بعشرة أسانيد أو أزيد وبعض الطرق من العامة ، عن كميل بن زياد النخعي قال : أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بيدي ،

---

(١) اصول الكافي ١/ ١٨٠ ، ح٣ .

(٢) كمال الدين ص٢٦١ – ٢٦٢ ، ح٨ .

فأخرجني الى ظهر الكوفة ، فلما أصبح تنفس، ثم قال : يا كميل ان هذه القلوب اوعية فخيرها أوعاها ، احفظ مني ماأقول لك : الناس ثلاثة ، عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤا الى ركن وثيق .

يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال ينقصه النفقة ، والعلم يزكو على الانفاق . يا كميل محبة العلم دين يدان به ، يكسب به الانسان الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته ، ومنفعة المال يزول بزواله .

يا كميل هلك خزان الاموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة، هاه ان هيهنا،واشار بيده الى صدره لعلما جماً لو اصبت له حملة بلى أصبت لقنا غير مأمون عليه ، مستعملا[1] آلة الدين للدنيا ، ولحججه على أوليائه ، أومنقاداً لحملة الحق ، لايصير له في أحيائه قدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة ، ألا لا ذا ولا ذاك ، أو منهوماً باللذات ، سلس القياد للشهوة ، أومغرماً بالجمع والادخار ، ليسا من رعاة الدين في شيء، أقرب شيء شبهاً بهم الانعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامليه .

اللهم بلى لاتخلو الارض من قائم لله بحجة ، اما ظاهراً مشهوراً ، أو خائفاً مغموراً، كيلا تبطل حجج الله و بيناته، وكم ذا وأين اولئك ، اولئك والله الاقلون عدداً ، والاعظمون قدراً، بهم يحفظ الله حججه وبيناته ، حتى أودعوها نظراؤهم ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، وباشروا روح اليقين ، واستدانوا ما استوعر المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها متعلقة بالمحل الاعلى .

---

(١) في المصدر : يستعمل .

يا كميل اولئك خلفاء الله في أرضه ، والدعاة الى دينه ، آه آه شوقاً الى رؤيتهم ، وأستغفر الله لي ولكم ، وفي آخره بعض هذه الرواية من بعض الطرق [١].

بيان :

مافي هذا الخبر على وجه الاختصار : الهمج قال في المجمع : الهمج بالتحريك جمع همجة ، وهو ذباب صغير كالبعوض ، يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها ، ويستعار للاسقاط من الناس[٢].

ونحوه الصحاح[٣] الا انه ليس فيه بيان الاستعارة .

والرعاع بالمهملات وفتح الاول : العوام والسفلة .

الناعق : الذي ينعق ، والنعيق صوت الراعي بغنمه .

ولم يلجوا من الولوج ، وهو الدخول في الشيء .

والاحدوثة مايتحدث به ، وفي المجمع : الاحدوثة مايتحدث به الناس ، ومنه الحديث أي ، الثناء والكلام الجميل والاحدوثة مفرد الاحاديث[٤].

الجم بالفتح والتشديد الشيء الكثير، قال تعالى «تحبون المال حباً جما»[٥].

اللقن بفتح اللام وكسر القاف ، قال في الصحاح والمجمع : غلام لقن

(١) كمال الدين ص٢٨٩ - ٢٩٤ .

(٢) مجمع البحرين ٢/٣٣٦ .

(٣) صحاح اللغة ١/٣٥١ .

(٤) صحاح اللغة ١/٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٥) سورة الفجر : ٢٠ .

سريع الفهم والاسم اللقافة[١].

المنهوم : هوالذي لا يشبع من النهمة بالتحريك، وهوافراط الشهوة في الطعام ، والمراد هنا المنهمك في اللذات الحريص عليها .

المغرم بالغين المعجمة والراء المكسورة من أغرم به قال في الصحاح أغرم بالشيء أي أو لع به[٢].

ما استوعره المترفون ، الوعـر ضد السهل ، أي : استسهلوا مـا استصعبه المتنعمون،فان المترف المتنعم من الترف، وهي النعمة،فان ترك اللذات والشهوات النفسانية والبدنية صعب على المتنعم غالباً ، لحصول أسباب اللذات له ووجود الشهوات فيه ، وهؤلاء لرفضهم تلك اللذات والشهوات استسهلوا مااستصعبوه.

هجم قال في القاموس : هجم عليه هجوماً انتهى اليه بغتة ، والهجوم الريح الشديدة يقلع البيوت[٣] .

وروى فيه أيضاً باسناده عن مصدق بن صدقة عن أبي عبدالله عليه‌السلام عن آبائه عن علي عليه‌السلام أنه قال في خطبته على منبر الكوفة : اللهم انه لابد لارضك من حجة لك على خلقك ، يهديهم الى دينك، ويعلمهم علمك لئلا تبطل حجتك ، ولا يضل اتباع أولياءك بعد اذ هديتهم به ، اماظاهر ليس بالمطاع ، أومكتم أو يترقب[٤]، ان غاب عن الناس شخصه في حال هدايتهم لم يغب علمه وآدابه في قلوب المؤمنين مثبتة ، فهم بها عاملون[٥].

---

(١) صحاح اللغة ٢١٩٦/٦ .

(٢) صحاح اللغة ١٩٩٦/٥ .

(٣) القاموس المحيط ١٨٨/٤ .

(٤) في المصدر : أومكتتم مترقب .

(٥) كمال الدين ص٣٠٢ ، ح١١ .

وروى في الكافي في باب أن الحجة لاتقوم لله على خلقه الا بامام ، باسناده الصحيح عن داود الرقي ، عن العبد الصالح عليه السلام ، قال : ان الحجة لا تقوم لله على خلقه الا بامام حي يعرف[1].

وروى فيه أيضاً باسناده الصحيح ، عن الحسن بن علي الوشاء قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : ان أبـا عبدالله عليه السلام قال : ان الحجة لاتقوم لله عزوجل على خلقه الا بامام حي يعرف[2] وفي بعض النسخ بامام حق يعرف وفي بعض بامـام حتى يعرف والكل ممكن الى غير ذلك من الأخبار الواردة في هذا الباب.

وبالجملة فوائد وجود الامام أكثر من أن تحصى، فان وجوده فـي عوالم عديدة مؤثرة :

منها : عالم الخلق والايجاد ، فقد ورد في أخبار كثيرة أنه لولا الامام لماخلق الله الخلق ، وانه باعث الوجود ، وسبب خلـق الدنيا ومـا فيها مـن الانسان والحيوان والنبات والجماد . ومنها : عالم البقاء ، فقد ورد في الأخبار الكثيرة البالغة حد التواتر أن بركات الارض ورفع البلاء وقطر السماء انما هي بالامام .

ومنها : عالم الانسان، فانه في جميع أفراد الانسان بمنزلة العقل والقلب في كل واحد واحد ، كماورد في الأخبار السالفة وغيرها .

ومنها : عالم التكليف، فقد ورد في الأخبار المتواترة أن الهداية بهودفع الضلال عنه .

ومنها : عالم الرقى في هذا العالم ، والوصول الى المقامات العالية الرفيعة من درجات القرب الى المبدء الاعلى ، فقد ظهر ظهور الشمس في رابعة النهار

---

(١) اصول الكافى ١/١٧٧ ، ح١ .

(٢) اصول الكافى ١/١٧٧ ، ح٢ ، وفيه حتى يعرف .

أن هذا من الاهتداء بهداه ، والالتزام بطريقته والعمل بسنته .

ومنها : عالم الاخرة ، فان الدخول الى الجنة والخلاص من النار ، انما هو منه .

الى غير ذلك من العوالم الصغيرة المندرجة في كل من هذه العوالم المتشعبة منها ، ولقد يستوعب بيان كل واحد من هذه العوالم على التفصيل كتبا كثيرة ، فكيف نقدر على الاستقصاء في هذا الكتاب بل لو كان مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعد سبعة أبحر مانفدت كلمات الله ، وهو كلمات الله العليا ، فالاولى صرف الكلام عن هذا المقام والاقتصار على ذكر ماورد من أن الارض لا تخلو من حجة .

ومنها : جهة اللطف ، بيان ذلك : أن علماء الكلام قد اختلفوا في أن نصب الامام واجب أم لا ، فالا كثرون على الوجوب مطلقا ، بل الكل عليه ماعدا الخوارج والخوارج كلهم أو بعضهم على أنه غير واجب مطلقا ، بل انما هو جائز .

وحكى هذا القول في شرح المقاصد عن النجدات منهم ، وهم قوم من أصحاب نجدة بن عويمر ، وفصل بعض منهم بتفصيلين متعاكسين ، فحكوا عن أبي بكر الاصم من المعتزلة أنه يجب عند الفتنة دون الامن ، فحكوا عن هشام الفوطي من المعتزلة عكس ذلك ، أي : يجب عند الامن دون الفتنة .

ثم ان القائلين بالوجوب اختلفوا في أنه هل هو واجب على الله تعالى أو على الخلق ، فالشيعة على الاول ، ونقلوا عنهم الاختلاف في جهة الوجوب ، فحكى في شرح المقاصد عن الامامية منهم أنه واجب ليكون لطفاً في أداء الواجبات العقلية ، واجتناب المقبحات العقلية .

وحكى في المواقف عن الامامية والاسماعيلية أنه يجب على الله ، الا أن الامامية أوجبوه عليه لحفظ قوانين الشرع ، والاسماعيلية أوجبوه ليكون معرفاً لله وصفاته ، وعن الغلاة أنه واجب لتعليم اللغات وأحوال الاغذية والادوية والسموم

والحرف والصناعات ، والمحافظة عن الافات والمخافات .

وعن بعض من الشيعة والسبعية ، وهم قوم من الملاحدة سموا بذلك ، لان متقدمهم قالوا : الائمة تكون سبعة ، وعند السابع وهو محمد بن اسماعيل توقف بعضهم عليه وجاوزه بعضهم ، وقالوا: الائمة يدورون على سبعة سبعة كأيام الاسبوع على أنه واجب على الله تعالى ليكون معلماً في معرفة الله تعالى .

ثم القائلون بالثاني ، أي: على وجوبه على الخلق ، اختلفوا في أنه واجب عليهم عقلا أو واجب عليهم سمعا أو معاً ، فحكوا الاول عن المعتزلة والزيدية ، والثاني عن أهل السنة ، وحكاه في شرح المقاصد عن عامة المعتزلة ، وهو بعيد ، وحكى في شرح المواقف عن الجاحظ والكعبي وأبي الحسين البصري أنه يجب علينا عقلا وسمعاً .

احتج أهل السنة لوجوب نصب الامام سمعاً بوجوه :

الاول : وهو العمدة كما في الشرح القوشجي وشرح المقاصد : اجماع الصحابة والمسلمين في الصدر الاول على نصب الامام ، حتى جعلوا ذلك أهم الواجبات ، واشتغلوا به عن أهم الاشياء ، وهو دفن الرسول ﷺ ، وقال أبو بكر في خطبته المشهورة : ألا ان محمد قد مات ، فمن كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد رب محمداً فانه حي لا يموت ولابد لهذا الدين ممن يقوم به ، فانظروا وهاتوا آرائكم رحمكم الله . فتبادروا من كل جانب وقالوا : صدقت ولكننا ننظر في هذا الامر ، ولم يقل أحد أنه لاحاجة الى الامام ، ولم يزل الناس على ذلك في كل عصر الى زماننا هذا من نصب الامام متبع في كل عصر .

الثاني : ان الشارع أمر باقامة الحدود ، وسد الثغور ، وتجهيز الجيوش ، وكثير من الامور المتعلقة بحفظ النظام ، وحماية بيضة الاسلام ، مما لا يتم الا بالامام وما لا يتم الواجب المطلق الا به ، فهو واجب على ما مر منهم البيان في بيان

وجوب النظر في صدر كتبهم ، قالوا : ان معرفة الله واجبة، وهي لايتم الابالنظر فهو واجب .

الثالث : أن في نصب الامام استجلاب منافع لا تحصى ، واستدفاع مضار لاتخفى ، وكل مـا هو كذلك فهو واجب أمـا الصغرى ، فيكاد أن يكون مـن الضروريات ، بل من المشاهدات، ويعد من العيان الذي لايحتاج الـى البيان ، ولهذا اشتهر أن مايترع السلطان أكثر ممايترعه القران ، ومايلتئم بالسنان لاينتظم بالبرهان .

وذلك لان الاجتماع المؤدى الـى صلاح المعاش والمعاد ، لا يتم بدون السلطان القاهر، يدرأ المفاسد ، ويحفظ المصانع ، ويمنع مايتسارع اليه الطباع، ويتنازع عليه الاطماع ، وكفاك شاهداً مايشاهد من استيلاء الفتن والابتلاء بالمحن بمجرد هلاك من يقوم بحماية الحوزة ورعاية البيضة ، وان لم يكن على ماينبغي من الصلاح والسداد ، ولم يخل عن شائبة الشر والفساد .

ولهذا لا ينتظم أمر أدنى اجتماع ، كرفقة طريق بدون رئيس يصدرون عن رأيه ومقتضى امره ونهيه ، بل ربما يجري مثل هذا في ما بين الحيوانات العجم، كالنحل لها عظيم يقوم مقام الرئيس ينتظم أمرها ما دام فيها، واذا هلك انتشرت الافراد انتشار الجراد ، وشاع فيما بينهم الهلاك والفساد .

لا يقال : فغاية الامر أنه لابد في كل اجتماع رئيس مطاع ، منوط بـه النظام والانتظام ، لكن من أين يلزم عموم رياستها جميع الناس، وشمولها أمر الدين على ماهو المعتبر في الامام .

لانا نقول : انتظام أمر عموم الناس على وجه يؤدي الى صلاح الدين والدنيا يفتقر الى رياسة عامة فيهما ، اذ لو تعدد الرؤساء في الاصقاع والبقاع، لادى ذلك الى مخاصمات ومنازعات ، موجبة لاختلال أمر النظام ، ولو اقتصر رئاسته على

أمر الدنيا لفات انتظام الدين الذي هو المقصود الاصلي والعمدة العظمى . وأما الكبرى ، فبالاجماع .

لا يقال : الاجماع على الوجوب انما هو اذا لم يتضمن مضرة مثل المضرة المندفعة أو فوقها، وهنا نصب الامام يتضمن مفاسد لا يضبطها العد والاحصاء، لما في الارآء من اختلاف الاهواء ، وفي الطباع من الاستنكاف عن تسلط الاكفاء ، والانسان يميل للبقاء على ماهو عليه من الاهتداء وصلوح الاقتداء، فتميل النفوس الى الاباء والاستقصاء ، ويظهر الفساد ، ويكره البغي والفساد ، ويهلك الحرث والنسل ، ويذهب الفرع والاصل، وكفاك شاهداً مايسمع من قصص انقضاء خلافة عثمان الى انقضاء ..... [1] الى ابتداء دولة بني العباس .

لانا نقول : مضاره بالنسبة الى منافعه ، ومفاسده بالنسبة الى مصالحه مما لا يعبأ بكثرته ويلحق بالعدم في قلته .

أقول : والجواب عن هذه الادلة يخرج عن حد الكتاب ومختصر الكلام في ذلك أن يجاب عن الاول ، بان اجماعهم انما هو على نصب الامام ، وهو لا يدل على وجوبه ولا على شرعيته ، لامكان اقتضاء عقولهم ذلك، كما هو المستفاد من كلام أبي بكر في خطبته ، سلمنا ذلك لكنه اجماع على النصب في الصدر الاول لا على امتناع عدمه ، ولا على وجوبه في جميع الاعصار ، وتحقق الاجماع في جميع الاعصار ممنوع .

وعن الثاني أن وجوب المقدمة انما هو بحكم العقل ، اذ الوجوب الشرعي خطاب الله تعالى ، والمفروض عدمه بالنسبة الى المقدمة ، وماقالوه من أن المعرفة غير مقدورة بالذات ، بل هي مقدورة بايجاد السبب المستلزم اياها ، فـايجابها ايجاب سببها ، كمن يؤمر بالقتل الذي هو ازهاق الروح ، وهو غير مقدور لـه

---

(١) بياض في النسختين .

بذاته ، فانه أمر له بمقدوره الذي هـو السبب الموجب للازهـاق ، وهو ضرب السيف .

مدفوع بأن القتل ليس هو ازهاق الروح ، وقد يكون الامر بذي المقدمـة الغير المقدورة أمر بايجاد سببه بحكم العقل ، لكن ليس الامر بكل ذي المقدمات من هذا القبيل ، فان الامر بكل شيء يتوقف على تحصيل سببه ، سلمنا لكن هـذا الكلام يقتضي رفع الحكم الشرعي عن المسبب ، وتنزيل الخطاب على السبب ، وهم لايقولون به ، والالازم التجوز ، سلمنا لكن هذا الحكم انما هو بحكم العقل أيضاً ، ويطول الكلام في تحقيق هذا المقام .

وعن الثالث بـأنهم لا يوجبون عصمة الامـام ، فيتصور حينئذ منه الكفر والفسوق ، فان لم يعزل خسر بالامة بكفره وفسوقه ، وان عزل أدى الـى الفتنة الزائدة فحينئذ الاضرار اللازم من النصب أكثر من الترك لاستلزامه اشاعة الكفر والفسوق ، فان النفوس شريرة مائلة الى الفسوق والعصيان .

ثم ان العمدة في نصب الامام اصلاح أمر الدين ، واصلاح أمر الدنيا مقدمة لذلك .

ويمكن الجواب عن الجميع على وجه الاجمال ، بان كل ذلك على تقدير تماميته على الوجوب الشرعي لاينفي الوجوب العقلي على الله تعالى ، فكم مـن دليل شرعي يوافق الدليل العقلي ، نعم هذه الادلة ونحوها نافعة في مقابل مـن أنكر الوجوب كالخوارج ، أو من أنكر قيام دليل شرعي عليه .

واستدل القائلون بالوجوب العقلي على الناس ، وهم المعتزلة والزيدية ، بان في نصب الامام دفع مضرة مظنونة أو معلومـة ، ودفـع المضرة واجب عقلاً ، فكذلك نصب الامام . أما وجوب دفع الضرر المعلوم ، فواضح . أما دفع الضرر المظنون فكذلك ، مثل أن يعرف الانسان أن كل سموم يجب اجتنابه ، ثم يظن أن

هذا الطعام مسموم ، فان العقل الصريح يقضي بوجوب اجتنابه ، وكذا من علم أن الحائط الساقط لايجوز الوقوف تحته ، ثم ظن بأن هـذا الحائط يسقط ، فـان العقل الصريح يقضي بوجوب أن لايقف تحته .

وأجاب الاشاعرة بمنع حكم العقل بـالوجوب ، بـل لا يستفاد ذلك الا بالشرع .

وفيه أن هذا الحكم من العقل ، اذ ليس حكمه بالوجوب من جهة الثواب والعقاب فـي حكم الشرع ، فليس الا مـن جهة العقل الصرف المسلم ، عند الاشاعرة أيضاً ، حيث أنهم جعلوا العقل حاكماً في الحسن والقبح ، بمعنى صفة الكمال والنقص ، وبمعنى ملائمة الغـرض ومنافرته ، وانما الشـرع مخصوص في معنى استحقاق المدح والثواب والذم والعقاب، وهذا الاول ليس من الاخير بل هو بالمعنى الثاني الذي لا ينكرون استقلال العقل فيه .

ثم انهم احتجوا على عدم وجوبه على الله تعالى ، بأنه لو وجب علـى الله تعالى لماخلا زمان من الازمنة من امام ظاهر قاهر، جامع لشروط الامامة، دافع لرسوم الضلالة ، قائم بحماية بيضة الاسلام ، واقامـة الحدود ، وتنفيذ الاحكام . واللازم ظاهر الانتفاء ، وسيأتي الكلام في الجواب عن ذلك .

واما المستند لمعشر الامامية على وجوبه على الله تعالى فأمور :

الاول : ماهو المشهور عنهم في كتب المخالفين من دليل اللطف.

بيان ذلك : أن نصب الامام لطف من الله تعالى في حق العباد واللطف واجب على الله تعالى ، فكذا نصب الامام .

بيان ذلك : أن اللطف في اصطلاح المتكلمين مايقرب المكلف الى الطاعة ويبعده عن المعصية ، مالم ينته الى حد الالجاء ، ووجوب اللطف على الله تعالى

هو المشهور من المعتزلة ، ويظهر من الامامية من مواضع شتى أنهم قائلون به وذاهبون اليه ، والاشاعرة منعوا من وجوبه عليه تعالى ، حيث أنهم منعوا عن أصل الوجوب على الله تعالى ، بل عن أصل الحسن والقبح العقليين في حقه ، حيث أن الحسن والقبح بأمره جل شأنه .

والذي استدل المعتزلة بل الامامية على وجوب اللطف ، أن الغرض من التكليف الاتيان بالمأمور به وترك النهي عنه ، فلو لم يكن معه مايقربه الى الطاعة ، ويبعده عن المعصية ، لم يتحصل الغرض من التكليف .

وفي هذا البيان قصور من جمع ، منهم القوشجي قال في شرح قول مصنفه «واللطف ليحصل الغرض به» احتج المصنف على وجوب اللطف يحصل به غرض المصنف ، فيكون واجباً ، والالزم نقض الغرض .

بيان الملازمة : أن المكلف اذا علم أن المكلف لايطيع الا باللطف ، فلو كلفه من دونه كان ناقضاً لغرضه ، كمن دعا غيره الى طعامه ، وهو يعلم أنه لايجيبه الا بأن يستعمل معه نوعاً من التأدب ، فاذا لم يفعل الداعي ذلك النوع من التأدب كان ناقضاً لغرضه .

وقريب منه الامام الرازي في أربعينه ، بل جعل المثال المذكور عين الدليل عليه ، قال : اللطف واجب على الله تعالى لوجهين :

الاول : من أراد ضيافة الانسان ، وعلم أن ذلك الانسان لايحضر في تلك الضيافة الا اذا ذهب المصنف اليه بنفسه والتمس منه الحضور ، فان لم يذهب ولم يلتمس منه الحضور مع علمه بأنه ان لم يفعل ذلك لم يحضر علمنا أنه ماكان يريد حضور ذلك الانسان في ضيافته .

فكذلك الله تعالى أراد من العبد فعل الطاعات والاجتناب عن المحظورات

فاذا علم أنه لايقدم الا بالامر الفلاني ، وجب أن يريده ، فان لم يرد هـذا امتنع كونه مريداً للطاعات انتهى .

والمستفاد من هذا الكلام أن اللطف فيما اذاكان بيان التكليف وافياً للمكلف به الا أن الاتيان بالمكلف به يتوقف على اتيان شيء من المكلف الذي به يقدم على الاتيان بالمكلف به .

ومن هذا ينفتح باب الجواب عليه ، بانه غير لازم علـى الله تعالى ، والا لوجب على الله تعالى الاتيان بكل مايوجب الوجود مالم يبلغ حد الالجاء ومن العيان خلافه ، بل لا دليل على وجوب مثل هذا اللطف على الله تعالـى ، بـل الظاهر أن المراد بالمقرب والمبعد الذي يقدر به العبد المطيع أن يطيع ، ويبلغ الى حد ثواب الطاعة .

والذي يدل على ذلك ، الدليل الثاني الذي ذكره الامام المذكور في وجوب اللطف ، حيث قال : الثاني أن فعل المكلف ازاحة لعذر المكلف ، فوجب أن يكون واجباً قياساً على التمكين وأيضاً هذا هو المستفاد من تمسكهم باللطف في وجود النبي وتمثيلهم به اللطف .

ومما يدل على ماذكرناه ، ماصرح به في التجريد من قبح العقاب مع المنع عن اللطف فتدبر .

ثم اعلم أن اللطف في التكاليف : اما أن يكون في أمر يختص بـه تعالى ، كخلق العقل وآلات الطاعة ، فهـو واجب على الله تعالى مـن دون الواسطة ، واما أن يكون في أمر يختص بـالمكلف ، كنفس التكاليف مثل الصلاة والصوم ونحوهما ، فالواجب على الله تعالى في لطفه أين يامر وينهى ، واما أن يكون في أمر يرجع الى الغير ، مثل بيان الاوامر والنواهي ، واقامة السياسات في الناس ،

فالواجب على الله تعالى في لطفه نصب الامام لذلك .

وعلى كل حال فاللطف الواجب على الله تعالى هو الذي يوجب وصول العبد الى الدرجات العالية بالطاعات ،ويبعده عن الدركات المهلكة بالمعاصي والسيئات وكان بحيث لا يتحصل ذلك الا به عادة ، وهنا لطف آخر يسمى التوفيق ، وهو خارج عن المقام .

توضيح ذلك أن عالم التكليف الذي هو من عوالم الامام يتوقف تماميته على مراتب ثلاث :

الاولى : مرتبة أصل التكاليف ، وهو يتوقف على بيانه ، وخلق القدرة في المكلف والعقل ونحو ذلك .

الثانية: مرتبة الحصول والانيان بالمكلف به، وهو يتوقف بعد المرتبة الاولى على . . . [١] .

اذا علمت ذلك فنقول : الكلام تارة في الصغرى ، وتارة في الكبرى . أما الصغرى : وهي أن نصب الامام لطف من الله تعالى ، فبيانها ظهرت مما تقدم .

أقول : بل هو مجمع للالطاف الظاهرة والباطنة ، واجمال هذا التفصيل المذكور جملة منه في كلام العلامة في الالفين ، حيث يذكر ما يطلب عن الرئيس، قال المطلوب من الرئيس أشياء .

الاول : جمع الارآء على الامور الاجتماعية التي هي مناط تكليف الشارع فيها الاجتماع ،كالحروب والجماعات ، فانه من المستبعد بل المحال أن يجتمع آراء الخلق الكثير على أمر واحد ، وعلى مصلحة واحدة ، وأن يعرف الكل تلك المصلحة ويتفقوا عليها،وأن يجتمعوا من البلاد المتباعدة ، وأن يتفق دواعيهم على الحرب ومدته وجهته ، والمهاياة والمصالحة في جميع الاوقات، فان الاتفاق لا

(١) بياض في النسختين .

يكون دائماً ولا أكثرياً ، ولا يقوم غير الرئيس في ذلك مقام الرئيس، هوظاهر .

الثاني : التقدم فيمايحتاج الى الاجتماع ، فان الناس لا يتفقون على مقدم فيؤدي الى الاختلاف ، وهونقض الغرض .

الثالث : حفظ نظام النوع عن الاختلال ، لان الانسان مدني بالطبع ، لا يمكن ان يستقل وحده بأمورمعاشه ، لاحتياجه الى الغذاء والملبوس والمسكن، وغير ذلك من الضروريات التي لاتخصه ، ويشاركه غيره من نوعه فيها ، وهي صناعة لايمكن أن يعيش الانسان مدة بصنعها ، فلابد من الاجتماع على تلك الافعال بحيث يحصل المعاون الموجب لتسهيل الفعل، فيكون كل واحد منهم يفعل لهم عملا بنقيض منه للاخر[1]، لايمكن النظام الابذلك ، وقد يمتنع المجتمعون من بعضها ، فلابد من قاهر يكون التخصيص منوطاً بنظره ، لاستحالة الترجيح من غير مرجح ، ولانه يؤدي الى التنازع .

الرابع : الطبائع البشرية مجبولة على الشهوة والغضب ، والتحاسد والتنازع ، والاجتماع مظنة ذلك ،فيقع بسبب الاجتماع الهرج والمرج ، ويختل أمر النظام ، فلابد من رئيس يقهر الظالم ، وينصر المظلوم ويمنع عن التعدي والقهر ، ويستحيل الميل عليه والحيف ، وانماقصده الانصاف .

الخامس : أن الحدود لطف أمر الشارع بها ، فلابد لها من مقيم،وغير الرئيس يؤدي الى الهرج والمرج والترجيح بلامرجح ، فلايقوم غيره مقامه في ذلك.

السادس : الوقائع غيرمحصورة ، والحوادث غير مضبوطه ، والكتاب والسنة لايفيان بها ، فلابد من امام منصوب من قبل الله تعالى ، معصوم من الزلل والخطاء ، يعرفنا الاحكام ، ويحفظ الشرع .

السابع : تولية القضاء الذي يجب العمل بحكمهم في الدين والاموال

(١) في المصدر : عملا يستفيض منه أجراً .

والفروج ، وسعاة الزكاة ، والامناء على أموال الفقراء، وامرآء الجيوش الواجبي الطاعة في الحروب ، وبذل النفس والعقل[1]، والولاة أمر ضروري لنظام النوع، ولابد وأن يكون منوطاً بنظر واحد، لاستحالة الترجيح من غير مرجح، والواقع اختلاف الارآء وتضاد الاهواء وغلبة الشهوات وتغاير المرادات.

الى أن قال الثامن : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لطف لا يقوم مقامه غيره ، لوجوبه من غير بدل ، فالامام لطف واجب لايقوم غيره مقامه لامتناع تحقق الاضافة بدون تحقق المضامين الى آخر كلامه .

التاسع : العلم بالاحكام لايكون الا بالامام[2] والحاصل أن نصب الامام لطف من جهات شتى فان نظم المعاش الذي هو مقدمة للمعاد ، ونظم التكاليف النافعة يوم التناد لايتم الا بالامام، فهو لطف من الله تعالى، فان اللطف سواء جعلناه بمعنى المقوم للتكاليف أو المحصل لها يتوقف على ذلك ، كما مر بيانه.

وأما الكبرى فلوجوه:

منها : وهو العمدة ماذكره النصير الطوسي وغيره ذكروه ، من أن حصول الغرض يتوقف عليه ، وبيان ذلك من وجهين : أحدهما أن منع اللطف نقض لغرض الله تعالى الذي هو الاتيان بالمأمور بـه ، ونقض الغرض قبيح يجب تركه .

وثانيهما : أنه مريد للطاعة ، فلو جاز منع اللطف لكان غير مريد لها، وهو تناقض.

ومنها : أن الطاعة لاتحصل الا باللطف، كما أن المعصية لاتترك الا به، فيجب من باب المقدمة .

ومنها : أن منع اللطف تحصيل للمعصية أو تقريب فيها، وهو قبيح .

والذي يحصل من مجموع كلام الاشاعرة في الجواب عن هذا الدليل وهو

(١) فى المصدر : القتل .

(٢) الالفين للعلامة الحلي ص١٧ - ١٩ .

القياس المذكور المتركب من الصغرى والكبرى يبين في مقامين :

أولهما في الجواب عن الصغرى والجواب عنها من وجوه :

أولها : أن نصب الامام وان كان لطفاً من جهة ، لكنه معرض للفساد من جهات اخر ، لاختلاف الارآء وتكثر الاهواء واستنكاف الطباع عن تسلط الاكفاء ، فيشتد الفتن ، ويغلب الفساد ، ويكثر البغي والعناد ، كما هو المشاهد في الاعصار.

ويمكن دفعه بأن اللطف ، كما يقتضي نصبه يقتضي دفع الفتن وتسليطه على الخصوم، مع أن هذه المضار في جنب الفوائد الحاصلة من وجود الامام، المقربة الى الطاعة ، والمبعدة عن المعصية ، في حق من طلب الحق ، وهداه عقله الى مقتضاه يسير .

وهذه المفاسد الحاصلة من الانفس الشريرة لايعبأ بها أصلا، مع أن مفسدة عدم وجود الرئيس أعظم من المفسدة في وجود المعارض والمخالف الذي يؤل الى الطاعة غالباً .

وثانيها : أنه قد يكون اللطف في عدم نصب الامام ، لان الاتيان بالواجبات وترك المحرمات اذا كان من خوف الله تعالى فهو أفضل وأخاص مما اذا كان فيه خوف من الامام أيضاً . والجواب عنه أن نصب الامام انما هو لعدم كفاية الخوف من الله تعالى في ذلك والاحتياج الى الامام فيه ، مضافا الى أن جهة اللطف ليست مقصورة في ذلك كما عرفت ، فان مجرد الخوف لا يكفي في جملة من التكاليف الا بالامام .

وثالثها : أن نصب الامام لطف واجب اذا لم يقم لطف آخر مقامه ، كالعصمة مثلا لم لايجوز أن يكون زمان يكون الناس فيه معصومين مستغنين عن الامام .

والجواب عنه أما أولا فلان الواقع خلاف ذلك ، فان المعلوم بالبديهة أن الغالب على الناس القوى الشهوية والغضبية ونحوهما، والعصمة معلومة الانتفاء.

وأما ثانياً ، فلان البحث على تقدير عدمه ووجوب الامام انماهوعلى التقدير والفرض والا فلا يجب . فان قلت : تبدل العصمة بلطف آخر من ايجاد أسباب للطاعة وأسباب لترك المعصية . قلت : هذا الجاء ، وهو باطل، والتقدير عدمه.

وأما ثالثاً فلماهو المحسوس والمشاهد من حال عدم الامام ماهو يستدعي نصبه ممالايخفى ،وخامساً أن جهةاللطف غيرمنحصرة باتيان الواجب وترك المحرم ، بل فوائده كثيرة ، والعصمة لاتغني عنها .

ورابعها : أن اللطف هومايقرب الى الطاعة ، ويبعد عن المعصية ، والامام انمايكون كذلك اذاكان ظاهراً قاهراً زاجراً ، يرجى ثوابه ويخشى عقابه ، يدعو الناس الى الطاعات ، ويزجرهم عن المعاصي والسيئات باقامة الحدودوالقصاص وأخذ الديات ، وينتصف للمظلوم من الظالم ونحو ذلك ، فالامام الذي تدعونه على وجه يشتمل الغائب عن الانظار ، أو الغير القادر على الفسقة والكفار لعدم معين وأنصار ، ليس بلطف ، والذي هو لطف لا توجبونه .

والحاصل أن الامام في قولكم « نصب الامام لطف » ان كان الاعم من الظاهر والغائب كما هو المذهب ، فلانسلم كونــه لطفاً ، وان كان الظاهر دون الغائب فمسلم ، الا أنه لاينفعكم في المذهب .

وأجاب عنه الشيعة ،كالنصير الطوسي وغيره، بأن اللطف غير منحصر بتصرفه، بل وجوبه لطف ، وتصرفه لطف آخر وعدمــه منا ، ورد عليه جماعة كشارح المقاصد والقوشجي ونحوهما ، بانالانسلم أن وجوبه بدون التصرف لطف .

فان قيل : ان المكلف اذا اعتقد وجوبه ، كان دائماً يخاف ظهوره وتصرفه، فيمتنع عن القبائح .

قلنا : مجرد الحكم لخلقه وايجاده في وقت ماكاف في هذا المعنى ، فانسكون القرية اذا انزجر عن القبيح خوفاً من حاكم من قبل السلطان ، فعتف في القريـة

بحيث لا أثر له ، كذلك ينزجر عن القبيح خوفاً من حاكم علم أن السلطان يرسله اليها متى شاء ، وليس هذا خوفاً من المعدوم، بل من موجود مترقب ، كما ان خوف الاول من ظهور مترقب انتهى .

وفيه أن الموجود المترقب هو الامام الغائب مع أن الفرق ظاهر في الزجر عن القبيح والخوف بين الحاكم الموجود في القرية المختفى عن أهلها والحاكم الذي يرسله السلطان عند الارادة وأيضاً لو كان العلم بالوجود في وقت ماكافياً في الزجر، لكان العلم بالموت والعقاب أكفى في ذلك ، ولم يكتف به.

أقول : ويمكن الايراد على النصير الطوسي ومن قال بمقالته ، أما على قوله وجوده لطف ، فبأن اللطف انما هو التقريب والتبعيد ، كما ذكروه في معناه وهو مصطلحهم ، والامام الخالي عن التصرف لا لطف فيه .

وأما على قوله وتصرفه لطف آخر، فبأنه ليس الا اللطف الاول المقصود من نصب الامام ، سلمنا لكن قوله « وعدمه منا » لا وجه له بعد تسليم كونه لطفاً ، لوجوبه على الله تعالى في تمكينه من التصرف ، فكيف يمكن أن يكون عدم تصرفه منا ، فكل من أجزاء الكلام محل الايراد .

ويمكن دفع هذا الايراد أن نصب الامام أن مراده من قوله «وجود الامام لطف» أن الشخص الذي له الامر في الطاعة والنهي عن المعصية ، وكان أهلا لذلك له مجامع العلم في الشرعيات والتكاليف، ومصدر الرجوع في تمام الاحكام ، وكان له محل اقامة الحدود والتعزيرات والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهكذا من مصالح وجود الامام لطف، حيث أن وجود مثل ذلك عماد القرب الى طاعة الله ، والبعد عن معصية الله ، سواء لحقه القهر أم لا، فان مع عدم القهر لعله كان أقرب الى الخلوص، ولعله عمدة الداعي الى اختفاء الامام .

واما أن تصرفه لطف آخر، فلعل المراد تمكنه من التصرف ، وهذا اللطف

حاصل مطلقا ، والذي هو المعدوم هوفعلية التصرف لاالتمكن ، أو المـراد أن اللطف ليس ، ولازمه حصول الماطوف فيه ، والا فهوالالجاء المنفي ، والذيهو من الامام من جهة التقريب والتبعيد هوجهات اللطف وأما ماهوالبعدمن اختياره، فهوتارة وجودي وتارة عدمي ، وبعبارة اخرى : تارة يكون من الشرائط، وتارة من الموانع ، وكل هذا خارج من اللطف .

ولعله قد أشار الى هذا المعنى العلامة رحمه الله في الالفين ، حيث قال في دفع شبهة من قال بوجوب نصب الامام على الامة عقلا ، قال : الامام لطف في حال غيبته وظهوره ، أما عند ظهوره فكما مر ، وأما عند غيبته ، فلانـه يجوز المكلف ظهوره كل لحظة ، فيمتنع من الاقدام على المعاصي ، وبذلك يكون لطفاً .

لا يقال : تصرف الامام ان كان شرطاً في كونــه لطفاً ، وجب على الله تعالى فعله وتمكينه ، والا فلا لطف .

لانا نقول : ان تصرفه لابد منه في كونه لطف ولا نسلم أنه يجب عليه تعالى تمكينه ، لان اللطف انمايجب اذا لم يناف التكليف، فخلق الله تعالـى الاعوان للامام ينافي التكليف وانمالطف الامام يحصل ويتم بامور:

منها : خلق الامام وتمكينه بالقدرة والعلوم والنص عليه باسمه ونسبه ، وهذا يجب عليه ، وقد فعله .

ومنها : تحمل الامامة وقبولها ، وهذا يجب عليه ، وقدفعله . وأمـا النصرة والذب عنه وامتثال أوامره وقبول قوله ، فهذا يجب على الرغبة انتهى[1].

والحاصل أن الذي هواللطف الواجب وجود الامام الذي له الامروالنهي، أمـا لوظلمه ظالم ، أوقهره قاهر ، أوحبسه حابس، أو غاب واختفى حفظاً لنفسه

---

(١) الالفين ص٥٤ .

عن القتل ، فكل ذلك خارج عن جهات اللطف ، نازلـة منزلـة الموانع[١] ، والواجب على الله تعالى ايجاد المقتضي لا ازالة المانع، والالازم الالجاء ، وقد أخذوا في معنى اللطف أن لايبلغ حد الالجاء .

فنقول في الجواب عن هذا الايراد الذي أورده على صغرى القياس: ان لنافي دفع هذا الايراد مسالك :

الاول : أن هذا الايراد مشتمل على شقين ، لان حاصل هذا الايراد أن المراد من الامام الذي هو لطف الامام القاهر أو الاعم ، فان كان الاول فهو مناف لاصل المذهب ، فيكشف من ذلك عدم كون الامام لطفاً . وان كان الثاني ، فليس باطف لعدم حصول أثره من التقريب والتبعيد .

قلنا : ان المراد هو الاعم، وليس اللطف هو حصول الاثر، بل اللطف وجود المؤثر، وان شئت قلت : المراد هـو الاول ، لكن القهر انما يكون بـالذات ، والمقهورية بسبب العوارض والعادات، فان الله تعالى مع أنه غالب على أمره لا يقهره قاهر بل هو القهار على الاطلاق ، لاينفذ أمره التكليفي بين العباد .

الثاني : أن اللطف كما عرفت، هو مايقرب الى الطاعة ويبعد عن المعصية ، بحيث لاينافي الاختيار ،ووجود الامام الغير القاهر انما هو بهذه المثابة من التقريب والتبعيد ، فان من اختار العصيان بعد ماعرف الحق ، وأعرض عنه ببيان الامام من لفظة خاصة أو عامة ،كان قد قرب نفسه الى المعصية بعد ماقربه الامام الى الطاعة.

الثالث : أن مرادنا من كون الامام لطفاً ، فانما هو بحسب الذات ، فلو منع مانع عن حصول القرب والبعد ، فانما هو منسوب الى المانع لا الى المقتضي ، فالمقتضي في جميع حالاته باق على حد اقتضائه ، وقد أشرنا الى ذلك آنفاً .

الرابع : ان آثار وجود الامام حاصلة في جميع حالاتـه ، فان الشمس لها

---

(١) في نسخة : المواضع .

ضياء ونور وبرق وان استترها السحاب ، والمسك تفوح منه الرائحة وان اختفى في الصندوق ، كماقال الامام الثاني عشر صلوات الله عليه .

روى في كمال الدين في باب ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عليه السلام باسناده عن اسحاق بن يعقوب الكليني ، قال سألت محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي ، فوردني التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام .

أما ماسألت عنه أرشدك الله وثبتك عن أمر المنكرين لي ، الى أن قال: وأما علة وقوع الغيبة[1]، فان الله عزوجل يقول : « يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم »[2] انه لم يكن لاحد من آبائي الا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه ، واني أخرج ولا بيعة لاحد من الطواغيت في عنقي.

وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي ، فكالانتفاع بالشمس اذا غيبتها عن الابصار السحاب ، واني لامان لاهل الارض ، كما أن النجوم أمان لاهل السماء ، فاغلقوا باب السؤال عمالا يعنيكم ، ولا تتكلفوا علم ماقد كفيتم ، واكثروا الدعاء بتعجيل الفرج ، فان ذلك فرجكم ، والسلام عليك يا اسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى[3].

وروى فيه في باب العلة التي من أجلها يحتاج الى الامام ، باسناده عن سليمان ابن مهران الاعمش عن الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين عليهما السلام ، قال: نحن أئمة المسلمين ، وساق الرواية الى أن قال وقال سليمان : فقلت للصادق عليه السلام : فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟

---

(١) في المصدر : وقع من الغيبة .

(٢) سورة المائدة : ١٠١ .

(٣) كمال الدين ص٤٨٣ ـ ٤٨٥ ، ح٤ .

قال : كما ينتفعون بالشمس اذا سترها السحاب(١).

الخامس : أن غلبة الامام وسلطنته في الارض قد يقوم مقامها لطف آخر ، وقد ذكروا أن كل لطف واجب اذا لم يقم مقامه بدل ولطف آخر ، فقد يكون اللطف في مغلوبيته ومقهوريته من جهات كثيرة ، بعضها راجعة الى نفس الامام، من حصول مقامات عالية في تحمله المصائب والظلم والاسر والقتل ونحوهما كماهو واضح ، ووقوع الظلم على أولياء الله وأنبيائه كان ثابتاً في كل عصر وزمان والمصالح في ذلك كثيرة .

فمنها : أن لايعتقد الخلق فيهم الربوبية ، بعد أن رأوا فيهم ظفر الاعداء بهم.

ومنها : أن يبلغوا بذلك الدرجات العالية الفائقة في الدنيا والدين ، كما لا يخفى على أولي الابصار .

وقد يدل على ماذكرناه مارواه الصدوق في كتاب العلل في باب العلة التي من أجلها لم يجعل الله عزوجل الانبياء والائمة في كل أحوالهم غالبين، عن محمد بن ابراهيم بن اسحاق الطالقاني رضي الله عنه ، قال: كنت عند الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح قدس الله روحه مع جماعة ، فيهم علي بن عيسى القصري ، فقام اليه رجل ، فقال: اريد أن أسألك عن شيء ، فقال له: سل عما بدا لك، فقال الرجل أخبرني عن الحسين بن علي عليهما السلام : أهو ولي الله ؟ قال : نعم ، قال : أخبرني عن قاتله لعنه الله أهو عدو الله ؟ قال: نعم ، قال الرجل : فهل يجوز أن يسلط الله عدوه على وليه .

فقال له أبو القاسم قدس الله روحه : افهم عني ما أقول لك ، اعلم أن الله عزوجل لايخاطب الناس بشهادة العيان ، ولايشافههم بالكلام ، ولكنه عزوجل بعث اليهم رسولا من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم ، فلو بعث اليهم رسلا من

(١) كمال الدين ص٢٠٧ ، ح٢٢ .

غير صنفهم وصورهم لنفروا عنهم ولم يقبلوا منهم ، فلما جاؤوهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام ، ويمشون في الاسواق ، قالوا لهم: أنتم بشر مثلنا ، فلا نقبل منكم حتى تأتونا بشيء نعجز أن نأتي بمثله ، فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه .

فجعل الله عزوجل لهم المعجزات التي يعجز الخلق عنها ، فمنهم من جاء بالطوفان بعد الانذار والاعتذار ، فغرق جميع من طغى وتمرد ، ومنهم من ألقي في النار فكانت عليه برداً وسلاماً ، ومنهم من أخرج من الحجر الصلد ناقة ، وأجرى في ضرعها[1] لبنا ، ومنهم من فلق له البحر وفجر له من الحجر العيون ، وجعل له العصا اليابسة ثعباناً ، فتلقف مايأفكون، ومنهم من أبرأ الاكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله عزوجل وأنبأهم بمايأكلون وما يدخرون في بيوتهم ، ومنهم من انشق له القمر وكلمته البهائم مثل البعير والذئب وغير ذلك .

فلما أتوا بمثل هذه المعجزات، وعجز الخلق من اممهم عن أن يأتوا بمثله ، كان في تقدير الله عزوجل ولطفه بعباده وحكمته أن جعل أنبيائه مع هذه المعجزات في حال غالبين [وفي أخرى مغلوبين ، وفي حال قاهرين وفي حال مقهورين ، ولوجعلهم عزوجل في جميع أحوالهم غالبين][2] وقاهرين ولم يبتلهم ولم يمتحنهم ، لاتخذهم الناس آلهة من دون الله عزوجل ، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبار، ولكنه عزوجل جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين وفي حال العافية والظهور على الاعداء شاكرين ، ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير

---

(١) الضرع بالضاد المعجمة والعين المهملة ، لكل ذات ظلف أو خف كالثدي للمرأة « منه » .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من النسختين .

شامخين ولا متجبرين .

وليعلم العباد أن لهم ﷻ الهاً هوخالقهم ومدبرهم، فيعبدونه ويطيعوارسله وتكون حجة الله تعالى ثابتة على من تجاوز الحدفيهم وادعى لهم الربوبية، أو عاند وخالف وعصى وجحد بما أتت به الانبياء والرسل، وليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة .

قال محمد بن ابراهيم بن اسحاق رضي الله عنه : فغدت الى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح قدس الله روحه من الغد وأنا أقول في نفسي: أتراه ذكر مثل ماذكر لنا له يوم أمس من عندنفسه، فابتدأني فقال لي : يامحمد بن ابراهيم لئن أخر من السماء فتخطفني الطير أوتهوى به الريح في مكان سحيق[1] أحب لي من أن أقول في دين الله تعالى ذكره برأيي ومن عند نفسي، بل ذالك من الاصل ومسموع عن الحجة صلوات الله عليه وآله[2].

ومنها : امتحان الخلق بذلك ، وهذا أيضاً لطف خاص ممتاز بـه الطيب من الخبيث ، وللامتحان باب عام، حتى قال تعالى شأنه في أول سورة العنكبوت « الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » فقد ورد أخبار كثيرة تدل على وروده في شأن علي عليه السلام وأولاده .

وأما في خصوص الغيبة ، فقد روى في كتاب العلل ، عن سعد بن عبدالله ، عن الحسن بن علي[3] بن محمد بن علي بن جعفر، عن جده محمد بن علي بن

---

(١) السحيق البعيد ، قال تعالى «فسحقاً» أى : فبعداً . وهوى به ، أى : أسقطه الى الارض ، والمراد رماني الريح فى مكان بعيد «منه» .

(٢) علل الشرائع ص٢٤١ ـ ٢٤٣ .

(٣) فى العلل : عيسى .

جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام ، قال:اذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم ، لايزيلكم أحد عنها ، يا بني انه لابد لصاحب هذا الامر من غيبة حتى يرجع هذا الامر من كان يقول به ، انما هي محنة من الله عزوجل امتحن بها خلقه الخبر(١).

ومنها : أن حكم الله تعالى في عباده ليس مما يدركه الافهام الناقصة والعقول الضعيفة ، فقد يقتضي بعض المصالح الكائنة في برهة من الزمان خفاء الامام وغيبته مع ترقب ظهوره وكونه بين أظهرهم ، أوعدم تسلطه على الناس .

روى الصدوق في كتاب العلل وكمال الدين باسناده عن عبدالله بن الفضل الهاشمي ، قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام يقول : ان لصاحب هذا الامر غيبة لابد منها ، يرتاب فيها كل مبطل، فقلت له : ولم جعلت فداك ؟ قال : لامر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، قلت: فما وجه الغيبة في غيبته ؟ قال: وجه الحكمة في [غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، ان وجه الحكمة في](٢) ذلك لا ينكشف الا بعد ظهوره ، كما ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة ، وقتل الغلام ، واقامة الجدار لموسى الى وقت افتراقهما .

يابن الفضل ان هذا الامر أمر من أمر الله تعالى وسر من سر الله ، وغيب من غيب الله ، ومتى علمنا أنه عزوجل حكيم ، صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة ، وان كان وجهها غير منكشف لنا(٣).

ومنها : أن كون الانبياء والاوصياء مقهورين متبرين ، وغيبة جملة منهم في

---

(١) علل الشرائع ص٢٤٤ ، ح٤ .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من النسختين .

(٣) علل الشرائع ص٢٤٦ ، وكمال الدين ص٤٨٢ .

برهة من الزمان عهد معهود من لدن آدم عليه السلام الى الخاتم، وكانت هذه الطريقة جارية غير مستأنفة، فانظر الى غيبات الانبياء التي ذكرها الصدوق في كتاب كمال الدين وغيره في غيره.

وروى فيه أيضاً في الباب المذكور أي في باب علة الغيبة، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: ان للقائم منا غيبة يطول أمدها، فقلت له: يابن رسول الله ولم ذلك؟ قال: لان الله عزوجل أبى الا أن يجري فيه سنن الانبياء في غيباتهم، أنه لابد له ياسدير من استيفاء مدد غيباتهم، قال الله تعالى «لتركبن طبقاً عن طبق»[1] أي: سنن من كان قبلكم[2].

ومنها: أن المذكور في بعض الروايات بعض حكم ومصالح في غيبة الامام، مثل أن لايكون لاحد في عنقه بيعة، وهو المذكور في جملة من الاخبار.

كالخبر المروي في الكتاب المذكور، عن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، قال: كأني بالشيعة عند فقدهم الرابع من ولدي، يطلبون المرعى فلايجدونه، قلت له: ولم ذلك يابن رسول الله؟ قال: لان امامهم يغيب عنهم، فقلت: ولم؟ قال: كيلا يكون لاحد في عنقه بيعة اذا قام بالسيف[3].

ولبيانه مقام آخر، ومثل أن يحفظ نفسه عن القتل، وهو المذكور في جملة من الاخبار.

كالخبر المروي فيه في الباب المذكور باسناده، عن علي بن رئاب عن زرارة قال سمعت أباجعفر عليه السلام يقول ان للقائم غيبة قبل ظهوره، قلت: ولم؟ قال: يخاف

---

(١) سورة الانشقاق: ١٩.

(٢) كمال الدين ص ٤٨٠ - ٤٨١، ح ٦.

(٣) كمال الدين ص ٤٨٠، ح ٤.

وأومأ الى بطنه ، قال زرارة يعني القتل[١].

ومنها : أن اللطف الواجب في خلقة الامام عليه السلام هو اللطف في عالم التكليف، لا اللطف في عالم التكوين ، والا فقد نرى في جميع الاعصار صدور المعاصي عن العباد أكثر من الطاعات ، حتى مع وجود الامام ، فضلا عن زمان الغيبة ، وسيأتي تحقيق هذا الحال في رد الجواب عن الكبرى .

ومنها : أن اللطف لايكون في مرتبة الالجاء والاضطرار ، كماذكروه وأخذوه في معنى اللطف ، واذاكان كذلك ، فيجوز أن يمنع عن نفسه الملطوف فيه مع اتمام اللطف في حقه ، فيكون الامام لطفاً من الله تعالى ، يقرب الناس الى الطاعات ، ويبعدهم عن السيئات، لكن لماكان حالة الاختيار باقية ، يكون قد لا يتقرب مع وجوده الى الطاعة، ولايبعد عن المعصية مع أمر الامام ونهيه عصياناً، لكونه ممنوعاً خائفاً، أومستوراً عن الابصار، وهذاهو الذي ذكره الشيخ الطوسي (ره) في كتاب غيبته .

ويمكن أن يحقق المقام ، وينقح بوجه آخر بيانه : أن جهات اللطف في الامام متعددة ، فمنها جهة الرئاسة التي تتوقف عليها النظام .

ومنها : جهة بيان التكاليف والاحكام .

ومنها : جهة اقامة الحدود والتعزيرات .

ومنها : جهة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ذكروه من الالطاف.

ومنها : جهة علمه بمعالم الشرع والكتاب والسنة والتنزيل والتأويل، وغير ذلك من العلوم .

ومنها : جهة النفي عن الدين التأويل بالاراء والاهواء من الغالين والمبطلين وهكذا .

---

(١) كمال الدين ص٤٨١ ، ح٩ .

فقد تجتمع هذه الجهات في شخص واحد وقد يفترق ، فالامام المقهور والمستور فيه بعض الجهات السابقة المختصة به لا يقدر غيره عليها ، فلا يكون اللطف لطفاً واحداً مختصاً بالامام الغالب القاهر الظاهر . هذا كله الكلام في الصغرى .

وأما الكبرى ، فقد ذكرنا الاستدلال عليها مماحاصله أنه موافق للغرض في التكليف بالملطوف فيه وتركه مناف له ، فيكون قبيحاً .

وقد أورد عليه الأشاعرة بوجوه من النقض .

منها : أنه لو وجب اللطف لما كفر أحد ولا فسق ، بيان الملازمة : أن وجوب اللطف يقتضي وجوده ، لان ترك الواجب قبيح ، فاذا وجد امتنع الكفر والفسق .

والجواب عنه من وجهين ، أحدهما : أن اللطف هو القرب والبعد ما لا يبلغ حد الالجاء ، فالاختيار باق ، والكافر والفاسق يختارون الكفر والفسق وأسبابهما بسوء الاختيار .

وثانيهما : أن اللطف كمايقتضي ايجاد المقرب والمبعد كذلك يقتضي خلق الشهوات في الانسان ، فمن ترك الهداية واتبع الشهوات ، فقد اختار الكفرعلى الايمان والطاعة على العصيان ، فمع وجود اللطف كفر وفسق ، وهذا راجع الى الاول .

ومنها : أنه لو وجب اللطف لكان في كل عصر نبي ، وفي كل بلد معصوم، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، وكان حكام الاطراف متقين مجتهدين، وهكذا يكون ذلك كله مقرباً الى الطاعة ، ومبعداً عن المعصية ، والتالي باطل بالوجدان فيكشف ذلك عن بطلان المقدم .

والجواب عنه بمنع بطلان التالي ، بل في عصر نبي أو امام معصوم كماهو

مذهبنا ، وعدم ظهوره أو عدم غلبته لامر منا من اضافة وعدم اعانة ، وكونه في كل بلد ، فغير لازم ، بل يكفي اقامة الحكام في كل بلد من المتقين والمجتهدين وعدم حصول ذلك من عدم غلبة الامام أوخفائه الناشي من الخلق .

ومنها : أنه لو وجب اللطف على الله تعالى لما أخبرنا بالسعادة والشقاوة لكونهما مقربين الى العصيان ، فالاول لايبالي للاطمينان بالدخول في الجنة ، والثاني لا يبالي لحصول اليأس عن الجنة والجزم بدخول النار .

والجواب : أن الاخبار بهما غير ثابت الا في حق من علم الله أنه لا يعصى أولا يطيع ، فمن علم الله تعالى نقلا منه ذلك ، أو حصل له بكده وسعيه ملكة الطاعة ، أخبر بأنه من أهل السعادة ، ومن كان عكس ذلك فأخبر بأنه من أهل النار ، وأيضاً السعادة لاتنفك عن الطاعة ، وكذلك الشقاوة لاتنفك عن المعصية ، فليس الاخبار موجباً لذلك .

الفصل الرابع

(فى صفات الامام)

وفيه مقاصد :

المقصد الاول

(فى أصل خلقته الى زمان ولادته)

وهومشتمل على مطالب :

أولها : في أصل خلقته ، قد اشتملت كثير من الروايات أن أصل خلقته من عليين ، بل ومن أعلاها .

روى في بصائر الدرجات والكافي في باب خلق أبدان الائمة وأرواحهم وقلوبهم عليهم السلام ، عن أبي يحيى الواسطي ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : ان الله خلقنا من عليين ، وخلق أرواحنا من فوق ذلك ، وخلق أرواح شيعتنا من عليين ، وخلق أجسادهم من دون ذلك ، فمن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم قلوبهم تحن الينا[١].

ورواه الصدوق في العلل في باب غلبة الطبائع والشهوات ، عن أبي يحيى الواسطي رفعه ، قال قال أبوعبدالله عليه السلام الخبر[٢].

وروي في الكافي في الباب المذكور ، وفي باب طينة المؤمن والكافر ، وفي العلل في الباب المذكور ، عن أبي حمزة الثمالي ، قال: سمعت أبي جعفر عليه السلام يقول :ان الله عزوجل خلقنا من أعلا عليين ، وخلق قلوب شيعتنا مماخلقنا ، وخلق أبدانهم من دون ذلك ، فقلوبهم تهوي الينا ، لانهاخلقت مماخلقنا ، ثم تلا هذه الاية «كلا ان كتاب الابرار لفي عليين * وما أدراك ماعليون * كتاب مرقوم * يشهده المقربون»[٣] وخلق عدونا من سجين ، وخلق قلوب شيعتهم مماخلقهم منه ، وأبدانهم من دون ذلك ، فقلوبهم تهوي اليهم ، لانهاخلقت مما خلقوا منه ، ثم تلا هذه الاية « كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين * كتاب مرقوم »[٤] [٥].

وروى فيه ، أي في الكافي في الباب الثاني ، وفي العلل في الباب المذكور ، عن ربعي بن عبدالله ، عن رجل ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: ان الله عزوجل

(١) بصائر الدرجات ص٢٠ ، ح١ ، اصول الكافى ١/٣٨٩ ، ح١ .

(٢) علل الشرائع ص١١٧ ، ح١٥ .

(٣) سورة المطففين : ١٨-٢١ .

(٤) سورة المطففين : ٧-٩ .

(٥) اصول الكافى ١/٣٩٠ ، ح٤ ، ج٢/٤ ، ح٤ ، علل الشرائع ص١١٦ ، ح١٢ .

خلق النبيين من طينة عليين : قلوبهم وأبدانهم ، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة ، وخلق أبدان المؤمنين من دون ذلك ، وخلق الكفار من طينة سجين : قلوبهم وأبدانهم ، وخلط بين الطينتين ، فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن ، ومن هاهنا يصيب المؤمن السيئة ، ومن هاهنا يصيب الكافر الحسنة ، فقلوب المؤمنين تحن الى ماخلقوا منه ، وقلوب الكافرين تحن الى ماخلقوا منه[1].

وروى في البصائر في أوائل الكتاب في الباب المذكور ، عن محمد بن مضارب ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : ان الله جعلنا من عليين ، وجعل أرواح شيعتنا مما جعلنا منه ، ومن ثم تحن أرواحهم الينا ، وخلق أبدانهم من دون ذلك وخلق عدونا من سجين ، وخلق أرواح شيعتهم مما خلقهم منه ، وخلق أبدانهم من دون ذلك ، ومن ثم تهوي أرواحهم اليهم[2].

وروى في العلل في الباب المذكور ، عن زيد الشحام ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : ان الله تبارك وتعالى خلقنا من نور مبتدع من نور ، رسخ ذلك النور في طينة من أعلا عليين ، وخلق قلوب شيعتنا مما خلق منه أبداننا ، وخلق أبدانهم من طينة دون ذلك ، فقلوبهم تهوى الينا ، لانها خلقت مما خلقنا منه ، ثم قرأ « ان كتاب الابرار لفي عليين * وما أدراك ماعليون * كتاب مرقوم * يشهده المقربون » وان الله تبارك وتعالى خلق قلوب أعدائنا من طينة من سجين ، وخلق قلوب شيعتهم مما خلق منه أبدانهم ، فقلوبهم تهوى اليهم ثم قرأ « ان كتاب الفجار لفي سجين * وما أدراك ما سجين * كتاب مرقوم * ويل يومئذ للمكذبين »[3].

---

(١) اصول الكافي ٢/٢ ، ح١ علل الشرائع ص١١٦ ، ح١٣ .

(٢) بصائر الدرجات ص٢٠ ، ح٢ .

(٣) علل الشرائع ص١١٧ ، ح١٤ .

بيان :

مافي هذه الاخبار : «عليين»اماجمع لعلي على زنة فعيل بتضعيف العين، أو علم منقول . وعلى الثاني : اما اسم للسماء السابعة ، أوموضع فيها، أو لديوان الخير ، أو على الامكنة قرباً من الله تعالى .

ويدل على الاول مافي القاموس : عليون جمع علي في السماء السابعة تصعد اليه أرواح المؤمنين(١).

وفي النهاية : عليون اسم للسماء السابعة، وقيل: هو اسم لديوان الملائكة الحفظة، ترفع اليه أعمال الصالحين من العباد، وقيل: أراد أعلى الامكنة وأشرف المراتب وأقربها من الله في الدار الاخرة (٢) .

وفي الكشاف : وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين ، منقول من جمع على فعيل من العلو ،كسجين من السجن، سمي بذلك: امالانه سبب الارتفاع الى أعالي الدرجات في الجنة، واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريماً له وتعظيماً (٣) .

وقال الفخر الرازي في التفسير: واعلم أن لاهل اللغة في تفسير عليين أقوالا ولاهل التفسير أيضاً أقوالا. أما أهل اللغة، قال أبوالفتح الموصلي: عليين جمع علي، وقال الزجاج : اعراب هذا الاسم كاعراب الجمع، لانه على لفظ الجمع كماتقول هذه قنسرون ، ورأيت قنسرين .

وأما المفسرون، فروي عن ابن عباس أنها السماء الرابعة، وفي رواية أخرى

---

(١) القاموس ٤/٣٦٦ .

(٢) نهاية ابن الاثير ٣/٢٩٤ .

(٣) الكشاف ٤/٢٣٢ .

أنها السماء السابعة ، وقال قتادة ومقاتل : هي قائمة العرش اليمنى فوق السماء السابعة، وقال الضحاك: سدرة المنتهى، وقال الفراء: ارتفاعاً بعد ارتفاع لاغاية له وقال الزجاج : أعلى الامكنة ، وقال آخرون : هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة قد عظمها الله وأعلى شأنها، وقال آخرون : عند كتاب الملائكة [١] .

وفي مجمع البحرين، نقلا عن الشيخ أبي علي في تفسير الايـة ، وهي قوله تعالى « ان كتاب الابرار لفي عليين » أي في مراتب عالية محفوفـة بالجلالة ، وقيل: في السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين، وقيل: سدرة المنتهى وهي التي ينتهي اليها كل شيء من أمر الله تعالى، وقيل: عليون الجنة، وقيل: هو لوح من زبرجد أخضر معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه، وعن البراء بن عازب عن النبي ﷺ ، قال في عليين في السماء السابعة تحت العرش انتهى [٢] .

أقول : الاية وان اقتضت كونه الديوان ، لكن المستفاد من أمور كثيرة أنه اسم للموضع، فيكون الاية مأولة بتأويلات، منها: أن الكتاب الثاني بيان للكتاب الاول لا لعليين ، كماصرح به القفال في تفسير الاية السابقة في كتاب الفجار .

ومنها : أن يكون المراد من الكتاب غير مايكتب فيه ، فان الكتاب له معان عديدة منها الحكم والحتم والقدر والمراد بالمرقوم البين الكتابة بذلك المعنى أوالعلم الذي يعلم حاله من وصفه .

قال في القاموس: رقم كتب والكتاب أعجمه و بينه والثوب خططه [٣] .

وفي الكشاف : كتاب مرقوم بين الكتابة ، أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى ٣١/٩٦-٩٧ .

(٢) مجمع البحرين ١/٣٠٢ .

(٣) القاموس ٤/١٢١ .

فيه أوفيه الخير (١) انتهى .

الى غير ذلك من وجوه التأويل التي لابد منها ، لعدم التمكن من التأويل في الروايات الكثيرة مع شهادة كلام أهل اللغة والمفسرين، وهوالظاهر من كثير من الروايات ، كالروايات السابقة وغيرها ، كالاخبار الدالة على أن خلقة الابرار من طينة الجنة، كالخبر المروي في الكافي والعلل، عن عبدالله بن محمد الجعفي وعقبة ، جميعاً عن أبي جعفر عليه السلام ، قال: ان الله عزوجل خلق الخلق، فخلق من أحب مما أحب ، وكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة ، وخلق من أبغض مما أبغض وكان ماأبغض أن خلقه من طينة النار الخبر (٢) الى غير ذلك من الاخبار .

وأما السجين ففيه أيضاً الكلام، كالكلام السابق ، ففي الكشاف : اسم علم منقول من وصف كحاتم ، وهو كتاب جامع هو ديوان الشر ، دون الله عزوجل فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس ، وسمي سجيناً فعيلا من السجن، وهو الحبس والتضييق ، لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم، أو لانه مطروح كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم(٣).

وفي تفسير الفخر : ان قول جمهور المفسرين أنه اسم ، ثم اختلفوا فيه ، فالاكثرون على أنه الارض السابعة السفلى ، وهو قول ابن عباس، في رواية عطاء وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد، وروى البراء أنه عليه السلام قال: سجين أسفل سبع أرضين . وروى أبو هريرة أنه عليه السلام قال سجين جب في جهنم . وقال الكلبي

---

(١) الكشاف ٢٣١/٤ .

(٢) اصول الكافى ١ / ٤٣٦، ح٢، وج٢ / ١٠، علل الشرائع ص١١٨ .

(٣) الكشاف ٢٣١/٤ .

ومجاهد:سجين صخرة تحت الارض السابعة الى آخر كلامه[١].

ولم يذكر من بيانـه هذا الذى ذكره صاحب الكشاف ، وان بني الكلام عليه ، بل لم أجدله داعياً في هـذا التفسير في الموضعين الا الاية ، وقد عرفت ماعرفت ، ولانبالي بموافقة البيضاوى التابع له .

ومما يزيد ماذكرناه الحاجة الى التأويل في جعـل الكتاب الى الكتاب ، حيث أن الايتين اقتضتا على كون كتاب الفرقتين في الموضعين ، فكيف يكـون الموضعان نفس الكتاب، وقد أورد الكشاف على نفسه ذلك، ثم قال: ان سجين كتاب جامع هو ديوان الشر، والمعنى ان ماكتب من أعمال الفجار ثبت في تلك الديوان، وزاد عليه الفخر بأن الكتاب الاول بمعنى الكتابة ، والاولى ماذكرناه من كون عليين وسجين مكانين الله أعلم بهما.

ثم ان سجيناً على زنة فعيل بكسر الفآء والعين المشددة ، وهي للمبالغة فـي الصفة ، كما نص عليه في خاتمة المصباح المنير، وحكى عن ابن السكيت أن ما كان على مثال فعيل وفعليـل ، فهو مكسور الاول ، ولم يأت فيه الفتح، واستثنى بعضهم دري ، فانه ورد بالكسر على الباب،وبالضم أيضاً وقرىء بهما في السبعة، فمثال فعيل زهيد الكثير الزهد، وسكيت لكثير السكوت،والصديق لكثير الصدق، وخمير لمن يكثر شرب الخمر[٢] انتهى.

ثم ان جملة من الروايات تدل على أن قلوب الشيعة وأرواحهم مخلوقة مما خلق منه أبدان الائمة، وأبدان الشيعة من مرتبة دون ذلك ،كماأن أرواح الائمة مخلوقة من مرتبة فوق ذلك ، وفي ذلك اشارة الى جهة تجردهم، أوكون أبدان لهم غير هذه الأبدان المشابهة لنا .

---

(١) التفسير الكبير ٣١/٩٢ .

(٢) المصباح المنير ص٦٩٩ .

ولابأس بذكر بعض روايـات أخر في المقام تدل على أن أرواحهم عليهم السلام مخلوقـة من نور لم يشاركهـم غيرهم في ذلك ، وأبدانهم مخلوقـة من طينة مخصوصة .

روى في الكافي في الباب المذكور باسناده عن محمد بـن مروان عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال: سمعته يقول: ان الله خلقنا من نور عظمته ، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكذا [١] نحن خلقاً و بشراً نورانيين لم يجعل لاحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً ، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأرواحهم [٢] من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة ، ولم يجعل الله لاحد في مثل الذي خلقهم من نصيب الا الانبياء [٣]، ولذلك صرنا نحن وهم الناس وصار سائر الناس همج للنار والى النار [٤] .

ورواه في البصائر بتفاوت يسير منه في آخر الخبر ، ففي البصائر : وصار سائر الناس همجاً في النار والى النار [٥] .

بيان :

قوله « خلقنا من نور عظمته » أي: خلق أرواحنا، وقوله « ثم صور خلقنا» أي : أبداننا، بدلالة قوله « وخلق أرواح شيعتنا » الى آخره، وبدلالة الروايات السابقة ، ولاسيما روايـة العلل ، وقوله « فكذا نحن خلقـاً و بشراً » الخلق بفتح

(١) في المصدر: فكنا .

(٢) في المصدر : أبدانهم .

(٣) في بعض النسخ «خلقهم منه نصيب » وفي البصائر «خلقهم منه نصيباً الا للانبياء» «منه» .

(٤) اصول الكافي ١/٣٨٩، ح٢ .

(٥) بصائر الدرجات ص٢٠، ح٣ .

الخاء هنا بمعنى الروح والبشر البدن .

قال في الصحاح : الخلق التقدير، يقال خلقت الاديم اذا قدرته قبل القطع انتهى [١] .

ويمكن أن يكون بضم الخاء، فان الخلق السجية، وهو من الروح. والبشر بفتح الشين ظاهر جلد الانسان، وكونهم نورانيين أما باعتبار الروح فظاهر، وأما باعتبار الجسم فلكونه محل النور .

قوله « وهم الناس » محتمل أن يكون الواو في وهم جزء الكلمة .

قال في القاموس: الوهم من خطرات القلب ، والطريق الواسع ، والرجل العظيم، والجمل الذلول في ضخم وقوة، جمع أوهام ووهوم ووهم[٢] .

وفي الصحاح : الوهم الجمل الضخم الذلول [٣] .

ويحتمل أن تكون كلمة العطف والمرجع الشيعة ، أي : نحن وهم الناس لحقيقة الانسانية، ولذا قال بعض الافاضل: أراد بالناس أولا الناس بحقيقة الانسانية وثانياً مايطلق الانسان عليه في العرف العام .

والهمج : محركة ذباب صغير ،كالبعوض يسقط على وجه الغنم والحمير قيل: وشبههم به لازدحامهم دفعة على كل ناعق .

وفي الصحاح: يقال للرعاع من الناس الحمقى وهم همج [٤] .

وروى في الكافي أيضاً باسناده عن علي بن عطية، عن علي بن رئاب، رفعه الى علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال قال أمير المؤمنين عليه السلام : ان لله نهراً دون

---

(١) صحاح اللغة ١٤٧٠/٤ .
(٢) القاموس ١٨٧/٤ .
(٣) صحاح اللغة ٢٠٥٤/٥.
(٤) صحاح اللغة ٣٥١/١ .

عرشه ، ودون النهر الذي دون عرشه نور نوره ، وان في حافتي النهر روحين مخلوقين [١]: روح القدس، وروح من أمره ، وان لله عشر طينات : خمسة من الجنة ، وخمسة من الارض ، ففسر الجنان وفسر الارض .

ثم قال مامن نبي ولا ملك من بعده جبلـه الا نفح فيه من احدى الروحين وجعل النبي ﷺ من احدى الطينتين[٢]. قلت لابي الحسن الاول عليه السلام: ما الجبل؟ قال: الخلق غيرنا أهل البيت، فان الله عزوجل خلقنا من العشر طينات [٣]، ونفح فينا من الروحين جميعاً، فاطيب [٤] بها طيباً[٥] .

وروى غيره عن أبي الصامت، قال: طين الجنان: جنة عدن، وجنة المأوى والنعيم والفردوس، والخلد . وطين الارض: مكة ، والمدينة ، والكوفة ، وبيت المقدس ، والحير[٦] .

أقول: روى هذا الخبر في البصائر في باب ماجعل الله في الانبياء والاوصياء والمؤمنين وسائر الناس من الارواح، مع اختلاف أشرنا في الحواشي .

وقوله « جبله » بصيغة الماضي ، أي خلقه قال في الصحاح : جبله الله أي خلقه الله [٧] .

فعلى مافي الكافي يكون ضمير بعده: اما راجعاً الى الله تعالى، أو النبي ﷺ

---

(١) في البصائر: روحان مخلوقان «منه» .

(٢) في البصائر : مامن نبي ولاملك الا من بعد جبله نفخ فيه من احدى الروحين وجبل النبي من احدى الطينتين «منه» .

(٣) في البصائر : من العشر طينات جميعاً «منه» .

(٤) في البصائر: فأطيبها طيناً .

(٥) أصول الكافي ١/٣٨٩، ح٣ .

(٦) بصائر الدرجات ص٤٤٦-٤٤٧، وفي بعض النسخ : والحائر «منه» .

(٧) صحاح اللغة ٤/١٦٥٠ .

قبله . والمعنى: مامن نبي ولاملك بعدالنبي ﷺ وأبعد الله تعالى خلقه الله تعالى الا نفح الى آخره . وعلى مافي البصائر بصيغة المصدر .

وقوله «ماالجبل» بسكون الباء ، فكأنه مثال عن تعيين هذا الخاق، فأجاب بماأجاب .

وقوله « فاطيب بها» صيغة التعجب، وعلى مافي البصائر ظاهر .

والحير كمافي الصحاح بالفتح شبه الحظيرة أو الحمى، ومنه الحير بكسر الراء، وعلى كل حال فالظاهر أن المراد منه الحائر، كمافي بعض النسخ.

والمستفاد من هذه الرواية ونظيرها أن أرواحهم من نور، وأبدانهم من طينة الجنان. وفي هذه الاخبار أيضاً دلالة على كون عليين من الجنة، وان كان مكانه تحت العرش، فان العرش في لسان الشرع فوق السماء السابعة، فينطبق على بعض التفاسير السابقة .

وثانيها: في أن فيه روح القدس، وانه والنبي ﷺ بل والانبياء مخصوصون بهذه الروح من سائـر الخلق . اعلم أنـه قد اشتملت جملة من الروايـات أن أرواحهـم خمسة ، وأرواح المؤمنيـن أربعة ، وأرواح سائر الخاق من الكفار ثلاثة .

وروى في الكافي في باب فيه ذكر الارواح التي في الائمة عليهم السلام، وفي البصائر في باب ماجعل الله في الانبياء والاوصياء والمؤمنين وسائر الناس من الارواح ، باسنادهما الصحيح عن جابر الجعفي، قال قال أبوعبدالله عليه السلام: ياجابر ان الله تبارك وتعالى خاق الخاق ثلاثة أصناف، وهو قول الله عزوجل «وكنتم أزواجاً ثلاثة * فأصحاب الميمنة ماأصحاب الميمنة * وأصحاب المشئمة ماأصحاب المشئمة * والسابقون السابقـون * أولئك المقربون »[١] والسابقون هـم رسل الله عليهم السلام

---

(١) سورة الواقعة : ٦-١١ .

وخاصة الله من خلقه .

جعل فيهم خمسة أرواح أيدهم بروح القدس فبه عرفوا الاشياء [١] وأيدهم بروح الايمان فبه خافوا الله عزوجل ، وأيدهم بروح القوة فبه قدروا[٢] على طاعة الله ، وأيدهم بروح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله عزوجل وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون .

وجعل في المؤمنين أصحاب الميمنة روح الايمان فبه خافوا الله عزوجل ، وجعل فيهم روح القوة فبه قدروا على طاعة الله [٣] ، وجعل فيهم روح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله ، وجعل فيهم روح المدرج [٤] الذي به يذهب الناس ويجيئون [٥] .

بيان :

الازواج في الاية بمعنى الاصناف يقال للاصناف التي بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض الازواج، كذا في الكشاف[٦] .

وفيه أيضاً : أصحاب الميمنة الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم ، وأصحاب المشأمة الذين يؤتونها بشمائلهم، أوأصحاب المنزلة السيئة ، وأصحاب المنزلة الدنية، من قولك فلان مني باليمين، وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة ، وذلك ليمينهم [٧] بالميامن وتشأمهم بالشمائل ، ولتفاؤلهم بالسانح ،

(١) في البصائر: فيه بعثوا أنبياء .
(٢) في البصائر: قووا .
(٣) في البصائر: قووا على الطاعة من الله .
(٤) درج الصبى دروجاً مشى في اول المشى «منه» .
(٥) اصول الكافي ١/٢٧١-٢٧٢، بصائر الدرجات ص٤٤٦ .
(٦) الكشاف ٤/٥٢ .
(٧) في المصدر: لتيمنهم .

وتطيرهم بالبارح، ولذلك اشتق باليمين اسم من اليمنى وسموا الشمال الشومى.

وقيل : أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أصحاب اليمين والشؤم ، لان السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم ، والاشقياء مشائم عليها بمعصيتهم .

وقيل : يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين ، وبأهل النار ذات الشمال قوله « والسابقون السابقون » يعني : السابقون المخاصون الذين سبقوا الى مادعاهم الله اليه (١) .

وفي تفسير علي بن ابراهيم : أصحاب الميمنة هم المؤمنون من أصحاب التبعات يوقفون للحساب ، « والسابقون السابقون » الذين سبقوا الى الجنة بلا حساب (٢) .

والمدرج : لم أر من ضبطه ، فهو اما بضم الميم من أدرج أي الذي يدرج من درج دروجاً اذا مشى ، أو المدرج بفتح الميم قال في القاموس المدرج المسلك (٣) .

وروى في البصائر باسناده عن جابر ، قال: سألت أباجعفر عليه السلام عن الروح ، قال : ياجابر ان الله خلق الخلق على ثلاث طبقات ، وأنزلهم ثلاث منازل، وبين ذلك في كتابه حيث قال « وأصحاب الميمنة ماأصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ماأصحاب المشأمة* والسابقون السابقون* أولئك المقربون» .

فاما ماذكر من السابقين فهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين ، جعل الله فيهم خمسة أرواح : روح القدس ، وروح الايمان ، وروح القوة ، وروح الشهوة ، وروح البدن ، وبين ذلك في كتابه حيث قال « تلك الرسل فضلنا بعضهم على

(١) الكشاف ٥٢/٤ .

(٢) تفسير القمي ٣٤٦/٢ .

(٣) القاموس ١٨٧/١ . قال في القاموس: ادرج كدرج وكسمع صعد في المراتب «منه» .

بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس »[١].

ثم قال في جميعهم : وأيدهم بروح منه ، فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين وغير مرسلين ، وبروح القدس علموا جميع الاشياء ، وبروح الايمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً ، وبروح القوة جاهدوا عدوهم وعالجوا معائشهم ، وبروح الشهوة أصابوا لـذة الطعام ونكحوا الحلال مـن النساء ، وبروح البدن يدب ويدرج .

وأما ماذكرت من أصحاب الميمنة ، فهم المؤمنون حقاً ، جعل فيهم أربعة[٢] أرواح : روح الايمان ، وروح القوة ، وروح الشهوة ، وروح البدن ، ولايزال العبد مستكملا[٣] بهذه الارواح الاربعة حتى يهم بالخطيئة ، فاذا هـم بالخطيئة انتقص[٤] من الايمان ، وانتقص الايمان منه ، فان تاب تاب الله عليه ، وقد تأتـي على العبد تارات ينقص منه بعض هذه الاربعة ، وذلك قول الله تعالى «ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا»[٥].

فتنتقص منه روح القوة ، ولايستطيع مجاهـدة العد ، ولا معالجة المعيشة ، وتنتقض منه روح الشهوة ، فلو مرت به أحسن بنات آدم لم يحن اليها ، وتبقى فيه روح الايمان وروح البدن ، فبروح الايمان يعبد الله ، وبروح البدن يدب ويدرج

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٣ .

(٢) هذه الرواية بمعونة الروايات الاتية بل الرواية السابقة تدل على المطلوب ، وهو أن الامام مخصوص بالروح الخامس «منه» .

(٣) في المصدر : مستعملا .

(٤) في المصدر : فاذا هم بالخطيئة زين له روح الشهوة وشجعه روح القوة وقاده روح البدن ، حتى يوقعه في تلك الخطيئة ، فاذا لامس الخطيئة انتقص الى آخره .

(٥) سورة النحل : ٧٠ .

حتى يأتيه ملك الموت .

وأما ماذكرت من أصحاب المشأمة، فمنهم أهل الكتاب،قال الله تبارك وتعالى «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * الحق من ربك فلاتكونن من الممترين»[١] عرفوا رسول الله ﷺ والوصي من بعده ، وكتموا ماعرفوا من الحق بغياً وحسداً ، فيسلبهم الله روح الايمان ، وجعل لهم ثلاثة أرواح : روح القوة ، وروح الشهوة ، وروح البدن ، ثم أضافهم الى الانعام فقال «ان هم الاكالانعام بل هم أضل سبيلا »[٢] لان الدابة انما كمل بروح القوة ، وتعتلف بروح الشهوة ، وتسير بروح البدن[٣].

بيان :

وجه كون هؤلاء كالانعام قد بين في الرواية ، وأما أنهم أضل من الانعام، فقال في الكشاف : لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهد وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها ، وتطلب ما تنفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها ، وهؤلاء لاينقادون لربهم ، ولايعرفون احسانه اليهم من اسائة الشيطان الذي هو عدوهم ، ولايطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ، ولايتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك، ولا يهتدون للحق الذي هو الشرع النهي والعذب الردي انتهى[٤].

---

(١) سورة البقرة : ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٢) سورة الفرقان : ٤٤ .

(٣) بصائر الدرجات ص٤٤٧ ـ ٤٤٩ .

(٤) انوار التنزيل ٢/١٦٥ .

أقول : وهذا كله من عدم روح الايمان ، فلم يصيروا بعدمه الاكالانعام ، فما وجه كونهم أضل منها من سائرالارواح ، ولعل الوجه أن الانعام في هذه القوى بدرجة كاملة ، فهي يهتدى الى المرعى والمشرب والمنكح الذي حل لها، ولاتخطى ولا تبدل قوتها في غير ماخلقت له بخلاف هؤلاء .

وروى في الكافي والبصائر في المقام المذكور، عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن علم العالم ، فقال لي : ياجابر ان في الأنبياء والاوصياء خمسة أرواح : روح القدس ، وروح الايمان ، وروح الحياة ، وروح القوة ، وروح الشهوة ، فبروح القدس ياجابر عرفوا ما تحت العرش الى ما تحت الثرى ثم قال : يا جابر ان هذه الارواح يصيبها الحدثان الا أن روح القدس لا يلهو ولا يلعب [1].

وفي الكافي هكذا : الاروح القدس فانها لا تلهو ولا تلعب[2] .

قال في القاموس : وحدثان الامر بالكسر أوله وابتداؤه كحداثته، ومن الدهر نوبه كحوادثه وأحداثه[3] .

وفي الصحاح: وحدث أمر أي وقع، والحدث والحدثي والحادثة والحدثان كله بمعنى[4] انتهى .

وقد يشعر هذا لكلام أنه بفتح الاول ، ومافي البصائر أولى، وان كان الا فيه بمعنى الغير وفي معنى الانقطاع .

وروى في الكافي في الباب المذكور وفي البصائر في باب في الائمة أن روح

---

(١) بصائر الدرجات ص٤٤٧ ، ح٤ .

(٢) اصول الكافي ٢٧٢/١ ، ح٢ .

(٣) القاموس ١٦٤/١ .

(٤) صحاح اللغة ٢٧٨/١ .

القدس تبلغهم اذ احتاجوا اليه ، عن المفضل بن عمر ، قال قلت لابي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن علم الامام[١] بمافي أقطار الارض وهوفي بيته مرخى عليه ستره .

فقال : يامفضل ان الله تبارك وتعالى جعل النبي صلى الله عليه وآله خمسة أرواح : روح الحياة فبه دب ودرج ، وروح القوة فبه نهض وجاهد ، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال ، وروح الايمان فبه آمن وعدل ، وروح القدس فبه حمل النبوة ، فاذا قبض النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصارفي الامام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو ، والاربعة الارواح تنام وتلهو وتغفل وتسهو وروح القدس ثابت يرى به مافي شرق الارض وغربها وبرها و بحرها، قلت: جعلت فداك يتناول الامام مابيغداد بيده ؟ قال: نعم ومادون العرش[٢].

وفي الكافي: ليس مافي شرق الارض الى آخره[٣].

وروى في البصائر في الباب الاخير، عن جابر ، قال قال أبو جعفر عليه السلام : ان الله خلق الانبياء والائمة على خمسة أرواح : روح الايمان، وروح الحياة، وروح الشهوة ، وروح القدس[٤] ، فروح القدس من الله وسائر هذه الارواح يصيبها الحدثان ، فروح القدس لايلهو ولايتغير ولايلعب، وبروح القدس علموا ياجابر مادون العرش الى ماتحت الثرى[٥].

الى غير ذلك من الاخبار ، فان المستفاد منها اختصاص النبي صلى الله عليه وآله والامام بروح القدس .

---

(١) قال سألته عن أبى عبدالله عن علم الامام ، كذا فى الكافى « منه » وليس فيه كذلك .

(٢) بصائر الدرجات ص٤٥٤ ، ح١٣ .

(٣) اصول الكافى ٢٧٢/١ ح٣ .

(٤) ليس فى نسخة البصائر التى عندنا الروح الخامس ، والساقط روح القوة«منه».

(٥) بصائرالدرجات ص٤٥٤ ، ح١٢ .

وثالثها : أنه مخصوص بمصاحبة الروح الذي هومن أمرالله تبارك وتعالى كالنبي صلى الله عليه وآله .

روى في الكافي والبصائر باسناده الصحيح ، عن أبي بصير قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى «وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان»[1][2] قال : خلق من خلق الله عزوجل أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده ، وهو مع الائمة من بعده [3].

وروى في الكافي ، عن أسباط بن سالم ، قال سأله رجل من أهل هيت وأنا حاضر ، عن قول الله عزوجل « وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا » فقال: منذ أنزل الله عزوجل ذلك الروح على محمد صلى الله عليه وآله ماصعد الى السماء وانه لفينا[4].

وروى فيه باسناده الصحيح عن أبي بصير قال سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول

---

(١) سورة الشورى : ٥٢ .

(٢) الاية في آخر الشورى ، وفي الكشاف في تفسيرها « روحاً من أمرنا » يريد ما أوحى اليه ، لان الخلق يحيون به في دينهم ، كما يحيي الجسد بالروح . ثم قال : فان قلت قد علم ان رسول الله صلى الله عليه وآله ماكان يدرى ما القرآن قبل نزوله عليه ، فمامعنى قوله « ولا الايمان » والانبياء لا يجوز عليهم اذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال أن يخطئهم الايمان بالله وتوحيده ، ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده ، فكيف لايعصمون من الكفر؟

قلت : الايمان اسم يتناول أشياء بعضها الطريق اليه العقل ، وبعضها الطريق اليه السمع ، فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل ، وذاك ماكان له فيه علم حتى كسبه بالوحي «منه» الكشاف ٤٧٦/٣ .

(٣) اصول الكافي ٢٧٣/١ ، ح١ ، بصائر الدرجات ص٤٥٥ ، ح٢ .

(٤) اصول الكافي ٢٧٣/١ ، ح٢ .

الله عزوجل « يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي »[١] قال : خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل ،كان مع رسول الله ﷺ وهو مع الائمة وهو من الملكوت[٢].

وروى فيه باسناده الصحيح عن أبي بصير قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول « يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » قال خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل ، لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد ﷺ وهو مع الائمة يسددهم، وليس كما طلب وجد[٣] .

وروى فيه ، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة ، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن العلم أهو شيء يتعلمه العالم من أفواه الرجال أم في الكتاب عندكم تقرؤنه فتعلمون منه ؟ قال : الامر أعظم من ذلك وأوجب ، أما سمعت قول الله عزوجل «وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » .

ثم قال : أي شيء يقولون أصحابكم في هذه الاية ؟ أيقرون أنه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الايمان، ثم قال فقلت: لا أدري جعلت فداك مايقولون ، فقال : بلى قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الايمان حتى بعث الله عزوجل الروح التي ذكر في الكتاب ، فلما أوحاها اليه علم بها العلم والفهم ، وهي الروح التي يعطيها الله عزوجل من شاء فاذا أعطاها عبداً علمه الفهم[٤] .

وروى فيه أيضاً عن سعد الاسكاف، قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام يسأله عن الروح، أليس هو جبرئيل؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : جبرئيل من الملائكة والروح غير جبرئيل، فكرر ذلك على الرجل فقال له: لقد قلت عظيماً من القول ،

(١) سورة الاسراء : ٨٧ .

(٢) اصول الكافى ١/ ٢٧٣ ، ح٣ .

(٣) اصول الكافى ١/ ٢٧٣ ، ح٤ .

(٤) اصول الكافى ١/ ٢٧٣ - ٢٧٤ ، ح٥ .

ماأحد يزعم أن الروح غيرجبرئيل، فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام : انك ضال تروي عن أهل الضلال، يقول الله عزوجل لنبيه «أتى أمر الله فلاتستعجلوه سبحانه وتعالى عمايشركون* ينزل الملائكة بالروح »[١] والروح غير الملائكة [٢] .

بيان :

قال في الكشاف في مقام تفسير الروح في هذه الايـة التي هي صدر سورة النحل « بالروح من أمره » : بمايحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه ، أو بما يقوم في الديـن مقام الروح في الجسد [٣] انتهى . وماذكـره مخالف للخبر المذكور .

وروى في البصائر باسناده عن أبي بصير، قال قلت لابي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك عن قول الله عزوجل « وكذلك أوحينا اليك » قال : ياأبامحمد خلق والله أعظم من جبرئيل وميكائيل ، وقدكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده ، وهو مع الائمة يخبرهم ويسددهم [٤] .

وروى فيه أيضاً عن أبان بن تغلب، قال: الروح أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يسدده ويوفقه، وهو مع الائمة من بعده [٥] .

ثم قد ذكـر فيه أخباراً كثيرة قريبـة من هذه الاخبار ، فلاحاجة الى ذكر الجميع ، بل في جملة منها أنـه لم يصعد الى السماء منذ أنزل الى الارض على

(١) سورة النحل : ١-٢ .

(٢) اصول الكافي ١/٢٧٤، ح٦ .

(٣) الكشاف ٢/٤٠٠ .

(٤) بصائر الدرجات ص٤٥٥، ح١ .

(٥) بصائر الدرجات ص٤٥٥، ح٣ .

محمد صلى الله عليه وآله ومع الائمة من بعده عليهم السلام ، وفيها ارشاد وتنبيه .

اعلم أن المستفاد من ظواهر الاخبار المذكورة وغيرها أن روح القدس هو الذي في البدن، والروح الذي يسدد النبي صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام هو خلق أعظم من الملك حتى جبرئيل ، وهو لايستعمل مضافاً الى القدس ، والذي هو المراد من الايات المذكورة من قوله تعالى في سورة الشورى من قوله تعالى « وكذلك أوحينا» الاية ، وفي سورة الاسرى « ويسألونك عن الروح » وفي سورة القدر ، هوالروح الثاني الذي هوأعظم من الملائكة المستعمل مع الامر في هذه الايات المخصوص بالنبي صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام ، بخلاف روح القدس ، فانه يشترك فيه الانبياء كلهم، ويمكن ارجاع الروأحين الى روح واحد على ضرب من التأويل.

ورابعها: أن نطفة الامام من قطرة من ماء تحت العرش واذا سقط أوقبله أو بعده ، كتب على عضده أوبين عينيه « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا» [1] الاية .

روى في البصائر باسناده ، عن يونس بن ظبيان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اذا أراد الله أن يقبض روح امام ، ويخلق من بعده اماما، أنزل قطرة من ماء تحت العرش الى الارض، فيلقيها على ثمرة أوعلى بقلة ، فيأكل تلك الثمرة أوتلك البقلة الامام الذي يخلق الله منه نطفة الامام الذي يقوم من بعده .

قال : فيخلق الله من تلك القطرة نطفة في الصلب ، ثم يصير الى الرحم ، فيمكث فيها أربعين ليلة ، فاذا مضى له أربعون ليلة سمع الصوت ، فاذا مضى له أربعة أشهر كتب على عضده الايمن «وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » فاذا خرج الى الارض أوتي الحكمة، وزين بالعلم والوقار، وألبس الهيبة ، وجعل له مصباح من نور يعرف به الضمير ويرى به أعمال العباد[2].

---

(١) سورة الانعام: ١١٥ .

(٢) بصائر الدرجات ص ٤٣٢ ، ح ٤ .

وروى فيه أيضاً باسنادين عن يونس بن ظبيان قريباً ممامر(١).

وروى فيه باسناده عن محمد بن مروان ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : سمعته يقول : ان الله اذا أراد أن يخلق الامام أنزل قطرة من ماء المزن ، فيقع على كل شجرة ، فيأكل منه ثم يواقع ، فيخلق الله منه الامام ، فيسمع الصوت في بطن أمه ، فاذا وقع على الارض رفع له منار من نور يرى أعمال العباد ، فاذا ترعرع كتب على عضده الايمن « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم »(٢).

بيان :

ترعرع الصبي اذا تحرك ونشأ. والمزن جمع المزنة ، وهي السحابة البيضاء.

وروى فيه باسناده عن الحسن بن راشد، قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: ان الله تبارك وتعالى اذا أحب أن يخلق الامام أمر ملكاً أن يأخذ شربة من ماء من تحت العرش ، فيسقيها اياه ، فمن ذلك يخلق الامام ، ويمكث أربعين يوماً وليلة في بطن أمه لا يسمع الصوت ، ثم يسمع بعد ذلك الكلام ، فاذا ولد بعث ذلك الملك ، فيكتب بين عينيه «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم» فاذا مضى الامام الذي كان من قبله ، رفع لهذا مناراً من نور ينظر به الى أعمال الخلائق بهذا يحتج الله على خلقه(٣).

ورواه في الكافي في باب مواليد الائمة عليهم السلام(٤).

---

(١) بصائر الدرجات ص٤٣٣ ، ح٧و٨ .

(٢) بصائر الدرجات ص٤٣١ ، ح١ .

(٣) بصائر الدرجات ص٤٣٢ ، ح٥ .

(٤) اصول الكافي ١/٣٨٧ ، ح٢ .

وروى فيه باسناده عن الحسين عن يونس[١]، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اذا أراد الله أن يخلق اماماً أخذ الله بيده شربة من تحت عرشه ، فدفعه الى ملك من ملائكته ، فأوصلها الى الامام ، فكان الامام من بعده منها ، فاذا مضت عليه أربعون يوماً سمع الصوت وهوفي بطن أمه ، فاذا ولد اوتي الحكمة ، وكتب على عضده الايمن «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » فاذا كان الامر يصل اليه أعانه الله بثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً بعدد أهل بدر، وكانوا معه ومعهم سبعون رجلا واثنى عشر نقيباً ، وأما السبعون فيبعثهم الى الافاق يدعون الناس الى ما دعوا اليه أولا ، ويجعل الله له في كل موضع مصباحاً يبصر به أعمالهم[٢].

وروى فيه باسناده ، عن يونس ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ان الله اذا أراد خلق امام ، أنزل قطرة من تحت عرشه على بقلة من بقل الارض ، أوثمرة من ثمارها ، فأكلها الامام الذي يكون منه الامام، فكانت النطفة من تلك القطرة ، فاذا مكث في بطن أمه أربعين يوماً سمع الصوت ، فاذا مضى أربعة أشهر كتب على عضده الايمن «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لامبدل لكلماته وهوالسميع العليم» فاذا سقط من بطن أمه اوتي الحكمه وجعل له مصباح يرى به أعمالهم[٣].

وروى فيه في باب الفصل الذي فيه الاحاديث النوادر ممايفعل بالائمة باسناده عن أبي بصير ، قال : كنت مع أبي عبدالله عليه السلام في السنة التي ولد فيها ابنه

(١) يونس هذا ابن ظبيان ، وان الراوى عنه المنقرى أى الحسين بن أحمدالمنقرى « منه » .

(٢) بصائر الدرجات ص٤٤٠ ، ح٣ .

(٣) بصائر الدرجات ص٤٣٤، ح١٠ .

موسى فلما نزلنا الابواء(١) ، وضع لنا أبوعبدالله عليه السلام الغذاء ولاصحابه وأكثره وأطابه (٢).

فبينا نحن نتغدى اذ أتاه رسول حميدة أن الطلق قدضربني ، وقد أمرتني أن لا أسبقك مامنك(٣)هذا ، فقام أبوعبدالله عليه السلام فرحاً مسروراً ، فلم يلبث أن عاد الينا حاسراً عن ذراعيه ضاحكاً سنه ، فقلنا : أضحك الله سنك وأقر عينك ماصنعت حميدة ، فقال : وهب الله لي غلاماً ، وهو خير من برأ الله ، ولقد خبرتني عنه بأمر كنت أعلم به منها ، قلت: جعلت فداك وماخبرتك عنه حميدة ؟ قال: ذكرت أنه لما وقع من بطنها وقع واضعاً يديه على الارض رافعاً رأسه الى السماء ، فأخبرتها أن تلك امارة رسول الله صلى الله عليه وآله وامارة الامام من بعده ، فقلت: جعلت فداك وما تلك من علامة الامام .

فقال : انه لماكان في الليلة التي علق بجدي علي بن الحسين عليه السلام فيها أتي آت جد أبي وهو راقد ، فأتاه بكأس فيها شربة ، أرق من الماء ، وأبيض من اللبن ، وألين من الزبد(٤)، وأحلى من الشهد ، وأبرد من الثلج ، فسقاه اياه وأمره بالجماع ، فقام فرحاً مسروراً فجامع ، فعلق فيها بجدي ، ولما كان في الليلة التي علق فيها بأبي أتى آت جدي فسقاه كماسقي(٥)جد أبي وأمره بالجماع فقام فرحاً مسروراً فجامع وعلق بأبي .

ولماكان في الليلة التي علق بي فيها أتي آت أبي فسقاه ، فأمره كما أمرهم ،

(١) الابواء بفتح الهمزة على وزن أفعال، منزل بين مكة والمدينة قريب من الجحفة من جهة الشمال بمرحلة ـ المصباح .

(٢) أى أكثر الغذاء وجعله طيباً حسناً «منه» .

(٣) في المصدر : بابنك .

(٤) الزبد زبد اللبن وهو بالضم كما في الصحاح «منه» .

(٥) في المصدر : سقاه .

فقام فرحاً مسروراً فجامع فعلق بأبي . ولماكان في الليلة التي علق فيها بابني هذا أتاني آت كما أتي جد أبي وجدي وأبي ، فسقاني كماسقاهم وأمرني كماأمرهم، فقمت فرحاً مسروراً بعلم الله بما وهب لي فجامعت فعلق بابني [وان نطفة الامام مما أخبرتك ، فاذا استقرت في الرحم أربعين ليلة نصب الله له عموداً][1] من نور كمافي بطن أمه ، ينظرمنه مد بصره ، فاذا تمت له في بطن أمه أربعة أشهر أتاه ملك يقال له حيوان ، وكتب على عضده الايمن «وتمت كلمة ربك» الاية .

فاذا وقع من بطن أمه وقع واضعاً يده على الارض ، رافعاً رأسه الى السماء فاذا وضع يده الى الارض، فانه يقبض كل علم أنزله الله من السماء الى الارض، وأما رفعه رأسه الى السماء ، فان منادياً ينادي من بطنان العرش من قبل رب العزة من الافق الاعلى باسمه واسم أبيه ، يقول : يافلان أثبت ثبتك الله ، فلعظم ماخلقك أنت صفوتي من خلقي وموضع سري وعيبة علمي لك ، ولمن تولاك أوجبت رحمتي وأسكنت جنتي ، وأحللت جواري الخبر[2].

ورواه في الكافي مع تفاوت في باب مواليد الائمة[3].

وخامسها : أنه يسمع الصوت وهو في بطن أمه .

روى في البصائر والكافي عن محمد بن مروان ، قال قال أبوعبدالله عليه السلام : يامحمد ان الامام يسمع الصوت في بطن أمه ، فاذا ولد خط بين كتفيه « وتمت كلمة ربك » الاية[4] الى غيرذلك من الاخبار السابقة واللاحقة وغيرها المذكورة في البصائر والكافي .

---

(١) مابين المعقوفتين ساقطة من النسختين .

(٢) بصائر الدرجات ص٤٤٠ ـ ٤٤١ .

(٣) اصول الكافي ١ /٣٨٥ ـ ٣٨٦ .

(٤) بصائر الدرجات ص٤٣٨ ، ح١ ، واصول الكافي ١ /٣٨٧ ، ح٤ .

وسادسها : ان للامام عموداً ومناراً من نور يرى مابين المشرق والمغرب.

روى في البصائر باسناده عن أبي حمزة الثمالي ، قال قال أبو جعفر عليه السلام : ان الامام منا ليسمع الكلام في بطن أمه ، حتى اذا سقط على الارض أتاه ملك ، فيكتب على عضده الايمن «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم» حتى اذا شب رفع الله له عموداً من نور يرى فيه الدنيا وما فيها لايستتر عنه منها شيء[1].

وروى فيه باسناده عن الفضيل بن يسار، قال : ان الامام منا يسمع الكلام في بطن أمه ، فاذا وقع على الارض سطع له نور من السماء الى الارض، فاذا درج رفع له عمود من نور يرى به ما بين المشرق والمغرب[2].

وروى فيه باسناده ، عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ان الامام يسمع في بطن أمه فاذا ولد خط على منكبيه خط ، ثم قال هكذا بيده، فذلك قول الله تعالى «وتمت كلمة ربك» الاية ، وجعل له في كل قرية عمود من نور يرى به ما يعمل أهلها فيها[3].

ومارواه في البصائر باسناده عن محمد بن الفضيل الازدي ، عن بعض رجاله عن أبي عبدالله عليه السلام : الامام يسمع الكلام في بطن أمه ، فاذا سقط الى الارض نصب له عمود في بلاد وهو يرى مافي غيرها[4].

وروى فيه باسناده عن محمد بن مروان، قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: ان الامام يسمع الصوت في بطن أمه ، فاذا ولد خط بين كتفيه «وتمت كلمة ربك

(١) بصائر الدرجات ص٤٣٥ ، ح٣ .

(٢) بصائر الدرجات ص٤٣٥ ، ح٢ .

(٣) بصائر الدرجات ص٤٣٦ ، ح٢ .

(٤) بصائر الدرجات ص٤٣٧ ، ح١ .

صدقاً وعدلا لا مبدل لكلماته» فاذا صار الامر اليه جعل الله له عموداً من نور يبصر به مايعمل به أهل كل بلدة[١].

وروى فيه باسناده ، عن يونس بن ظبيان قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: اذا أراد الله أن يحبل بامام ، اوتي بسبع ورقات من الجنة ، فأكلهن قبل أن يقع، فاذا وقع في الرحم سمع الكلام في بطن امه ، فاذا وضعته رفع له عمود من نور فيما بين السماء والارض ، وكتب على عضده الايمن « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم»[٢].

وروى فيه باسناده عن محمد بن سليمان الديلمي ، عن أبيه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اذا استقرت نطفة الامام في الرحم أربعين ليلة ، نصب الله له عموداً من نور في بطن أمه أتاه ملك يقال له حيوان ، فيكتب على عضده الايمن «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم»[٣] الى غير ذلك من الاخبار.

بيان :

لايخفى عليك اختلاف هذه الاخبار وغيرها في زمان نصب العمود .

فمنها : مايدل على أنه زمان كونه في أم ، على اختلاف فيه أيضاً من أنه حال انعقاد النطفة أو بعده .

ومنها : مايدل على أنه بعد الوضع .

ومنها : مايدل على أنه حين مادرج .

---

(١) بصائر الدرجات ص٤٣٧ ، ح٢ .

(٢) بصائر الدرجات ص٤٣٨ ، ح٢ .

(٣) بصائر الدرجات ص٤٣٩، ح٤.

ومنها : مايدل على أنه حين ما يشب .

ومنها : مايدل على أنه حين ماانتقل اليه منصب الامامة، ولابد من الترجيح أو الجمع بازدياد العمود ، أو اكمال فوره في المراتب .

ثم ان هذا العمود قد اختلف الاخبار في بيان وضعه ، فمنها : مايدل على أنه من الامام الى كل بلدة وقرية يعلم به أحوال أهلها .

ومنها :مايدل على أنه من الامام الى تمام الدنيا، يعلم به تمام أحوال الدنيا.

ومنها: مايدل على أنه من الامام الى السماء .

ومن هذا القبيل مارواه في البصائر أيضاً باسناده ، عن اسحاق القمي، قال قلت لابي جعفر عليه السلام : جعلت فداك ماقدر الامام ؟ قال: يسمع في بطن أمه ، فاذا وصل الى الارض كان على منكبه الايمن مكتوباً «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم» ثم يبعث أيضاً له عموداً من نور تحت بطنان[1] العرش الى الارض، يرى فيه أعمال الخلائق كلها ، ثم يتشعب له عمود آخر من عند الله الى اذن الامام كلما احتاج مزيد أفرغ فيه افراغا[2].

ثم ان فيها مايدل على أن العمود كناية عن النور الذي به يعلم الامور مطلقا.

روى فيه باسناده عن علي بن أحمد ، عن أبيه ، قال :كنت أنا وصفوان عند أبي الحسن عليه السلام ، فذكروا الامام وفضله ، قال: انمامنزلة الامام في الارض بمنزلة القمر في السماء ، وفي موضعه هومطلع على جميع الاشياء كلها[3].

وروى فيه أيضاً باسناده عن الحسن بن العباس بن جريش ، عن أبي جعفر عليه السلام قال قال أبو عبدالله عليه السلام : انا أنزلناه[4] نور كهيئة العين على رأس

---

(١) بطنان العرش بالضم وسطه وداخله ـ مجمع البحرين «منه»

(٢) بصائر الدرجات ص٤٤٢ ، ح٦ .

(٣) بصائر الدرجات ص٤٤٣ ، ح٨ .

(٤) الضمير غيرمعلوم الوجه ، والظاهر أن الفعل محذوف «منه» .

النبي ﷺ والاوصياء ، لايريد الله مناعلم أمر من أمر الارض أو من أمر السماء الى الحجب التي بين الله وبين العرش الا رفع طرفه الى ذلك النور ، فرأى تفسير الذي أراد فيه مكنوباً[1].

وسابعها : أنه يتكلم بكل لسان ، وعالم بجميع اللغات .

روى في الكافي في باب الامور التي توجب حجة الامام باسناده عن أبي بصير[2] أو عن ابن أبي نصر، قال قلت لابي الحسن عليه السلام : جعلت فداك بم يعرف الامام ؟ فقال: بخصال : أما أولها ، فانه بشيء قد تقدم من أبيه فيه وأشار اليه ، ليكون عليهم حجة ، ويسأل فيجيب، وان سكت عنه ابتدأ، ويخبر بما في غده، ويكلم الناس بكل لسان .

ثم قال لي : ياأبا محمد أعطيك علامة قبل أن تقوم ، فلم ألبث أن دخل علينا رجل من أهل خراسان ، فكلمه الخراساني بالعربية . فأجابه أبو الحسن بالفارسية، فقال له الخراساني : والله جعلت فداك مامنعني أن أكلمك بالخراساني غير أني ظننت أنك لاتحسنها ، فقال: سبحان الله اذا كنت لا أحسن أجيبك فمافضلي عليك ثم قال لي: ياأبا محمد ان الامام لايخفى عليه كلام واحد من الناس ولاطير ولابهيمة ولا شيء فيه الروح ، فمن لم تكن هذه الخصال فيه فليس هو بامام[3].

وروى في البصائر في باب في الائمة يعرفون الالسن كلها، باسناده عن أبي هاشم الجعفري ، قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام ، فقال : ياأباهاشم كلم هذا الخادم بالفارسية ، فانه يزعم أنه يحسنها ، فقلت للخادم : زانويت چيست ، فلم يجبني ، فقال عليه السلام : يقول ركبتك، ثم قلت: نافت چيست، فلم يجبني، فقال: يقول

---

(١) بصائر الدرجات ص٤٤٢، ح٥.

(٢) يدل عليه قوله ياأبا محمد «منه» وفى المطبوع من الكافى عن أبى بصير .

(٣) اصول الكافى ١/ ٢٨٥ ، ح٧ .

سرتك[١].

وروى فيه أيضاً باسناده عن يحيى الحلبي ، عـن أخي مليح ، قال : حدثني فرقد، قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام ، وقد بعث غلاماً أعجمياً، فرجع اليه فجعل يعبر الرسالة فلا يخبرنا حتى ظننت أنه سيغضب ، فقال له : تكلم بأي لسان شئت فاني أفهم عنك[٢].

وروى فيه أيضاً باسناده عن محمد بن علي الحلبي قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : لما أتي بعلي بن الحسين عليه السلام يزيد بن معاوية عليهما لعائن الله ومن معه جعلوه في بيت، فقال بعضهم: انما جعلنا في هذا البيت وانما يخرجون ليقع علينا فيقتلنا ، فراطن الحرس فقالوا : انظروا الى هؤلاء يخافون أن تقع عليهم البيت ، وانما يخرجون غداً فيقتلون ، قال علي بن الحسين عليه السلام : لم يكن فينا أحد يحسن الرطانة غيري ، والرطانة عند أهل المدينة الرومية[٣].

وروى فيه باسناده عن داود بن فرقد، قال : ذكر قتل الحسين وأمر علي بـن الحسين عليهما السلام لما أن حمل الى الشام، فرفعنا الى السجن، فقال أصحابي :ما أحسن بنيان هذا الجدار ، فتراطن أهل الروم بينهم، فقالوا : مـافي هؤلاء صاحب دم ، ان كان الا ذلك يعنوني ، فمكثنا يومين ثم دعانا فاطلق عنا[٤].

بيان :

قال في القاموس: الرطانة ويكسر الكلام بالاعجمية، ورطن له راطنة كلمه بها،

---

(١) بصائر الدرجات ص٣٣٨ ، ح٢ .

(٢) بصائر الدرجات ص٣٣٨ ، ح٣ .

(٣) بصائر الدرجات ص٣٣٨ ، ح١ .

(٤) بصائر الدرجات ص٣٣٩ ، ح٦ .

وتراطنوا تكلموا بها(١).

وقريب منه مافي المجمع(٢).

ولعل قوله في آخر الحديث «والرطانة عند أهل المدينة الرومية» اشارة الى الرطانة العجمية في الاصل، الا أن عند أهل المدينة الرومية .

أقول: وقد يستعمل في التكلم بماعدا العربية . وقوله « فراطن » أي تكلم بالرومية أو بالعجمية .

وروى فيه وفي الاختصاص باسنادهما عن ياسر الخادم ، قال :كان لابي الحسن عليه السلام غلمان في البيت سقلابية(٣) وروم ، وكان أبو الحسن قريباً منهم ، فسمعهم بالليل يراطنون بالسقلابية والرومية ، ويقولون انا كنا نفتصد في بلادنا في سنة وليس نفصدها هاهنا، فقال: فلما كان من الغد وجه عليه السلام الى بعض الاطباء فقال له : افصد لهذا عرق كذا ، ولهذا عرق كذا .

ثم قال : ياياسر لا تفتصد فافتصدت فورمت يدي فأحضرت، فقال لي: ياياسر مالك ؟ فأخبرته ، فقال : ألم أنهك عن ذلك هلم يدك فمسح يده عليها فبرأ ، قال: أو وضع وأوصاني أن لا أتعشى ، فكنت بعد ذلك بكم شاءالله أغافل وأتعشى فيضرب علي(٤).

ورواه الصدوق أيضاً في كتاب العيون الا أن السقلبية فيه بالصاد(٥).

---

(١) القاموس ٢٢٨/٤ .

(٢) مجمع البحرين ٢٥٥/٦ .

(٣) سقالبة كذا في الاختصاص «منه» .

(٤) بصائر الدرجات ص٣٣٨ ـ ٣٣٩ ، الاختصاص ص٢٩٠ ـ ٢٩١ .

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢٢٧/٢ - ٢٢٨ .

بيان :

السقلابية منسوب الى سقلب ، وهو كما في القاموس: اسم وجيل من الناس وهو سقلبي والجمع سقالبة[١].

والصقالبية كما في القاموس: أيضاً جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين بلغر وقسطنطينية[٢].

أقول : أما بالسين لغة فيها .

وروى فيه باسناده عن ابن أبي عمير، عن رجاله ، عن أبي عبدالله عليه السلام، يرفع الحديث الى الحسن بن علي عليهما السلام أنه قال : ان لله مدينتين احداهما بالمشرق ، والاخرى بالمغرب ، عليهما سوران من حديد ، وعلى كل مدينة ألف ألف مصراع من ذهب ، وفيها سبعون ألف ألف لغة ، يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبه ، وأنا أعرف جميع اللغات ومافيها وما بينهما وماعليها حجة غيري والحسين أخي[٣] .

وروى في العيون في باب معرفته عليه السلام بجميع اللغات ، باسناده عن أبي الصلت الهروي ، قال : كان الرضا عليه السلام يكلم الناس بلغاتهم ، وكان والله أفصح الناس ، وأعلمهم بكل لسان ولغة ، فقلت له يوماً : يا بن رسول الله اني لاعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها ، قال : يا أبا الصلت أنا حجة الله على خلقه ، وماكان الله ليتخذ حجة على قوم وهو لا يعرف لغاتهم ، أو ما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام : اوتينا فصل الخطاب، فهل فصل الخطاب الا معرفة اللغات[٤].

---

(١) القاموس ١ / ٨٢ .

(٢) القاموس ١ / ٩٣ .

(٣) بصائر الدرجات ص ٣٣٩ .

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٢٢٨ ح ٣ .

وروى فيه باسناده عـن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري ، قال : كنت أتغدى مع أبي الحسن عليه السلام ، فيدعو بعض غلمانـه بالصقلبية والفارسية ، وربما بعثت غلامي هذا بشيء من الفارسية فيعلمه ، وربما كان ينغلق الكلام على غلمانه بالفارسية فيفتح هو على غلامه[١].

وروى في الكافي في باب أن الائمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت مـن عندالله عزوجل ، بأسناده عـن مفضل بن عمر ، قال : أتينا باب أبي عبدالله عليه السلام ونحن نريد الاذن عليه ، فسمعناه يتكلم بكلام ليس بالعربية ، فتوهمنا أنه بالسريانية ، ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم خرج الينا الغلام ، فأذن لنا فدخلنا عليه فقلت : أصلحك الله أتيناك نريد الاذن عليك، فسمعناك تتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه السريانية ثم بكيت فبكينا لبكآئك .

فقال : نعم ذكرت الياس النبي عليه السلام ، وكان من عباد أنبياء بني اسرائيل ، فقلت كما يقول في سجوده ، ثم اندفع[٢]فيه بالسريانية ، فلا والله مارأينا قساً[٣] ولا جاثليقا أفصح لهجة منه به، ثم فسره لنا بالعربية ، فقال:كان يقول في سجوده أتراك معذبي بالنار وقد أظمأت لك هواجري[٤]، أتراك معذبي وقد عفرت لك في التراب وجهي ، أتراك معذبي وقد اجتنبت لك المعاصي، أتراك معذبي وقد أسهرت لك ليلي .

قال فأوحى الله اليه : أن أرفع رأسك فاني غير معذبك قال فقال : ان قلت لا أعذبك ثم عذبتني ماذا ؟ ألست عبدك وأنت ربي؟ قال: فأوحى الله اليه أن ارفع

---

(١) عيون الاخبار ٢/٢٢٨، ح٢.

(٢) اندفع الفرس أسرع في سيره «منه» .

(٣) القس رئيس النصارى في الدين كالقسيس «منه» .

(٤) الهاجرة نصف النهار «منه» .

رأسك ، فاني غيرمعذبك ، اني اذا وعدت وعداً وفيت به[١].

وروى في البصائر في باب الائمة عليهم السلام أنهم يقرؤون الكتب التي نزلت على الانبياء ، باسناده عن موسى النميري ، قال : جئت الى باب أبي جعفر عليه السلام لاستأذن عليه ، فسمعنا صوتاً حزيناً يقرأ بالعبرانية ، فبكينا حيث سمعت[٢] الصوت وظننا أنه بعث الى رجل من أهل الكتاب يستقرأه ، فاذن لنا فدخلنا عليه فلم نر عنده أحداً ، فقلت : أصلحك الله سمعنا صوتاً بالعبرانية ، فظننا أنك بعثت الى رجل من أهل الكتاب تستقرأه .

قال: لا، ولكن ذكرت مناجاة اليا لربه ، فبكيت من ذلك ، قال قلنا: وماكان مناجاته جعلني الله فداك ؟ قال: جعل يقول يارب أتراك معذبي بعدطول قيامي لك أتراك معذبي بعد طول صلاتي لك، وجعل يعدد أعماله، فأوحى الله اليه أني لست أعذبك قال فقال : يارب ومايمنعك أن تقول لا بعد نعم وأنا عبدك وفي قبضتك ، قال : فأوحى الله اليه أني اذا قلت قولا وفيت به[٣].

وروى في قرب الاسناد بعد النصف منه عن علي بن أبي حمزة ، قال : كنت عندأبي الحسن عليه السلام اذ دخل عليه ثلاثون مملوكاً من الحبش قداشتروهم له، فكلم غلاماً منهم وكان من الحبش[٤] جميل، فكلمه بكلام ساعة حتى أتى بجميع مايريد وأعطاه درهماً ، فقال: اعط أصحابك هؤلاء كل غلام منهم كل هلال ثلاثين درهماً، ثم خرجوا فقلت جعلت فداك لقد رأيتك تكلم هذا الغلام بالحبشية فماذا أمرته ؟ قال : أمرته أن يستوصي بأصحابه خيراً ، ويعطهم في كل هلال ثلاثين درهماً ،

---

(١) اصول الكافي ١/٢٢٧ -٢٢٨.

(٢) في المصدر : سمعنا .

(٣) بصائر الدرجات ص٣٤١ ، ح٣ .

(٤) لعل المراد الحبس «منه» .

وذلك أني لمانظرت اليه علمت أنه عاقل من أبناء ملكهم، فأوصيته بجميع ما احتاج اليه ، فقبل وصيتى ومع هذا غلام صدق .

ثم قال : لعلك عجبت من كلامي اياه بالحبشية لاتعجب ، فما الـذي خفي عليك من أمر الامامة أعجب وأكثر ، وماهذا لامر في علمه الا كطير أخذ بمنقاره من البحر قطرة من ماء ، أفترى الذي أخذ بمنقاره نقص عن البحر شيئاً؟ قال: فان الامام بمنزلة البحر لاينفد ماعنده ، وعجائبه أكثر من ذلك، والطير حين أخذ من البحر قطرة بمنقاره لم ينقص من البحر شيئاً ،كذلك الامام لا ينقصه علمه شيئاً ولا تنفد عجائبه[1].

الفصل الخامس

فى نسب الامام

وفيه مقاصد :

الاول

(أن يكون من قريش)

وقريش : اما اسم للنضر بن كنانة ، أو لاولاده ، والثاني هو الاصح.

قال في الصحاح : القرش الكسب والجمع ، وقد قرش يقرش، قال الفراء: وبه سميت قريش ، وهي قبيلة أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بـن

(١) قرب الاسناد ص ١٤٤ .

الياس بن مضر، فكل من كان من نسل النضر فهو قرشي، دون ولد كنانة ومن فوقه[١].

وقال في الكشاف : وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش، وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ، وعن معاوية أنه سأل ابن عباس بم سميت قريش ؟ قال : بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وأنشد :

وقريش هي التي تسكن في البحر بها سميت قريش قريشاً

والتصغير للتعظيم ، وقيل : من القرش وهو الكسب ، لانهم كانوا كسابين لتجاراتهم وضربهم في البلاد[٢].

وقال في القاموس: قرشه يقرشه ، ويقرشه قطعه وجمعه من هاهنا وهاهنا، وضم بعضه الى بعض،ومنه قريش لتجمعهم الى الحرم،أو لانهم كانوا يتقرشوا البياعات[٣] فيشترونها ، أو لان النضر بن كنانه اجتمع في ثوبه يوماً ، فقالوا : تقرش أو لانه جاء الى قومه ، فقالوا :كأنه جمل قريش شديد ، أو لان قصياً كان يقال له القرشي، أو لانهم كانوا يفتشون الحاج فيسدون خلتها ، أوسميت بمصغر القرش، وهو دابة صغيرة تخافها دواب البحر كلها ، أوسميت بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر ، وكان صاحب غيرهم ، فكانوا يقولون قدمت غير قريش[٤] انتهى .

فقد يظهر منه كونه لقباً للنضر نفسه ، وكونه لقباً لقصي ، وهو والدعبدمناف وهماضعيفان ، ولاسيما الثاني منهما . والذي يشهد على ما ذكرناه ويؤيده كثرة استعمال قريش على أولاده ، بحيث لم نجد استعماله في النضر نفسه ، فلاحظ الاخبار الاتية وغيرها،وعلى كل حال فالذي يدل على أن الامام لابد أن يكون من قريش

---

(١) صحاح اللغة ١٠١٦/٢ .

(٢) الكشاف ٢٨٨/٤ .

(٣) البياعات جمع البياعة بالكسر وهي السلعة ، والخلة بالضم الحاجة «منه».

(٤) القاموس المحيط ٢٨٣/٢ - ٢٨٤ .

روايات من العامة والخاصة .

روى في كتاب الصحيح للبخاري في باب مناقب قريش وفي باب الامرآء من قريش باسناده عن الزهري ، قال :كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قريش، أن عبدالله بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان ، فغضب معاوية فقام فأثنى على الله بماهو أهله ، ثم قال: أما بعد ، فانه بلغني أن رجالا منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ، ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ ، فأولئك جهالكم واياكم والاماني التي تضل أهلها ، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان هذا الامر في قريش لايعاديهم أحد الاكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين(١).

وروى فيهما باسناده ، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : لايزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان(٢).

وروى في صحيح مسلم في باب الناس تبع لقريش باسناده عن عاصم بن محمد ، عن أبيه ، قال قال رسول الله ﷺ : لايزال هذا الامر في قريش ما بقي من الناس اثنان(٣).

وروى فيه أيضاً باسناده عن أبي هريرة ، قال قال رسول الله ﷺ: وفي حديث زهير يبلغ به النبي ﷺ وقال عمرو في رواية : الناس تبع لقريش مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم(٤) .

وروى في صحيح البخاري أيضاً في الباب المناقب باسناده عن الاعرج ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: الناس تبع لقريش في هذا الشأن ، مسلمهم

(١) صحيح البخارى ٤/١٥٥ .

(٢) صحيح البخارى ٤/١٥٥ .

(٣) صحيح مسلم ٣/١٤٥٣ ، ح٤ .

(٤) صحيح مسلم ٣/١٤٥١ ، ح١ .

لمسلمهم ، وكافرهم تبع لكافرهم[١].

وروى في كتاب المصابيح في الفصل الاول من باب مناقب قريش، وذكر القبائل عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم متفق عليه .

وعن جابر (رض) أن النبي ﷺ قال : الناس تبع لقريش في الخير والشر رواه مسلم .

وعن ابن عمر ان النبي ﷺ قال : لايزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان متفق عليه .

وعن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين رواه البخاري .

وروى في الصواعق في الباب الثالث من الكتاب المذكور ، قال : أخرج أحمد والنسائي والصيائي عن أنس (رض) أن النبي ﷺ قال: الائمة من قريش ولهم عليكم حق ، ولكم مثل ذلك الخبر .

وقال أيضاً أخرج الحاكم والبيهقي أن النبي ﷺ قال : الائمة في قريش أبرارها امراء أبرارها ، وفجارها أمراء فجارها ، وان أمرت عليكم عبداً حبشياً مجدعاً فاسمعوا له وأطيعوا ، مالم يخير أحدكم بين اسلامه وضرب عنقه ، فان خير بين اسلامه أي تركه وضرب عنقه .

وقال أيضاً أخرج أحمد عن ابن مسعود ان النبي ﷺ قال : أما بعد يامعشر قريش فانكم أهل هذا الامر ما لم تعصوا الله ، فاذا عصيتموه بعث الله عليكم من يلحاكم كما يلحى هذا القضيب[٢].

---

(١) صحيح البخارى ١٥٥/٤ .

(٢) راجع الى مصادر هذه الاقوال وغيرها الى كتاب احقاق الحق ١٣/١-٤٨ .

المقصد الثانى

(أن يكون من بنى هاشم)

ونذكر في هذا المقصد أولا رسالة وقعت الى أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي صاحب كتاب كشف الغمة من عمرو بن بحر الجاحظ ، قال في أوائل الكتاب حيث يذكر فضل بني هاشم : ومن ذلك رسالة وقعت الي من كلام أبي عثمان عمرو بن بحر جاحظ أذكرها مختصراً لها .

قال : اعلم حفظك الله ان اصول الخصومات معروفة ، وأبوابها مشهورة ، كالخصومة بين الشعوبة والعرب ، والكوفي والبصري ، والعدناني والقحطاني، وهذه الابواب الثلاثة أنقض للعقول السليمة ، وأفسد للاخلاق الحسنة من المنازعة في القدر والتشبيه ، وفي الوعد والوعيد ، وفي الاسماء والاحكام ، وفي الارآء وتصحيح الاخبار، وأنقض للعقول تمييز الرجال وترتيب الطبقات ، وذكر تقديم علي وأبي بكر .

فأولى الاشياء بك القصد وترك الهوى ، فان اليهود نازعت النصارى في المسيح فلج بهما القول حتى قالت اليهود : انه ابن يوسف النجار ، وانه لغير رشده ، وانه صاحب نيرنج وخدع ومخاريق ، وناصب شرك وصياد سمك ، وصاحب شص وشبك ، فمايبلغ من عقل صياد وربيب نجار .

وزعمت النصارى أنه رب العالمين وخالق السماوات والارضين ، واله الاولين والاخرين،فلو وجدت اليهود أسوء من ذلك القول لقالته فيه ، ولو وجدت النصارى أرفع من ذلك القول لقالته فيه ، وعلى هذا قال علي عليه السلام : يهلك في رجلان : محب مفرط ، ومبغض مفرط .

والرأي كل الرأي أن لا يدعوك حب الصحابة الى بخس عترة الرسول ﷺ حقوقهم وحظوظهم ، فان عمر لما كتبوا الدواوين وقدموا ذكره ، أنكر ذلك وقال : ابدؤا بطرفي رسول الله ﷺ ، وضعوا آل الخطاب حيث وضعهم الله ، قالوا فأنت أمير المؤمنين ، فأبى الله تقديم بني هاشم وتأخير نفسه ، فلم ينكر عليه منكر وصوبوا رأيه ، وعد ذلك من مناقبه .

واعلم ان الله لو أراد أن يسوى بين بنى هاشم وبين الناس لما أبانهم بسهم ذوي القربى ، ولما قال « أنذر عشيرتك الاقربين » [١] وقال تعالى « وانه لذكر لك ولقومك » [٢] واذا كان لقومه في ذلك ماليس لغيرهم فكل من كان أقرب كان أرفع ، ولو سواهم بالناس لما حرم عليهم الصدقة ، وماهذا التحريم الا لاكرامهم على الله .

ولذلك قال للعباس حيث طلب ولاية الصدقات : لاأولئك غسالات خطايا الناس وأوزارهم ، بل أولئك سقاية الحاج والانفاق على زوار الله ، ولهذا كان رباه أول ربا وضع ، ودم ابن ربيعة أول دم أهدر لانهما القدوة في النفس والمال ، ولهذا قال علي عليه السلام على منبر الجماعة : نحن أهل بيت لايقاس بنا أحد .

وصدق عليه السلام كيف يقاس بقوم منهم رسول الله ﷺ ، والاطيبان علي وفاطمة والسبطان الحسن والحسين والشهيدان اسد الله حمزة ، وذو الجناحين جعفر وسيد الوادي عبد المطلب ، وساقي الحجيج العباس ، وحليم البطحاء والنجدة والخير فيهم والانصار أنصارهم ، والمهاجرين من هاجر اليهم ومعهم ، والصديق من صدقهم والفاروق من فرق بين الحق والباطل فيهم ، والحواري حواريهم ، وذو الشهادتين لانه شهد لهم ، ولاخير الا فيهم ولهم ومنهم ومعهم .

---

(١) سورة الشعراء : ٢١٤ .

(٢) سورة الزخرف : ٤٤

وقال عليه السلام فيما أبان به أهل بيته: اني تارك فيكم الخليفتين أحدهما أكبر من الاخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ولو كانوا كغيرهم لما قال عمر حين طاب مصاهرته: اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي

وأعلم أن الرجل قد ينازع في تفضيل ماء دجلة على ماء الفرات فان لم يتحفظ وجد في قلبه على شارب ماء دجلة رقة لم يكن يجدها [١] ووجد في قلبه غلظة على شارب ماء الفرات لم يكن يجدها، فالحمد لله الذي جعلنا لا نفرق بين أبناء نبينا ورسلنا، نحكم لجميع المرسلين بالتصديق ولجميع السلف بالولاية، ونخص بني هاشم بالمحبة ونعطي كل امرء قسطه من المنزلة

فأما علي بن ابي طالب عليه السلام، فلو أفردنا لايامه الشريفة ومقاماته الكريمة ومناقبه السنية كلاماً لافينا في ذلك الطوامير الطوال، العرق صحيح، والمنشأ كريم، والشأن عظيم، والعمل جسيم والعلم كثير، والبيان عجيب، واللسان خطيب، والصدر رحيب فأخلاقه وفق أعراقه وحديثه يشهد لقديمه، وليس التدبير في وصف مثله الا ذكر جمل قدره، واستقصاء جميع حقه فاذا كان كتابنا لا يحتمل تفسير جميع أمره، ففي هذه الجملة بلاغ لمن أراد معرفة فضله

وأما الحسن والحسين عليهما السلام فمثلهما مثل الشمس والقمر، فمن أعطى ما في الشمس والقمر من المنافع العامة والنعم الشاملة، ولو لم يكونا ابني علي من فاطمة عليهما السلام ورفعت من وهمك كل رداءة وكل سبب توجبه القرابة لكنت لا تقرن بهما أحداً من أولاد المهاجرين والصحابة، الأراك فيهما الانصاف من تصديق قول

---

(١) أي: ان لم يكن تحفظ نفسه وجد لشارب دجلة رقة لم يكن يجد هذه الرقة لولا ذلك « منه »

النبي ﷺ : انهما سادات [1] شباب أهل الجنة وجميع من هما سادته سادة ، والجنة لاتدخل الا بالصدق والصبر، والا بالحلم والعلم، والا بالطهارة والزهد، والا بالعبادة والطاعة الكثيرة والاعمال الشريفة ، والاجتهاد والاثرة والاخلاص في النية ، فدل على أن حظهما في الاعمال المرضية والمذاهب الزكية فوق كل ذي حظ .

وأما محمد بن الحنفيه ، فقد أقر الصادر والوارد والحاضر والبادي ، أنه كان واحد دهره ورجل عصره ، وكان أعز [2] الناس تماما وكمالا .

وأما علي بن الحسين عليه السلام فالناس على اختلاف مذاهبهم مجمعون عليه لايمتري أحد في تدبيره ولايشك أحد في تقديمه، وكان أهل الحجاز يقولون لم نر ثلاثة في دهر يرجعون الى أب قريب كلهم يسمى عليا ، وكلهم يصلح للخلافة ، لتكامل خصال الخير فيهم ، يعنون : علي بن الحسين بن علي عليهم السلام ، وعلي بن عبدالله بن جعفر، وعلي بن العباس (رض)، ولو عزونا بكتابنا هذا ترتيبهم ، لذكرنا رجال أولاد علي عليه السلام لصلبه ، وولد الحسين وعلي بن الحسين عليهما السلام ، ومحمد بن عبدالله بن جعفر ومحمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، الا أنا ذكرنا جملة من القول ، فاقتصرنا من الكثير على القليل .

فاما النجدة ، فقد علم أصحاب الاخبار وحمال الاثار أنهم لم يسمعوا بمثل نجدة علي بن أبي طالب عليه السلام وحمزة (رض) ولابصبر جعفر الطيار رضوان الله عليه ، وليس في الارض قوم أثبت جنانا ، ولاأكثر مقتولا تحت ظلال السيوف ولاأجدر أن يقاتلوا ، وقد فرت الاخيار ، وذهبت الصنايع وخام ذو البصيرة ، وجاد أهل النجدة من رجالات بني هاشم وهم كما قيل : شعر

---

(١) في المصدر : سيدا .

(٢) في المصدر : أتم

وخام الكمي وطاح اللواء ولا تأكل الحرب الاسمينا

وكذلك قال دغفل حين وصفهم : أنجاد أمجاد ذوو ألسنة حداد وكذلك قال علي عليه السلام حين سئل عن بني هاشم وبني أمية : نحن أنجد وأمجد وأجود ، وهم أنكر وأمكر وأغدر وقال أيضاً : نحن أطعم للطعام وأضرب للهام ، وقد عرفت جفاء المكيين وطيش المدنيين واعراق بني هاشم مكية ومناسبهم مدنية

ثم ليس في الارض أحسن أخلاقاً ، ولا أطهر بشراً ، ولا أدوم دماثة [1] ولا ألين عريكة ، ولا أطيب عشيرة ، ولا أبعد من كبر منهم ، والحدة لايكاد يعدمها الحجازي والتهامي ، الا أن حليمهم لايشق غباره ، وذلك في الخاص والجمهور على خلاف ذلك ، حتى تصير الى بني هاشم فالحلم في جمهورهم وذلك يوجد في الناس كافة ، ولكنا نضمن أنهم أتم الناس فضلا وأقلهم نقصاً .

وحسن الخلق في البخيل أسرع ، وفي الذليل أوجد ، وفيهم مع فرط جودهم وظهور عزهم من البشر الحسن والاحتمال وكرم التفاضل مالا يوجد مع البخيل الموسر والذليل المكثر ، اللذين يجعلان البشر وقاية دون المال .

وليس في الارض خصلة تدعو الى الطغيان والتهاون بالامور وتفسد العقول وتورث السكر ، الا وهي تعتريهم وتعرض لهم دون غيرهم اذقد جمعوا من الشرف العالي ، والغرس الكريم والعز والمنعة مع ابقاء الناس عليهم والهيبة لهم ، وهم في كل أوقاتهم وجميع أعصارهم ، فوق كل من هم على مثل ميلادهم ، في الهيئة الحسنة ، والمروة الظاهرة ، والاخلاق المرضية وقد عرف الحدث العزيز من فتيانهم وذوو الغرامة من شبابهم [2] ، انه ان افترى لم يفتر عليه ، وان ضرب لم

---

(١) الدماثة : سهولة الخلق .

(٢) في المصدر : شبانهم

يضرب [١]

ثم لاتجده الاقوي الشهوة ، بعيد الهمة ،كثير المعرفة ، مع خفة ذات اليد وتعذر الامور ، ثم لاتجد عند أفسدهم شيئاً من المنكر الارأيت في غيره من الناس أكثر منه ، من مشايخ القبائل وجمهور العشائر ،واذاكان فاضلهم فوق كل فاضل وناقصهم أنقص نقصاناً من كل ناقص ، فأي دليل أدل ، وأي برهان أوضح مما قلته .

وقد علمت أن الرجل منهم ينعت بالتعظيم ، والرواية في دخول الجنة بغير حساب ويتأول القرآن له ، ويزاد في طعمه بكل حيلة وينقص من خوفه ويحتج له بان النار لاتمسه ، وانه ليشفع في مثل ربيعة ومضر، وأنت تجدلهم مع ذلك العدد الكثير من الصوام والمصلين والتالين الذين لايجاريهم [٢] أحد ولايقاربهم.

اعلم أنهم لم يمتحنوا بهذه المحن ولم تحملوا هذه البلوى الالما قدموا من الغرائم التامة والادوات الممكنة ولم يكن الله ليزيدهم في المحنة الاوهم يزدادون على شدة المحن خبراً وعلى التكشف تهذيباً

وجملة اخرى مما لعلي ابن أبي طالب عليه السلام خاصة الاب عبدالمطلب بن هاشم والام فاطمة بنت أسد بن هاشم ، والزوجة فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ، والولد الحسن والحسين سيداشباب أهل الجنة والاخ جعفر الطيار في الجنة، والعم العباس وحمزة سيد الشهداء في الجنة ، والعمة صفية بنت عبدالمطلب، وابن العم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأول هاشمي بين هاشميين كان في الارض ولد أبي طالب

والاعمال التي يستحق بها الخير أربعة التقدم في الاسلام، والذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن الدين، والفقه في الحلال والحرام ،والزهد في الدنيا،

(١) أى : يعرفون أنهم ان افتروا لم يفتروا ، وان ضربوا لم يضربوا « منه » .

(٢) فى المصدر : لايجارهم .

وهي مجتمعة في علي بن أبي طالب متفرقة في الصحابة وفي علي عليه السلام يقول أسد بن رقيم يحرض عليه قريشاً وانه قد بلغ منهم على حداثة سنه مالم يبلغه ذوو الاسنان، وذكر أبياتاً

ثم قال : وأما الجود ، فليس على ظهرها جواد جاهلي ولا اسلامي ولا عربي عجمي الا وجوده يكاد يصير بخلا اذا ذكر جود علي بن أبي طالب عليه السلام وعبدالله بن جعفر، وعبدالله بن عباس والمذكورون بالجود منهم كثير لكنا اقتصرنا ثم ليس في الارض قوم أنطق خطيباً ، ولا أكثر بليغاً من غير تكلف ولا تكسب من بني هاشم .

ومما يضم الى جملة من القول في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام أنه أطاع الله قبلهم ومعهم وبعدهم ، وامتحن بما لم يمتحن به ذو عزم، وابتلى بما لم يبتل به ذو صبر

وأما جملة القول في ولد علي عليه السلام فان الناس لايعظمون أحداً من الناس الا بعد أن يصيبوا منهم وينالوا من فضلهم والا بعد أن يظهر قدرتهم ، وهم معظمون قبل الاختيار وهم بذلك واثقون وانه لهم موفون ، فلولا أن هناك سراً كريما وخيما عجيباً ، وفضلا مبينا وعرقاً نامياً ، لاكتفوا بذلك التعظيم ، ولم يعانوا تلك التكاليف الشداد والمحن الغلاظ

وأما المنطق والخطب فقد علم الناس كيف كان علي بن أبي طالب عليه السلام عند التفكير والتحبير وعند الارتجال والبدأة وعند الاطناب والايجاز في وقتيهما ، وكيف كان كلامه قاعداً وقائماً، وفي الجماعات ومنفرداً مع الخبرة بالاحكام والعالم بالحلال والحرام .

وكيف كان عبدالله بن عباس رضوان الله عليه الذي كان يقال له الحبر والبحر، ومثل عمر بن الخطاب يقول له: غص ياغواص وشنشنة أعرفها من أخزم، قلب عقول

ولسان قوول ، ولولم يكن لجماعتهم الالسان زيد بن علي بن الحسين وعبدالله ابن معاوية بن جعفر، لقرعوا بها جميع البلغاء وعلوا بهما على جميع الخطباء ولذلك قالوا : أجواد أمجاد وألسنة حداد

وقد ألقيت اليك جملة من ذكر آل الرسول ، يستدل بالقليل منها عن الكثير، وبالبعض على الكل ، والبغية في ذكرهم أنك متى عرفت منازلهم ومنازل طاعاتهم، ومراتب أعمالهم، واقدار أفعالهم، وشدة محنتهم، وأضفت ذلك الى حق القرابة كان أدنى مايجب علينا وعليك الاحتجاج لهم، وجعلت بدل التوقف في أمرهم الرد على من أضاف اليهم مالايليق بهم، وقد تقدم من قولنا فيهم متفرقاً ومجملا ماأغنى عن الاستقصاء في هذا الكتاب ، ثم قال: تمت الرسالة وهي بخط عبدالله ابن الحسن الطبري[1].

وفي شرح ابن أبي الحديد : روى عبدالله بن عمر ، قال :كنت عند أبي يوماً ، وعنده نفر من الناس، فجرى ذكر الشعر، فقال : من أشعر العرب؟فقالوا: فلان وفلان، فطلع عبدالله بن عباس، فسلم وجلس، فقال عمر: قد جاءكم الخبير من أشعر الناس ياعبدالله ؟ قال : زهير بن أبي سلمة ، قال: فأنشدني ماتستجيده له فقال : يا أميرالمؤمنين أنه مدح قوماً من غطفان يقال لهم بنوسنان ، فقال :

لوكان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
قوم سنان أبوهم حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
انس اذا أمنوا جن اذا فزعوا ... مرزؤون بهاليل اذا جهدوا
محسدون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال عمر: قاتله الله لقد أحسن ولا أرى هذا المدح يصلح الا لهذا البيت

(١) كشف الغمة في معرفة الائمة ١/٢٩-٣٦ .

من هاشم، لقرابتهم من رسول الله ﷺ ، فقال ابن عباس: وفقك الله يا أمير المؤمنين فلم تزل موفقاً ، قال: يا بن عباس أتدري ما منع الناس منكم ؟ قال: لا، قال: لكني أدري، قال : ماهو يا أمير المؤمنين ؟ قال : كرهت قريش أن يجتمع لكم النبوة والخلافة فيجخفوا الناس جخفا ، فنظرت قريش لانفسها فاختارت ووفقت فأصابت ، فقال ابن عباس : أيميط أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع ، قال: قل ماتشاء .

قال: أما قول أمير المؤمنين «ان قريشاً كرهت» فان الله تعالى قال لقوم «ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم » وأما قولك « انا كنا نجخف » فان جخفنا بالخلافة لجخفنا بالقرابة ، ولكن أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله ﷺ الذي قال الله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » وقال له «اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» .

واما قولك ان قريشاً اختارت ، فالله تعالى يقول « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » وقد علمت يا أمير المؤمنين ان الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر أنه لها لوفقت قريش .

فقال عمر : على رسلك يابن عباس أبت قلوبكم يا بني هاشم الا غشاً في قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول، فقال ابن عباس: مهلا ياأمير المؤمنين لاتنسب قلوب بني هاشم الى الغش، فان قلوبهم من قلب رسول الله ﷺ الذي طهره الله وزكاه ، وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

وأما قولك حقداً فكيف لايحقد من غصب شيئه ويراه في يد غيره ، فقال: أما أنت ياعبدالله ، فقد بلغني عنك كلام أكره أن اخبرك ، فتزول منزلتك عندي، قال وماهو أخبرني به ، فان يك باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه ، وان يك حقاً فان منزلتك عندي لا تزول به ، قال: بلغني أنك لاتزال تقول أخذ هذا الامر منا

حسداً وظلماً .

قال : أماقولك ياأمير المؤمنين حسداً ، فقد حسد ابليس آدم فأخرجه من الجنة ، فنحن بنو آدم المحسود ، وأماقولك «ظلماً» فأمير المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو، ثم قال : ياأمير المؤمنين ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله ﷺ ، واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله ﷺ فنحن أحق برسول الله ﷺ من سائر قريش .

فقال عمر : قم الآن، فارجع الى منزلك ، فقام فلما ولى هتف بـه عمر أيها المنصرف ان على ماكان منك لراع حقك ، فالتفت ابن عباس ، فقال ان لي عليك وعلى كل المسلمين حقاً برسول الله ﷺ، فمن حفظه فحفظ نفسه حفظ ومن اضاعه فحق نفسه أضاع ، ثم مضى ، فقال عمر لجلسائه : واهاً لابن عباس مارأيته لاحى أحداً قط الاخصمه [1].

وقال في نهج البلاغة في خطبة له عليه السلام : بعث رسله بماخصهم به في وحيه، الى أن قال: الا أن الائمة من قريش ، غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح الامامة على سواهم ، ولا تصلح الولاة من غيرهم [2].

قال ابن أبي الحديد في شرح هذه الخطبة : فان قلت انـك شرحت هـذا الكتاب على قواعد المعتزلة واصولهم ، فماقولك في هذا الكلام ، وهوتصريح بان الامامة لايصلح من قريش الا في بني هاشم ، وليس ذلك بمذهب المعتزلـة لامتقدميهم ولامتأخريهم .

قلت : هذا الموضع مشكل ولي فيه نظر، وان صح ان علياً عليه السلام قاله، قلت كماقاله ، لانه ثبت عندي أن النبي ﷺ قال : انه مع الحق وان الحق يدور معه حيثما دار ، ثم قال: ويمكن أن يتأول وينطبق على مذهب المعتزلة ، فيحمل على

(١) شرح نهج البلاغة ١٢/٥٢ ـ ٥٥ .

(٢) نهج البلاغة ص٢٠٠ ـ ٢٠١ ، رقم الخطبة : ١٤٤ .

أن المراد به كمال الامامة كما حمل قوله ﷺ « لاصلاة لجار المسجد الا في المسجد» على نفي الكمال لا على نفي الصحة[١] انتهى .

أقول : وفساد هذا التأويل ظاهر لايخفى عليك، ثم انه سيأتي انشاء الله تعالى أن هذه الخطبة وسائر الخطب منه عليه السلام صريحة في مراده ، وقوله ان صح ينافي ماتسلمه في مواضع من شرحه كون نهج البلاغة صحيح النسبة الى علي عليه السلام .

وقال في الصواعق في المقصد الرابع في بيان آية ذي القربى : وردعن عمر من طرق أنه قال للزبير : انطلق بنا نزور الحسن والحسين بني علي رضي الله عنهما ، فتبطأ عليه ، فقال : أماعلمت أن عبادة بني هاشم فريضة وزيارتهم نافلة ، وأخرج الخطيب مرفوعاً يقوم الرجل للرجل الا بني هاشم ، فانهم لا يقومون لاحد .

المقصد الثالث

(أن يكون من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وعترته)

والروايات في ذلك متواترة من الطريقين، ونقتصر فيها هنا على طريقة العامة، ونذكر من طريقة الخاصة بعد ذلك انشاء الله ، وهي على أنواع :

النوع الاول

(اخبار الثقلين)

روى في صحيح أبي داود وهو كتاب السنن ، وفي صحيح الترمذي

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩/٨٧-٨٨ .

باسنادهما أن رسول الله ﷺ قال:اني تارك فيكم ماان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الاخر ، وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض ، وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني في عترتي(١).

وروى أحمد بن حنبل في مسنده باسناده الى أبي سعيد الخدري ، قال قال رسول الله ﷺ : اني قد تركت فيكم ماان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي الثقلين وأحدهما أكبر من الاخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي أهل بيتي ، ألا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض(٢).

وروى فيه أيضاً باسناده الى زيد بن ثابت، قال قال رسول الله ﷺ: اني تارك فيكم الثقلين خليفتين :كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والارض ، وعترتي أهل بيتي ، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض(٣).

وروى الثعلبي في تفسير سورة آل عمران في قوله تعالى «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا»(٤) باسناده قال قال رسول الله ﷺ : أيها الناس اني قد تركت فيكم الثقلين خليفتين ، ان أخذتم بهما لن تضلوا بعدي ، أحدهما أكبر من الاخر: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والارض ، أوقال الى الارض ، وعترتي أهل بيتي ألا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض(٥).

الى المقام نقلناه من الطرائف(٦)، ورواها جماعة اخرى أيضاً .

---

(١) صحيح الترمذى ٢٠٠/١٣ .

(٢) الاحقاق عن مناقب أحمد ٣١١/٩ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١٨١/٥ .

(٤) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٥) ينابيع المودة عن الثعلبى ص١١٩ و٢٤١ .

(٦) الطرائف ص١١٤ ـ ١٢٢ ، المطبوع بتحقيقنا .

وروى في الصواعق الموجود عندي حيث قال : وفي رواية صحيح انـي تارك فيكم أمرين لن تضلوا ان اتبعتموهما : كتاب الله عزوجل وأهل بيتي عترتي، ثم قال : وزاد الطبراني اني سألت ذلك لهما ، فلاتقدموهما فتهلكوا، ولاتقصروا عنهما فتهلكوا ، ولاتعلموهم فانهم أعلم منكم .

وفي الصواعق في تتمة الكتاب : وقد جاءت الوصية الصريحة بهم في عدة أحاديث .

منها : حديث اني تارك فيكم ما ان تمسكتم لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الاخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما .

الى أن قال: وفي رواية صحيحة: كأني قد دعيت فأجبت اني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما الاكد من الاخر: كتاب الله عزوجل وعترتي بالمثنات ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، لـن يفترقا حتى يردا علـي الحوض سألت ربـي ذلك لهما ، فـلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولاتعلموهم فانهم أعلم منكم .

ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابياً لا حاجة بنا الـى بسطها انتهى(١) .

والاخبار في هذا الباب كثيرة ، وانما اقتصرنا على المذكورات ، لكونها ونحوها أصرح من غيرها ، وان كان الخبر المتواتر «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» كاف فـي المطلوب ، لان تركهما في الامة، وكون العترة وأهل البيت قريناً للكتاب، وانهما لن يفترقا أبداً يدل على أن الامام الذي يرجع اليه أهل البيت حيث أنهم لن يفترقوا عن الكتاب.

---

(١) الصواعق المحرقة ص٢٢٦ ، ط مصر.

بيان :

ما في هذه الاخبار :

منها : الثقلين هو بفتح القاف في القاموس من الثقل كعنب ضد الخفة ، ثقل ككره ، ثقلا وثقالة فهو ثقيل ، الى أن قال: والثقل محركة متاع المسافر وحشمه وكل شيء نفيس مصون ، ومنه الحديث «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» والثقلان الانس والجن ، والاثقال كنوز الأرض وموتاها ، والذنوب والاحمال الثقلية واحدة الكل ثقل بالكسر[١] انتهى .

ويظهر من ذلك أن الثقل المصدري على زنة عنب ، والثقل الاسمي بسكون القاف .

وفي المصباح المنير : ثقل الشيء بالضم ثقلا وزان عنباً ، ويسكن للتخفيف فهو ثقيل والثقل المتاع ، والجمع أثقال مثل سبب وأسباب، قال الفارابي: الثقل متاع المسافر وحشمه ، والثقلان الجن والانس[٢].

وقال في الصواعق : سمي رسول الله ﷺ القرآن وعترته ثقلين، لان الثقل كل نفيس خطير مصون ، وهذان كذلك ، اذ كل منهما معدن العلوم الدينية والاسرار والحكم العلمية والاحكام الشرعية ، ولذا حث رسول الله ﷺ على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم ، وقيل: سميا ثقلين لثقل وجوب رعايتهما[٣] انتهى .

---

(١) القاموس ٣٤٢/٣ .

(٢) مصباح المنير ص٨٣ .

(٣) الصواعق المحرقة ص٢٢٦ - ٢٢٧ .

والكلام المنسوب الى القيل يستفاد منه أنه مأخوذ من الثقل بالكسر ، وقال أيضاً :وسماهما ثقلين اعظاماً لقدرهما، أو يقال لكل خطير شريف ثقيل ، أو لان العمل بما أوجبه الله تعالى من حقوقهما ثقيل جداً ، ومنه قوله تعالى « انا سنلقي عليك قولا ثقيلا»(١) أي: له وزن وقدر، وسمي الانس والجن الثقلين لاختصاصهما بأنهما قطان الارض ، ويكونون هما فضلاء يتميز على سائر الحيوان .

وقد يستفاد من هذا الكلام ان الثقلين من الثقل بالكسر، وهو ضعيف لتصريح صاحب القاموس وغيره بأنه من ثقل بالتحريك الذي هو بمعنى متاع المسافر، أو الشيء النفيس .

وفي شرح ابن أبي الحديد : وانما سمي النبي ﷺ الكتاب والعترة الثقلين لان الثقل في اللغة متاع المسافر وحشمه ، فكان ﷺ لما شارف الانتقال الى جوار ربه ، جعل نفسه كالمسافر الذي ينتقل من منزل الى منزل ، وجعل الكتاب والعترة كمتاعه وحشمه ، لانهما أخص الاشياء .

وقال في تيسير الوصول ، بعد ذكر الخبر الاتي : سمي النبي ﷺ القرآن العزيز وأهل بيته ثقلين ، لان الاخذ بهما والعمل بما يجب لهما ثقيل، وقيل: العرب ثقل لكل نفيس خطير ثقل ، فجعلهما ثقلين اعظاماً لقدرهما ، وتفخيماً لشأنهما ، والعصبة أهل الرجل من قبل الاباء والاجداد .

ومنها : أهل البيت ، والمراد منها جماعة مخصوصة ، لا كل عادل عليه اللفظ بمقتضى الوضع الافرادي .

روى في صحيح مسلم الموجود عندي في باب فضل علي بن أبي طالب عليه السلام في أوائل الخمس الخامس منه ، باسناده عن أبي حيان عن يزيد بن حيان، قال : انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم الى زيد بن أرقم ، فلما جلسنا اليه ،

(١) سورة المزمل : ٥ .

قال حصين : لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه ، لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً ، حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله ﷺ .

قال : يا بن أخي والله كبرت وقدم عهدي ، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ ، فما حدثتكم فأقبلوا ومالا أحدثكم فلا تكلفونيه، ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة ، ووعظ وذكر.

ثم قال : أما بعد ألا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، واني تارك فيكم الثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، خذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين : ومن أهل بيته يازيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قال: ومن هم ؟ قال: هم آل علي ، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس ، قال : كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم(١).

وفيه أيضاً باسناده عن ابن حيان السابق ، الا أنه زاد فيه كتاب الله فيه الهدى والنور ، من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ، ومن أخطأه ضل(٢).

وفيه أيضاً باسناده عن يزيد بن حيان ، عن زيد بن أرقم ، قال: دخلنا عليه ، فقلنا له لقد رأيت خيراً لقد صاحبت رسول الله ﷺ وصليت خلفه، وساق الحديث نحو حديث ابن حيان ، غير أنه قال : الا واني تارك فيكم ثقلين : أحدهما كتاب الله ، وهو حبل الله ، من اتبعه كان على الهدى ، ومن تركه كان على الضلالة ، وفيه فقلنا : من أهل بيته ؟ نساؤه؟ قال : لا وايم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر

---

(١) صحيح مسلم ١٨٧٣/٤ .

(٢) صحيح مسلم ١٨٧٤/٤ .

من الدهر ثم يطلقها ، فترجع الى أبيها وقومها ، أهل بيته أصلـه وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده(١).

وفي كتاب تيسير الوصول الى جامع الاصول الموجود عندي، عن يزيدبن حيان ، عن زيد بن أرقم، قال قال رسول الله ﷺ : ألا واني تارك فيكم ثقلين : أحدهما كتاب الله هوحبل الله الذي ، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة ، وعترتي أهل بيتي ، فقلنا : من أهل بيته نساؤه ؟ قال : أيم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ، فيطلقها فترجع الى أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبته الذي حرموا الصدقة بعده(٢).

وسيأتي انشاء الله تعالى في أخبار آية التطهير ماتدل على هذا المعنى، وهي أخبار كثيرة :

مثل مارواه أحمد بن حنبل في مسنده ، عن أم سلمة ، ودفعة اخرى عن عطاء ابن أبي رياح ، قال جدي: من سمع أم سلمة تذكر أن النبي ﷺ كانت في بيتها فأتت فاطمة عليها السلام ببرمة فيها حريرة ، فدخلت بها عليه ، قال : ادعي لـي زوجك وابنيك ، قالت : فجاء علي والحسن والحسين عليهم السلام فدخلوا وجلسوا يأكلون من تلك الحريرة ، وهو وهم على منام لهم، وكان تحته كساء خيبري ، قالت: وأنا في الحجرة أصلي، فأنزل الله تعالى هذه الاية «انما يريد الله» الاية .

قالت : فأخذ فضل الكساء وكساهم به ، ثم أخرج يده فألوى بها الى السماء وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ، اللهم فاذهب عنهم الرجس وطهرهـم تطهيرا ، قال : فأدخلت رأسي البيت ، وقلت: وأنا معكم يارسول الله ؟ قال: انك

---

(١) صحيح مسلم ١٨٧٤/٤ ، ح٣٧ .

(٢) تيسير الوصول ١٦/١ .

لعلى خير[١].

وفي الطرائف نقلا عن مسند أحمد بن حنبل ، باسناده الى شهر بن حوشب، عن ام سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة : ايتني بزوجك وابنيك، فجاءت بهم فألقى عليهم كساء فدكياً، قالت: ثم وضع يده عليهم ، وقال : ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وآل محمد انك حميد مجيد ، قالت ام سلمة : فرفعت الكساء لادخل معهم ، فجذبه من يدي ، وقال : انك على خير[٢]

وفيه نقلا عن تفسير الثعلبي في تأويل الاية المذكورة ، باسناده الى جعفر بن أبي طالب الطيار ، قال : لما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله الى الرحمة هابطة من السماء ، قال : من يدعو ؟ مرتين ، قال زينب : أنا يارسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : ادعي لي علياً وفاطمة والحسن والحسين ، قال : فجعل حسناً عن يمينه ، وحسيناً عن شماله ، وعلياً وفاطمة عن تجاهه ، ثم غشاهم كساءاً خيبرياً ، ثم قال : اللهم ان لكل نبي أهلا ، وهؤلاء أهل بيتي ، فأنزل الله عزوجل «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» فقالت زينب : يا رسول الله ألا أدخل معكم ؟ فقال رسول الله : مكانك فانك الى خير[٣].

وفيه نقلا عن صحيح مسلم في الجزء الرابع في ثالث كراس من أوله من النسخة المنقول منها، في باب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ، باسناده الى سعد بن أبي وقاص يذكر في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله ، ويقول في أواخره : لما نزلت هذه الاية « فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم »[٤]

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٦/٢٩٢ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٦/٢٩٦ ، الطرائف ص١٢٥-١٢٦ .

(٣) الطرائف نقلا عن تفسير الثعلبي ص١٢٧-١٢٨ .

(٤) سورة آل عمران : ٦١ .

الاية دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي [١].

وفيه نقلا عن صحيح أبي واقد ، وهو كتاب السنن وموطأ مالك ، أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة اذا خرج الى صلاة الفجر لمانزلت آية التطهير قريباً من ستة أشهر، يقول الصلاة ياأهل البيت ، ثم قرأ الاية [٢].

وفي الكشاف في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران «ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » [٣] قال : آل ابراهيم اسماعيل واسحاق وأولادهما، وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر، وقيل : عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان ، وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة « ذرية» بدل من آل ابراهيم وآل عمران «بعضها من بعض» يعني أن الالين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهارون من عمران وعمران من يصهر ، ويصهر من قاهث ، وقاهث من لاوي ، ولاوي من يعقوب ، ويعقوب من اسحاق [٤].

وقال في تفسير قوله تعالى في سورة النساء «فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة» [٥] آل ابراهيم الذين هم أسلاف محمد ﷺ [٦].

ولعلنا نذكر بعد ذلك منهاجملة انشاء الله تعالى .

---

(١) صحيح مسلم ١٨٧١/٤ ، الطرائف ص١٢٩ .

(٢) الطرائف ص١٢٨ ، وأخرجنا في ذيل الصفحة مصادر الرواية فراجع .

(٣) سورة آل عمران : ٣٣-٣٤ .

(٤) الكشاف ٤٢٤/١ .

(٥) سورة النساء : ٥٤ .

(٦) الكشاف ٥٣٤/١ .

ومنها : العترة ، قال في الصحاح : عترة الرجل نسله ورهطه الادنون(١).

وفي المصباح : العترة نسل الانسان ، قال الازهري : وروى تغلب عن ابن الاعرابي أن العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه ، ولا تعرف العرب من العترة غير ذلك ، وقيل: رهطه الادنون ويقال أقرباؤه ، ومنه قول أبي بكر : نحن عترة رسول الله ﷺ التي خرج منها و بيضته التي تفقأت عنه ، وعليه قول ابن السكيت العترة والرهط بمعنى ، ورهط الرجل قومه وقبيلته الاقربون(٢) .

وفي القاموس: العترة بالكسر قلادة تعجن بالمسك والافاويه ، ونسل الرجل ورهطه وعشيرته الادنون ممن مضى وغبر(٣) .

وفي النهاية : في الحديث « خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي » عترة الرجل أخص أقاربه، وعترة النبي ﷺ بنو عبد المطلب، وقيل: أهل بيته الاقربون وهم أولاده وعلي وأولاده ، وقيل: عترتي الاقربون والابعدون منهم، ومنه حديث أبي بكر «نحن عترة رسول الله ﷺ و بيضته التي تفقأت منهم» لانهم كلهم من قريش الى أن قال : والمشهور المعروف أن عترته أهل بيته الذين حرمت عليهم الزكاة(٤).

النوع الثاني

مارواه العامة والخاصة عن النبي ﷺ أن مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك ، ونقتصر فيه على روايات من طرق العامة .

---

(١) صحاح اللغة ٢/٧٣٥ .

(٢) المصباح المنير ص٣٩١ .

(٣) القاموس ٢/٨٤ .

(٤) نهاية ابن الاثير ٣/١٧٧ .

روى الفقيه الشافعي ابـن المغازلي في كتاب المناقب باسناده مـن طريقين الى ابن المعتمر والى سعيدبن المسيب برواياته معاً عن أبي‌ذر قال قال رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من‌ركب‌فيها نجا، ومن‌تخلف عنها غرق (١) .

نقله في كتاب الطرائف (٢) ، ونقله أيضاً في كتاب غاية المرام .

وروى ابـن المغازلي باسناده عن سعيد بـن جبير عن ابن عباس قال قال رسول‌الله ﷺ: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن‌تخلف عنها غرق (٣) نقله عنه في الطرائف (٤)، وفي كتاب غاية المرام .

وروى ابن المغازلي أيضاً عن بشربن المفضل، قال :سمعت الرشيد يقول: سمعت المهدي يقول : سمعت المنصور يقول : حدثني أبي عن أبيـه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك (٥) . نقله عنه في الكتابين المذكورين .

وروى ابـن المغازلي أيضاً عن ابن سلمة بن الاكوع ، عن أبيـه قال قال رسول‌الله ﷺ: مثل أهل‌بيتي كمثل سفينة نوح من‌ركب‌فيها نجا(٦). نقله عنه في الكتابين المذكورين .

وروى ابراهيم‌بن محمد الحمويني من‌أعيان علماء العامة باسناده المذكورة في الكتاب الاتي ذكره ، عن أبي‌سعيد الخدري ، قال سمعت رسول الله ﷺ :

---

(١) المناقب لابن المغازلي ص١٣٢–١٣٣ .

(٢) الطرائف ص١٣٢، ح٢٠٨ .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص١٣٤، ح١٧٦ .

(٤) الطرائف ص١٣٢، ح٢٠٧ .

(٥) المناقب لابن المغازلي ص١٣٢، ح١٧٣ .

(٦) المناقب لابن المغازلي ص١٣٢–١٣٣، ح١٧٤ .

يقول: انما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق ، وانما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له (١) نقله عنه في غاية المرام (٢) .

وروى ابراهيم بن محمد الحمويني باسناده المذكور في الكتاب المذكور عن حنش بن المعتمر الكناني ، قال : سمعت أباذر وهو آخذ بباب الكعبة، وهو يقول: أيها الناس من عرفني فأنا من قد عرفتم ، ومن لايعرفني فأنا أبوذر، اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: انما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من دخلها نجا ، ومن تخلف عنها هلك (٣) . نقله عنه في الكتاب المذكور .

وروى علي المالكي في كتاب فصول المهمة عن رافع مولى أبي ذر، قال : صعد أبوذر على عتبة باب الكعبة وأخذ بحلقة الباب، وأسند ظهره اليه ، وقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبوذر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها زج في النار ، وسمعت رسول الله ﷺ يقول : اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس، ولايهتدى الرأس الا بالعينين (٤). نقله في غاية المرام عنه .

وروى أبوالمظفر الصنعاني في كتاب فضل الصحابة بالاسناد عن سامة بن ابراهيم بن الحسين بن أبي جعفر عليه السلام ، قال قال رسول الله ﷺ : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق .

---

(١) فرائد السمطين للحمويني ٢/٢٤٢ .
(٢) غاية المرام ص٢٣٧-٢٤٠ .
(٣) فرائد السمطين ٢/٢٤٦ .
(٤) الفصول المهمة ص٢٦ .

وفي الصواعق : وجاء من طرق عديدة ، يقوى بعضها بعضاً، انمامثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، وفي رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق وفي رواية وانمامثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له ، وفي رواية غفر له الذنوب (١) .

وروى في الصواعق أيضاً، قال : أخرج الحاكم عن أبي ذر رض أن رسول الله ﷺ قال : ان مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك ، وفي رواية للبزاز عن ابن عباس رض ، وعن ابن الزبير وللحاكم عن أبي ذر أيضاً مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق (٢) .

تنبيهان :

أولهما : قال في الصواعق : وجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم وعظمهم شكر النعمة شرفهم عليه أفضل الصلاة والسلام وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعمة ، وهلك في مفاوز الطغيان .

ومر في خبر أن من حفظ حرمة الاسلام وحرمته ﷺ وحرمة رحمه حفظ الله دينه ودنياه، ومن لالم يحفظ دنياه ولاآخرته . وورد يرد الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين السبابتين ، ويشهد له خبر المرء مع من أحب ، وبباب حطة أن الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحا أو بيت

(١) الصواعق المحرقة ص٢٣٤ .

(٢) الصواعق المحرقة ص١٨٤ .

المقدس، مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة، وجعل لهذه الامة مودة أهل البيت سبباً لها .

وحكى في غاية المرام عن الحمويني عن الواحدي أنه قال، بعد ذكر هذه الروايات ونظائرها : أنظر كيف دعى الخلق الى التشبث الى ولائهم ، والسير تحت لوائهم بضرب مثلهم بسفينة نوح، جعل مافي الاخرة من مخاوف الاخطار وأهوال النار، كالبحر الذي لج براكبه فيورده مشارع المنية، ويفيض عليه سجال البلية، وجعل أهل بيته عليه وعليهم السلام سبب الخلاص من مخاوفه ، والنجاة من متالفه ، فكما لايعبر البحر المهياج عند تلاطم الامواج الا بالسفينة كذالك لا يأمن لفح الجحيم، ولايفوز بدار النعيم الا من تولى أهل البيت الرسول صلوات الله عليه وعليهم ونحل لهم وده ونصحه، وأكد في موالاتهم عقيدته ، فان الذين تخلفوا عن تلك السفينة آلوا شر مآل ، وخرجوا من الدنيا الى أنكال وجحيم ذات أغلال ، وكماضرب مثلهم بسفينة نوح ، قرنهم بكتاب الله ، فجعلهم ثاني الكتاب وشفع التنزيل [1] انتهى الى غيرذلك من كلماتهم .

وبالجملة ليست هذه الروايات مما يناقش في سندها ، ولا في دلالتها . أما في السند ، فلانها في حد التواتر . وأما في الدلالة ، فلان بيان الامثال والشبه لاجل كمال الايضاح ، وجعل الامر بمثابة المحسوس ، ولا سيما بعد ذكر وجه التشبيه ، فان جعل أهل بيت بمنزلة السفينة في البحر والمتمسك بهم بمنزلة الراكب فيها ، يدل على أنهم المنجي من ظلمات بحر الغي والضلال، فان من لم يركب السفينة في البحر يهلك .

ثم ان جعلهم بمنزلة سفينة نوح ، فيه وجوه من الدلالة، على أن الامام لابد من أن يكون من أهل البيت ، أما أولا فلان سفينة نوح هي السفينة التي لا ينجو

---

(١) فرائد السمطين ٢٤٩/٢ .

أحد من الغرق الا من ركب فيها ، فكذلك المتمسك بأهل البيت .

وأما ثانياً فلانها سفينة الحق والصواب دون غيرها ، والجبل العالي الذي لعلوه صورة تخيل ابن نوح مخلص باطل .

وأما ثالثاً، فلان الركوب في السفينة وانقطاعها من الساحل القاء الكل على السفينة ، والانقطاع من الغير بالمرة ، ولاسيما في ذاك الطوفان العام .

والحاصل أن وجوه دلالة هذه الروايات على لزوم كون الامام من أهل البيت ، وكون هذه الروايات من أعظم الدلائل على امامة أهل البيت واضحة .

الثاني : أن المثل كلمة التسوية والتشبيه في الاصل كالمثل بالكسر فالسكون.

قال في الصحاح : مثل كلمة تسوية يقال: مثل هذا مثله ومثله ، كما يقال: شبهه وشبهه بمعنى الى أن قال : والمثل مايضرب به من الامثال[1].

وفي الكشاف في تفسير قوله تعالى «مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً »[2] : والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال : مثل ومثل مثيل كشبه وشبه وشبيه ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربة بمورده مثل[3].

وفي القاموس : المثل بالكسر والتحريك وكأمير الشبه جمع أمثال[4] انتهى .

أقول : فيمكن أن يكون المثل في هذا الاستعمال الشائع في الايات والاخبار على معناه الاصلي ، أي يكون صرف ارادة التسوية ، ولا يكون له معنى غير الدلالة على هذا المعنى ، ويمكن أن يكون خارجاً عن معناه الاصلي ، فيكون

---

(١) صحاح اللغة ١٨١٦/٥ .

(٢) سورة البقرة : ١٧ .

(٣) الكشاف ١٩٥/١ .

(٤) القاموس ٤٨/٤ .

بمعنى الصفة .

قال في الصحاح بعد ماتقدم منه: والمثل مايضرب من الامثال، ومثال الشيء أيضاً صفته.

وفي القاموس بعد ما تقدم منه : والمثل محركة الحجة والحديث والصفة ومثل الجنة .

وفي الكشاف في تفسير الاية المذكورة ، فان قلت: مامعنى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ؟ قلت : قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل : حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً ، وكذلك قوله «مثل الجنة التي وعد المتقون» أي : وفيهما قصصنا من العجائب قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ في بيان عجائبها « ولله المثل الاعلى » أي : الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة «مثلهم في التورية» أي: صفتهم وشأنهم المتعجب منه .

النوع الثالث

(الاخبار المتفرقة في هذا المعنى)

روى الثعلبي في تفسير قوله تعالى «اهدنا الصراط المستقيم » قال قال مسلم ابن حيان : سمعت أبابريدة يقول: صراط محمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين[1].

ونذكر في هذا النوع جملة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج[2] البلاغة

(١) احقاق الحق عنه ٣/٥٣٤ .

(٢) النهج بسكون الهاء كفلس : الطريق الواضح ، والنهج بالتحريك البهر وتتابع النفس «منه» .

حيث أن جامعه السيد الرضي (ره) وهو من الوثاقة بمكان، ولاينكره منكرمن أهل الخلاف والوفاق .

بل قال ابن أبي الحديد في شرح الاصل، وهوقوله « واعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار»[١] : ان كثيراً من أرباب الهوى يقولون : ان كثيراً من نهج البلاغة كلام محدث ، صنعه قوم من فصحاء الشيعة ، وربماعزوا بعضه الى الرضي أبي الحسن وغيره ، وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم ، فضلوا عن النهج الواضح ، وركبوا[٢] بينات[٣] الطريق ضلالا ، وقلة معرفة بأساليب الكلام، وأنا أوضح لك بكلام مختصر مافي هذا الخاطر[٤] من الغلط .

فأقول لايخلو : اما ان يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً منحولا ، أو بعضه ، والاول باطل بالضرورة ، لانا نعلم بالتواتر صحة اسناد بعضه الى أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد نقل المحدثون كلهم أوجلهم والمؤرخون كثيراً منه[٥]، وليسوا من الشيعة لينسبوا الى غرض في ذلك .

والثاني يدل على ماقلناه ، لان من أنس بالكلام والخطابة ، وشد طرفاً[٦] من علم البيان ، وصار له ذوق في هـذا الباب ، لابـد أن يفرق بين الكلام الركيك

---

(١) نهج البلاغة ص٢٦٧ ، رقم الخطبة : ١٨٣ .

(٢) ركب الشخص دابته اذا مشى وجهه من غير قصد ، ومنه راكب التعاسيف ، وهو الذى له مقصد غيرمعلوم ، والعسف بالفتح فالسكون الاخذ على غير الطريق والظلم ، وكذا التعسف والاعتساف ـ مجمع .

(٣) البين ارتفاع فى غلظ ، والغلظ الارض الخشبة ، وأغلظ بهانزل بها ـ القاموس.

(٤) أى : الخاطر الذى هدر منه هذا القول «منه» .

(٥) أي : من أمير المؤمنين عليه السلام «منه» .

(٦) الطرف جمع طرفة ، وهى مايستطرف من لطائف الكلام كغرفة وغرف«منه».

والفصيح ، وبين الفصيح والافصح ، وبين الاصيل والمولـد ، واذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاماً لجماعة من الخطباء ، أو لاثنين منهم فقط ، فلابد أن يفرق بين الكلامين ، ويميز بين الطريقتين ، ألا ترى مع معرفتنا بالشعر ونقده لو تصفحنا ديوان أبي تمام، فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أوقصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونفسه وطريقته ومذهبه في القريض(١).

ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة اليه ، لمباينتها لمذهبه في الشعر ، وكذا حذفوا من شعر أبـي نواس شيئاً كثيراً ، لما ظهر لهم أنه ليس من ألفاظه ولا من شعره ،وكذلك في غيرهما من الشعراء ، ولم يعتمدوا في ذلك الاعلى الذوق خاصة .

وأنت اذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماءاً واحداً ونفساً واحداً واسلوباً واحداً ،كالجسم البسيط الذي ليس له بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الابعاض في الماهية ، وكالقرآن العزيز ، أوله كأوسطه ، وأوسطه كآخره ، وكل سورة منه ، وكل آيـة مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريقة والاسلوب والنظم لباقي الآيات والسور ، ولوكان بعض نهج البلاغة منحولا وبعضه صحيحاً ، لم يكن ذلك كذلك ، فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن هـذا الكتاب أو بعضه منحول الى أمير المؤمنين عليه السلام(٢) انتهى كلامه .

اذا عرفت ذلك فننقل لك بعض مافيها من الكلمات الدالة على المقصود :

منها : قوله عليه السلام ويعني آل محمد صلى الله عليه وآله هم موضع سره، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه ، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب

---

(١) القريض : الشعر «منه» .

(٢) شرح نهج البلاغة ١٠/١٢٧ - ١٢٩ .

ارتعاد فرائصه[١].

بيان ماقيه :

اللجا الملجأ ، وهومايلتجأ اليه كالوزر ، وهو مايعتصم به، والموئل المرجع من الى يؤول اذا رجع وانتهى اليه .

والفرائص جمع فريصة ، وهي اللحمة التي بين الجنب والكتف، والضمائر الاول راجعة الى الله تعالى ،كمايقتضيه قوله «بهم أقام» الخ .

والضمير في الآخرين راجع الى الدين كمافي شرح ابن أبي الحديد[٢]، أو الى الرسول كمافي شرح ابن ميثم .

والمراد بكونهم جبال الدين أنهم لا يتحلحلون عن الديـن ، أو أن الدين ثابت بوجودهم ،كما أن الارض ثابتة بالجبال ، ولولا الجبال لمادت بأهلها ، كذا في الشرح الاول .

والمراد بإذهاب ارتعاد الفرائص بهم أن الله تعالى أزال عنه بمعونتهم ارتعاد الفرائص، وهو من لوازم شدة الخوف ، فهو كناية عن الخوف، سواء كان المرجع الدين أو الرسول .

ومنها : قوله عليه السلام لايقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الامة أحد ، ولايسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً ، هـم أساس الدين ، وعماد اليقين ، اليهـم يفيء الغالي[٣]، وبهم يلحق التالي ، ولهم خصائص حـق الولايـة ، وفيهـم الوصية

---

(١) نهج البلاغة ص٤٧ ، رقم الخطبة ٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة ١/ ١٣٨ .

(٣) في شرح ابن ميثم : اليهم يفيء الغالـي اشارة الـى أن المتجاوز للفضائـل الانسانية التي مدارها على الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة الى طرف الافراط منهاـ

والوراثة ، الان اذ رجع الحق الى أهله ، ونقل الى منقله[١].

بيان مافيه :

ونذكر أولا كلام ابن أبي الحديد، قال: هم أساس الدين، اليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي، جعلهم كمقنب يسير في فلاة ، والغالي منه أي الفارط المتقدم الذي قد غلا في سيره يرجع الى ذلك المقنب اذا خاف عدواً، ومن تخلف عن ذلك المقنب، فصار تالياً يلتحق به اذا أشفق من أن يتخطف .

ثم ذكر أن لهم خصائص حق الولاية ، والولاية الامرة ، فاما الامامية ، فتقول[٢]: أراد نص النبي ﷺ عليه وعلى أولاده، ونحن نقول: لهم خصائص حق ولاية الرسول ﷺ على الخلق .

ثم قال: وفيهم الوصية والوراثة، أما الوصية فلاريب عندنا أن علياً عليه السلام كان وصي رسول الله ﷺ ، وان خالف في ذلك من هو منسوب عندنا الى العناد ، ولسنا نعني بالوصية النص والخلافة، ولكن أموراً أخرى لعلها اذا لمحت[٣] أشرف وأجل، وأما الوراثة فالامامية يحملونها على ميراث المال أو الخلافة، ونحن نحملها على وراثة العلم .

ثم ذكر عليه السلام أن الحق رجع الان الى أهله ، وهذا يقتضي أن يكون فيما

← يرجع اليه ويهتدى بهم فى تحصيل هذه الفضائل، وأشار بقوله « وبهم يلحق التالى » الى أن المقصر عن بلوغ هذه الفضائل المرتكب لطرف التفريط فى تحصيلها يلحق بهم عند طلبه لها «منه» .

(١) نهج البلاغة ص٤٧ .

(٢) فى المصدر: فيقولون .

(٣) اللمح: النظر الخفيف «منه» .

قبل في غيـر أهله ، ونحن نتأول ذلك على غير ماتذكره الامامية ، ونقول : انه عليه السلام كان أولى بالامر وأحق، لا على وجه النص، بل على وجه الافضلية ، فانـه أفضل البشر بعد رسول الله ﷺ ، وأحق بالخلافـة من جميع المسلمين ، لكنه ترك حقه لماعلمه من المصلحة ، وماتفرس به هو والمسلمون من اضطراب الاسلام، وانتشار الكلمة، لحسد العرب له ، وضغنهم عليه ، وجائز لمن كان أولى بشيء فتركه ثم استرجعه أن يقول قد رجع الامر الى أهله .

وأماقوله «ونقل الى منتقله» ففيه مضاف محذوف، يقدره الى موضع منتقله، والمنتقل بفتح القاف مصدر بمعنى الانتقال ، كقولك لي في هذا الامر مضطرب أي اضطراب، ونقول: مامعتقدك؟ أي مااعتقادك، يقول: قد رجع الامر الى نصابه والى الموضع الذي هو على الحقيقـة الموضع الذي يجب أن يكون انتقالـه اليه .

فان قيل مامعنى قوله عليه السلام «لايقاس بآل محمد ﷺ من هذه الامة أحد، ولا يسوي بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً» .

قيل : لاشبهـة أن المنعم أعلى وأشرف من المنعـم عليه ، ولاريب أن محمداً صلى الله عليه وآله وأهله الادنين من بني هاشم لاسيما علي عليه السلام أنعموا على الخلق كافة بنعمة لايقدر قدرها ، وهي الدعاء الى الاسلام والهدايـة اليه ، فمحمد ﷺ وان كان هدى الخلق بالدعوة التي قام بها بلسانـه ويده ، ونصره الله له بملائكته وتأييده، وهو السيد المتبوع، والمصطفى المنتجب الواجب الطاعة، الا أن لعلي عليه السلام مـن الهداية أيضاً ، وان كان ثانياً لاول ، ومصلياً على أثر سابق مالايجحد ، ولو لم يكن الا جهاده بالسيف أولا وثانياً، وماكان بين الجهاديـن [1] من نشر العلوم وتفسير القرآن ، وارشاد العرب الى مالم تكن لـه فاهمة ولا متصورة لكفى في

(١) لعل المراد بالجهادين الجهاد في زمان الرسول والجهاد بعده «منه» .

وجوب حقه وسبوغ نعمته عليه السلام .

فان قيل: لاريب في أن كلامه هذا تعريض بمن تقدم عليه ، فأي نعمة له عليهم ؟

قلت : نعمتان، الاولى منهما الجهاد عنهم وهم قاعدون، فان من أنصف علم أنه لولا سيف علي لاصطلم[1] المشركون من أشار اليه وغيرهم من المسلمين ، وقد علمت آثاره في بدر وأحد والخندق وخيبر وحنين،وان الشرك فيها فغرفاه، فلولا أن يسدها بسيفه لالتهم المسلمين كافة ، والثانية علومه التي اولاها لحكم بغير الصواب في كثير من الاحكام، وقد اعترف له بذلك، والخبر مشهور لولا علي لهلك عمر [2] انتهى .

أقول : قوله عليه السلام « لايقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله أحد » فيه دلالة على أن قياس الشيء على الشيء لابد أن يكون بينهما وجه جامع حتى يقاس المقيس على المقيس عليه، ولايشارك الى النبي صلى الله عليه وآله أحد من الناس فيما يقاس عليهم من صفة الكمال .

ولذلك قال : لايسوى بهم غيرهم حتى يقاس عليهم ، فان المقايسة لابد لها من المساواة في الوصف الجامع، وكيف تكون المساواة ، فانهم ممن جرت نعمته عليهم من نعمة علة الخلق والايجاد، ونعمة الهداية والارشاد ، ونعمة قوام الدين والدنيا، ونعمة الاجر في الاخرة والاولى .

ويحتمل أن يكون المراد انعام النبي صلى الله عليه وآله وآبائه العظام على كافة قريش ، فيمكن أن يقال في حق من أنعم عليه الاباء انه ممن جرى عليه النعمة من هؤلاء .

---

(١) الاصطلام الاستيصال، أى: لاستأصل المشركون من أشار عليه السلام فى الخلافة اليه «منه» .

(٢) شرح نهج البلاغة ١/١٣٩-١٤١ .

ثم ان قوله عليه السلام «هم الناس الذين» الى آخره امابيان لعدم تمكن المقايسة، أوبيان وجوه النعم الجارية مماهم واليهم وبهم ولهم وفيهم .

وقوله «ولهم خصائص حق الولاية » يحتمل أن يكون المراد أن حق الولاية العامة حق عظيم منهـم على الناس ، مشتمل على حقوق كثيرة في الدين والدنيا في الاخرة والاولى، وان تحملها الغير من غير أن يكون فيه هذه الخصائص فيكون هذا وجهاً في جريان النعمة ، وانه لايسوى بهم غيرهم .

كمايشهد بـه بعض الخطب الاتية : أيها الناس ان لي عليكم حقا الوفـاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب ، والاجابة حين ادعوكم ، والطاعة حين آمركم[1] .

وقولـه « الان اذ رجع الحق الى أهله ونقل الى منقلـه » اماأن يكون هذا الكلام بعد قتل عثمان واستقرار الامر عليه في الظاهر، أوبعد انصرافه من صفين، كما لعله يدل عليه نظـم عبارة النهج ، وان قال ابـن أبي الحديد في ذلك ماقال فلاحظ .

ثم اذ رجع الحق الى أهله خبر لقوله «الان» أي : الان وقت رجوع الامر الى أهله على حد اذا في قولـه « أخطب مايكون الامير اذا كان قائماً » وقالـه الزمخشري في قراءة بعضهم «لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا»[2] على تقدير منه اذ بعث .

ثم ان مافي شرح ابن أبي الحديد من كون المنتقل مصدر، أوتقدير المضاف وهو الموضع في قوله « نقل الى منتقله » كماترى ، بل الصحيح أن المنتقل اسم مكان، واسم المكان من فعل المزيد على وزن اسم المفعول .

---

(١) نهج البلاغة ص٧٩، رقم الخطبة: ٣٤ .

(٢) سورة آل عمران: ١٦٤ .

ومنها: قوله عليه السلام في نهج البلاغة أيضاً : الحمد لله الناشر في الخلق فضله ، والباسط فيهم بالجود يده، نحمده في جميع أموره، ونستعينه على رعاية حقوقه، ونشهد أن لااله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بأمره صادعاً ، وبذكره ناطقاً، فادى أميناً، ومضى رشيداً، وخلف فينا راية الحق من تقدمها مرق ، ومن تخلف عنها زهق ، ومن لزمها لحق دليلها ، مكيث الكلام ، بطيء القيام ، سريع اذا قام .

فاذا أنتم ألنتم له رقابكم ، وأشرتم اليه بأصابعكم جاءه الموت وذهب به ، فلبثتم بعده ماشاء الله حتى يطلع الله لكم من يجمعكم، ويضم نشركم، فلاتطمعوا في غير مقبل، ولاتيأسوا من مدبر، فان المدبر عسى أن تزل احدى قائمتيه وتثبت الاخرى ، فترجعوا (١) حتى تثبتا جميعاً ، ألا أن مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء اذا خوى نجم طلع نجم ، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع وأراكم ما كنتم تأملون (٢) .

بيان :

الظاهر أن فضله ويده منصوبان، ويحتمل أن يكونا مرفوعين، ويحتمل رفع الاول ونصب الثاني، فان استعمال الثاني متعدياً، أكثر بخلاف الاول، والمراد باليد النعمة، يقال: لفلان عندي يداي نعمة .

والصدع كمافي القاموس الشق في شيء صلب ، الى أن قال : وصدعه كمنعه شقه ، وفيه أيضاً : صدع بالحق تكلم به جهاراً وبالامر أصاب به موضعه

---

(١) في النهج: فترجعا .

(٢) نهج البلاغة ص١٤٥-١٤٦، رقم الخطبة : ١٠٠ .

وجاهر به (١) .

وفي الصحاح : وصدعت الشيء أظهرته وبينته ، ويقال صدعت بالحق اذا تكلمت به جهاراً، وقوله تعالى «فاصدع بما تؤمر» فاصدع بالامر أي أظهر دينك (٢) انتهى .

أي: أرسله مظهراً لدينه بين الخلائق، ومجاهداً له من غير اتقاء من المشركين وناطقاً بذكره بين الخلائق، أو بينه وبين ربه .

والرشد خلاف الغي، وهو الضلال، أي: مضى على الهداية والرشاد .

والراية العلم وفي الصحاح : الالوية دون الاعلام (٣) . وفي المجمع : الراية العلم الكبير ، واللواء دون ذلك (٤) ، الى أن قال: واللواء علامة كبكبة الامير تدور معه حيث دار .

ومرق، أي: خرج، ومرق السهم من الرمية مروقاً، أي: خرج من الجانب الاخر ، ومنه سميت الخوارج مارقة ، لقوله عليه السلام « يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » والرمية الذي يرمى اليه .

وزهق، أي: هلك، قال في القاموس: زهق الباطل اضمحل والراحلة سبقت وتقدمت أمام الخيل والسهم جاوز الهدف ، ونفسه خرجت كزهقت ، كسمع والشيء بطل وهلك (٥) .

والصنائع جمع الصنيعة وهي الاحسان، قال في القاموس: الصنيع الاحسان

---

(١) القاموس ٣/٤٩ .

(٢) صحاح اللغة ٣/١٢٤٢ .

(٣) صحاح اللغة ٦/٢٤٨٦ .

(٤) مجمع البحرين ١/٣٨١ .

(٥) القاموس ٣/٢٤٣ .

كالصنيعة جمع الصنائع[١] .

وفي المصباح المنير: الصنيعة ماصطنعته من خير[٢] والذي يظهر من اللغة أن الصنيعة والاصطناع بمعني الاحسان .

والمكيث كأمير الرزين كما في القاموس [٣] ، والرزين الثقيل كما فيه أيضاً وهو من المكث وهو اللبث .

ويمكن أن يكون السر في اختصاص الذكر بهذا الدليل عدم التوهم في أن السكوت عن الحق والاظهار بالامر ليس لعدم الاهلية والاستحقاق، بل انما يلاحظ فيه المصالح الخفية التي لايلاحظها الغير الخبير .

ثم ان المراد براية الحق الامام، كما هو الظاهر من العبارات اللاحقة ، أو الكتاب والامام ، وهو الذي ذكره ابن أبي الحديد ، حيث قال : وراية الحق الثقلان المخلفان بعد الرسول صلى الله عليه وآله ، وهما الكتاب والعترة [٤] انتهى .

وقال ابن ميثم: وأشار براية الحق التي خلفها رسول الله صلى الله عليه وآله الى كتاب الله وسنة نبيه ، ثم قال : ولفظ الراية مستعار ، ووجه المشابهة كون الكتاب والسنة مقصدين لتابعهما، يهتدى بهما في سبيل الله، كما أن في الراية كذلك [٥] انتهى.

والظاهر أن وجه هذا الخيال قوله « دليلها مكيث الكلام » أي: الدال عليها رجل مكيث الكلام، حيث قال أيضاً: وأشار بدليلها الى نفسه استعارة، ووجهها أن الامام مظهر ومبين لاحكام الكتاب والسنة ، وماخفي منهما للسالكين الى الله

---

(١) القاموس ٥٢/٣ .

(٢) مصباح المنير ص٣٤٨ .

(٣) القاموس ١٧٥/١ .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨٥/٧ .

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٧/٣ .

تعالى ، كما يرفع الراية حاملها لتابعيه ليقتدوا به، ثم أشار الى صفات ذلك الدليل بقول مكيث الكلام الى آخر كلامه [١] .

وفيه أن الراية لايحتاج الى دليل يدل عليه، لانها علم للاهتداء، بل الرايات لما اختلفت من جهة ذي الراية وصاحب العلم والذي خلفه النبي ﷺ راية الحق لا راية الضلال كما قال، وخلف فينا رايـة الحق ، احتيج الى بيان وصف رايـة الحق، وبيان مايدل على الحق منها، فقال: ان دليل راية الحق التي يكون المراد منها الامام أنه مكيث الكلام، أو الكلام المكيث وهكذا .

وعلى كل التقادير الثلاث من كون المراد منها الامام والنظير [٢] أو الكتاب والسنة، فالمراد بدليلها، كما نص ابن أبي الحديد وابن ميثم نفسه عليه السلام، وكفى به عن نفسه .

أقول: والاولى أن لايريد بـه نفسه فقط، كما يدل عليه العبارات الاتية ، ولا سيما قوله عليه السلام « ألا ان مثل آل محمد» الخ بل أراد بيان أن اجهار الامر واظهاره ليس من الدليل، بل الدليل خلافه، فان ملاحظة مصالح الامور يقتضي الثاني في الحركات، والمكث في الكلام .

لكن اذا قام ورأى المصلحة في القيام والاظهار، فهو سريع في ذلك لانتهاز الفرصة ، فاذا فعل ذلك كان من تقدير الله تعالى في حقه أنه يدركه الموت، ثم بعده يكون الدليل الاخر مثله أولا من كونه مكيث الكلام الى ان لان له الرقاب وأشير اليه الاصابع، فأفشى في الخلق من الاحكام والسنن والاداب، ثم يقدر عليه الموت، وهكذا دليلا بعد دليل الى الامام الثاني عشر ، الذي هو الجامع المطلق لكل نشر .

---

(١) نفس المصدر .

(٢) في نسخة : أو الثقلين .

ويمكن أن يكون قوله وهكذا دليلا بعد دليل حتى يطلع الله من يجمعكم ويضم نشركم ، اشارة الى الامام المنتظر كماقال ابن أبي الحديد: ثم يطالع الله لهم من يجمعهم ويضمهم يعني من أهل البيت عليهم السلام، وهذا اشارة الى المهدي الذي يظهر في آخر الوقت ، وعند أصحابنا أنه غيرموجود الان وسيوجد وعند الامامية أنه موجود الان(١) .

وقال ابن ميثم: ونبه بقوله «لبثتم بعده ماشاء الله» الى أنهم يخلون عن امام يجمعهم مدة، والاشارة الى مدة بني امية. وبقول «حتى يطلع الله لكم» الى قوله «نشركم» على أنه لابد لهم بعد ذلك المدة من شخص يجمعهم،وطلوعه ظهوره وتعينه للرئاسة بعد اختفاء ، فقيل : هوالامام المنتظر، وقيل : هو قائم بني العباس بعد انقضاء دولة بني امية (٢) انتهى كلامه .

ثم ان قوله « فلاتطمعوا في غيرمقبل ولاتيأسوا من مدبر » لعل المراد أنه بعد أن كان الدليل مكيث الكلام بطيء القيام، فلاتطمعوا في غيرمقبل الى الخلافة الظاهرة والقيام الى الامر والاخذ بدونه، أواخذ الامر من يده وتخليته عنه بالمرة والخلافة حق له ، ولاتيأسوا ممن أدبر من الخلافة ، فانه قد ينتظر الفرصة ، أو لاتطمعوا الخلافة في غيرالمقبل ، فلعل عدم اقباله لامور راجعة الى الدنيا ، ولا تيأسوا ممن أدبر عن الدنيا أوأدبر الدنيا عنه فلعله يرجع .

وقال ابن ميثم : وقوله « لاتطمعوا الى غيرمقبل» أي: من لم يقبل على طلب هذا الامر ممن هو أهله ومتعين له وآثر تركه الى الخلوة بالله ، فلاتطمعوا فيه ، فان له بالله شغلا عن كل شيء، وقيل: المراد بغيرالمقبل من انحرف عن الدين

(١) شرح نهج البلاغة ٩٤/٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٨/٣ .

بارتكاب منكر، فانه لايجوز الطمع (١) في أن يكون أميراً لكم، وروي فلاتطعنوا في عين مقبل ، اي: من أقبل عليكم من أهل البيت طالباً لهذا الامر وهو أهل له فكونوا معه، وكنى بالطعن في عينه عن دفعه عمايريد .

وقوله «لاتيأسوا من مدبر » الى قوله « فثبتا جميعاً» أراد من أدبر من طلب الخلافة ممن هو أهل لها فلاينبغي أن يحصل الاياس من عوده واقباله على الطلب فلعله انما أدبر عن ذلك لاختلال بعض الشرائط التي يتعين عليه معها للقيام ، وكنى عن اختلال بعض الشرائط من قلة ناصر ونحوه بزوال احدى قائمتيه ، وبثبات الاخرى عن وجود بعض الشرائط كثبات أهليته للطلب أوبعض العبارة(٢) معه .

وبقوله « فترجعا حتى تثبتا » عن تكامل شرائط قيامه ، ولاينافي النهي عن اليأس هنا النهي عن الطمع في غيرالمقبل ، لجواز أن ينهي عن الطمع فيه حال اعراضه وادباره عن الطلب لاختلال بعض شرائطه ، والنهي عن الايـاس منه ، لجواز حصول شرائط القيام فيه وتكاملها (٣) انتهى .

أقول : ويمكن أن يكون المراد من قولـه « فلا تطمعوا في غير مقبـل » أن لاتتوقعوا في من لايقبل الى الخلافة ومتان في ذلك أن يكون مقبلا اليها مسرعاً الى القيام، حتى يكون عدم حصول الطمع منه من القيام منافياً للامامة وخلافته، ولاتيأسوا منه أيضاً، بل ولامن مدبر عنها، فقد يرى المصالح في الاظهار والاعلان فيقوم بالامر بعد أن رأى المصالح في ذلك ، واستعار له حينئذ بالمدبر الذي فر

(١) في المصباح المنير: طمع في الشيء طمعاً وطماعاً، الى أن قال: وأكثرما يستعمل فيمايقرب حصوله، وقد يستعمل بمعنى الامال «منه».

(٢) في المصدر: أنصاره .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣/ ٨ .

من العدو ، فقد يزل احدى رجليه ويثبت الاخرى، فيخرج التي زل، ويقف قبال العدو ويظفر به .

أويكون المراد أن مـوت امام من أئمة الهدى ليس موتاً للدين ، بل ولا موتاً له ، والمدبر منهم من الدنيا، وهو استعارة للموت ليس مدبراً حقيقة، فان أنوارهم وطينتهم واحدة، فاذا مات أحد منهم قام الاخر مقامه، واستعير لمن مات منهم بالقائمة التي زلت ومن قام مقامه بالثانية منهما ، فانـه اذا خوى نجم طالع نجم آخر [١] .

ثم ان في شرح ابن أبي الحديد معنـى غريباً لهذا الجزء من الكلام، قال : قوله « فلاتطمعوا في غير مقبل، ولاتيأسوا من مدبر » ظاهر هذا الكلام متناقض ، وتأويله أنه نهاهـم عن أن يطمعوا في صلاح أمورهم على يد رئيس غيرمستأنف الرئاسة ، وهو بمعنى مقبل أي قادم، تقول: سوف أفعل كذا في الشهر المقبل ، وفي السنة المقبلة، أي القادمة، يقول :كل الرئاسات التي تشاهدونها فلاتطمعوا في صلاح أموركم بشيء منها، وانماتنصلح أموركم على يد رئيس يقدم عليكم مستأنف الرئاسة خامل الذكر، ليس أبوه بخليفة ، ولاكان هو ولاأبوه مشهورين بينكم برئاسة، وهذا صفة المهدي الموعود به .

ومعنى قوله « ولاتيأسوا من مدبر » أي: واذا مات هذا المهدي وخلفه بنوه بعده فاضطرب أمر أحدهم ، فلاتيأسوا وتتشكوا ، وتقولوا لعلنا أخطأنا في اتباع هؤلاء، فان المضطرب الامر منا ستثبت دعائمه وتنتظم أموره، واذا زلت احدى رجليه تثبت الاخرى، فثبتت الاولى أيضاً انتهى .

ثم قال: وروى فلاتطعنوا في عين مقبل، أي: لاتحاربوا أحداً منا، ولاتيأسوا

---

(١) ومن المحتمل كون الغير منوناً وكون المقبل وصفاً له ، أى : لاتطمعوا فى غير أهل البيت الذى يقبل الى الكلام «منه» .

من اقبال من يدبر أمره منا [١] .

وهذا المعنى من الغرابة والبعد بمكان ، وقوله في آخر الكلام « فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع وأراكم ماكنتم تأملون » اماشارة الى آخر الزمان كما فهمه شراح الكلام ، أو أشارة الى استمرار نعمة وجود الامام في كل عصر وأوان، فان الامام هو تمام النعمة وكمال الدين والايمان .

ومنها: قوله عليه السلام في نهج البلاغة أيضاً في الثلث الاول منه قبل الكلام السابق بفاصلة كراس: عباد الله ان من أحب عباد الله اليه عبداً أعانه [٢] الله على نفسه فاستشعر [٣] الحزن وتجلبب[٤] الخوف، فزهر مصباح[٥] الهدى في قلبه، وأعد[٦] القرى ليومه النازل به فقرب على نفسه البعيد [٧]، وهون الشديد، نظر فأبصر[٨]

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧/ ٩٤-٩٥ .

(٢) أعانه الله على نفسه ، أي: أقدره على نفسه الامارة بالسوء «منه» .

(٣) فاستشعر أي: جعل الحزن شعاراً له لمافرط في جنب الله أواكتسب من الاثم فيما بعده آثماً «منه» .

(٤) الجلباب بكسر الجيم على زنة سرداب القميص وثوب واسع للمرأة دون الملحفة أوماتغطى به ثيابها من فوق كالملحفة أوهو الخمار «منه» .

(٥) زهر مصباح الهدى ، أى أضاء وتلألأ ، فى القاموس : زهر السراج والقمر والوجه كمنع زهوراً تلألأ والنار أضاءت، وهو اشارة الى شروق نور المعارف الالهية على مرآة سره، وهو ثمرة استشعار الحزن والخوف «منه» .

(٦) فى القاموس: قرى الضيف قرى بالكسر والفتح والمد أضافه، أراد أن من فعل ذلك أعد الضيافة أوطعام الضيف ليومه النازل به وهو القيامة «منه» .

(٧) يمكن أن يكون المراد من البعيد القيامة، أوالموت فهان له الشديد لذلك ، أو يكون المراد آماله الطويلة فى الدنيا . وقوله « وهون الشديد» يحتمل أن يكون المراد من الشديد شدائد الدنيا وتهوينه ، اما لتقريب البعيد كمامر ، أو بملاحظة ماأعدله من الثواب «منه» .

(٨) نظر فأبصر، أى: تفكر فرأى فى قلبه الحق والصواب «منه» .

وذكر فاستكثر ، وارتوى من عذب (١) فرات سهلت لـه موارده ، فشرب نهلا ، وسلك سبيلا جددا ، قد خلع سرابيـل الشهوات ، وتخلى من الهموم ، الا هماً واحداً انفرد به ، فخرج من صفة العمى، ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره وقطع غماره .

واستمسك من العرى (٢) بأوثقها ، ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس، قد نصب نفسه لله سبحانـه في أرفع الامور، من اقتدار كل واحد رد عليه ، وتصيير كل فرع الى أصله ، مصباح ظلمات، كشاف غشوات ، مفتاح مبهمات، دفاع معضلات ، دليل فلوات ، يقول فيفهم، ويسكت فيسلم، قد أخلص لله سبحانه فاستخلصه ، فهو من معادن دينه ، وأوتاد أرضه ، قد ألزم نفسه العدل، فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه، يصف الحق ويعمل به ، لايدع للخير غاية الا أمها، ولا مظنة الا قصدها قد أمكن الكتاب من زمامه، فهو قائده وامامه، يحل حيث حل ثقله، وينزل حيث كان منزله .

وآخر قد يسمى (٣) عالماً وليس به ، فاقتبس جهائل من جهال ، وأضاليل من ضلال ، ونصب للناس أشراكاً من حبال غرور وقول زور ، قد حمل الكتاب على آرائه ، وعطف الحق على أهوائه ، يؤمن من العظائم ، ويهون كبير الجرائـم يقول أقف عند الشبهات ، وفيها وقع ، ويقول : أعتزل البدع وبينها اضطجع ، فالصورة صورة انسان، والقلب قلب حيوان ، لايعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب

---

(١) الفرات كغراب الماء العذب جداً ونهر بالكوفة والبحر ومن الاعلام ــ القاموس وفيه أيضاً روى من الماء واللبن كرضى رياً وتروى وارتوى بمعنى «منه» .

(٢) جمع عروة، والعروة من الدلو والكوز المقبض ــ القاموس .

(٣) فى جملة من النسخ : تسمى ، وهو ممكن «منه» .

العمى فيصد عنه ، فذلك ميت الاحياء .

فأين تذهبون ، وأنى تؤفكون ، والاعلام قائمة ، والايات واضحة ، والمنار منصوبة .

فأين يتاه بكم ، بل كيف تعمهون ، وبينكم عترة نبيكم ، وهم أزمة الحق وألسنة الصدق، فانزلوهم بأحسن منازل القرآن ، وردوهم ورود الهيم العطاش.

أيها الناس خذوها من خاتم النبيين ﷺ : انه يموت من مات منا وليس بميت ، ويبلى من بلي منا وليس ببال ، فلاتقولوا بمالاتعرفون ، فان أكثر الحق فيما تنكرون ، واعذروا من لاحجة لكم عليه ، وأنا هو ، ألم أعمل فيكم بالثقل الاكبر ، وأترك فيكم الثقل الاصغر قد ركزت فيكم راية الايمان ، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام ، وألبستكم العافية من عدلي ، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي ، وأريتكم كرائم الاخلاق من نفسي، فلاتستعملوا الرأي فيما لايدرك قعره البصر ولا يتغلغل اليه الفكر(١).

اعلم أن هذا الكلام ينفصل بفصول أربعة أو خمسة .

الفصل الاول

من قوله « عباد الله ان من أحب عباد الله » الى قوله «وآخر قديسمى عالماً»

قوله «أعانه الله على نفسه» أي : أقدره وسلطه على نفسه الامارة بالسوء .

قوله «واستشعر الحزن» أي : جعل الحزن شعاراً لنفسه ، والشعار ككتاب وقد يفتح ماتحت الدثار من اللباس ، وهويلي شعر الجسد ، ولعله لذا يسمى شعاراً واستشعره أي : لبس الشعار .

---

(١) نهج البلاغة ص١١٨-١٢٠ .

قوله «وتجلبب الخوف» أي : جعل الخوف جلباباً لنفسه ، الجلباب بكسر الجيم على زنة سرداب ، وهو كمافي القاموس القميص وثوب واسع للمرأةدون الملحفة ، أوماتغطى به ثيابها من فوق كالملحفة ، أو هو الخمار[١].

قوله « زهر مصباح الهدى في قلبه » زهر أي أضاء وتلالا ، في القاموس : زهر السراج والقمر والوجه كمنع زهوراً تلالا ، والنار أضاءت[٢].

والمصباح كمافي القاموس[٣] السراج .

قوله « وأعد القرى ليومه النازل به » في القاموس: قرى الضيف قرى بالكسر والفتح والمد أضافه[٤]. والمراد به اما نفس الضيافة ، أو الطعام المعد للضيف ، والمراد باليوم النازل به : اما يوم القيامة ، أو يوم موته ، والاول أولى .

قوله « فقرب على نفسه البعيد وهون الشديد » يمكن أن يكون المراد من البعيد القيامة ، أو يوم موته، وهون أي سهل على نفسه الشديد .

قوله «نظر فأبصر» أي : تفكر فرأى في قلبه الحق والصواب ، أو نظر الى كل شيء نظر اعتبار ، وذكر فاستكثر، هو اماذكر اللسان ، أو ذكر القلب.

قوله « وارتوى من عذب فرات » الفرات كغراب الماء العذب جداً، وروى من الماء واللبن كرضي رياً ،وتروى وارتوى بمعنى ، والارتواء مأأخذ الماء كما في التروية ، وربمايدل عليه قوله « فشرب نهلا» أو الشرب بعد العطش ، وقوله «فشرب» بيان لكيفية الشرب .

---

(١) القاموس ١ /٤٧ .

(٢) القاموس ٢ /٤٣ .

(٣) القاموس ١ /٢٣٢ .

(٤) القاموس ٤ /٣٧٧ .

قوله سهلت له موارده فشرب نهلا وسلك سبيلا جدداً» سهلت ككرمت والموارد جمع المورد ، وهو محل الورود ، وهم القوم يردون الماء ، أوجمع الموردة وهي مأناة الماء كمافي القاموس[1].

والنهل محركة الشرب الاول للابـل ، يقال : نهل البعير بالكسر اذا شرب الشرب الاول حتى يروي ، فان الابل تسقى في الورد ، فترد الى العطن ، وهو مبركه حول الماء ، ثم تسقى مرة ثانية وهي العل فترد الى المرعى .

فلها منهلان ، ومبركان : النهل الاول الشرب الاول عند الورود الاول حتى تروي ، والنهل الثاني الشرب الثاني بعد العطون ، والعطون الراحة بين الشربين، وهذا الثاني لايسمى نهلا ، بل هو العل، والمبرك الاول عند الماء ، وهو العطن، والعطن محركة كمافي القاموس[2] وطن الابل ، وبركها حول الحوض، والعطون كمافيه أن تراح الناقة بعد شربها ، ثم يعرض عليها الماء ثانية ، والمبرك الثاني في البرية أو عند الحي ، وهو المأوى والمبرك .

والمراد أن هذا الذي هو من أحب عباد الله تعالى يحصل له بعد المجاهدة التي تقدمت الاشارة اليها من القرب الى ربه ، أو العلوم والكمالات على وجه سهل .

وفي المقام بيان لبعض الشراح ، وهو ابن ميثم فلاحظ ، الأأنه قال في قوله «فشرب نهلا» أي : أخذ تلك الكمالات سابقاً اليها من أبناء نوعه ، ومتقدماً فيها لسهولة موردها عليه ، وهي ألفاظ مستعارة لاخذه لها وسبقه اليها، ملاحظة لشبهه بشرب السوابق من الابل الى الماء[3] انتهى .

---

(١) القاموس ٣٤٥/١ .

(٢) القاموس ٢٤٨/٤ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٢٩٢/٢ .

وما أدري من أين أخذ السبق ، ولعله توهم ذلك من الشرب الاول ، ولعل الاختصاص بالنهل في هذه الاستعارة كونه الشرب اللازم الذي به القوام، وكون الابل أكثر اشتياقاً به من الثاني .

والجدد بالتحريك المستوي من الارض، ومنه قولهم «من سلك الجدد أمن من العثار » وطريق جدد ، أي : سهل، والجدد الارض الصلبة التي يسهل المشي فيها .

وقوله «وسلك» يحتمل أن يكون عطفاً على قوله «ارتوى» ويحتمل أن يكون عطفاً على شرب على بعد .

قوله « قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هماً واحداً انفرد به » الخلع النزع ، والسرابيل هوجمع سربال بكسر السين القميص، أو الدرع، أو كل ما لبس كذا في القاموس[1].

وتخلي من الهموم أي : تجرد من الاحزان والمقاصد كلها ، الا هماً واحداً انفرد به من بين الخلائق والمراد من الهموم هموم الدنيا الناشئة من كثرة العلائق بها ، والمراد من الهم الواحد : اماهم الاخرة ، أو هم القرب الى الله تعالى ، وتحصيل مرضياته ، والاجتناب عن مبغوضاته ، أو هم الوصول الى ساحل العزة. والهم اما بمعنى الحزن ، أو ماعزم به .

قال في القاموس : الهم الحزن جمع هموم وماهم به في نفسه[2].

قوله «فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى» أي : فخرج بعد مافعل كذلك من صفة الجهل ومن صفة العصيان ، فان العمى عمى الجهل، وشركة أهل الهوى المشاركة له معهم في الفسوق والفجور والعصيان .

---

(١) القاموس ٣٩٥/٣ .

(٢) القاموس ١٩٢/٤ .

قوله «وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى» المفتاح الذي يفتح به الباب، والمغلاق الذي يغلق به، والردى الهلاك، أي: انفتح به باب الهداية للناس وانغلق به الضلال.

قوله «عرف مناره وقطع خماره» المنار كما في القاموس العلم، وما يوضع بين الشيئين من الحدود، ومحجة الطريق(١).

والغمار بكسر الغين المعجمة اما جمع الغمرة قال في القاموس: غمرة الشيء شدته ومزدحمه جمع غمرات وغمار أو بمعنى المنهل، وان كانت النهل خاص قال فيه أيضاً: وغمرة منهل بطريق مكة فصل بين تهامة ونجد وكزبير موضع قرب ذات عرق، وموضع بديار بني كلاب وماء بأجاء، والغمار ككتاب واد بنجد. أو جمع الغمر بمعنى الماء الكثير، قال فيه أيضاً: الغمر الماء الكثير كالغمير جمع غمار وغمور، ومعظم البحر(٢).

وفي الشرح لابن أبي الحديد جعله من الاخير يقال بحر غمر، أي: كثير الماء، وبحار غمار(٣).

وعلى كل حال فالضمير فيهما: اما راجع الى ذلك الشخص هو أحب عباد الله، أو الى الطريق، وهو أقرب وأنسب، فلا يكون المعنى الاخير مناسباً له.

قوله «من اصدار كل وارد عليه» الارصاد الارجاع، أي: ارجاع كل وارد عليه مقضي المرام.

قال في المجمع: صدر القوم صدوراً من باب قعد انصرفوا، وأصدرتهم اذا

---

(١) القاموس ٢/١٤٩.

(٢) القاموس ٢/١٠٤.

(٣) شرح نهج البلاغة ٦/٣٦٤.

صرفتهم ، والاصدار الارجاع[١].

وقال في الصحاح: الصدر بالتحريك الاسم من قولك صدرت من الماء وعن البلاد ، وقال أيضاً : أصدرته فصدر أي رجعته فرجع[٢].

وقال في ورد : الورد خلاف الصدر[٣].

في القاموس : الصدر الرجوع كالمصدر يصدر ويصدر ، والاسم بالتحريك وقد صدرغيره وأصدره وصدره فصدر[٤] انتهى .

فقوله «من اصدار كل وارد عليه» يحتمل أن يكون استعاره من اصدار الوارد على الماء مروياً ، أومطلقاً ، والمراد أنه لما كمل هذا الرجل في حد ذاته نصب نفسه في مقام رفيع هو أرفع المقامات أو أدقها، وهو مقام الهداية والارشاد، وانجاح المرام في كل ما يرد عليه ، واحقاق الحقوق وايصالها الى مستحقها ، والحاق الفروع فروع الحق والباطل بأصولها ، وكشف الحق من البين وتميز الزين من الشين .

قوله «كشاف غشوات دفاع معضلات» الغشوات جمع غشوة، وهي الغطاء.

قال في الصحاح : الغشاء الغطاء ، وجعل على بصره غشوة وغشوة وغشوة وغشاوة ، أي غطاء[٥].

وفي القاموس: وعلى بصره وقلبه غشوة وغشاوة مثلثة وغاشيه وغشيه وغشاية مضمومتين وغشايه غطاء[٦].

---

(١) مجمع البحرين ٣٦٣/٣ .

(٢) صحاح اللغة ٧١٠/٢ .

(٣) صحاح اللغة ٥٤٦/١ .

(٤) القاموس ٦٨/٢ .

(٥) صحاح اللغة ٢٤٤٦/٦ .

(٦) القاموس ٣٧٠/٤ .

والمعضلات جمع معضل ، في الصحاح : قد أعضل الامر اشتد واستغلق ، وأمر معضل لايهتدى لوجهه والمعضلات الشدائد[١].

وفي القاموس : العضل بالكسر الرجل الداهية والشديـد القبيح ، كمعضل كمحسن ، الى أن قال : والمعضلات الشدائد[٢] انتهى .

يعني : دفاع الدواهي والشدائد عن الدين ، أو عن الخلق ، لا كما قاله ابن ميثم : أي يدفع كل حيرة في معضلة من معضلات الشرع ، صعب على الطالبين تمييز وجه الحق فيه ، ويجمعهم ببيانه عن التردي في مهاوي الجهال[٣] انتهى .

لانه لا يناسبه الدفع ، وهذا المعنى معنى السوابق .

قوله «ولا مظنة الا قصدها» قال في القاموس: مظنة الشيء بكسر الظاء موضع يظن فيه وجوده[٤].

قوله «يحل حيث حل ثقله» في القاموس : حل المكان وبه يحل ويحل حلا وحلولا وحللا محركة نادر نزل به[٥].

أي : ينزل هذا الرجل حيث ينزل ثقل الكتاب .

لما وصل تفسير الالفاظ الى هذا المقام، وختم به أوصاف الرجل الذي هو أحب عباد الله التي هي أوصاف الامام دون جعل هي أوصاف القائل بهذا الكلام ، كما قال ابن أبي الحديد قال: النعوت التي ذكرها في شرح حال العارف انما يعني بها نفسه عليه السلام ، وهو من الكلام الذي له ظاهر وباطن، ظاهره أن يشرح حال العارف المطلق وباطنه أن يشرح حال عارف معين، وهو نفسه عليه السلام، وسيأتي في آخر الخطبة

(١) صحاح اللغة ٥/١٧٦٦ .

(٢) القاموس ٤/١٧ .

(٣) شرح نهج البلاغة الميثمية ٢/٢٩٤ .

(٤) القاموس ٤/٢٤٥ .

(٥) القاموس ٣/٣٥٩ .

يدل على ذلك[١].

ناسب المقام شرح هذه الاوصاف التي عدها ابن أبي الحديد ستة عشر، وابن ميثم أربعين، وأنا أعدها خمسين .

الاول: أن يكون أحب عباد الله اليه تعالى شأنـه ، وهذا أعظم الاوصاف ، وأجل المراتب وأعزها .

الثاني : أن يكون قـادراً على نفسه الامارة بعون من الله تعالى ، فلايتبع هواها، ولايحمي حماها، بل جعل نفسه تابعة لهواه، مهتدية بهداه .

الثالث : أن يكـون الحزن شعاراً لـه بحيث لاينفك عن الحزن ، وحزنـه لاجل الوصول الى درجات القرب المطلوبة له ، أوللقرب الحاصل له،كما قيل بالفارسية :

محنت قرب زبعد افزوناست　　　　دلم ازمحنت قربش خوناست

وهذا أولى مماذكره ابن أبي الحديد في بيان الحزن، حيث قال :أي يحزن على الايام الماضية، ان لم يكن اكتسب فيها من موجبـات الاختصاص أضعاف مااكتسبه [٢] انتهى .

وان كان ماذكره أولى مماذكره ابن ميثم، حيث قال: وأراد الحزن على مافرط في جنب الله، واكتسب من الاثم [٣] .

الرابع: أن يكون خائفاً لجميع جوارحه، وهو السر في استعارة الجلباب ووجه الخوف أن يصدر منه زوال هذا القرب الحاصل له ، أو حصول مايكرهه ربه منه ، وهذا أولى مماذكره ابن أبي الحديد أيضاً ، حيث قال: أي يخاف من

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦/٣٦٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٦/٣٦٧ .

(٣) شرح نهج البلاغة الميثمية ٢/٢٩٠ .

الاعراض عنه بان يصدر عنه مايمحوه من جريدة المخلصين (١) .

وان كان ماذكره أيضاً أولى مماذكره ابن ميثم من الخشية من عقابه. ثم ان هذين الوصفين، كمايظهر من الكلام مترتبان على اعانة الله سبحانه اياه على نفسه فان الحزن والخوف من العقل البصير لان النفس المنغمرة في سكر الهوى المنسلكة في مسالك العمى .

الخامس : زهرة مصباح الهدى في قلبه ، فيكون قلبه منوراً بأنوار الهداية والرشاد ، قال ابن ميثم : هو اشارة الى شروق نور المعارف الالهية على مرآة سره .

أقول: وهذه الاشارة بعيدة من هذا الكلام وعلى كل حال فهو كماقال: ثمرة الاستعداد بالحزن والخوف، ولذلك عطفه بالفاء ..... (٢)

الفصل الثانى

من قوله « وآخر قد يسمى عالماً وليس به » الى قوله عليه السلام «فأين تذهبون».

قوله « فاقتبس جهائل من جهل وأضاليل من ضلال» الاقتباس القبس محركة كمافي القاموس شعلة نار تقتبس من معظم النار كالمقباس، وقبس يقبس منه ناراً واقتبستها أخذها، والعلم استفادة (٣).

والجهائل جمع جهالة ، كعلاقة وعلائق ، والجهال جمع جاهل ، كماأن

---

(١) شرح نهج البلاغة ٣٦٧/٦ .

(٢) بياض فى النسختين، وفى هامش نسخة نقلا عن نسخة المؤلف قدس سره هكذا بقيه هر گاه فرصت شد نوشته مى‌شود والا اقتصار شود بماقبل .

(٣) القاموس ٢٣٨/٢ .

الاضاليل جمع ضلالـة ، والضلال جمع ضال وفـي شرح ابـن أبي الحديد : والاضاليل جمع لا واحد له من لفظه [١] . واقتباس الجهل من الجاهل آكد في الجهل، وكذا الضلال .

قوله « ونصب للناس أشراكاً من حبال غرور وقول زور » الاشراك جمع شرك بالتحريك، وهو كمافي القاموس حبائل الصيد وماينصب للطير [٢] .

وفي المصباح المنير: الجمع أشراك مثل سبب وأسباب [٣] .

والغرور بالضم الخدعة والاطماع بالباطل، والزور بالضم الكذب والباطل واستعار الشرك وحبل الغرور للاقوال الباطلة الكذبـة ،كمايفيده قوله « وقول زور » .

قوله « يؤمن من العظائـم » الامن والامن كصاحب ضد الخوف ،كذا في القاموس [٤]، والعظائم جمع عظيمة، وهي كمافيه النازلة الشديدة كالمعظمة كمكرمة أي: يقول لهم ان الله يغفر الذنوب جميعاً ولايعذبكم برحمته، أونحوذلك ويحقر الجرائم الكبيرة .

قوله « يقول اقف عند الشبهات وفيها وقع » الشبهات جمع الشبهة بالضم وهو كمافي القاموس [٥] الالتباس،والمراد هنا الامر الملتبس، ووجه الوقوع فيها لمن لايعلم الاحكام واضح، لانه في الشبهات كلها .

وفي شرح ابـن أبي الحديد في بيان وجه ذلك ان من لايعلم الشبهـة ماهي

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦/ ٣٧٣ .

(٢) القاموس ٣/ ٣٠٨ .

(٣) المصباح المنير ص ٣١١ .

(٤) القاموس ٤/ ١٩٧ .

(٥) القاموس ٤/ ٢٨٦ .

كيف يقف عندها ويتحرج من الورطة فيها، وهو لايأمن من كونها غير شبهة عن الحقيقة [١] .

« فيصد عنه » أي: فيعرض عنه في المصباح المنير: صددت عنه أعرضت[٢].

قوله « فذلك ميت الاحياء » أي : ميت جماعة الاحياء ، كما أن العالم الاول حي الاموات، فهو وان كان حياً صورة ، لكنه ميت بين الاحياء، يأكل ويمشي ، وليس له الحياة المعتبرة في الانسان، وأما :

الفصل الثالث

من كلامه ، فهو من قوله « فأين تذهبون » الى قوله « أيها الناس » فانه بعد أن وصف العالم الاول والثاني ، شرع في تعيين الاول ، وان الذهاب الى غير العترة باطل .

قوله « وأنى تؤفكون » أي انى تقلبون وتصرفون ، من الافك بالفتح لا بالكسر .

قال في الصحاح: الافك الكذب ، الى أن قال : والافك مصدر قولك أفكه يأفكه افكاً ، أي قلبه وصرفه عن الشيء ، ومنه قوله تعالى « أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا » [٣] .

وفي القاموس : أفك كضرب وعلم افكاً بالكسر والفتح وبالتحريك أفوكاً كذب وعنه يأفكه افكاً صرفه وقلبه [٤] .

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦/٣٧٤ .

(٢) المصباح المنير ص٣٣٤ .

(٣) صحاح اللغة ٤/١٥٧٢ .

(٤) القاموس ٣/٢٩٢ .

وأنى تستعمل للسؤال والاستفهام عن المكان كأين ، والفرق بينهما كما يظهر من الرضي نجم الائمة أن أنى مع من في الاستعمال اماظاهرة ، كقوله «من أنى عشرون لنا» أي من أين، أومقدرة نحو قوله «أنى لك هذا »أي من أين، ولا يقال أنى زيد بمعنى أين زيد، ثم قال: ويجيء أنى بمعنى كيف، نحو أنى يؤفكون، ويجوز أن يكون بمعنى من أين تؤفكون ، وقال أيضاً ويجيء بمعنى متى وقد أول قوله تعالى« أنى شئتم» على الاوجه الثلاثة، ولا يجيء بمعنى متى و كيف الا و بعده فعل انتهى .

قال في الكشاف في تفسير قوله تعالى في سورة التوبة « قاتلهم الله أنى يؤفكون» (١) ماأعجب فعلهم أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق(٢) .

وقال في تفسير قوله تعالى في سورة المائدة « ثم انظر أنى يؤفكون » (٣) قوله: « أنى يؤفكون » كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله (٤) انتهى .

اذا عرفت ذلك يكون السؤال عن الحال والفعل مجهول، أي: كيف صرفوكم عن الحق وأنتم تصرفون عنه، ويحتمل قوياً أن يكون هنا بمعنى أين ، وان كان بتقدير من، أي أين تذهبون، ومن أين تصرفون ، والسر في جعل يؤفكون بمعنى تصرفون مجهولا أن هذا الصرف كأنه غير اختياري ، فان المختار لا يصرف عنهم .

وابن ميثم جعل أنى بمعنى متى، قال : وأين تذهبون الى قوله « منصوبة » سؤال عما يذهبون اليه،وعن وقت صرفهم عن ذلك الغي،سؤالا على سبيل الانكار اما

---

(١) سورة التوبة : ٣٠ .

(٢) الكشاف ٢ /١٨٥ .

(٣) سورة المائدة : ٧٥ .

(٤) الكشاف ١/ ٦٣٥ .

هم عليه من الطريق الجائرة، ثم قال بعد تفسير قوله : فاين يتاه بكم ، بل كيف تعمهون ، وتبين منه أن قوله « وأنى تؤفكـون » أي متى تصرفون عن تيهكـم وذهابكم في الضلالة (١) .

أقول: وفيه أناتؤفكون بصيغة المجهول، ولذا كتب بالواو واقتبس من الاية ومافسره به يناسب المعلوم، وماتتوهمه من حسن حاله مع كونه مناسباً للذهاب، أي: أين تذهبون وأنى ترجعون وتنصرفـون ، وهم فاسد ، لان الصرف بمعنى الرجوع ليس من معاني الافك بل معناه الصرف بمعنى الاعراض، وأيضاً لايناسبه قوله « والاعلام قائمة» الى آخره فتدبر .

قوله « والاعلام قائمة ، والايات واضحة، والمنار منصوبـة » الاعلام جمع علم، وأصله الجبل والرايـة ، أوالمنارة تنصب في الفلاة ليهتدى بها ، والمراد منها المعجزات هاهنا كذا في شرح ابن أبي الحديد (٢) .

وقال في الصحاح: العلم العلامة، والعلم الجبل وأنشد أبوعبيدة « اذا قطعن علماً بداعلم» والعلم علم الثوب، والعلم الراية (٣) .

وفي القاموس: والعلم محركة الجبل الطويل أوعام جمع أعلام وعلام ورسم الثوب ورقمه والراية ومايعقد على الرمح وسيد القوم جمع أعلام، وقال أيضاً : والعلامة السمه كالاعلومة بالضم جمع أعلام، والفصل بين الارضين، ومنصوب في الطريق يهتدى به كالعلم فيهما (٤) انتهى .

أقول: وكون المراد المعجزات بعيد جداً، بل استعير العلم بجميع معانيه

---

(١) شرح نهج البلاغة ٣٠٠/٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٣٧٥/٦ .

(٣) صحاح اللغة ١٩٩٠/٥ .

(٤) القاموس ١٥٣/٤ .

المذكورة ماعدا رسم الثوب على مايشير اليه عليه السلام من العترة الطاهرة .

والمنار كمافي الصحاح : علم الطريق ، وذو المنار ملك من ملوك اليمن ، واسمه أبرهة بن الحارث الرايش ، وانماقيل له ذوالمنار ، لانـه أول من ضرب المنار على طريقه في مغازيـه ، ليهتدي بها اذا رجع ، ثـم قال : والمنارة التي يؤذن عليها ، والمنارة أيضاً مايوضع فوقها السراج (١) انتهى .

فمافي الشرح المذكور من ذكر المنارة بالتاء في معنى العلم كماترى .

قوله « فأين يتاه بكم بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم » يتاه مجهول يتيه من تاه يتيه تيها في الصحاح: التيه المفازة يتاه فيها (٢) .

وفي القاموس: التيه بالكسر الصلف والكبر ، الى أن قال: والضلال تـاه تيهاً ويكسر وتيهاناً محركة، فهو يتاه وتيهان، وأرض تيه بالكسر(٣) انتهى .

أي: أين يذهب بكم في التيه، وهوالارض التي يتاه فيها .

والعمه: محركة التردد فيالضلال، والتحير فيمنازعة أوطريق أوأنلايعرف الحجة، وأرض عمهاء لاأعلام بها وفي الصحاح: العمه التحير والتردد (٤). وفي الشرح: وتعمهون تتحيرون وتضلون .

قوله « فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن» أي: اجعلوهم تالياً للقرآن، فانهما لن يفترقا حتى يردا على رسول الله صلى الله عليه وآله في الحوض، فكل مقام للقرآن مقامهم .

قوله «وردوهم ورود الهيم العطاش» الهيم بالكسر الابل العطاش، قال تعالى شأنه « فشاربون شرب الهيم»(٥) أي: ادخلوا دخول المتعلم للطالب الشايق للفهم

---

(١) صحاح اللغة ٨٣٩/٢ .

(٢) صحاح اللغة ٢٢٢٩/٦ .

(٣) القاموس ٢٨٢/٤ .

(٤) الصحاح ٢٢٤٢/٦ .

(٥) سورة الواقعة : ٥٥ .

أودخول من لايكون ملتفتاً الى غيرهم، كماأن الهيم اذا ورد الماء كذلك .

ثم ان في شرح ابـن أبي الحديد: لهذا القول منه يشعر بأن العترة معصومة فماقول أصحابكم في ذلك؟ قلت: نص أبومحمد بن متويه في كتاب الكفاية على أن علياً عليه السلام معصوم، وان لم يكن واجب العصمة ، ولاالعصمة شرط في الامامة ، لكن أدلة النصوص قد دلت على عصمته، وان ذلك أمر مختص به دون غيره من الصحابة، والفرق ظاهر بين قولنا زيد معصوم ، وبين قولنا زيد واجب العصمة فالاعتبار الأول مذهبنا، والاعتبار الثاني مذهب الامامية (١) .

الفصل الرابع

من قوله عليه السلام « أيهاالناس » الىآخر الخطبة :

قوله « خذوها عن خاتم النبيين» الضمير في خذوها راجع الىالكلمة الاتية ولماتقدمت عن رسول الله صلى الله عليه وآله جاز ارجاع الضمير اليـه ، وهذا أحسن مماقاله ابن ميثم: انه عليه السلام لماكان في معرض الفائدة فكأنها قدتقدم ذكرها (٢) .

أقول: ويمكن ارجاع الضمير الى ماتقدم ذكرها من كون العترة أزمة الحق وألسنة الصدق، أي: خذوا هذه الكلمة منخاتم النبيين، فانه القائل بهذا الكلام لاأنا ، وكلامـه لايموت بموته ، ولايبلى (٣) ببلاء ، وهذا هوالمراد بقولـه « انه لايموت» الىآخره ، ويحتمل أن يكون قوله « انه يموت » الىآخره بيان لكونه نفس الرسول فتدبر .

---

(١) شرح نهج البلاغة ٣٧٦/٦-٣٧٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٣٠١/٢ .

(٣) بلى الثوب خلق، وبلى الميت أفنته الارض ـ مجمع .

قوله «انه يموت من مات منا وليس يميت ويبلى من بلى منا وليس ببال» قال ابن أبي الحديد : لقائل أن يقول: هذا الكلام متناقض، لانه قال: يموت من مات وليس بميت، وهذا كما تقول : يتحرك المتحرك .

وكذلك قوله «ويبلى البائل وليس ببال» فان قلتم: أراد بقاء النفس بعد موت الجسد، كما قاله الاوائل، وقوم من المتكلمين قيل لكم : فلا اختصاص للنبي ﷺ ولا لعلي عليه السلام بل هذه قضية عامة في جمع البشر، والكلام خرج مخرج التمدح والفخر .

فنقول في الجواب : ان هذا يمكن أن يحمل على وجهين :

أحدهما : أن يكون النبي ﷺ وعلي عليه السلام ومن يتلوهما من أطائب العترة أحياءاً بأبدانهم التي كانت في الدنيا بأعيانها ، قد رفعهم الله تعالى الى ملكوت سمائه ، وعلى هذا لوقدرنا أن محتفراً احتفر تلك الاجداث الطاهرة عقيب دفنهم لم يجد الابدان في الارض، وقد ورد في الخبر النبوي مثل ذلك، وهو قوله « ان الارض لم تسلط علي وانها لا تأكل لي لحماً ولا تشرب لي دماً » .

نعم يبقى الاشكال في قوله «ويبلى من بلى منا وليس ببال» فانه ان صح هذا التفسير في الكلام الاول ، وهو قوله « يموت من مات منا وليس بميت » فليس يصح في القضية الثانية، وهي حديث البلى ، لانها تقتضي أن الابدان تبلى، وذلك الانسان لم يبل ، فأحوج هذا لاشكال الى أن تقدر فاعلا محذوفاً ، فيكون تقدير الكلام يموت من مات مناحال موته وليس بميت فيما بعد ذلك من الاحوال والاوقات ، ويبلى كفن من بلى منا وليس هو ببال ، فحذف المضاف كقوله «والى مدين» أي : والى أهل مدين .

ولما كان الكفن كالجزء من الميت ، لاشتماله عليه غير بأحدهما عن الاخر للمجاورة والاشتمال ، كما عبروا عن المطر بالسماء ، وعن الخارج المخصوص

بالغائط ، وعن الخمر بالكأس، ويجوز أن يحذف الفاعل كقوله تعالى « حتى توارت بالحجاب» « حتى بلغت الحلقوم» وحذف الفاعل كثير .

والوجه الثاني أن أكثر المتكلمين ذهبوا الى ان للانسان الحي الفعال أجزاء أصلية في هذا البنية المشاهدة ، وهي أقل مايمكن أن تأتلف منه البنية التي معها يصح كون الحي حياً ، وجعلوا الخطاب متوجهاً نحوها، والتكليف وارداً عليها، وما عداها من الاجزاء فهي فاضلة ليست داخلة في حقيقة الانسان .

واذا صح ذلك جاز أن ينتزع الله تلك الاجزاء الاصلية من أبدان الانبياء والاوصياء ، فيرفعها اليه بعد أن يخلق لها من الاجزاء الفاضلة عنها نظير ماكان لها في الدار الاولى ، كماقاله من ذهب الى قيامة الانفس والابدان معاً، فتنعم عنده، وتتلذ بضروب اللذات الجسمانية ، ويكون هذامخصوصاً بهذه الشجرة المباركة دون غيرها ، ولا عجب فقد ورد في حق الشهداء نحو ذلك قوله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون »[١].

وقال ابن ميثم في شرح هذا المقام ماحاصله : يرجع في تفسير الاية وهذا الكلام الى بيان فضلهم بأنهم باقون عند ربهم في ظل كرامته ، كماورد في تفسير الاية وسبب نزولها عن ابن عباس، قال قال رسول الله ﷺ : لما اصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيور خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ، قالوا : من يبلغ اخواننا عنا أنا في الجنة نرزق ، لئلا يزهد في الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال الله عزوجل : أنا أبلغهم عنكم فنزلت «ولا تحسبن الذين قتلوا» الاية[٢].

(١) شرح نهج البلاغة ٣٧٧/٦ - ٣٧٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٣٠٢/٢ .

أقول : والذي أرى أنه ليس المراد هذا الذي حام حوله هذان ، بل المراد أن آثارنا باقية ، ونفوسنا في الارض ثابتة ، وليس المقصود هذا الموت والبلى لعدم المناسبة فيما هو في صدد البيان ، من كونه والعترة حجة الورى ، وانما المقصود دوام العترة التي هي بمنزلة النفس للرسول وأخيه سلام الله عليهما ، ودوام الاثار التي فيها الكتاب الذي لايفارق العترة ولا العترة اياه .

فنشرح باقي الكلام على هذا المنوال، فقوله «فلاتقولوا بما لا تعرفون» الى آخره يحتمل أن يكون من بقية كلام الرسول صلى الله عليه وآله كما يشهد به أيضاً قوله « ألم أعمل فيكم بالثقل الاكبر وأترك فيكم الثقل الاصغر » الذي هو اشارة الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « اني تارك فيكم الثقلين » والاظهر أن يكون قوله « فلا تقولوا » الى آخره كلام نفسه ، أي : اذا كان الامر كذلك وقد قاله الرسول ذلك في حق العترة ، بناء على ماتقدم من كون الضمير في «خذوها» راجعاً الى ماتقدم منه في العترة ، فلاتقولوا بمالاتعرفون حقيقة ولم يقله الرسول، أي : ولاتجعلوا مذهباً لكم ، فان الفرق ظاهر بين قاله وقال به ، وتنكر غيرماتقولون به فأن أكثر الحق فيما تنكرونه .

وقال ابن أبي الحديد في تفسير ذلك: انه عليه السلام لماقال لهم ذلك علم أنه قال قولا عجيباً ، وذكر أمراً غريباً ، وعلم أنهم ينكرون ذلك ويعجبون منه، فقال لهم: فلا تقولوا مالاتعرفون ، أي : لاتكذبوا أخباري ولاتكذبوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله لكم بهذا ، فتقولوا ما لاتعلمون صحته ، ثم قال : فان أكثر الحق في الأمور العجيبة التي تنكرونها كأحياء الموتى في القيامة ، وكالصراط والميزان والنار والجنة ، وسائر أحوال الاخرة .

وهذا ان كان خاطب من لا يعتقد الاسلام، فان كان الخطاب لمن يعتقد الاسلام فانه يعني بذلك أن أكثرهم مرجئة ومشبهة ومجبرة ، ومن يعتقد أفضلية غيره عليه

ومن يعتقد أنه شرك في دم عثمان ، ومن يعتقد أن معاوية صاحب حجة في حربهم أو شبهة يمكن أن يتعلق بها متعلق ، ومن يعتقد أنه أخطأ في التحكم الى غير ذلك من ضروب الخطأ التي كان أكثرهم عليها[١].

وقال ابن ميثم : قوله «فلا تقولوا بما لا تعرفون» تنبيه على الرجوع الى العترة العارفين بما ينبغي أن يقال ، وقوله « فان أكثر الحق فيما تنكرون » تأكيد للامر بالتثبت في الاقوال ، والنهي والتسرع اليها ، والجاهل قد يستنكر الحق اذ خالف طبعه ، فنبه على أن أكثر الحق في ما تنكرونه ، لئلا يتسرعوا الى القول من غير علم[٢].

قوله «وأعذروا من لا حجة لكم عليه وأنا هو» يقال : فلان معذور في الفعل الفلاني الذي هو غير المقصود، أو في الترك كذلك ، وحاصل المعنى اعلموا أني معذور في حقكم حيث وفيت بشرائط التبليغ قولا وفعلا ، فان كان التقصير فمنكم ولذا صار من الامثال قد أعذر من أنذر ، فان المنذر وفى بما عليه ، وان قصر المنذر بفتح الذال في العمل بمقتضى انذاره .

قوله «وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي» المعروف ضد المنكر قولا وفعلا وفرشتكم المعروف أي : بسطت فيكم المعروف .

قال في الصحاح والقاموس: فرشت الشيء بسطته ويقال: فرشه أمره أوسعه اياه[٣].

قوله «فلا تستعملوا الرأي» تفريع عقيب التفريع السابق ، وهو قوله « فلا تقولوا بما لا تعرفون» وقوله «واعذروا» الى آخره في معنى الامر بالرجوع اليه ، وباقي الثقل الاصغر في جميع الامور قولا وفعلا ، وان الحجة البالغة هو نفسه

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦/ ٣٨٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٢/ ٣٠٢ .

(٣) الصحاح ٣/ ١٠١٤ .

والعترة .

وقوله «فلا تستعملوا» أنهى عن القول بالرأي ، وقوله «ولا يتغلغل اليه الفكر» التغلغل الدخول .

في القاموس غل في الشيء غلا أدخل كغلغل ودخل كالغل وتغلل وتغلغل[١].

وفي الصحاح : وتغلغل الماء في الشجر اذا تخللها[٢]. ونحوه قال ابن أبي الحديد .

ومنها : قوله عليه السلام في نهج البلاغة أيضاً في كلام له عليه السلام المصدر بقوله : ولئن أمهل الله الظالم ، فلن يفوت أخذه وهو له بالمرصاد ، قال : أنظروا أهل بيت نبيكم ، فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم ، فلن يخرجوكم من هدى ، ولن يعيدوكم في ردى ، فان لبدوا فالبدوا ، وان نهضوا فانهضوا ، ولا تسبقوهم فتضلوا ، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا[٣].

السمت بسكون الميم الطريق وهيئة أهل الخير ، والزموا بفتح الزاء المعجمة لانه من باب سمع يسمع . والاثر بالتحريك أو بكسر الهمزة وسكون الثاء ، أو بفتح الهمزة كذلك .

قال في الصحاح : والاثر بالكسر خلاصة السمن ، وتقول أيضاً : خرجت في أثره أي في أثره ، والاثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء . وقال أيضاً : الاثر مصدر قولك أثرت الحديث اذا ذكرته عن غيرك ، ومنه قيل حديث مأثور أي : ينقله خلف عن سلف[٤].

(١) القاموس ٤/٢٦ .

(٢) الصحاح ٥/١٧٨٤ .

(٣) نهج البلاغة ص١٤١ ـ ١٤٣ ، رقم الخطبة : ٩٧ .

(٤) صحاح اللغة ٢/٥٧٥ .

وفي القاموس : الاثرمحركة بقية الشيء جمع آثار واثور والخبر، وخرج في أثره وأثره بعده وائتثره وتأثره تبع أثره وأثر فيه تأثيراً ترك فيه أثراً، والاثار الاعلام والاثر فرند السيف ويكسر كالاثر جمع أثور، ونقل الحديث وروايته كالاثارة والاثرة بالضم أثر الجراح يبقى بعد البرء[1].

قوله « فان لبدوا فالبدوا » قال في القاموس : لبد كنصر وفرح ابوداً ولبداً أقام ولزق ، كالبد و كصرد و كتف ، من لا يبرح منزله ولايطالب معاشاً[2] انتهى .

أي : اذا قعدوا عن الحرب واقامة الحق فاقعدوا ، وان نهضوا فانهضوا ، أي : اذا قاموا الى الحرب ونحوه فقوموا معهم اليه .

قال فيه أيضاً نهض كمنع نهضاً ونهوضاً قام ، الى أن قال: وأنهضه أقامه ، وتناهضوا في الحرب نهض كل الى صاحبه[3]

ومنها : قوله عليه‌السلام في نهج البلاغة أيضاً في خطبة له عليه‌السلام : بعث الله رسله بما خصهم به من وحيه، وجعلهم حجة له على خلقه، لئلا تجب الحجة لهم بترك الاعذار اليهم ، فدعاهم بلسان الصدق الى سبيل الحق، ألا ان الله تعالى قد كشف الخلق كشفة ، لا أنه جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم ومكنون ضمائرهم ، ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملا ، فيكون الثواب جزاءاً ، والعقاب بوآءاً ، أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا ، كذباً وبغياً علينا ، أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم بنا يستعطى الهدى ، ويستجلى العمى، الا أن الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح الامامة على سواهم،

---

(١) القاموس ١/٣٦٢ .

(٢) القاموس ١/٣٣٤ .

(٣) القاموس ٢/٣٤٧ - ٣٤٨ .

ولا تصلح الولاة من غيرهم[1].

قوله «قد كشف الخلق كشفة».

قال في الصحاح : الكشوف الناقة التي يضربها الفحل وهي حامل ، وقد كشف الناقة كشفاً .

وقال الاصمعي : فان حمل عليها الفحل سنتين متواليتين فذلك الكشاف ، والناقة كشوف[2].

وقال في القاموس: وكصبور الناقة يضربها الفحل وهي حامل، وربماضربها وقد عظم بطنها ، فان حمل عليها الفحل سنتين ولاءاً فذلك الكشاف ، وقد كشفت الناقة تكشف كشافاً بالكسر أو هو أن تلقح حين تنتج ، أو أن يحمل عليها في كل سنة وذلك أردأ النتاج[3] انتهى .

ولعل ما في المقام مأخوذ منه ، أي : كلفهم تكليفاً بعد تكليف ، أو يكون المراد معناه المعروف، أي : كشف أمرهم وقلبهم بالطاعة والمعصية، وهو المراد من ابن أبي الحديد ، حيث قال : ان الله تبارك وتعالى كشف الخلق بما تعبدهم به من الشرعيات على ألسنة الانبياء ، ولم يكن أمرهم خافياً عنه ، فيحتاج الى أن يكشفهم ، ولكنه أراد ابتلائهم واختبارهم ، ليعلم أيهم أحسن عملا[4] انتهى .

قوله «والعقاب بوآء» البوآء بفتح الباء الموحدة جزاء الشر، وهو في الاصل صنيعة مقابل صنيعة .

قال في الصحاح : البوآء السوآء يقال : دم فلان بوآء لدم فلان ، اذا كان

(١) نهج البلاغة ص٢٠٠ ـ ٢٠١ ، رقم الخطبة : ١٤٤ .

(٢) صحاح اللغة ١٤٢١/٤ .

(٣) القاموس ١٩٠/٣ .

(٤) شرح نهج البلاغة ٨٥/٩ .

كفوا له ، قالت ليلى الأخيلية في مقتل توبة بن الحمير .

فان يكن القتلى بـوآء فانكم فتى ماقتلتم آلعوف بن عامر

وأبأت القاتل بالقتيل واستبأته أيضاً اذا قتلته به ، أبو زيد : بـاء الرجـل بصاحبة اذا قتل به ، ومنه ولهم بائت عرار بكحل وهما بقرتـان قتلت احداهما بالاخرى[١].

فقول صاحب القاموس : البوآء السوآء والكفو[٢]،أراد الكفو بمعنى المثل أو المكافاة .

قال ابن أبي الحديد : قوله «والعقاب بوآء» أي مكافاة ، ثم قال بعض ما في الصحاح[٣].

قوله«كذباً وبغياً علينا» الكذب بالكسر والسكون ،والكذب بالفتح فالكسر مصدر كذب كضرب .

قال في القاموس : كذب يكذب كذباً وكذباً وكذبة وكذبة[٤].

والبغي مصدر بغى يبغي كضرب بمعنى الظلم أو الكذب، قال فيه: بغى عليه يبغى علا وظلم وعدل عن الحق واستطال وكذب[٥].

قوله «ان رفعنا الله ووضعهم» .

قال ابن أبي الحديد : ان هاهنا للتعليل أي ، لان فحذف اللام التي هي أداة التعليل على الحقيقة قال سبحانـه « بئس مـا قدمـت لهم أنفسهم أن سخط الله

---

(١) صحاح اللغة ١/ ٣٧ .

(٢) القاموس ١/ ٩ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٩/ ٨٥ .

(٤) القاموس ١/ ١٢٢ .

(٥) القاموس ٤/ ٣٠٤ .

عليهم »[١] ثم قال : قال بعض النحاة لبعض الفقهاء الزاعمين أن لاحاجة للفقه الى النحو : ماتقول لرجل قال لزوجته أنت طالق ان دخلت الدار، فقال : لايقع الا بالدخول ، قال : فان فتح الهمزة قال كذلك ، فعرفه أن العربية نافعة في الفقه ، وان الطلاق منجز لا معلق ، اذكان مراده تعليل الطلاق بوقوع الدخول لااشتراطه به [٢].

أقول : أما أولا أن مجيء أن للتعليل غيرمسلم .

وأما ثانياً فلاوجه للتعليل في المقام .

وأما ثالثاً فالاية ليست أن فيها للتعليل ، بل صرح في الكشاف ان أن سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع ، كأنه قيل لبئس زادهم الى الاخرة سخط الله عليهم ، والمعنى موجب سخط الله .

وأما رابعاً فالاولى أن يكون بمعنى اذ ، كماقيل في معناها وجعل منه قوله تعالى «وعجبوا أن جائهم منذر»[٣] أو مخففة من المثقلة ، وسم ان ضمير مقدر ، كماهو الغالب فيه ، أومصدرية وهي بعيدة وان كانت تدخل على الماضي والامر كقوله تعالى «لولا أن من الله علينا»[٤] «ولولا أن ثبتناك»[٥].

قوله غرسوا في هذا البطن من هاشم الغرس اثبات الشجر في الارض ، استعير للائمة لثباتهم .

والبطن كمافي القاموس والصحاح دون القبيلة[٦]، والقبيلة بنو أب واحد

(١) سورة المائدة : ٨٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٨٦/٩ .

(٣) سورة ص : ٤ .

(٤) سورة القصص : ٨٢ .

(٥) سورة الاسراء : ٧٤ .

(٦) القاموس ٢٠٢/٤ .

كما في القاموس والصحاح ، والقبيل بدون التاء كما فيهما الجماعة مــن قوم شتى[١].

وفي المجمع : يقال لكل جماعة من أب واحد[٢] قبيله ، ويقال لكل جماعة من آباء شتى قبيل بلا هاء[٣].

قوله «ولايصلح الولاة من غيرهم» صلح كمنع وكرم، والولاة جمع الوالي وهو الرئيس .

قال ابن أبي الحديد بعد شرح هذه الخطبة : فان قلت انك شرحت هــذا الكتاب على قواعد المعتزلة وأصولهم ، فماقولك في هذا الكلام، وهوتصريح بأن الامامــة لا تصلح من قريش الا في بني هاشم خاصة ، وليس ذلك بمذهب المعتزلة لا متقدميهم ولا متأخريهم .

قلت : هذا الموضع مشكل ،ولي فيه نظر، وان صح أن علياً عليه السلام قاله قلت كماقاله ، لانه ثبت عندي أن النبي صلى الله عليه وآله قال : أنه مع الحق وان الحق يدورمعه حيثما دار ، ثم قال: ويمكن أن يتأول ويطبق على مذهب المعتزلة ، فيحمل على أن المراد به كمال الامامة ، كما حمل قوله صلى الله عليه وآله « لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد » على نفي الكمال لا على نفي الصحة[٤].

ومنها : قوله عليه السلام في نهج البلاغة : وطال الامد بهم ليستكملوا الخزي ، ويستوجبوا الغير، حتى اذا اخلولق الاجل واستراح قوم الى الفتن، واشتالوا عن لقاح حربهم ، لم يمنوا على الله بالصبر ، ولم يستعظموا بذل أنفسهم في الحق،

---

(١) القاموس ٣٥/٤ .

(٢) فى المصدر من أب وأم ،كذا فى النسخة الموجودة عندى ولعله غلط «منه» .

(٣) مجمع البحرين ٤٤٦/٥ ـ ٤٤٧ .

(٤) شرح نهج البلاغة ٨٧/٩-٨٨ .

حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء ، حملوا بصائرهم على أسيافهم ، ودنوا لربهم بأمر واعظمهم .

حتى اذا قبض الله رسوله ﷺ رجع قوم على الاعقاب ، وغالتهم السبل ، واتكلوا على الولائج ووصلوا غير الرحم ، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته ، ونقلوا البناء عن رض أساسه ، فبنوه في غير موضعه ، معادن كل خطيئة ، وأبواب كل ضارب في غمرة ، قد ماروا في الحيرة ، وذهلوا في السكرة على سنة من آل فرعون ، من منقطع الى الدنيا راكن ، أو مفارق للدين ومباين[1].

اعلم أن هذه الخطبة قد سقط من الاول على مايظهر بعضها ، كما صرح به الشارحان ، وأنه قد وصف في أولها فيه فئة ضالة قد استولت وملكت وأملى لها الله سبحانه ، وينبغي أن نبين بعض شرحها ولغاتها .

الامد : محركة الغاية والمنتهى . والخزي : الهوان والعار ، والوقوع في البلية .

قال في القاموس خزي كرضي خزياً وخزى وقع في بلية[2].

والغير كعنب الاحداث والحوادث .

وقال ابن أبي الحديد « ويستوجبوا الغير » أي : النعم التي يغيرها بهم من نعم الله كما قال «واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا»[3].

قوله « واخلولق الاجل» أي: جل الاجل، والمعنى طال الامد بهم ليستكملوا الخزي الى زمان الموت ، أو يكون المراد الزمان المقدر ، فانه الاصل في

---

(١) نهج البلاغة ص ٢٠٩ ، رقم الخطبة : ١٥٠ .

(٢) القاموس ٣٢٤/٤ .

(٣) شرح نهج البلاغة ١٣٠/٩ .

الاجل .

قال في القاموس : اخلولق السحاب استوى وصار خليقا للمطر ، والرسم استوى بالارض[١].

ونحوه في الشرح المذكور الا أنه قال أي قارب أمرهم الانقضاء .

وقوله « واستراح من بينهم قوم من الفتن » اما عطف على قوله « وطالت الامد بهم » أي : طالت الامد بهم لذلك، واستراح من بينهم قوم من الفتن ، أو على قوله «اخلولق» وهو أقرب .

قال في الشرح في معناه : أي: صبا قوم من شيعتنا وأوليائنا الى هذه الفئة ، واستراحوا الى ضلالها وفتنتها واتبعوها[٢].

أقول : قال في الصحاح : صبا الرجل صبوءاً خرج من دين الى دين[٣].

ولا نحتاج الى هذا التفسير، فان قوله «استراح» اما بمعنى طلب الراحة أو بمعنى الدخول في وقت الرواح الى الفتن . والرواح نقيض المصباح ، وهو اسم للوقت من زوال الشمس الى الليل، راح يروح رواحاً نقيض قولك غدا يغدو غدواً ، والاظهر أن يكون بمعنى طلب الراحة ، :أي ، طلبوا راحة أنفسهم في اشتغال بعض الناس ببعضهم .

قوله «واشتالوا عن لقاح حربهم » قال في القاموس: شالت الناقة بذنبها شولا وشوالا وأشالته رفعته ، فشال الذنب نفسه لازم ومتعد، وناقة شائل شثول بذنبها اللقاح[٤].

(١) القاموس ٣/٢٢٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٩/١٣٠ .

(٣) الصحاح ٦/٢٣٩٨ .

(٤) القاموس ٤/٤٠٤ .

واللقاح بفتح اللام مصدر يقال لقحت الناقة كسمع لقحاً ولقحا ولقاحاً فبانت اللقاح ، أي : امتنعوا عن أن يلقح الحرب لهم، فقوله «اشتال عن اللقاح» استعارة عن الناقة تمتنع عن اللقاح ، فاذا قيل شالت الناقة ، أي: رفعت ذنبها للقاح، واذا قيل اشتالت عنه ، أي : امتنعت من ذلك .

وفي الشرح: أي رفعوا أيديهم وسيوفهم عن أن يشبوا الحرب بينهم و بين هذه الفئة ، مهادنة لها ومسلماً وكراهية القتال يقال : شال فلان أي: رفعه واشتال افتعل هو في نفسه ، كقولك حجم زيد عمرواً ، واحتجم هو نفسه[١].

وفيه نظر فان الفرق بين البابين في ماذكره من المثال بالمطاوعة والقبول ، ففي المثال زيد حاجم وعمرو محتجم ، فان أراد أن الفرق بينهما بالفعل في نفسه وغيره ، فيكون المراد أنهم فعلوا ذلك في نفوسهم من غير أن يقع الفعل على غيرهم .

ففيه أن هذه المادة في النفس ، فان الشول رفع الناقة ذنبها ، فلا يناسب التمثيل بالاحتجام ، الا أن يكون فيه اشارة الى أن هذا الفعل من أثر عمل الغير ، وان غيرهم شالهم بالحرب، لكنهم اشتالوا بعكس المقصود فاشتالوا عن الحرب.

ويمكن أن يكون هذا الباب لغير المطاوعة ، فان باب الافتعال اما للمطاوعة وهي الغالب فيه ، واما للاتخاذ ، نحو اشتوى اللحم واختبز الخبز، أي: اتخذه شواءاً وجعله خبزاً ، وذلك اذا لم يكن أصل الفعل مصدراً كالشوآء والخبز ، واما للتصرف والاجتهاد والاضطراب في تحصيل أصل الفعل ، نحو اكتسب فمعنى كسب الاصابة ، ومعنى اكتسب الاجتهاد في تحصيل الاصابة بأن زاول أسبابها، فلهذا قال تعالى «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت»[٢] أي: لا تؤاخذ الا بما اجتهدت

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩/ ١٣٠.

(٢) سورة البقرة : ٢٨٦ .

←

في تحصيله ، وبالغت فيه من المعاصي .

وقال في الكشاف في تفسير الاية : ان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب ؟ قلت : في الاكتساب اعتمال ، فلماكان الشر فيما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وأمارة به ، كانت في تحصيله أعمل وأجـد ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه ، ولما لم تكن كذلك في أبواب الخير وصفت بمالادلالة فيه على الاعتمال[1].

أقول : وهذان وجهان في الفرق بينهما ، وهنا وجه ثالث : فـان الشر لازم النفس فالمطاوعة حاصلة لها ، بخلاف الخير فانه محتاج الـى الكسب ، ويظهر من المصباح المنير عدم الفرق بينهما ، وقال الرضي وغيرسيبويه : لم يفرق بين كسب واكتسب .

فاذا عرفت ذلك فقوله «اشتالوا عن لقاح حربهم» أي : اجتهدوا وأوجدوا أن لا يلقح بهم الحرب ، وأن لايدخلوا فـي الحرب مع شـدة شوقهم بذلك ، ورفعوا أنفسهم أو أيديهم وسيوفهم عن مقام الحرب ، وعـن أن يلقح بهـم فحل الحرب ، ويحتمل أن لايكون في هذا الكلام تلك الاستعارة المشار اليها.

قال في القاموس : شال القوم خفت منازلهم ، أو تفرقت كلمتهم ، أو ذهب عزهم [2].

فيكون عن بمعنى من على حد قولـه تعالى « وهو الـذي يقبل التوبة عـن عباده »[3] والامر سهل .

←قال في القاموس: كسب واكتسب طلب الرزق، أوكسب أصاب واكتسب تصرف واجتهد «منه» .

(١) الكشاف ١/٤٠٨ .

(٢) القاموس ٣/٤٠٤ .

(٣) سورة الشورى : ٢٥ .

قوله « لم يمنوا على الله بالصبر» وعلى كل حال، فالمراد من قوله «واستراح قوم» الى قوله «حتى اذا وافق» بيان حال فرقة الحق الذين آمنوا بالله ورسوله، أي : ولم يدخلوا في الفتن والحروب الناس مع شدة شوقهم بالحرب في اقامة كلمة الحق والصدق ، قعدوا عنه وصبروا على البلاء ، لايمنون على الله بالصبر، ولا يستعظموا أنفسهم في البذل بها في سبيل الله ، فلا يكون قعودهم عن الحرب استعظاماً لانفسهم واستكباراً وعلواً ، ولاصبرهم منة على الله تعالى .

فاذاكان المعنى كذلك ، فلايكون قوله « لم يمنوا » جواباً للشرط في قوله «حتى اذا اخلولق الاجل» كماجعله في الشرحين كذلك ، وان كان غير بعيد ، بل هو وصف عقيب وصف الاشتيال ، وعدم استعمال الواو بعده لاشتمال الاشتيال عن الحرب على الصبر على البلاء .

ثم انه قد قال ابن أبي الحديد : ان الضمير في يمنوا راجع الى العارفين الذين تقدم ذكرهم في الفصل السابق ذكره .

وفيه نظر من وجهين : أحدهما ، أنه لا مناسبة بين هذا الشرط والجزاء ، وثانيهما أن ارجاع الضمير الى الفصل السابق بعيد ، اذ لم يعلم ارتباط هذين الفصلين .

ثم أنه جعل حاصل المعنى أنه عليه السلام يقول حتى اذا ألقى هؤلاء السلام الى هذه الفئة عجزاً عن القتال ، واستراحوا من منابذتهم بدخولهم في ضلالتهم وفتنتهم، اما تقية منهم ، أو لشبهة دخلت عليهم ، أنهض الله تعالى هؤلاء الشجعان الذين خصهم بحكمته ، وأطلعهم على أسرار ملكوته ، فنهضوا ولم يمنوا على الله بصبرهم ، ولم يستعظموا أن يبذلوا في الحق نفوسهم، قال : حتى اذا وافق قضاء الله تعالى وقدره كي أن ينهض هؤلاء قضاؤه وقدره في انقضاء مدة تلك الفئة ، وارتفاع ماكان شمل الخلق من البلاء بملكها وأمرتها، حمل هؤلاء العارفون بصائرهم

على أسيافهم[1] انتهى .

وقال ابن ميثم بعد نقل هذا الكلام منه .

أقول : يحتمل أن يريد بالضمير في يمنوا وما بعده القوم الذين استراحوا الى الفئة ، واشتالوا عن لقاح حربهم ، وذلك أنهم لم يفعلوا ذلك الا لانه لم يوذن لهم في القيام حين استراحتهم ، والقائهم السلم لهذه الفئة ، ولم يتمكنوا مقاومتهم ، لعدم قيام القائم بالامر ، فكانوا حين مسالمتهم صابرين على مضض من ألم المنكر الذي يشاهدونه ، غير مستعظمين لبذل أنفسهم في نصرة الحق لو ظهر من يكون ظهراً يلجئون اليه ، حتى اذا ورد القضاء الالهي بانقطاع مدة بلاء هذه الفئة ، وظهور من يقوم بنصرة الحق ودعا اليه ، حمل هؤلاء بصائرهم على أسيافهم ، وقاموا لربهم بأمر من يقوم فيهم واعظاً ومخوفاً وداعياً، ثم قال:وهذا الحمل يرجحه عود الضمير الى الاقرب وهم القوم[2].

أقول : وهذا المعنى أقرب ، كمالا يخفى .

قوله عليه‌السلام «حملوا بصائرهم على أسيافهم» البصائر امابمعنى العقائد الحقة، أو بمعنى الدماء المطلوبة ثارها .

قال ابن أبي الحديد : يعني أنهم أظهروا بصائرهم وعقائد قلوبهم للناس وكشفوها وجردوها عن اخفائها ، مع تجريد السيوف من أجفانها ، فكأنها شيء محمول على السيوف ، يبصره من يبصر السيوف ، ولاريب أن السيوف المجردة من أجل الاجسام للابصار ، فكذلك مايكون محمولا عليها ، ومن الناس من فسر هذا الكلام ، فقال : أراد بالبصائر جمع بصيرة وهو الدم، فكأنه أراد طلبوا ثأرهم والدماء التي سفكتها هذه الفئة ، وكانت تلك الدماء المطلوب ثأرها محمولة

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩/١٣٠ - ١٣١ .

(٢) شرح نهج البلاغة الميثمية ٣/٢١٧ - ٢١٨ .

على أسيافهم التي جردوها للحرب ، وهذا اللفظ قد قاله بعض الشعراء المتقدمين بعينه :

راحوا بصائرهم على أكتافهم   وبصيرتي يعدو بها عتدوأي [١]

العتد قال في الصحاح العتيد الحاضر المهيأ وفرس عتد وعتد بفتح التاء وكسرها لغة للجري ، قال ابن السكيت : هوالشديد التام الخلق [٢].

الوأى كوعى قال في القاموس : الوأى بتحريك الهمزة السريع الشديدمن الدواب والحمارالوحشي ، وهي وآة [٣].

وفي الصحاح : الوأى الحمار الوحشي المقتدر الخلق ، ثم يشبه به الفرس وغيره ، قال الجعفي :

راحوا بصائرهم على أكتافهم   وبصيرتي يعدو بها عتد وأى

قال آخر :

كل وآة ووأى ضائق الخصل   معتدلات في الرفاق والجرل [٤]

فسره أبوعمرو بن العلاء ، فقال: يريد أنهم تركوا آدم أبيهم وجعلوه خلفهم أي : لم يثأروا به ، وأناطلبت ثاري ، وكان أبوعبيدة معمر بن المثنى يقول في هذا البيت : البصيرة الترس أو الدرع ويرويه حملوا بصائرهم [٥] انتهى كلامه.

أقول : هذا الكلام كأنه منقول من الصحاح قال: البصيرة الحجة والاستبصار في الشيء ، وقوله تعالى «بل الانسان على نفسه بصيرة» .

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٣١/٩ .

(٢) الصحاح ٥٠٢/١ .

(٣) القاموس ٣٩٨/٤ .

(٤) الصحاح ٢٥١٨/٦ .

(٥) شرح نهج البلاغة ١٣١/٩ .

قال الاخفش : جعله هو البصيرة ، كما تقول للرجل : أنت حجة على نفسك، أبو زيد البصيرة من الدم ماكان على الارض ، والجدية ما لصق بالجسد ، وقال الاصمعي : البصيرة شيء من الدم يستدل به على الرمية، وأبو عمرو مثله ، وقول الجعفي : راحوا بصائرهم[1]، ثم ذكر تمام الشعر الى ماتقدم من ابن أبي الحديد.

وقال في القاموس : البصير المبصر وبالهاء عقيدة القلب والحجة ، وشيء من الدم يستدل به على الرمية ، ودم البكر والترس والدرع، والعبرة يعتبر بها والشهيد[2] انتهى .

أقول : ويحتمل هنا معنى آخر، وهو أن يكون حجتهم في اقامة الدين على السيوف ، فان الحجة من معانيها ، كما عرفت من الصحاح والقاموس .

وقال في الكشاف في تفسير الاية[3]: بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز ، والمعنى أنه ينبىء بأعماله وان لم ينبأ ، ففيه مايجزىء عن الانباء ، لانه شاهد عليها بماعملت ، لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بماكانوا يعملون[4].

وقال عليه السلام في بعض خطبه الاتية : فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء مجتمعة، والاهواء مؤتلفة ، والقلوب معتدلة ، والايدي مترادفة ، والسيوف متناصرة ، والبصائر نافذة والعزائم واحدة الى آخره[5].

ويستفاد من ذلك أن المراد بالبصائر العقائد ، والمراد نفوذها في القلب.

---

(١) صحاح اللغة ٢/٥٩٢ .

(٢) القاموس ١/٣٧٣ .

(٣) سورة القيامة : ١٤ .

(٤) الكشاف ٤/١٩١ .

(٥) نهج البلاغة ص٢٩٧ ، رقم الخطبة : ١٩٢ .

وقوله « ودانوا لربهم بأمر واعظهم » دان يدين عز وذل ، وأطاع وعصي، والمراد هنا الثاني أو الثالث ، أي : ذلوا أو أطاعوا . والوعظ الناصح والمذكر بالعواقب .

في الصحاح : الوعظ النصح والتذكير بالعواقب(١).

قوله «ورجع قوم على الاعقاب» العقب بكسر القاف ، كما في الصحاح : مؤخر القدم وهي مؤنثة(٢) انتهى .

فيكون المراد رجوعهم كالقهقرى .

وفي مجمع البحرين : رجع فلان على طريق عقبة ، وهي التي كانت خلفه(٣).

قوله « وغالتهم السبل واتكلوا على الولائج » غالتهم أي : أهلكتهم في القاموس : غاله أي أهلكه كاغتاله أو أخذه من حيث لم يدر(٤).

ويمكن أن يكون من الغول ، وهو كما في الصحاح بعد المسافة والمفازة ، لانه يغتال من يمر به ، الى أن قال : وهذه أرض تغتال المشي أي لا يستبين فيها المشي من بعدها وسعتها(٥).

وفي القاموس بعد مامر منه : والغول الصداع والسكر وبعد المسافة والمشقة، وما انهبط من الارض انتهى .

ويمكن أن يكون من الغول بالضم ، وهو من السعالي ، وفي الصحاح : كل ما اغتال الانسان فأهلكه فهو غول يقال : غالته غول اذا وقع في مهلكة

---

(١) صحاح اللغة ٣/١١٨١ .

(٢) القاموس ١/١٨٤ .

(٣) مجمع البحرين ٢/١٢٧ .

(٤) القاموس ٤/٢٧ .

(٥) الصحاح ٥/١٧٨٦ .

والغضب غول الحلم لانه يغتاله ويذهب به يقال آية غول أغول من الغضب .

واتكلوا قال في القاموس: وكل بالله يكل وتوكل وأوكل واتكل استسلم اليه ، ووكل اليه الامر وكلا ووكولا سلمه وتركه[1].

وفي الصحاح : اتكلت الى فلان في أمري اذا اعتمدته ، وأصله أوتكلت قلبت الواو ياءاً لانكسار ماقبلها ، ثم أبدلت منها التاء فادغمت في تاء الافتعال ، ثم بنيت على هذا الادغام أسماء من المثال وان لم تكن فيها تلك العلة ، توهماً أن التاء أصلية ، لان هذا الادغام لايجوز اظهاره في حال ، فمن تلك الاسماء التكلة والتكلان ، والتخمة والتهمة ، والتجاه والتراث والتقوى ، واذا صغرت قلت تكيلة وتخيمة ، ولا تعيد الواو لان هذه حروف ألزمت البدل فثبتت في التصغير والجمع[2] انتهى .

وفيه فائدة ولذا نقلنا تمام الكلام .

والولائج جمع وليجة كصحيفة، وهي كما في القاموس: خاصتك من الرجال، أو من تتخذه معتمداً عليه من غير أهلك، وهو وليجتهم أي لصيق[3].

قوله «ووصلوا غير الرحم وهجروا السبب» الرحم كما في القاموس: بالكسر وككتف بيت منبت الولد ووعاؤه ، والقرابة وأصلها وأسبابها جمع أرحام[4].

والمراد هنا رحم رسول الله ﷺ ، كما في الشروح ، وحذف المضاف اليه للعلم به .

والسبب كما في الصحاح والقاموس : الحبل ومايتوصل به الى غيره، واعتلاق

---

(١) القاموس ٤/٦٦ .

(٢) صحاح اللغة ٥/١٨٤٥ .

(٣) القاموس ١/٢١١ .

(٤) القاموس ٤/١١٨ .

قرابة[1] انتهى .

والمراد به في المقام أهل البيت عليهم السلام لقوله « أمروا بمودته » ونص عليه الشراح أيضاً ، وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله لفظ الحبل عليهم في حديث الثقلين.

قوله «ونقلوا البناء عن رص أساسه» الرص مصدر رصص .

قال في الصحاح : رصصت الشيء أرصه رصاً ، أي : ألصقت بعضه ببعض ومنه بنيان مرصوص ، وتراص القوم في الصف، أي تلاصقوا[2].

وفي القاموس مضافاً اليه : ورصرص البناء أحكمه وشدده[3].

الاساس أصل البناء كالاس ، قال في الصحاح : الاس أصل البناء وكذلك الاساس ، والاس مقصور منه ، وجمع الاس أساس مثل عس وعساس[4] .

وفي القاموس : الاس مثلثة أصل البناء كالاساس والاسس محركة وأصل كل شيء جمع أساس كعساس وتذل وأسباب[5].

والمراد أنهم نقلوا بناء الامر من محكم أساسه وأساسه المحكم، فبنوه في غير موضعه المحكم وأصله المتقن .

قوله «وأبواب كل ضارب في غمرة» الضارب في غمرة السار فيها ، لعله مأخوذ من الضرب في الارض ، يقال : ضرب في الارض ضرباً اذا سار فيها لطلب الرزق ونحوه .

والغمرة كما في الصحاح والقاموس : الشدة والجمع غمر كنوبة ونوب ،

---

(١) صحاح اللغة ١/١٤٥ .

(٢) صحاح اللغة ٣/١٠٤١ .

(٣) القاموس ٢/٣٠٥ .

(٤) صحاح اللغة ٢/٩٠٠ .

(٥) القاموس ٢/١٩٧ .

وغمرات الموت شدائده[١]. واستعيرهنا لمفازة الضلالة ،وقال تعالى «في غمرة»[٢] أي : في حيرتهم وضلالتهم .

وفي شرح ابن أبي الحديد : الغمرة الضلال والجهل، والضارب فيها الداخل المعتقد لها[٣].

قوله « قد ماروا في الحيرة وذهلوا في السكرة » المور الموج والتحرك بسرعة ، في الشرح مار يمور اذا ذهب وجاء وكأنهم يسبحون في الحيرة ،كما يسبح الانسان في الماء انتهى .

وقال تعالى «فتماروا بالنذر»[٤] أي : فشككوا بالانذار .

وذهل قال في القاموس : ذهله وعنه كمنع ذهلا وذهولا تركه على عمد أو نسيه لشغل وهو السلو[٥].

والسكرة الاثر الحاصل من الخمر ونحوها، وسكرة الموت والهم شدته وهمه وعشيته .

قوله « على سنة من آل فرعون » السنة الطريقة ، أي ماروا وذهلوا على طريقة آل فرعون ، ولعلهم في سكر الجهل والغفلة أزيد من غيرهم .

قوله «من منقطع الى الدنيا راكن ، أومفارق للدين مبائن» المنقطع الى الدنيا الذي انقطع من كل شيء ، وجعل همه الدنيا ، والركون الى الشيء الميل والسكون اليه .

---

(١) صحاح اللغة ٢/٧٧٢ .

(٢) سورة المؤمنون : ٦٣ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٩/١٣٣ .

(٤) سورة القمر : ٣٦ .

(٥) القاموس ٣/٣٧٩ .

قال في القاموس: ركن اليه كنصر وعلم ومنع ركوناً مال وسكن [١]، ومنه قوله تعالى «ولاتركنوا» [٢] .

والمبائن من بان يبين ، قال في القاموس: وبان الحي بيناً وبنياً وبينونة فارقوا والشيء بيناً وبيوناً بطلاق[٣] وليعلم أمور :

أولها: ان في هذا الكلام ثلاثة مواضع استعمل فيها لفظ حتى اذا.

الاول: حتى اذا اخلولق الاجل، وهي: اما غاية لقوله «وطال الامد، وليستكملوا الخزي ، ويستوجبوا الغير » سواء الاجل أجل الموت ، أوأجل الزمان المقدر في القضاء الالهي .

الثاني : حتى اذا وافق وارد القضاء ، وهي اما غاية لقوله « واستراح قوم الى الفتن» أولقوله «واشتالوا عن لقاح حربهم» بناءاً على ماذكرت من عدم كون لم يمنوا جواباً لقوله «اذا اخلولق الاجل» أولقوله «لم يمنوا ولم يستعظموا» بناءاً على ماقالوه .

الثالث: حتى اذا قبض الله رسوله، والظاهر أنه غاية لقوله «حملوا بصائرهم على أسيافهم » أي: جاهدوا في الله حق جهاده ، الى أن قبض الله تعالى رسوله .

وفي شرح ابن ميثم : ان قوله «حتى اذا قبض الله » منقطع عماقبله ، لان صريحه ذكر غاية الاقتصاص حال حياة الرسول ﷺ ، وحال الناس قبله وبعده وليس في الكلام المتقدم على من كان من أهل الضلال قبل الاسلام[٤] انتهى .

وفيه أنه لاداعي لذلك، الاما أشار اليه من عدم تعرض حال من كان قبل الاسلام

---

(١) القاموس ٤/٢٢٩ .

(٢) سورة هود: ١١٣ .

(٣) القاموس ٤/٢٠٤ .

(٤) شرح نهج البلاغة ٣/٢١٨ .

وهو غير لازم في كون هذا غاية للكلام السابق ، مع أنـه يمكن ذلك في قوله «وطال الامد بهم» .

الثاني: ان في الكلام مواضع من ذكر القوم .

أحدها : في قوله « وطال الامد بهم » فان مرجع الضمير الكفار أو الفساق والمنافقون .

وثانيها: في قوله « واستراح القوم الى الفتن» وهم المؤمنون أوالخالصون منهم وقال ابـن ميثم : ان قوله « واستراح قوم الى الفتن » اشارة الى من يعتزل الوقائع التي في آخر الزمان من شيعة الحق وأنصاره [1] انتهى، وهو بعيد جداً، بل الظاهر أن المراد المؤمنون في زمان الرسول صلى الله عليه وآله .

وثالثها: في قوله عليه السلام « رجع قوم على الاعقاب » والمراد بهم : اماالذين دخلوا في الاسلام بعد الجهاد من القوم السابقين، أوقوم منهم فتدبر.

الثالث : في قوله « رجع قوم على الاعقاب» الى آخره تصريحاً بان الامامة والولاية مخصوصة بأهل البيت عليهم السلام ، كمااعترف بـه ابن أبي الحديد في آخر كلامه بعد أول كلامه عليه السلام ببعض التأويلات البعيدة .

حيث قال : واعلم أنـانحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على مايقتضيه سؤدده الجليل، ومنصبه العظيم، ودينه القويم ، من الاغضاء عماسلف ممن سلف، فقد كان صاحبهـم بالمعروف برهـة من الدهر ، فأماأن يكون ماكانوا فيه حقهم أو حقه ، فتركه لهم رفعاً لنفسه عن المنازعة، أو لمارآه من المصلحة، وعلى كل التقديرين فالواجب علينا أن نطبق بين آخر أفعاله وأقواله بالنسبة اليهـم وبين أولها ، فان بعد تأويل مايتأوله من كلامه ليس بأبعد من تأويـل أهل التوحيد والعدل الايات المتشابهة في القرآن، ولم يمنع بعدها من الخوض في تأويلها محافظة على الاصول

(١) شرح نهج البلاغة ٢١٧/٣ .

المقررة فكذلك هاهنا[1] انتهى كلامه.

الرابع : في ذكر تأويلات هذا الرجل في كلامه وبيان ما فيها ، قال: فان قلت أليس هذا الفصل صريحاً في تحقيق مذهب الامامية ؟

قلت: لا، بل نحمله على أنه عنى عليه السلام أعداءه الذين حاربوه من قريش وغيرهم من أفناء العرب في أيام صفين ، وهم الذين نقلوا البناء ، وهجروا السبب ، ووصلوا غير الرحم، واتكلوا على الولائج، وغالتهم السبل، ورجعوا على الاعقاب، كعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومروان بن الحكم ، والوليد بن عقبة ، وحبيب بن مسلمة ، وبشر بن أرطاة ، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص ، وحوشب ، وذي الكلاع ، وشرحبيل بن السمط ، وأبي الاعور السلمي، وغيرهم ممن تقدم ذكرنا له في الفصول المتعلقة بصفين وأخبارها ، فان هؤلاء نقلوا الامامة عنه عليه السلام الى معاوية فنقلوا البناء عن رص أصله الى غير موضعه .

فان قلت : لفظ الفصل يشهد بخلاف ما تأولته ، لانه قال عليه السلام حتى اذا قبض الله رسوله رجع قوم الى الاعقاب ، فجعل رجوعهم على الاعقاب عقيب قبض الرسول صلى الله عليه وآله ، وما ذكرته أنت كان بعد قبض الرسول بنيف وعشرين سنة .

قلت : ليس يمتنع أن يكون هؤلاء المذكورون رجعوا على الاعقاب لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأضمروا في أنفسهم مشاقة أمير المؤمنين عليه السلام وأذاه ، وقد كان فيهم من يتحكك به في أيام أبي بكر وعمر وعثمان ، ويتعرض له ، ولم يكن أحد منهم ولا من غيرهم يقدم على ذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا يمتنع أيضاً أن يريد برجوعهم على الاعقاب ارتدادهم عن الاسلام بالكلية ، فان كثيراً من أصحابنا يطعنون في ايمان بعض من ذكرناه ، ويعدونهم من المنافقين .

وقد كان سيف رسول الله صلى الله عليه وآله يقمعهم ويردعهم عن اظهار ما في أنفسهم من

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩ / ١٣٦ .

النفاق ، فأظهر قوم منهم بعده ماكانوا يضمرونه من ذلك، خصوصاً فيما يتعلق بأمير المؤمنين عليه السلام الذي ورد في حقه ماكنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله الا ببغض علي بن أبي طالب ، وهو خبر محقق مذكور في الصحاح .

فان قلت: يمنعك من هذا التأويل قوله «ونقلوا البناء عن رص أساسه فجعلوه في غير موضعه» وذلك لان اذا ظرف، والعامل فيها قوله «رجع قوم على الاعقاب» وقد عطف عليه قوله « ونقلوا البناء » فاذا كان الرجوع على الاعقاب واقعاً في الظرف المذكور ، وهو وقت قبض الرسول صلى الله عليه وآله وجب أن يكون نقل البناء الى غير موضعه واقعاً في ذلك الوقت أيضاً، لان أحد الفعلين معطوف على الاخر ولم ينقل أحد وقت قبض الرسول صلى الله عليه وآله البناء الى معاوية عن أمير المؤمنين عليه السلام ،وانما نقل عنه الى شخص آخر، وفي اعطاء العطف حقه مذهب الامامية صريحاً .

قلت: اذا كان الرجوع على الاعقاب واقعاً وقت قبض النبي صلى الله عليه وآله ، فقد قمنا بمايجب من وجود عامل في الظرف ، ولايجب أن يكون نقل البناء الى غير موضعه واقعاً في تلك الحال أيضاً ، بل يجوز أن يكون واقعاً في زمان آخر اما بأن تكون الواو للاستئناف لاللعطف ، أو بأن تكون للعطف في مطلق الحدث ، لافي وقوع الحدث في غير ذلك الزمان المخصوص ، كقوله تعالى « حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه » [١] والعامل في الظرف استطعما ، ويجب أن يكون استطعامهما وقت اتيانهما أهلها لامحالة .

ولايجب أن يكون جميع الافعال المذكورة المعطوفة واقعة حال الاتيان أيضاً، ألاترى أن من جملتها فأقامه ، ولم يكن اقامة الجدار حال اتيانهما القرية متراخياً عنه بزمان ما ، اللهم الاأن يقول قائل: انه أشار بيده الى الجدار فقام أو

---

(١) سورة الكهف: ٧٧ .

قال له قم فقام، لانه لايمكن أن يجعل اقامة الجدار مقارناً للاتيان الا على هذا الوجه وهذا لم يكن ولا قاله مفسر، ولو كان قد وقع على هذا الوجه لما قال له « لو شئت لاتخذت عليه أجرا» لان الاجر انما يكون على اعتمال عمل فيه مشقة، وانما يكون فيه مشقة اذا بناه بيده وباشره بجوارحه وأعضائه (١) انتهى .

أقول: وهذا الحمل فاسد من وجوه ، نقتصر على بعضها، وهو أن العطف يقتضي المشاركة للمعطوف عليه في نسبة الكلام، فاذا جعل مكانه المعطوف صح والا فلا فائدة في العطف .

وأيضاً ان كانت هذه الافعال قبيحة من هؤلاء الذين ذكرهم ، فكل من فعل كذلك كان كذلك، ولاريب أن من كان بعد النبي ﷺ بلافاصلة اتكلوا على الولائج وهجروا السبب، ونقلوا البناء عن رص أساسه، والاية التي استشهد بها خارجة عن المقام من وجوه :

منها: أن قوله تعالى «فأقامه» عطف على قوله «وجدا» لاعلى قوله «استطعما» كمالايخفى .

ومنها: أن الفاء تدل على التعقيب بخلاف الواو .

ومنها: أن الاقامة في حال الاتيان عرفاً لافي حاله حقيقته .

ومنها : أنـه يمكن نسبة الفعل الذي يحتاج الى مقدمـات الى زمان لاجل حصول مقدماته في ذلك الزمان، هذا مضافاً الى أن كون الناصب لاذا هو الجزاء مذهب جملة ، والمحققين على خلافه ، وان العامل فيها الشرط لاالجزاء ، كما نص عليه ابن هشام ، وذكر أموراً ترد على القول الاول .

وبالجملة من لاحظ هذا الكلام وغيره من كلماته ، يعرف أنه عليه السلام أراد هؤلاء الذين فعلوا بعد النبي ﷺ مافعلوا من الصنائع التي أشار عليه السلام اليها، وأي داع

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩/١٣٤-١٣٦ .

الى هذه التأويلات الباردة الشاذرة النادرة، كما اعترف به في آخر كلامه في قوله « فان بعد تأويل ماتأوله فليس بأبعد من تأويل أهل التوحيد والعدل » فان كان ذلك لاجل ماذكره من المحافظة على الاصول، فأي أصل مقرر في ذلك الا قوله صلى الله عليه وآله «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» .

وينبغي ختم الكلام ببيان قوله عليه السلام «حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء » .

اعلم أن القضاء عند الاشاعرة كما حكى عنهم شارح المواقف ارادته الازلية المتعلقة بالاشياء كما هي عليه فيما لا يزال، وقدره ايجاده اياها على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها وأحوالها .

وأما عند الفلاسفة ، فالقضاء عبارة عن علمه تعالى بما ينبغي أن يكون عليه الوجود، حتى يكون على أحسن النظام وأكمل الانتظام ، وهو المسمى عندهم بالعناية التي هي المبدء الفيضان الموجودات من حيث خلوها على أحسن الوجوه وأكملها ، والقدر عبارة عن خروجها الى الوجود العيني بأسبابها على الوجه الذي تقرر في القضاء .

والمعتزلة ينكرون القضاء والقدر في الافعال الاختيارية الصادرة عن العباد، ويثبتون علمه تعالى بهذه الافعال ولا يسندون وجودها الى ذلك العلم بل الى اختيار العباد وقدرتهم (١) .

أقول: وقد كثر الكلام في القضاء والقدر، والذي يدل عليه أخبارنا أن القدر مقدم على القضاء ، وهو تقدير الاشياء بهيئتها وأوصافها وكيفياتها ، والقضاء

---

(١) قيل: القدر عبارة عن علمه تعالى وارادته بالكائنات قبل وجودها: وقيل: القضاء هو العلم الاجمالي بما يكون، والقدر تفصيله الواقع على وفقه . وقيل : القضاء هو الحكم الاجمالي والقدر تفصيله «منه» .

الحكم بوجودها .

فمنها: مارواه في الكافي في باب المشيئة والارادة، باسناده عن علي بن ابراهيم الهاشمي ، قال : سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول : لايكون شيء الا ماشاء الله وأراد وقدر وقضى ، قلت: مامعنى شاء ؟ قال : ابتداء الفعل ، قلت : مامعنى قدر ؟ قال : تقدير الشيء من طوله وعرضه، قلت: مامعنى قضى؟ قال: اذا قضى أمضاه، فذلك الامر الذي لا مرد له (١) .

ومارواه فيه في باب البداء عن معلى بن محمد قال: سئل العالم عليه السلام كيف علم الله ؟ قال : علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى ، فأمضى ماقضى، وقضى ماقدر، وقدر ماأراد ، فبعلمه كانت المشية ، وبمشيته كانت الارادة ، وبارادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء ، وبقضائه كان الامضاء ، والعلم متقدم على المشية والمشية ثانية ، والارادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالامضاء .

فلله تبارك وتعالى البداء في ماعلم متى شاء ، وفيما أراد لتقدير الاشياء، فاذا وقع القضاء بالامضاء فلا بداء، فالعلم بالمعلوم قبل كونه، والمشية في المنشأ قبل عينه، والارادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ووقتاً، والقضاء بالامضاء هو المبرم من المفعولات، ذوات الاجسام المدركات بالحواس من ذوي لون وريح ووزن وكيل، ومادب ودرج من انس وجن وطير وسباع، وغير ذلك ممايدرك بالحواس الخبر (٢) .

ومارواه فيه في باب الجبر والقدر عن يونس بن عبدالرحمن قال ، قال لي أبوالحسن الرضا عليه السلام، وساق الرواية الى أن قال : يايونس تعلم ما المشيئة؟ قلت: لا ، قال: هي الذكر الاول، فتعلم ماالارادة ؟ قلت: لا ، قال: العزيمة على مايشاء

(١) اصول الكافي ١/ ١٥٠، ح١ .
(٢) اصول الكافي ١/ ١٤٨-١٤٩ .

فتعلم ماالقدر ؟ قال ، قلت : لا ، قال : هي الهندسة (١) ووضع الحدود من البقاء والفناء، ثم قال: والقضاء الابرام واقامة العين الخبر (٢) .

ولوقيس فعل الله تعالى بأفعالنا، فأفعالنا تتوقف أولاعلى تصورها، وهوبمنزلة علم الله تعالى ، وعلى الميل والمشية ثانياً ، وهو بمنزلة مشية الله تعالى ، والى العزم الى ايجادها ثالثاً ، وهو بمنزلة ارادة الله تعالى ، وأن يقدره بتقديرات حدوده وصفاته وطوله وعرضه ، كتقدير البناء في بنائه رابعاً ، وهو بمنزلة القدر، وأن يشتغل بايجادها خامساً ، وهو بمنزلة القضاء ، وأن يتم على طبق ما قدره بحدوده وأوصافه سادساً، وهو بمنزلة الامضاء ، ولتفصيل الكلام مقام آخر.

فقوله عليه السلام «حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء» اشارة الى تعلق قضاء الله بذلك،والسرفي هذا التعبير أن(٣) الوارد المقدام من كل شيء، أو خصوص الذي وظيفته الورود على الماء لاجل القوم في المراحل، كقوله تعالى « فأرسلوا واردهم »(٤) واستعير في المقام لمقدام القضاء ، ولماكان القضاء مبرماً يصير أوله مقارناً ومصادفاً لانقطاع مدة البلاء من قوله «وافقة الشيء اذا صادفته» .

ومن ذلك يظهر لك مافي شرح ابن أبي الحديد ، حيث قال في شرح هذه العبارة : حتى اذا وافق قضاء الله وقدره كي أن ينهض هؤلاء قضاؤه وقدره في

(١) في الصحاح : المهندس الذى يقدر مجارى القنا حيث تحفر ، وهو مشتق من الهنداز، وهى فارسية ، فصيرت الزاى سيناً، لانه ليس فى كلام العرب بعد السين، والاسم الهندسة، وغلط الفيروزآبادى، حيث قال: والمهندس مقدر مجارى القنا حيث تحفر، والاسم الهندسة مشتق من الهنداز معرب آب انداز، فابدلت الزاى لانه ليس فى كلامهم دال بعدها زاى «منه» .

(٢) اصول الكافى ١/١٥٧-١٥٨ .

(٣) الوارد استعارة عن المقدم الى الماء ، ووافق أى صادف «منه» .

(٤) سورة يوسف : ١٩ .

انقضاء مدة تلك الفئة ، وارتفاع ماكان شمل الخلق من البلاء بملكها وامارتها[١].

ومافي شرح ابن ميثم : حتى اذاوافق القدرالذي هو وارد القضاء، وتفصيله انقطاع مدة هذه الفئة[٢].

فان استرداف القدر في الاول للقضاء لا وجه له ، اذ هذا من حكم القضاء لا القدر ، كمافي نص الكلام ، وكذا جعل هذا الامر من القدر دون القضاء في الباقي ، فتدبر .

تذنيب :

اعلم أنه قد ينظر في مسألة القضاء والقدر من جهتين : أحدهما ، من جهة الشرور الواقعة في العالم ، وبقدر ماوسع المجال .

فنقول : ان القضاء والقدر المنسوبين الى الله تعالى ، فان كانافي أفعاله تعالى فظاهر بالمعنى الذي ذكرنا لهما ، ولا محظور فيه أصلا ، فان الصادر منه تعالى خير محض في قضائه وقدره ، ولا بأس بماذكره الفلاسفة في المقام على ما نقل عنهم في المواقف .

قال في خاتمة المقصد الرابع في الصفات الوجودية في نقل رأي الفلاسفة في القضاء والقدر قالوا : الموجود اما خير محض لا شر فيه أصلا ، كالعقول والافلاك ، واما الخيرغالب فيه ، كمافي هذا العالم ، فان المرض مثلا وان كان كثيراً فالصحة أكثر منه ، ولا يمكن تنزيه هذا العالم من الشرور بالكلية ، فكان الخير واقعاً بالقصد الاول ، وكان الشر واقعاً بالضرورة بالتبع والعرض ، وانما

(١) شرح نهج البلاغة ١٣١/٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٢١٧/٣ .

التزم فعله ، لان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير، فليس من الحكمة ترك المطر الذي به حياة العالم ، لئلاينهدم دورمعدودة ، أو لا يتألم به سائحفي البر والبحر انتهى .

وجعل هؤلاء الفلاسفة على مانقل عنهم شارح المقاصد القضاء عبارة عن وجود جميع الموجودات في العالم العقلي مجتمعة ومجملة على سبيل الابداع، والقدر عبارة عن وجودها في موادها الخارجية مفصلة ، واحداً بعد واحد ، لما قال الله عزوجل «وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم»[١] وقد ذكرنا مافيه ، وانكان لامانع لنا من ذلك ، الا أنه لم‌يقم عليه دليل .

والذي دل عليه الدليل هو مافي أخبارنا من طرقنا هذا في أفعال الله تعالى، وان اعتبرا بالنسبة الى أفعال العباد ،فمعنى القضاء والقدر على ماقاله جماعة الامر والنهي ، وبعبارة اخرى : التكاليف الشرعية بقوله تعالى «وقضى ربك ألاتعبدوا الا اياه »[٢] والاعلام والتبيين ، لقوله تعالى « وقضينا الى بني اسرائيل لتفسدن في الارض »[٣] أو القضاء ذلك والقدر الاعلام والتبيين لمقادير الامثال من حسنها وقبحها وحرامها ومباحها كماقاله ، أي قال الاخبر في احقاق الحق ولامحضور فيه أيضاً من هذه الجهة .

وثانيهما : من جهة لزوم الجبر ورفع الاختيار اذاكان وقوع الافعال في العالم بقضاء الله وقدره ، وقد اعترض شيخ على أمير المؤمنين عليه‌السلام فأجابه ، ورواه العامة والخاصة في كتبهم ، الا أن العامة رووه عن الاصبغ ، والاولى ذكر هذا الخبر الوارد في هذا الباب ونكتفي به ، فان للبيان مقاماً آخر .

---

(١) سورة الحجر : ٢١ .

(٢) سورة الاسراء : ٢٣ .

(٣) سورة الاسراء : ٤ .

روى في نهج البلاغة[1] هذه الرواية، لكنه لم يتم النقل، والرواية مذكورة في كتب أخبارنا الكافي[2] مرفوعاً، والعيون مسنداً بأسانيد عديدة، والاحتجاج مرسلا، ونذكر مافي الاحتجاج.

قال فيه روى فيه عن علي بن محمد العسكري عليه السلام في رسالته الى أهل الاهواز في نفي الجبر والتفويض، أنه قال: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سأله رجل بعد انصرافه من الشام، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا الى الشام أبقضاء من الله وقدر؟ فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام: نعم ياشيخ ماعلوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد الا بقضاء من الله وقدر، فقال الرجل: عند الله أحتسب عنائي، والله ما أرى لي من الاجر شيئاً، فقال عليه السلام: بلى قد عظم الله لكم الاجر في مسيركم وأنتم ذاهبون، وعلى منصرفكم وأنتم منقلبون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، فقال الرجل: وكيف لانكون مضطرين والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا.

فقال أمير المؤمنين: لعلك أردت قضاءاً لازماً وقدراً حتماً، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، والامر من الله والنهي، وماكانت تأتي من الله لائمة لمذنب، ولا محمدة لمحسن، ولماكان المحسن أولى بثواب الاحسان من المذنب، ولا المذنب أولى بعقوبة الذنب من المحسن، تلك مقالة اخوان عبدة الاوثان، وجنود الشيطان، وخصماء الرحمن، وشهداء الزور والبهتان، وأهل البغي والطغيان، هم قدرية هذه الامة ومجوسها، ان الله تعالى أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الرسل هزلا، ولم ينزل القرآن عبثاً، ولم يخلق السماوات والارض

(١) نهج البلاغة ص٤٨١، رقم الحديث: ٧٨.
(٢) اصول الكافي ١/١٥٥.

وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، ثم تلا عليهم « وقضى ربك أن لاتعبدوا الا اياه » قال : فنهض الرجل مسروراً ، وهو يقول:

أنت الامام الذي نرجوا بطاعته — يوم النشور من الرحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ماكان ملتبسا — جزاك ربك عنا فيه احسانا

ثم ذكر باقي شعره ، ثم قال : وروي أن الرجل قال : فما القضاء والقدر الذي ذكرته ياأمير المؤمنين ؟ قال: الامر بالطاعة والنهي عن المعصية، والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية ، والمعونة على القربة اليه ، والخذلان لمن عصاه والوعد والوعيد والترغيب والترهيب ،كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لاعمالنا ، وأما غير ذلك فلاتظنه ، فان الظن له محبط للاعمال .

فقال الرجل : فرجت عني يا أمير المؤمنين فرج الله عنك .

ثم قال : وروي أنه سئل عن القضاء والقدر ، فقال : لاتقولوا وكلهم الله تعالى الى أنفسهم فتوهنوه ، ولا تقولوا أجبرهم على المعاصي فتظلموه ، ولكن قولوا الخير بتوفيق الله والشر بخذلان الله ، وكل سابق في علم الله(١).

وفي الرواية دلالة على المعنى الذي ذكرناه في القضاء والقدر اذا نسبا الى أفعال العباد ، وحاصل هذا المعنى الامر والنهي والاعلام والتبيين مع التوفيق للمطيع والخذلان للمعاصي ،كما أشار الى هذه الضميمة في الجواب عن سؤال الشيخ سؤاله الاخير فحينئذ :اما أن يكون القضآء والقدر بمعنى واحد أو القضاء بمعنى الحكم والحتم من الامر والنهي، والقدر بمعنى أعلام الاجزاء والكيفيات وجهات الحسن والقبح ونحو ذلك ، هذا ويمكن بعد تحقيق المقام بيان معان أدق من ذلك لم يسع المجال ، والله أعلم بحقيقة الحال .

ومنها : قوله عليه السلام في نهج البلاغة في كلام له عليه السلام لبعض أصحابه ، وقد

---

(١) الاحتجاج ١/٣١٠ – ٣١١ .

سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به ، فقال عليه السلام : ياأخابني أسد انك لقلق الوضين، ترسل في غير سدد ، ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة، وقد استعلمت فاعلم ، أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الاعلون نسباً، والاشدون بالرسول نوطاً ، فانها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين ، والحكم الله تعالى ، والمعود اليه القيامة .

* ودع عنك نهباً صيح في حجراته *

وهلم الخطب في ابن أبي سفيان،فلقد أضحكني الدهر بعد ابكائه، ولاغرو والله فياله خطباً يستفرغ العجب ويكثر الاود ، حاول القوم اطفاء نور الله من مصباحه ، وشد فواره من ينبوعه، وجدحوا بيني و بينهم شرباً وبيئاً ، فان يرتفع عنا وعنهم محن البلوى ، أحملهم من الحق على محضه ، وان تكن الاخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بمايصنعون[1].

بيان مافيه :

القلق بالقافين بينهما لام مكسورة صفة مشبهة كخشن ، والقلق بفتح اللام الاضطراب والانزعاج .

والوضين بالضاد المعجمة كشريف كمافي القاموس بطان عريض منسوج من سيور أوشعر أولايكون الامن جلد، قال: وقلق وضينها بطانها هزالا [2] .

وهو مثل تعال لاجل المضطرب في أموره .

قال في الشرح لابن أبي الحديد : الوضين بطان القتب وحزام السرج ، يقال للرجل المضطرب في أموره : انك لقلق الوضين ، وذلك أن الوضين اذا

---

(١) نهج البلاغة ص٢٣١ - ٢٣٢ ، رقم الكلام : ١٦٢ .

(٢) القاموس ٢٧٥/٤-٢٧٦ .

قلق اضطرب القتب أو الهودج ، أو السرج ومن عليه [١] .

أي: انك رجل تسال في غيرموضعه ، أو تسأل مع الحاجة الى السؤال ، أو لاتتحمل الجواب، كماأن البعير القلق الوضين لايتحمل الحمل ، أو نحو ذلك من وجوه المشابهة .

قوله «ترسل في غير سدد » أي: تعطى الكلام من غيراستقامة في السؤال ، والارسال كمافي القاموس الاخلاق والاهمال [٢] قال: وألقى الكلام على سيلانه ، أي تهاون به ، والسدد والاستداد الاستقامة .

قال في الصحاح: والسداد بالفتح الاستقامة والصواب وكذلك السدد مقصور منه [٣] .

قوله « ولك بعد ذمامة الصهر » الذمامة بالذال المعجمة، وهي من الذمام بفتح الذال .

في القاموس: والذمام والمذمة الحق والحرمة جمع أذمة والذمة بالكسر العهد والكفالة كالذمامة ويكسر [٤] .

وفي الصحاح: الذمام الحرمة [٥] . فمافي الشرح الاول [٦] من تعيين الكسر لاوجه له ، حيث قال: وذمامة الصهر بالكسر حرمته ، وهو الذمام والذمامة [٧] انتهى . الاأن يكون المراد الثاني بالفتح ثم ان الشرحين ويروى ماتة الصهر.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩/٢٤٢ .

(٢) القاموس ٣/٣٨٤ .

(٣) صحاح اللغة ١/٤٨٢ .

(٤) القاموس ٤/١١٥ .

(٥) صحاح اللغة ٥/١٩٢٦ .

(٦) الشرح الاول شرح ابن أبي الحديد، ومن هنا النقل على هذا الوجه «منه» .

(٧) شرح النهج ٩/٢٤٢ .

قال في الصحاح: التوسل بقرابة والماتة الحرمة والوسيلة، تقول: فلان يمت اليك بقرابة، والموات الوسائل [١] .

والاصهار كمافي الصحاح أهل بيت المرأة ، ثم حكى عن الخليل أنه قال: ومن العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان يقال : صاهرت اليهم اذا تزوجت فيهم ، وأصهرت بهم اذا اتصلت بهم وتحرمت بجوار أو نسب أو تزوج [٢] وقال في القاموس : الصهر بالكسر القرابة وحرمة الختونة جمع أصهار وصهراء والقبر وزوج بنت الرجل ، وزوج أخته والاختان أصهار أيضاً ، وقد صاهرهم وفيهم وأصهر بهم واليهم، صار فيهم صهراً [٣] انتهى .

وعن الازهري قال الفراء فيقوله تعالى « فجعله نسباً وصهراً » [٤] أما النسب فهوالنسيب الذي لايحل نكاحه، وأماالصهر فهوالسبب الذى يحل نكاحه ، كبنات العم والخال وأشباههن من القرابة التي يحل تزويجها انتهى .

وعلى كل حال فالظاهر أن المراد هنا ليس مطلق القرابة، بل خصوص الختونة وأراد به كمافي الشرحين أن زينب بنت جحش زوجة رسول الله ﷺ كانت أسدية ، وهذا الرجل أيضاً أسدي ، بل فيهما أن أمها أميمة بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف ، فهي بنت عمة رسول الله ﷺ ، ثم قال قالوا: والمصاهرة المشار اليها هي هذه .

ونقل ابن أبي الحديد عن القطب الراوندي أن علياً عليه السلام كان متزوجاً في بني أسد، ثم اجترىء عليه، وقال: لم يفهم القطب الراوندي ذلك ولم يصب، فان علياً عليه السلام لم يتزوج في بني أسد ألبتة ، ثم ذكر أولاده من أزواجه عليه السلام ، ثم

(١) صحاح اللغة ١/٢٦٦ .

(٢) صحاح اللغة ٢/٧١٧ .

(٣) القاموس ٢/٧٤ .

(٤) سورة الفرقان: ٥٤ .

قال: فهؤلاء أولاده وليس فيهم أحد من أسدية ولا بلغنا أنه تزوج في بني أسد، ولم يولد، ولكن الراوندي يقول مايخطر له ولايحقق [١].

وأورد عليه ابن ميثم بماحاصله: ان عدم البلوغ اليه لايدل على عدم الثبوت والبلوغ الى غيره [٢].

قوله «أما الاستبداد علينا بهذا المقام» قال في الصحاح: استبد فلان بكذا أي تفرد به [٣]. وفي القاموس: استبد به تفرد [٤].

وفي الشرح الاول: والاستبداد بالشيء التفرد به [٥]. والمراد أن تفرد القوم بهذا المقام مستعلين علينا، ونحن الاعلون نسباً.

قوله « والاشد بالرسول نوطاً » النوط التعلق، في الصحاح: كل ماعلق من شيء فهو نوط [٦]. وفي الشرح الاول: النوط الالتصاق.

قوله « فانها كانت أثرة، شحت عليها نفوس قوم، وسخت عليها نفوس آخرين» الاثرة بالتحريك من قولهم «استأثر فلان بالشيء» استبد قال في الصحاح: والاسم الاثرة بالتحريك [٧]. قال في الشرح الثاني : والضمير في أنها يعود الى معنى الاثرة في الاستبداد انتهى.

ويحتمل أن يكون بمعنى الفضيلة ، كقوله تعالى « آثرك الله علينا » [٨] أي :

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩/٢٤٢-٢٤٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٣/٢٩٤ .

(٣) صحاح اللغة ١/٤٤١ .

(٤) القاموس ١/٢٧٦ .

(٥) شرح النهج ٩/٢٤٣ .

(٦) صحاح اللغة ٣/١١٦٥ .

(٧) صحاح اللغة ٢/٥٧٥ .

(٨) سورة يوسف: ٩١ .

فضلك الله علينا من قولهم «له عليه أثرة» أي: فضل وقوله تعالى «ويؤثرون على أنفسهم »[(١)] أي : يفضلون ويقدمون، وقوله تعالى «بل تؤثرون الحيوة الدنيا »[(٢)] أي: تقدمونها وتفضلونها على الاخرة، ويحتمل أن يكون اشارة الى قوله ﷺ للانصار ستلقون بعدي أثـرة فاصبروا قيل : الاثرة وهي الاسم من أثر يؤثر ايثاراً ، اذا أعطى أراد أنه يستأثر عليكم، فيفضل غيركم من الفيء، وفيه نظر، بل لعل المراد الاختيار والاستيثار والتفضيل ممن لايليق على بمن لايليق على من يليق .

وبالجملة فالاثرة : اما بمعنى الاستيثار والتفضيل، أو بمعنى الاستبداد والتفرد بالشيء والاستقلال بـه ، والمراد بها اما اثرة الحق ، أو مطلق الاثرة ، والاول أوفق بما بعده ، والثاني بما قبله .

وقوله «شحت» بتشديد الحاء المهملة، أي: بخلت ، والشح كما في الصحاح البخل مع حرص[(٣)]، وفي القاموس : الشح مثلثة البخل والحرص[(٤)].

وقولـه « سخت » بتخفيف الخاء المعجمة ، أي : جادت مـن السخاوة ، والمراد من القوم الاول الذي شحت نفوسهم على تلك الاثرة الذين منعوهم عن مقامهم الذي سأل عنـه السائل حيث قال :كيف دفعكم قومكم عن هـذا المقام وبخلوا بالاثرة .

ولعل السر في عدم استعمال الباء بعد قوله «شحت» أنها ليست لهـم حتى بخلوا بها ، بل أنهم اجتمعـوا عليها وشحت نفوسهم ، بأن يختارها اللائق بهـا والمستحق لها ، ولما رأى المستحق لها أن عليها الشاحين الباخلين الراغبين فيها

---

(١) سورة الحشر: ٩ .

(٢) سورة الاعلى: ١٦ .

(٣) صحاح اللغة ١ /٣٧٨ .

(٤) القاموس ١ /٢٣٠ .

المانعين عنه ، سخى عنه وتجاوز عن حقه فيها ولم يرغب اليها ، فالمراد بالقوم الذين سخوا عنها هو وأصحابه عليه السلام .

والمراد بالاثرة المذكورة، كما يدل عليه سؤال السائل وجوابه عليه السلام للخلافة والولاية والنيابة عن الرسول صلى الله عليه وآله .والمراد بمن شح عليها الذين أخذوها واستبدوا بها وتصدوا للخلافة ، وقامـوا بهذه المقام دونه عليه السلام ، وهذا أمر معلوم من هذا الكلام .

قوله « والحكم لله والمعود اليه يـوم القيامة » الحكم بالتحريك كما فـي الصحاح الحاكم وفي المثل في بيته يؤتى الحكم [1].

والمعود اليه الظاهر أن المعود أسم مفعول بقرينة كلمة الى ، فانه لا يعل وزن المفعول من الاجوف بقسميه على اعلاله القياسي من القلب بالالف ، كمخوف ومقول ومبيع ، ولا يقال : مخاف ومقال ومباع ، بل اعلال كل ذلك ، بل ينقل الفتحة في الواو والياء الى ماقبلهما، فحذفت الواو الثانية وهي واو المفعول لرفع التقاء الساكنين .

وقال في القاموس : والمريض معود ومعوود [2] انتهى . ويحتمل أن يكون مصدراً ميمياً كالميسور والمعسور والمجلود والمفتون بمعنى العسر واليسر والجلد، بمعنى الضر والفتنة ، كقوله تعالى « بايكم المفتون »[3] أي الفتنة ، وان كان على خلاف القياس ، لان القياس في الثلاثي المجرد أن يكون على وزن مفعل مطلقاً، الا أن ابن الحاجب قال :ماجاء على مفعول فقليل ، وخالف سيبويه فـي جميع ذلك وجعلها بمعنى اسم المفعول ، وجعل الباء في بأيكم زائدة .

(١) صحاح اللغة ١٩٠٢/٥ .

(٢) القاموس ٣١٨/١ .

(٣) سورة القلم : ٦ .

فيكون المعنى أن العود اليه يوم القيامة ،وعلى كل حال فليس العود هنا اسم زمان للزوم الاعلال فيه ، وان صح بحسب المعنى بالنسبة الى نفس اللفظ ،فان المعاد كما صرح به أهل اللغة المرجع والمصير والاخرة .

فما في الشرح الاول في تفسير هذا الكلام ،قال ثم قال عليه السلام : الحكم هو الله وان الوقت الذي يعود الناس كلهم اليه هو يوم القيامة . منظور فيه ، الا أن يكون المراد حاصل المعنى كما ستعرف ، بل الصحيح من معناه أن الله هو الحكم والحاكم الذي يرجع اليه يوم القيامة ، فيوم القيامة هو الظرف لهما أو للاخير .

ويحتمل أن يكون يوم القيامة خبراً للمعود اليه ، فيكون المعنى أن الذي يرجع اليه يوم القيامة ، وهو الذي ذكره الشارحان، فجعل المعود مبتدء،والخبر يوم القيامة .

ثم قال في الشرح الاول : وروي يوم بالنصب ، على أنه ظرف ، والعامل فيه المعود ، على أن يكون مصدراً[١] انتهى . وهو راجع الى الاحتمال الذي ذكرناه من كون المعود مصدراً ميمياً[٢] .

قوله :«ودع عنك نهباً صيح في حجراته »المصرع لامرء القيس بن حجر الكندي وكان من قصة هذا الشعر كما في الشرح الاول أن امرء القيس لما تنقل في احياء العرب بعد قتل أبيه ، نزل على رجل من جديلة طي ، يقال له : طريف بن ملاء، فأجاره وأكرمه وأحسن اليه فمدحه ، ثم أنه لم يوله نصيباً في الجبلين أجاء

(١) شرح نهج البلاغة ٢٤٣/٩ .

(٢) ثم ان في النسخة المعتبرة الموجودة عندي من نهج البلاغة القيامة بدون اليوم وهو الذي ذكره في الشرح الثاني وبنى شرحه عليه، ولكن الشرح الثاني بنى شرحه على يوم القيامة ولعله غلط «منه» .

وسلمى[1]، فخاف[2] أن لايكون له منعه .

فتحول فنزل على خالد بن سدوس بن أصمع النبهاني ، فأغارت بنوجديلة على امرء القيس وهو في جوار خالد فذهبوا بابله ، وكان الذي أغار عليه باعث بن حويص ، فلما أتى امرء القيس الخبر ذكر ذلك لجاره ، فقال لـه : اعطني رواحلك ألحق عليها القوم ، فأرد عليك ابلك ، ففعل فركب خالد في أثر القوم حتى أدركهم ، فقال : يابني جديلة أغرتم على ابل جاري ، فقالوا : ماهو بجار، قال : بلى والله وهـذه رواحله ، قالوا : كذلك ، قال : نعم فرجعوا اليه فأنزلوه عنهن ، وذهبوا بهن وبالابل ، وقيل: بل انطوى خالد على الابـل ، فذهب بها ، فقال امرء القيس :

دع عنك نهباً صيح في حجراته ولكن حديثاً ماحديث الرواحل[3]

النهب : الغنيمة. والحجرات جمع حجرة كجمرة وجمرات وهي الناحية .

قال في الصحاح : حجرة القوم ناحية دارهم ، وفـي المثل يربض حجره ويرتعي وسطاً ويقال للرجل اذا كثر ماله قد انتشرت حجرته[4].

والرواحل جمع راحلة ، وهي الناقة التي تصلح أن ترحل، أي: يشدالرحل على ظهرها .

وحديثاً ما كمافي الشرح الاول منصوب باضمار فعل، أي هلت حديثاً ، أو

---

(١) أجاء وسلمى جبلان شرقي المدينة «منه» .

(٢) لعل المراد أنه بعد أن يجعل له نصيباً في الجبلين ، فخاف أن لايكون له منع الغير عنه ممن الغير عليه ، أو يكون منعة بالتاء ، قال في الصحاح : فـلان في عز ومنعة بالتحريك وقد يسكن عن ابن السكيت ، ويقال المنعة جمع مانع مثل كافر وكفرة ، أي: هو في عز ومن يمنعه من عشيرته انتهى «منه» .

(٣) شرح نهج البلاغة ٩/٢٤٤ .

(٤) صحاح اللغة ٢/٦٢٣ .

حدثني حديثاً ، ويروى ولكن حديث، أي ولكن مرادي أوغرضي حديث فحذف المبتدأ ، و«ما» هنا يحتمل أن يكون ابهامية وهي التي اذ اقترنت باسم نكرة زادته ابهاماً وشياعاً ، كقولك أعطني كتاباً ماأي: أي كتاب كان . ويحتمل أن يكون صلة مؤكدة كالتي في قوله تعالى «فبما نقضهم ميثاقهم»[١].

فاما حديث الثاني ، فقد ينصب وقد يرفع، فمن نصب أبدله من حديث الاول ، ومن رفع جاز أن يجعل « ما » هو موصول بمعنى الذي ، وصلتها الجملة ، أي الذي هو حديث الرواحل ، ثم حذف صدر الجملة كما حذف في «تماماً على الذي أحسن» ويجوز أن يجعلها استفهامية بمعنى أي[٢].

وقال في الشرح الثاني : وحديث الثاني مبتدء والاول خبره وما للتنكير، ثم قال : والمعنى دع ذكر الابل فانه مفهوم، ولكن حديث الرواحل حديث ما ، أي حديث مبهم لا ندري كيف هو، وذلك أنه قيل : ان خالداً هو الذي ذهب بالرواحل، وكان عنده لبس في أمرها[٣].

أقول : ولعل بعض الابيات بعدها أن يكون وجه الابهام ما ذكره ، بل المقصود أن الحديث العجيب حديث الرواحل، ويحتمل أن يكون نصب الحديث الاول بلكن ، وان كانت مخففة .

وعلى كل حال فمراده عليه السلام من ذكر هذا البيت دع الامر السابق والنهب للخلافة من الخلفاء السابقين ، فانه مضى أمر لا فائدة فيه الان ، والحاكم فيه الله تعالى والمحكمة القيامة ، ولكن هلم الخطب في ابن أبي سفيان .

وقال ابن ميثم :ان وجه مطابقته البيت لماهو فيه أن السابقين من الائمة وان

---

(١) سورة النساء : ١٥٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٢٤٥/٩ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٢٩٤/٣ ـ ٢٩٥ .

كانوا قد استبدوا بهذا الأمر، فحديثهم مفهوم ، اذ لهم الاحتجاج بالمقدمة في الاسلام والهجرة ، وقرب المنزلة من الرسول، وكونهم من قريش، فدع ذكرهم وذكر نهبهم هذا المقام فيما سبق ، ولكن هات ما نحن فيه الان من خطب معاوية بن أبي سفيان[1] انتهى .

أقول : ان الظاهر أن وجه الدعة ليس ما ذكره من كون حديثهم مفهوماً ، بل لاجل أنه أمر مضى وعليه الحاكم ، ولا فائدة في تفصيل كلام فيه ، ومنشأ هذا البيان ما أشار اليه من أن الاجمال المدلول بكلمة ما خفاء أمر الرواحل لدى امرء القيس أن خالداً هو الذي ذهب بها أو الناهبين للابل .

ثم ان الظاهر أن الصحيح من النسخ ما اقتصر فيه على المصراع الاول ، كما أشار اليه ابن أبي الحديد ، لان قوله « هلم الخطب » هو قائم مقام المصرع الثاني .

قوله « وهلم الخطب في ابن أبي سفيان » هلم اسم فعل يستعمل لازماً ومتعدياً فاللازم بمعنى أقبل ويتعدى بالى ، قال الله تعالى «هلم الينا»[2] والمتعدي بمعنى أحضر ، قال تعالى «هلم شهدائكم»[3] وهو في الاصل كما نقل عن الخليل مركب من هاء التنبيه ولم ، من قولهم «لم الله شعثه» أي جمعه ، وها للتنبيه سقط الالف منها لكثرة الاستعمال ، فكأنه أراد لم نفسك الينا في اللازم، وأجمع غيرك في المتعدي فلما غير معناه عند التركيب ، لانه صار بمعنى أقبل أو أحضر، بعد ما كان بمعنى أجمع ، صار كسائر أسماء الافعال المنقول عن أصولها .

فلما يتصرف فيه أهل الحجاز ، مع أن أصله التصرف، ولم يقولوا فيه الممّ،

(١) شرح نهج البلاغة ٣/٢٩٥ .

(٢) سورة الاحزاب : ١٨ .

(٣) سورة الانعام : ١٥٠ .

كماهو القياس عندهم في أردد وأمدد ، ولم يقولوا هلم وهلم ، كمايجوز ذلك في مد كل ذلك لثقل التركيب ، قال الله تعالى « هلم شهدائكم » ولم يقولوا هلموا .

وقال الكوفيون : أصله هلام ، وهلا كلمة استعجال ، فغير الى هل لتخفيف التركيب ، ونقل ضمة الهمزة الى اللام وحذفت ، كماهوالقياس في نحو قد أفلح الا أنه ألزم هذا التخفيف هاهنا لثقل التركيب .

وعن الزمخشري أن هل يجيء ساكن اللام بمعنى أسرع ، ضمن أم عند الكوفيين معنى أسرع أو أقتل ، فيتعدى بالى في اللازم ، فقيل هلم الى ، وأما في المتعدي نحو هلم زيداً فهو باق على معناه ، أي أسرع أقصد زيداً فأحضره ، وبنو تميم يعرفونه نظراً الى أصله وليست بالفصيحة نحوهلما هلموا هلمي هلممن .

وفي الشرح الاول يستوي فيها الواحد والاثنان والجمع، والمؤنث والمذكر في لغة أهل الحجاز ، كما قال سبحانه « والقائلين لاخوانهم هلم الينا »[1] وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين هلما وللجمع هلموا وعلى هذا ، وقد يوصل اذا كان لازماً باللام فيقال : هلم لك وهلم لكما ، واذا قيل لك هلم الينا ، أي: تعال اليه قلت : لا أهلم بفتح الالف والهاء وضم الميم .

فأما المتعدية فهي بمعنى هات ، تقول:هلم كذا ،قال تعالى «هلموا شهدائكم» وتقول لمن قال لك ذلك : لا أهلمه أي لا أعطيكه يأتي بالهاء ضمير المفعول ليتميز من الاولى[2] .

وعلى كل حال فهلم في هذا المقام متعد أي أحضر الخطب، والخطب كمافي

(١) سورة الاحزاب : ١٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٩/ ٢٤٦ .

القاموس : الشأن والامر صغر أو عظم[١] . لكن في الشرحين الخطب الحادث الجليل ، أي هات ذكر الخطب ، فحذف المضاف ، والحادث الجليل الاحوال التي أدت الى أن صار معاوية منازعاً له الرئاسة ، قائماً عند كثير من الناس سقاية، صالحاً لان يصح في مقابلته وان يكون نداً له.

أقول : ولانحتاج الى ذلك بل لعل المراد هات الشأن والكلام والسؤال الذي سألته عن حال السابقين في ابن أبي سفيان .

قوله « لقد أضحكني الدهر بعد ابكائه » .

قال في الشرح الاول : يشير الى ماكان عنده من الكآبة لتقدم من سلف عليه فلم يقنع الدهر له بذلك، حتى جعل معاوية نظيراً له ، فضحك مما تحكم به الاوقات ، ويقتضيه تصرف الدهر وتقلبه ، وذلك ضحك تعجب واعتبار[٢].

قوله « ولا غرو والله » أي : غرابة في هذا الامر ولا عجب فيه .

قال في القاموس : لا غرو ولا غروى لاعجب[٣] ونفي هذا التعجب اما من صروف الدهر وتقلباته ، وعدم اعتباره بالمرة ، ويقرب هذا الوجه قوله « فلقد أضحكني الدهر بعد ابكائه » واتصال هذا الكلام به، أي : لا غرو في صنيعة الدهر مما فعل حتى أضحكني بعد الابكاء .

فقوله « فياله خطبا » الى آخره لاينافيه ، لانه بالنظر الى هذا الخطب نفسه ففي المقام ملاحظتان : ملاحظة الى شغل الدهر، وملاحظة الى نفس العمل فلا عجب بالنسبة الى الاولى ، وتمام العجب بالنظر الى الثانية ، وأما من جهة كون الامر ممايحل عن التعجب كما ذكره الشارحان ، حتى قال أولهما : ان قوله

---

(١) القاموس ١/٦٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٩/٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

(٣) القاموس ٤/٣٦٩ .

«فياله خطباً يستفرغ العجب تفسير لقوله لا غرو » والاول هو الاقرب .

قوله « فياله خطبا يستفرغ العجب ويكثـر الاود » يا حرف نداء واللام في «له» للاستغاثة ، والمنادى الضمير في له ، فان اللام تدخل المنادى اذا استغثت به نحو يالله ، أو تعجبـت منه نحو ياللماء أدخلت هذا اللام علامة للاستغاثـة والتعجب .

قال الرضي في باب المنادى: وانما اختيرت اللام من بين الحروف لمناسبة معناها لمعناهما، اذ المستغاث مخصوص من بين أمثاله بالدعاء، وكذا المتعجب منه مخصوص من بين أمثاله بالاستحضار لغرابته، فاللام معدية لادعو المقدر عند سيبويه ، أولحرف النداء القائم مقامه عند المبرد الى المفعول ، وجاز ذلك مع أن ادعوا متعد بنفسه لضعفه بالاضمار، أو لضعف النائب منابه، أي حرف النداء بناء على مذهب المبرد لمافيه من الابهام ألاترى أنك تقول ضربي لزيد حسن ، وأنا ضارب لزيد ، ولايجوز ضربت لزيد .

قوله « خطيباً » منصوب على التميز للضمير، لمافيه من الابهام ، قال الرضي في باب التمييز: وقد يكون الاسم في نفسه تاماً لالشيء [1] آخر ، أعني لايجوز لضافته فينصب عنها التميز، وذلك في شيئين: أحدهما الضمير وهو الاكثر، وذلك في الاغلب فيمافيه معنى المبالغة والتفخيم ،كمواضع التعجب نحو ياله رجلا ، ويالها قصة ، ويالك ليلا،وويلها خطة ، وماأحسنها مقلة ، ولله دره رجلا جائني ، وويحه رجلا لقيته، وكذا ويله .

وقال :كذا نعم رجلا، وبئس عبداً وساء مثلا، ومن هذا الباب أي الذي فيه التفخيم ربه رجلا ، اذ هو جواب في التقدير لمن قال مالقيت رجلا ، فكأنه قيل

---

(١) قوله « لاشيء آخر » أي: لاكل مايوجب بمافيه الاسم من التنويع والاضافـة ونحوهما «منه» .

لقيت وأي رجل ردا عليه ، ولاريب أن التميز في نعم ومابعده عن المفرد وهو الضمير ، وأما في ماقبله أعني من ويله الى ياله فينظر .

فان كان الضمير فيها مبهماً لايعرف المقصود منه فالتميز عن المفرد أيضاً ، كقوله عليه‌السلام في نهج البلاغة « ياله مراماً ماأبعده» وان عرف المقصود من الضمير برجوعه الى سابق معين ، كقولك جائني زيد فياله رجلا، وويلمه فارساً، وياويحه رجلا، ولقيت زيداً فلله دره رجلا ، أوبالخطاب لشخص معين نحو، قلت ازيد يالك من شجاع، ولله درك من رجل ونحو ذلك، فليس التميز عن المفرد ، لانه لاابهام اذن في الضمير ، بل عن النسبة الحاصلة بالاضافة ، كمااذا كان المضاف اليه فيها ظاهراً ، نحويالزيد رجلا، وكقول الشاعر :

ويلم أيام الشباب معيشه مع   الكثر يعطاه الفتى المتلف الندى

ولله در زيد رجلا، ومثله قولهم قال الله عزوجل من قائل التميز في جمع هذا ظاهره ومضمره ، كمافي قولهم كفى زيد رجلا، وحسبك به ناصراً، وحسبك بزيد شجاعاً ، أعني أن التميز عن النسبة والتميز نفس المنسوب اليه لامتعلقه ، فمعنى لله در زيد رجلا، لله در رجل هو زيد، وويلم أيام الشباب معيشة، أي ويلم معيشة هي أيام الشباب ، كماأن معنى كفى زيد رجلا كفى رجلا هو وزيد، وأما قولهم طاب زيد علماً وداراً، فالتميز فيه متعلق المنسوب اليه لا نفسه، لان المعنى طاب علم زيد ودار زيد انتهى كلامه ونقلت بتمامه لمافيه من الفائدة .

قوله«يستفرغ العجب» أي: يستغرقه ويستوعبه، أويستنفده ويفنيه ، ويدل على الاول وهوالاظهر ماقاله في الصحاح: تفرغت لكذا واستفرغت مجهودي في كذا أي: بذلته وتفريغ الظروف اخلاؤها، فرغته تفريغاً: أي صببته [1] .

وفي القاموس: المستفرغة من الابل الغزيرة، والخيل لاتدخر من حضرها

(١) صحاح اللغة ٤/١٣٢٤ .

شيئاً، واستفرغ مجهوده بذل طاقته (١) .

وعلى الثاني ماقاله الشارحان ، ونكتفي بنقل ماقال في الشرح الاول قال : ياله خطباً يستفرغ التعجب أي، يستنفده ويفنيه، يقول: قد صار العجب لا عجب لان هذا الخطب استغرق التعجب، فلم يبق منه مايطلق عليه لفظ التعجب وهذا من باب الاغراق والمبالغة في المبالغة كماقال ابن هاني المغربي :

قد سرت في الميدان يوم طرادهم فعجبت حتى كدت أن لا أعجبا

والاود محركة العوج، كمافي الشرح الاول (٢) .

أقول: ويمكن بسكون الواو، قال في القاموس: وأده الامر أوداً وأودا بلغ منه المجهود والماود الدواهي (٣) .

قوله «حاول القوم اطفاء نور الله من مصباحه، وسد فواره من ينبوعه» فوار الينبوع كمافي الشرح الاول ثقب البئر .

أقول: الينبوع كمافي الصحاح والقاموس : العين (٤) .

وفي القاموس فـار فوراً وفؤوراً بالضم وفورانـاً محركة جاش ، والعرق فوراناً هاج ونبع وضرب، الى أن قال: والفوارة منبع الماء، وبالضم والتخفيف مايفور من حر القدر (٥) .

وفي المصباح المنير: فار الماء يفور فوراً نبع وجرى ، وفارت القدر فوراً

---

(١) القاموس ٣/١١١ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٩/٢٤٧ .

(٣) القاموس ١/٢٧٤ .

(٤) الصحاح ٣/١٢٨٧ .

(٥) القاموس ٢/١١٢ .

وفوراناً غلت[١] انتهى .

فالفوار اما بتشديد الواو بعد الفاء المفتوحة أي يجرى الماء من ينبوعه ، أو بتخفيفها بعد الفاء المضمومة ، أي هيجانــه وجيشه، من قوله جاش البحر والقدر وغيرهما يجيش جيشاً غلا، والعين فاضت ، وعلى كـل حال فالضمير الى النور استعارة له في الماء ماء العلم والارشاد .

قولــه « وجدحوا بيني وبينهم شرباً وبيـاً » الجدح الخاط والممزج ، قال الازهري : جدح السويق فـي اللبن ونحوه اذا خاضه بالمجدح حتـى يختلط ، والمجدح خشبة في رأسها خشبتان معترضتان .

وفي القاموس : المجدح مايجدح به السويق ، الى أن قال : وجدح السويق كمنع لته، وجدحه تجديحاً لطخه ، وشراب مجدح مخوض[٢] .

أي : مختلط بغيره ، والشرب بالكسر الماء كما في القاموس .

قال في الشرح الاول : جـدحوا بيني وبينهم شرباً ، أي خلطـوه ومزجوه وأفسدوه ، والوبي ذو الوباء والمرض ، قال: وهذا استعارة كأنه جعل الحال التي كانت بينه وبينهم قد أفسدها القوم، وجعلوها مظنة الوباء والسقم ، كالشرب الذي يخلط بالسم أو بالصبر ، فيفسد ويوبىء[٣] .

ونحوه الشرح الثاني ، قال في وجه استعارة الجزء الثاني من هذا الكلام : ووجه الاستعارتين ظاهر ، يريـد أنهم حاولوا ازالة هذا الامر عن مستقره ومعدنه الاحق به ، وهو بيت الرسول ﷺ ، ثم استعار لفظ الشرب الوبي لذلك الامر، ولفظ الجدح للمكدر الواقع بينهم والمجاذبة لهذا الامر ، واستعار لفظ الوبي له

---

(١) المصباح المنير ص٤٨٢ .

(٢) القاموس ٢١٧/١ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٢٤٧/٩ .

باعتبار كونه سبباً للهلاك والقتل بينهم[١].

أقول : ويحتمل أن يكون الوبي بمعنى القليل من الماء ، أو المنقطع من الاصل .

قال في القاموس : والموبى القليل من الماء والمنقطع منه ، ووبأت ناقتي اليه حنت[٢] انتهى . والاول أقوى بحسب اللغة .

قال في الصحاح : الوبا يمد ويقصر مرض عام ، وقد وبئت الارض توباً وبأ فهي موبوئة اذا اكثر مرضها الى أن قال : فهي وبئة ووبيئة على فعلة وفعيلة[٣] فان الاول لم يذكره حسبما وجدته الاصاحب القاموس ، وان كان أنسب بحسب المعنى .

ولابأس بذكر ماذكره الشارح الاول في هذا المقام قال : وسألت أبا جعفر يحيى بن محمد العلوي نقيب البصرة وقت قرائتي عليه من هذا الكلام ، وكان رحمه الله على مايذهب عليه من مذاهب العلوية منصفاً وافر العقل ، فقلت له :من يعني عليه السلام بقوله « كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين » ومن القوم الذين عناهم الاسدي بقوله« كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به » هل المراد يوم السقيفة أو يوم الشورى .

فقال : يوم السقيفة ، فقلت: ان نفسي لا تسامحني أن أنسب الى الصحابة عصيان الرسول صلى الله عليه وآله ودفع النص، فقال: وأنا ولاتسامحني أيضاً نفسي أن أنسب

(١) شرح نهج البلاغة ٢٩٦/٣ .

(٢) القاموس ٣١/١ .

(٣) الصحاح ٧٩/١ .

الرسول ﷺ الى اهمال أمر الامامة ، وأن يترك الناس فوضى[١] سدى مهملين ، وقدكان لايغيب عن المدينة الا ويؤمر عليها أميراً وهوحي ليس بالبعيدعنها، فكيف لا يؤمر وهوميت لا يقدرعلى استدراك مايحدث .

ثم قال : ليس يشك أحد من الناس أن رسول الله ﷺ كان عاقلا كامل العقل ، أما المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم، وأما اليهود والنصارى والفلاسفة ، فيزعمون أنه حكيم تام الحكمة ، سديد الرأي، أقام ملة، وشرع شريعة ، واستجد ملكاً عظيماً بعقله وتدبيره ، وهذا الرجل العاقل الكامل يعرف طباع العرب وغرائزهم وطلبهم بالثارات والذحول[٢]، ولو بعد الازمان المتطاولة .

ويقتل الرجل من القبيلة رجلا من بيت آخر، فلايزال أهـل ذلك المقتول وأقاربه يتطلبون القاتل ليقتلوه ،ثم يدركوا ثأرهم منه، فان لم يظفروا به قتلوا بعض أقاربه وأهله ، فان لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحداً أوجماعة من تلك القبيلة به ، وان لم يكونوا رهطه الادنين ، والاسلام لم يحل طبائعهم ، ولا غير هـذه السجية المركوزة في أخلاقهم والغرائز بحالها، فكيف يتوهم لبيب أن العاقل الكامل وتر[٣] العرب،وعلى الخصوص قريشاً ، وساعده على سفك الدماء وازهاق الانفس وتقلد الضغائن ابن عمه الادنى وصهره ، وهو يعلم أنه سيموت كما يموت الناس، ويتركه بعده وعنده ابنته ، وله منها ابنان يجريان عنده مجرى ابنين من ظهره حنواً عليهما ومحبة لهما ، ويعدل عنه في الامر بعده ولا ينص عليه ولا يستخلفه ، فيحقن دمه ودم

---

(١) قوله «فوضى» قال فى المصباح المنير: وقوم فوضى اذا كانوا متساوين لا رئيس لهم «منه» .

(٢) الذحول بالذال المعجمة فالحاء المهملة الثار أو طلب مكافاة بجناية جنيت عليك ، أو عداوة أتيت اليك ، جمع اذحال وذحول «منه» .

(٣) أي : انفرد من العرب أو دخلهم بالمعنى المذكور «منه» .

بنيه وأهله باستخلافه .

ألا يعلم هذا العاقل الكامل أنه اذا تركه وترك نبيه وأهله سوقة[١] ورعية، فقد عرض دمائهم للاراقة بعده ، بل يكون هو الذي قتلهم وأشاط[٢] بدمائهم ، لانهم لا يعتصمون بعده بأمر يحميهم ، وانما يكونون مضغة للاكل ، وفريسة للمفترس ، يتخطفهم الناس،وتبلغ فيهم الاغراض، فاما اذا جعل السلطان فيهم والامر اليهم، فانه يكون قدعصمهم وحقن دمآئهم بالرئاسة التي يصولون بها ، ويرتدع الناس عنهم لاجلها ، ومثل هذا معلوم بالتجربة .

ألا ترى أن ملك بغداد أوغيرها من البلاد لوقتل من البلاد ووترهم، وأبقى في نفوسهم الاحقاد العظيمة عليه ، ثم أهمل أمر ولده وذريته من بعده ، وفسح للناس أن يقيموا ملكاً من عرضهم ، وواحداً منهم،وجعل بنيه سوقة كبعض العامة لكان بنوه بعده قليلا بقاؤهم ،سريعاً هلاكهم ، ولوثب عليهم أناس ذووا الاحقاد والترات من كل جهة يقتلوهم ، ويشردوهم كل مشرد ، ولو أنه عين ولداً من أولاده للملك وقام خواصه وخدمه وخوله بأمره بعده ، لحقنت دماء أهل بيته ، ولم تطل يد أحد من الناس اليهم لناموس الملك وأبهة السلطان،وقوة الرئاسة، وحرمة الامارة .

أفترى ذهب عن رسول الله ﷺ هذا المعنى ، أم أحب أن يستأصل أهله وذريته من بعده ، وأين موضع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده ، الحبيبة الى قلبه،

---

(١) السوقة بالضم الرعية للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وقديجمع سوقا كصرد ، أي : يتركهم في سوقته ورعيته ، ويحتمل سوقه ورعيته ،كمافي النسخة المعتبرة ، اى : تركهم ترك سوقة ورعية «منه» .

(٢) في القاموس : أشاط دمه وبدمه أذهبه أوعمل في هلاكه أوعرضه للقتل ، ودم الجزور سفكه «منه» .

أتقول أن يجعلها كواحدة من فقرآء المدينة ، تتكفف الناس ، وأن يجعل علياً المكرم المعظم عنده الذي كانت حاله معلومة كأبي هريرة الدوسي ، وأنس بن مالك الانصاري .

يحكم الامرآء في دمه وعرضه ونفسه وولده فلا يستطيع الامتناع ، وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول تتلظى أكباد أصحابها عليه، ويودون أن يشربوا دمه بأفواههم ، ويأكلوا لحمه بأسنانهم ، قد قتل أبنائهم واخوانهم وآبائهم وأعمامهم والعهد لم يطل ، والقروح لم تتقرف ، والجروح لم تندمل .

فقلت له : لقد أحسنت فيما قلت : الا أن لفظه عليه السلام يدل على أنه لم يكن نص عليه ، ألا تراه يقول : ونحن الاعلون نسباً ، والاشدون بالرسول صلى الله عليه وآله نوطاً ، فجعل الاحتجاج بالنسب وشدة القرب ، فلو كان عليه نص لقال عوض ذلك : وأنا المنصوص علي المخطوب باسمي .

فقال (ره) : انه انما أتاه من حيث يعلم، لا من حيث يجهل، ألا ترى أنه سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به، فهو انما سأل عن دفعهم عنه حين دفعهم عنه وهم به أحق به من جهة اللحمة والعترة ،ولم يكن الاسدي يتصور النص ولا يعتقده ، ولا يخطر بباله ، لانه لو كان هذا في نفسه لقال له : لم دفعك الناس عن هذا المقام ، وقد نص عليك رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولم يقل له هذا ، وانما قال كلاماً عاماً لبني هاشم كافة كيف دفعكم قومكم من هذا المقام وأنتم أحق به ، أي : باعتبار الهاشمية والقربى .

فأجابه بجواب فأعاد فيه المعنى الذي تعلق به الاسدي بعينه تمهيداً للجواب، فقال : انما فعلوا ذلك مع أنا أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله من غيرنا، لانهم استأثروا علينا ، ولو قال له : أنا المنصوص علي ، والمخطوب باسمي في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما كان قد أجابه ، لانه ما سأله هل أنت منصوص عليك أم

لا ؟ وهل نص رسول الله ﷺ بالخلافة على أحد أم لا؟ وانما قال له : لم دفعكم قومكم عن الامر وأنتم أقرب الى ينبوعه ومعدنه ، فأجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلائمه أيضاً .

فلو أخذ يصرح له بالنص، ويعرفه تفاصيل باطن الامر لنفرعنه ، ولم يقبل قوله ، ولم ينجذب الى تصديقه، وكان أولى الامور في حكم السياسة وتدبير الناس أنْ يجيب بما لا نفرة ولا مطعن عليه فيه[1] انتهى كلامه.

أقول : أما كون هذا الكلام اشارة الى ماصنعوا في السقيفة ، فقد قاله شيخه، وغاية ما لم يسامح به نفسه عصيان الصحابة ، لكن ما يصنع بصراحة الكلام في الشكوى منهم .

وأيضاً قد أذعن أيضاً بما لم يسلمح به نفس شيخه، حيث قال: لقد أحسنت فيما قلت وما أورد على شيخه بقوله الا أن لفظه يدل على أنه لم يكن نص عليه ، قد أجيب بما أجاب به وسكت عنه .

هذا مع أن كلامه عليه السلام في قوله « ونحن الاعلون نسباً والاشدون نوطاً » ليس في مقام اثبات خلافته بالقرب والنسب ، بل وليس السؤال عنه ، بل السؤال عن كيفية الدفع ، وحصول الاندفاع ، فأجابه بأن ذلك من الشح والبخل ، وحرص الدافعين ، وسخاوة المتدفعين ، لا لاهلية في الاولين ، والله العالم .

[اشتراط العصمة في الامام]

ومنها : أن يكون معصوماً ، وتحقيق الحال فيه في ضمن مقامات :

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ /٢٤٨ - ٢٥١ .

الاول

(في معنى العصمة)

قال في الصحاح : العصمة المنع يقال عصمه الطعام ، أي: منعه من الجوع وقال أيضاً : العصمة الحفظ يقال عصمته فانعصم، واعتصمت بالله اذا امتنعت بلطفه من المعصية[١].

وقال في المصباح المنير: عصمه الله من المكروه يعصمه من باب ضرب حفظه ووقاه واعتصمت بالله امتنعت به ، والاسم العصمة[٢].

وقال في القاموس : عصم يعصم اكتسب ومنع ووقى واليه اعتصم بـه الى أن قال والعصمة بالكسر المنع والقلادة وتضم ،ثم قال: واعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية ، الى أن قال : وقد عصم كفرح، والاسم العصمة بالضم[٣] انتهى .

أقول : عصم يعصم من باب ضرب مستعمل متعدياً ،كما ظهر من هذه الكلمات ويتعدى بالآخر بمن قال الله تعالى «والله يعصمك من الناس»[٤] وهذا: اما بمعنى الوقاية والحفظ ، فان الحفظ من معناها كما عرفت من هذه الكلمات ، أو بمعنى المنع .

وقوله «لا عاصم اليوم من أمر الله»[٥] أي : لا مانع .

---

(١) صحاح اللغة ١٩٨٦/٥ .

(٢) المصباح المنير ص٤١٤ .

(٣) القاموس ١٥١/٤ .

(٤) سورة المائدة : ٦٧ .

(٥) سورة هود : ٤٣ .

وفي الصحاح : يجوز أن يراد لامعصوم ، أي : لا ذا عصمة، فيكون بمعنى مفعول .

ثم أقول : وقد يستعمل العصمة اسماً يرادمنه الذي يعتصم به ، ومنه قول أبي طالب صلوات الله عليه في ابن أخيه :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

ومنه ماورد في بعض الادعية :

اللهم أصلح لي ديني ، فانه عصمة أمري .

وفي الحديث أربع من كن فيه كان في نور الله الاعظم ، وعدمنها مـن كان عصمة أمره شهادة أن لا اله الاالله ، وأني رسول‌الله[١]. أي: مايعصم من المهالك يوم القيامة .

وقد يستعمل اسماً ويراد منه الاثر الحاصل من المنع والحفظ، وهو الامتناع والاحتفاظ ، حيث أن باب الافتعال للمطاوعة والقبول ، وهـو الظاهر من كلمات السابقة ، من أهل اللغة ، حيث قالوا : واعتصمت بالله أي امتنعت من المعصية ، فالعصمة يستعمل مصدراً واسم مصدر على المعنيين .

والذي ظهر مماتقدم أن الاسم بالضم ، فالعصمة التي تكون مـن أوصاف الامام الاسم من الاعتصام ،كماظهر لك ممامر، ويدل عليه بعض الاخبار.

الثانى

(فى معنى المعصوم)

وهو في أصل اللغة بمعنى الممنوع ، ولكن الذي ظهر ممامر من اللغة بمعنى

(١) الخصال ص٢٢٢ .

المعتصم بالله من المعصية ، وقد يدل على ذلك ما رواه الصدوق في معاني الاخبار ، باسناده عن عباس بن يزيد بن الحسن الكحال ، عن أبيه ، عن موسى ابن جعفر، عن أبيه عن جده عن علي بن الحسين عليهما السلام ، قال : الامام منا لايكون الا معصوماً ، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ، فلذلك لا يكون الا منصوصاً .

فقيل له : يا بن رسول الله فمامعنى المعصوم ، فقال: هو المعتصم بحبل الله ، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان الى يوم القيامة ، والامام يهدي الى القرآن ، والقرآن يهدي الى الامام ، وذلك قول الله عزوجل « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم »[1].

وماروواه فيه أيضاً باسناده عن الحسين الاشقر، قال قلت لهشام بن الحكم : مامعنى قولكم ان الامام لايكون الامعصوماً ، قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن ذلك فقال: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله ، وقال الله تبارك وتعالى «ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم»[2].

فالمعصوم هو المعتصم بالله من جميع محارم الله ، كمادل عليه كلام اللغويين والاخبار، ولعله حاصل معنى أصل اللغة.

الثالث

فى الخلاف فى اعتبار العصمة فى الامام والادلة التى تمسك بها الطرفان

فالامامية والاسماعيلية على اشتراط الامامة بها ، وانه لابد من أن يكون الامام

(١) معانى الاخبار ص١٣٢ ، ح١ .

(٢) معانى الاخبار ص١٣٢ ، ح٢ .

معصوماً ، والاشاعرة والمعتزلة والزيدية والخوارج على عدمه، وانه لا يجب أن يكون الامام معصوماً ، ويمكن الاستدلال للاولين بأمور:

الاول : أنه لولم يكن الامام معصوماً، للزم الدور أوالتسلسل، واللازم باطل والملزوم مثله .

بيان الملازمة : أن الذي أحوج الخلق الى الامام : اماجواز الخطاء عليهم في الاحكام الشرعية ،كما قاله الامامية ، أو لتعليم المعارف الالهية ،كما قاله الاسماعيلية والملاحدة . فانكان الاول ، فلوجاز الخطاء على الامام، لاحتاج الى امام وهكذا فيتسلسل ، أو الى الامام الاول فيدور وان كان الثاني فلم يفد تعليمه اليقين .

وأجابه أصحاب القول الثاني بأن المحوج الى الامام غير ذلك كله ، بل اقامة السنن وسياسة المدن ، وان في نصبه استجلاب المنافع ودفع المضار الكثيرة .

أقول : وفي الدليل وجوابه نظر، أما الدليل فلان عمدة الدليل عند الامامية في وجوب وجود الامام دليل اللطف ، وهو يقتضي وجوبه على الله تعالى ، فليس المحوج الا التقريب الى الطاعة ، والتبعيد عن المعصية ، لاجواز الخطاء ولا التعليم .

فان قرر الدليل بوجه آخركان أقرب الى الطريقة : بأنه لوجاز الخطاء على الامام لجاز عدم اللطف، والتالي باطل لماتقدم .

ثم انا لوسلمنا أن المحوج له خصوص الخطاء عن الامة ، لكن المحتاج حينئذ اما تمام الامة ، أو الامام كماهوصريح كلماتهم ، فانكان الاول فلم يلزم التسلسل ، بل المناسب أن يقرر الاستدلال حينئذ بهذا الوجه ، وهو أنه ان لم يكن الامام معصوماً ، للزم عدم لزوم وجود الامام ، والتالي باطل لكل ماقرروه في

وجوب ذلك .

بيان الملازمة : أن الحاجة المحوجة غير مرتفعة حينئذ فلم يجب وجوده ، وان كان الثاني يمكن رفع الدور والتسلسل بان المحوج ليس الجواز بل الوجود فان الجواز لايوجب تحقق الحاجة المقتضية الى الدور أو التسلسل ، فان تجويز الخطاء مع اعتقاده عدمه لا يحوجه الى الاخر ، وأيضاً الاحكام كثيرة تختلف الناس بالعلم والجهل ، فيمكن الحاجة في المجهول الى العالم به فقط ، فلا يلزمه اللازمان .

وأيضاً ما المراد من الخطاء ؟ فان كان الخطاء بمعنى الذنب الذي هو ضد العصمة ، والذي لابد أن يكون هو المراد هنا حتى يتم به الاستدلال، فليس هذا هو المحوج الى الامام، فان الامام لايرفع عن الامة هذا الخطاء . وان كان الخطاء الذي هو ضد الصواب ، فلا يثبت بهذا الدليل العصمة، فتدبر .

وأما الجواب ، فلان الامام لو لم يكن معصوماً، وجاز في حقه العصيان، لم يتحصل المقصود بل لفسدت الارض ومن عليها، حيث أنه يجوز وقد يكون في نصبه مظنة المضار لادفع الفساد ، وقد لايقيم الحدود أو يقيمها في غير موقعها ولم يقم بالسنن ولم يسس ، أو يقيمها ويسوس في غير محلها مع أن مثل هذا الدليل يأتي في هذا المحوج أيضاً بأنه لو لم يكن معصوماً لاحتاج الى آخر في تحصيل الحاجة المذكورة وهكذا فيتسلسل أو الثاني الى الاول فيدور.

الثاني : أن التكليف باق الى يوم القيامة ، والشريعة باقية ، فلابد في ذلك من حافظ يحفظها عن التغيير والتبديل ، وذلك لايكون الا معصوماً ، اذ لو جاز خطاؤه لم يكن حافظاً[1].

---

(١) قرره ملاعلي القوشجي بأن الامام حافظ للشريعة، فلو جاز الخطأ لم يكن حافظاً قال : واليه أشار بقوله «ولانه حافظ للشرع» انتهى مريداً في الضمير خواجه صاحب التجريد «منه» .

وقد قرر الامام في أربعينه هذا الدليل على هذا الوجه، قال: وهذه الشبهة كانوا يرتبونها على وجوه سخيفة ، ونحن رتبناها لهم على هذا الوجه ، قال : الشبهة الثانية في وجوب العصمة أنه ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أن الشريعة التي جاء بها ، فانها أوجبها على جميع المكلفين الى قيام القيامة ، ولما أوجبها على جميع المكلفين وجب وصولها الى جميع المكلفين ، والا لكان ذلك تكليف مالا يطاق .

اذا ثبت هذا ، فنقول: هذه الشرائع لا بد لها من حافظ يحفظها من التغيير ، ومن ناقل ينقلها الينا ، وذلك الناقل لابد وأن يكون واجب العصمة ، اذ لو لم يكن كذلك لم يكن نقله مفيداً للعلم ، وذلك الناقل الذي هو واجب العصمة : اما أن يكون مجموع الامة ، أو بعض آحاد الامة ، والاول باطل ، لان وجوب عصمة كل الامة غير ثابت بالعقل ، لانا نرى النصارى على كثرتهم مجتمعين على الاباطيل .

فاذن وجوب عصمة مجموع الامة لايعرف الا بالدلائل السمعية ، وكل دليل نقلي فانه لايبعد تطرق النسخ والتخصيص اليه، فاذن كل دليل يدل على أن الاجماع حجة ، فانه لايتم كونه دليلا الا اذا عرفنا أنه لم يوجد له ناسخ ولا مخصص، وانما يحصل لنا العلم بهذا العدم أن لو عرفنا أنه لو حصل الناسخ أو هذا المخصص لوجب أن يصل الينا .

وانما يعرف أنه لو كان لوصل الينا لو علمنا أنه لايجوز على الامة أن يخلوا بنقل بعض الشرائع ، وانما يعرف أنه لايجوز فيهم هذا الاخلال اذا عرفنا كونهم موصوفين بوجوب العصمة ، فثبت أن العلم بأنه لم يحصل الاخلال بنقل الشريعة متى استفدناه من الاجماع ، لزم الدور، والدور باطل، فكان هذا القسم باطلا، واذا بطل هذا القسم ثبت أن المتكفل بنقل الشريعة وحفظها عن التغيير والتبديل أشخاص معينون موصوفون بوجوب العصمة ، وذلك هو المطلوب .

لا يقال : لم لايجوز أن يقول الشريعة تبقى محفوظة بنقل أهل التواتر.

لانا نقول : نقل أهل التواتر يدل على أن مانقلوه صحيح ، لكن لايدل على أن الذي لم ينقلوه لم يوجد وأين أحد البابين من البابين من الاخر انتهى .

أقول : ولعل هذا التقرير خلط بين الدليلين ، فان حفظ الامام الشريعة عن الاختلال مرحلة ، ونقل الامام الاحكام الشرعية مرحلة أخرى ، كما سيظهر لك من شرح المواقف .

وأجاب بعض منهم كشارح المواقف والتجريد بأنه ليس حافظاً لها بذاته ، بل بالكتاب والسنة، واجماع الامة ،والاجتهاد الصحيح ، وان أخطأ في اجتهاده، فالمجتهدون يردون ، والامرون بالمعروف يصدون، وان لم يفعلوا أيضاً فلانقص للشريعة القويمة .

وأجاب امامهم المقدم كلامه أن الشريعة انما تبقى محفوظة بنقل النالقل المعصوم، لوكان الناقل المعصوم بحيث يرى، ويمكن الوصول اليه ، والرجوع الى قوله فاذا لم يكن كذلك لم تصر الشريعة محفوظة بنقله ، ثم قال : فسقطت هذه الشبهة انتهى .

أقول: هذا الاستدلال بالتقرير الذي ذكره الامام للمذكور لايخلو عن خلط، فان أصل هذا الدليل الحفظ لا النقل ، حتى يعتبر في المخبر الناقل العصمة كي يفيد القطع خبره .

وماذكره يشابه ماذكره العضدى ناسباً الى الملاحدة والاسماعيلية في ضمن الاستدلال الاول ماذكره العضدى في المواقف من تقرير الاستدلال الاول ، بأن الحاجة الى الامام: اما للتعليم ولوجاز جهله لم يفد اليقين ، واما لجواز الخطاء على غيره في الاحكام ، فلوجاز الخطاء عليه أيضاً لم يحصل الغرض .

ويمكن الايراد على الجواب المذكور ، أما على التقرير الاول بأن الحفظ

بكل ذلك أيضاً كذلك لابدله من العصمة ، مع أنه لو لم يكن معصوماً لم يكن حافظاً بها أيضاً ، بل ينشرها وينثرها .

ثم ان مع الخطاء في الاجتهاد كيف يكون المجتهدين الذين شأنهم الاخذ من الامام رده ، وللامرين بالمعروف أن يمنعوه ، وقد يؤل المنع الى الرجى ، وكل ذلك ينافي منصب الامامة .

ويمكن الجواب عنه على طريقتهم بعدم كونه حافظاً للشرع، بل هو سائس في الرعية ، حافظ لهم مجر للحدود ساد الثغور ونحو ذلك ، فرجع الكلام الى خلاف في أمر آخر ، من أن الامام لماذا يجب في الرعية ، بل الحافظ للشرع المجتهدون، بل لم يحتج الشريعة الى حافظ انساني بل الله تعالى هو الحافظ له، قال الله تعالى « انا أنزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

الثالث: أنه لو أقدم على المعصية ، فاما أن يجب الانكار عليه حينئذ أم لا ، فان وجب لزم اجتماع الضدين : الطاعة لكل مادل على وجوب طاعة الامام من قوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » [1] ولانه الاصل في الغرض من نصب الامام من أمثال أوامره ونواهيه وغير ذلك، والانكار لانه المفروض وان لم يجب، فهو خلاف النص والاجماع .

وأجابوا عنه باختيار الاول، والمحال اجتماع الضدين في محل واحد ، وليس هاهنا كذلك، فان وجوب الطاعة فيما لايخالف الشرع ، ووجوب الانكار فيما يخالفه، وان لم يتيسر فالسكوت عن اضطرار .

أقول: وفي الاستدلال وجوابه نظر أما في الاستدلال، فلان المطلوب اثبات العصمة وخلافه جواز المعصية لا صدورها ، فأي مانع من جوازها مع عدم

---

(١) سورة النساء : ٥٩ .

صدورها منه ، وأيضاً الطاعة في أوامره ونواهيه لاترتبط باقدامه على المعصية ، فلايلزم من اقدامه على المعصية ولزوم طاعته اجتماع الضدين .

وهذا الالتباس انما صدر من التفتازاني في شرح المقاصد، حيث توهم من لفظ التضاد في عبارة الخواجة ، حيث قال في التجريد : ولوجوب الانكار عليه لو أقدم على المعصية فيضاد أمر الطاعة (١) ومراده أنه يناقض أمر الطاعة ولا يلائم ، فان الامر بالطاعة المطلقة في حق شخص رئيس يضاد الانكار عليه واو في بعض الموارد، ولذا قال: يضاد أمر الطاعة ولم يقل يضاد أمر الطاعة .

وقال أيضاً: ويفوت الغرض من نصبه ، والا فاجتماع الضدين كاف في فساد ذلك، ولم يحتج الى تفويت الغرض من نصبه، وأيضاً الانكار انما هو في محله اذا لم يستلزم مفسدة ، وأي مفسدة أعظم من الانكار على الامام ، وان كان مقدماً على المعصية، مع أن كل مادل على ازوم الانكار يمكن عدم شموله بالنسبة الى الامام الذي لابد له من تكميل رئاسته بعدم انكار وزجر ومنع من غيره عليه ، فمصلحة كمال رئاسته أعظم من مصلحة يترتب من الانكار عليه أو من ترك الانكار عليه العائدة الى نفس المنكر .

وبالجملة ليس فساد عدم الانكار على الامام حينئذ مورداً للنص والاجماع وأما في الجواب فلما قد عرفت آنفاً من كون المراد بالتضاد ليس اجتماع الضدين وأيضاً الشرع مبين من قوله، والمخالفة والموافقة انمايكونان منه ، فهو مستلزم للدور .

والاولى أن يقرر الاستدلال على وجه آخر، وهو أنه لو لم تجب عصمة الامام لجاز الذنب والمفاسد عليه، فاذا جاز جاز الانكار عليه، وهو ينافي لزوم الطاعة المطلقة الثابت بالعقل والشرع .

(١) تجريد العقائد ص٢٢٢ .

وقد قرر الامام في أربعينه هذا الدليل على وجه آخر ، وهو أنه يسلم من بعض ما مر من النظر، وان زاد من وجوه أخر، والاولى نقل كلامه في الاستدلال وجوابه .

قال : الشبهة الرابعة لو جاز الذنب على الامام فبتقدير اقدامه على سفك الدماء ، واستباحة الفروج ، وأنواع الظلم، فاما أن يجب على الرعية منعه عن هذه الأفعال أو لايجب ، فان وجب فاما أن يجب ذلك على مجموع الامة، أوعلى آحاد الامة .

لا جائز أن يجب على مجموع الامة منعه عن تلك الافعال لوجهين :

الاول اطباق جميع رعايا الموجودين في الشرق والغرب على الفعل الواحد ممتنع فحينئذ لايحصل منع الامام من تلك الافعال المنكرة .

الثاني : أنا نرى الملك العظيم اذا أقدم على الفعل القبيح، فكل واحد من آحاد الرعايا يخاف من اظهار الانكار عليه ، لانه يخاف أن يصير غيره موافقاً لذلك الملك في ذلك الفعل القبيح فحينئذ يأخذون هذا الواحد الذي أظهر الانكار ويقتلونه ،واذا كان هذا الخوف حاصلا لكل واحد من آحاد الرعية امتنع اجتماعهم على منع ذلك الملك على ذلك الفعل .

وأما القسم الثاني وهو أن يجب على كل واحد من آحاد الرعية اظهار الانكار على الملك الكبير، فهذا أيضاً بعيد[1] لوجهين :

الاول:أن كل واحد من آحاد الرعية لايقوى على مقاومة أمير أصغر القرى فكيف مقاومة ملك الدنيا .

الثاني : أن المقصود من نصب الامام أن يؤدب كل واحد من آحاد الرعية ،

---

(١) ينبغي أن يقول : وهذا أيضاً غيرجائز، لان ماذكره في الوجهين أقرب الى الامتناع في الاول «منه» .

فلو كلفنا كل واحد من آحاد الرعية أن يؤدب الامام لزم الدور ، فـان هذا انما ينزجر عن معصية بسبب ذلك، وذلك بسبب هذا ، ومعلوم أن الدور باطل.

أما القسم الثالث ، وهـو أن يقال فـان عند اقدام الامام على المعاصـي والفواحش ، لايجوز منعه عنها البتة ، فهذا أيضاً باطل ، لان الدلائل الدالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عامة ، فيتناول الامام وغيره ، وأيضاً فعلى هذا الطريق يصير نصب الامام سبباً لتكثير الفواحش ، ومعلوم أن المقصود منه تقليلها ، فهذا يفضي الى التناقض، فثبت أن الامام لو لم يكن واجب العصمة لافضى الى هذه الاقسام الباطلة ، فوجب القول بكونه باطلا.

ثم أجاب عنه بالمعارضة بنواب الامام، وذلك أن المعصوم اذا فرض الامارة والوزارة الى بعض الناس ، فذلك المفوض اليه غير معصوم ، فبتقديـر صدور الذنب عنه المانع له : اما الامام الاكبر وحده ، أو مع غيره ، والاول باطل،لان الامام الاكبر وحده لايقدر على دفع ذلك الامر مع عساكره الكثيرة ، ألا ترى أن علياً رضي الله عنه لايقدر على دفع معاوية على الامر، مع ماكان معه من العساكر الكثيرة ، فضلا عن أن يقدر عليه وحده .

والثاني : وهو أن الدافع لذلك الامر هـو الامام مع عساكره ، فهذا أيضاً باطل ، لان عسكره ليسوا معصومين ، فربما لايمتثلون أمر الامام المعصوم ، فثبت أن تفويض الامارة والوزارة الى غير المعصوم سبب لزيادة الشر والفتنة وكل ما تقولونه هاهنا نحن أيضاً نقوله في الامام انتهى كلامه .

وفي هذا التقرير للاستدلال وجوابه أيضاً نظر من وجوه :

أما أولا ففي كلامه في القسم الاول ، وهو أن يكون المنع واجبـاً علـى مجموع الامة ، حيث أنه أفسد ذلك لوجهين ، فان الوجه الاول استحالـة تحقق اطباق جميع الرعايا في شرق الارض وغربها على فعل واحد، وفيه أولا أنه انما

يجب على المطلع على صدور المعصية لاعلى غيره ، والمستحيل اطباق جميع الناس لا اطباق المطلعين على الامر .

وثانياً : أن وجوبه على وجه يرتفع التكليف عن الباقين بارتكاب بعض منهم وليس هذا ممتنعاً نظير الواجبات الكفائية .

وثالثاً : أن كيفية تعلق الوجوب على مجموع الامة على وجهين:

أحدهما : أن يكون المجموع المكلفون بهذا التكليف المجموع من حيث المجموع ، بحيث يكون الجميع في حكم واحد ، ولا يكون كل واحد مكلفاً به أصلا .

وثانيهما : أن يكون المجموع مكلفين بحيث يكون كل واحد واحد من أفراد المجموع مكلفاً أو كل واحد واحد مكلفاً بشرط انضمام غيره اليه وهكذا ، فان كان الاول فهو ، وان كان الموافق لماذكره أولا الاأنه ليس الامر كذلك ، لان المنع انما هو من جهة أدلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كماذكروه ، وهو تكليف على الاحاد لاعلى المجموع.

وأيضاً يؤل التكليف على هذا الوجه الى ترك المنع غالباً ، اما لاخلال واحد بالامر أو لعدم حصول الاجماع كماذكره ، أو لاداء ذلك الى عدم المنع، حيث أنه لم يجب على الاحاد أصلا، فلم يقدم كل واحد واحد لعدم تكليف عليه على ماهو المفروض ، لا على أصل الفعل ، ولاعلى مقدمته من تحصيل الاجتماع.

وأيضاً هو مخالف لماذكره ثانياً ، كماستعرفه ، وان كان الثاني فهو وان كان ربما يوافق الثاني ، الاأنه متحد المحظور مع الاول ، لتوقف ذلك على حصول الشرط وبالانضمام .

وأما ثانياً ففي كلامه في القسم الاول في الوجه الثاني ، فان الخوف مع الانفراد لامع الاجتماع الذي هو المفروض .

فان قلت : لا يحصل الاجتماع الا بعد اظهار واحد واحد .

قلنا : أولا أنا لانسلم التوقف ، وثانياً أن اظهار كل واحد واحد الى الاخر لتحصيل الاجتماع، يمكن أن يكون سراً، والانكار والمنع بعد حصول الاجتماع جهاراً .

وأما ثالثاً: ففي كلامه في القسم الثاني في قوله « وهذا أيضاً بعيد لوجهين» فان ماذكره من الوجهين أدل على عدم الجواز مماذكره في القسم الاول ، لان ثانيهما الدور الباطل .

وأما رابعاً ففي كلامه في القسم الثاني أيضاً في قوله في الوجه الاول « ان كل واحد من آحاد الرعية لايقاوم على مقاومة أمير أصغر القرى ، فكيف على مقاومة ملك الدنيا » فان المنع أعم من الامتناع ، والواجب هو المنع دون الامتناع ، والامتناع انمايتوقف على المقاومة دون المنع والانكار .

ثم ان المكلف على هذا التقدير ليس واحداً بشرط الانفراد، فان تمكن من المقاومة مع الاجتماع وانضمام غيره اليه منع ، والا فسكت .

وأما خامساً ففي كلامه فيه أيضاً في قوله في الوجه الثاني، فنقول أولا أن هذا الوجه الذي ذكره يأتي في القسم الاول أيضاً، وثانياً أن شأن الامام التأديب وهو المؤدب ،لكن انكار كل واحد من الرعية أو منعه ليس تأديباً ، بل انكاراً للقبيح .

وثالثاً بأن الدور غيرلازم ، حيث أن منع الرعية انما لكل مادل على لزوم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع الامام له، ولكل مايقتضيه أدلة الرئاسة وجهة التأديب انماهي بملاحظة جهة الرئاسة ، لا بملاحظة جهة الامر بالمعروف والا لحصل الدور في الرعايا كل بالنسبة الى الاخر .

ورابعاً الانزجار عن المعصية ليس بسبب الامام بل بسبب العدالة أونحو

ذلك ، وفائدة الامام كثيرة ، نعم قد يتفق الانزجار بسبب ، ولو اتفـق أن الامام عصى معصية من المعاصي فمنعه الرعية ، أوأنكر عليه لكل مادل على وجـوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يلزم تأدب الامام به، فلم يستلزم الدور.

وأما رابعاً ففي كلامه في القسم الثالث ، وقد ظهر ممامر من منع لزوم منعه حينئذ وامكان عدم وجوب الانكار عليه حينئذ .

وأما خامساً ففي جوابـه عن الاستدلال المذكور ، فانـه يمكن لنا أولا أن نقول: المانع هوالامام وحده، فانه لرئاسته العامة يقدر على منع من نصبه للامارة وحده، فانه منصوب من قبله مأمور بأمره منهي عن نهيه، وعدم التمكن في بعض المقامات، لاعتضاد بعض الرعية بأرباب العصيان ، فانماهو لامـور عرضت من اغراء الشيطان الرجيم .

وثانياً أن نقول: المانع هوالامام مع عسكره، وعدم عصمة الرعية المقتضي لجواز المخالفة عقلا، لايوجب تحقق المخالفة عادة ، حتى يوجب ذلك زيادة الشر والفتنة، هذا مع أن هذه المعارضة انمايكون مع الجزء الاخير من الاستدلال من قوله، وأيضاً فعلى هذا الطريق الى آخره .

وبالجملة فالاولى في بيان الاستدلال أن يقال : انه لوجازت المعصية على الامام ، لجاز على الرعية منعه والانكار عليه عند اقدام الامام على المعصية ، وهو ينافي الامر بالطاعة المطلقة ويضاده .

والاولى منه أن يقال : انه لوجازت المعصية لنا فيما هو الغرض الاهم من نصب الامام ، فان عمدة الغرض من نصب الامام رفع المعاصي من الظلم والبدع والفواحش ، واستباحة الفروج والاموال والفتن ونحو ذلك ، وهوالذي أشار اليه الامام فخر في قوله «وأيضاً فعلى هذا الطريق» الى آخره، وماذكره من المعارضة مدفوع بما مر.

الرابع : من الادلة أن الامام واجب الطاعة[١] بالنص والاجماع ، قال الله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم »[٢] وكل واجب الطاعة واجب العصمة ، والا لجاز أن يكذب في تقرير الاوامر والنواهي ، وينهى عن الطاعة ويأمر بالمعاصي ، فيلزم وجوب اجتناب الطاعة وارتكاب العصيان، واللازم ظاهر البطلان .

وأجيب بأن وجوب طاعته انماهو فيما لايخالف الشرع بشهادة قوله تعالى « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والى الرسول »[٣] ويكفي في عدم كذبه في بيان الاحكام العلم والعدالة والاسلام ، وهذا ما يقال انماتجب عصمته لوكان طاعته بمجرد قوله ، وأما اذا كان لكونه حكم الله ورسوله ، فيكفي العلم والعدالة ،كالقاضي والوالي بالنسبة الى الخلق ، والشاهد بالنسبة الى الحاكم ، والمفتي بالنسبة الى المقلد ، وأمثال ذلك، على أن الاجماع عند الشيعة انمايكون حجة لاشتماله على قول المعصوم ، فاثبات العصمة به دور.

وحاصل هذا الجواب يرجع الى كلام في الصغرى والكبرى .

أما الاول فلان الصغرى وان كانت مسلمة الاأنه لايجب طاعته مطلقا، بل انما تجب فيما لا يخالف الشرع .

وأما الثاني أن جواز الكذب ونحوه في من تجب طاعته مدفوع بالعدالة ،

---

(١) وحاصل الاستدلال أن الامام واجب الطاعة ، وكل واجب الطاعة واجب العصمة ، فينتج أن الامام واجب العصمة . أما الصغرى فبالنص والاجماع . وأما الكبرى فلانه لو لم يجب عصمته لم تجب طاعته ، لجواز الكذب فيما يخبر والجور والظلم عليه فيما يأمر وينهى ، وهو باطل بالفرض مع أنه واجب الطاعة «منه» .

(٢) سورة النساء : ٥٩ .

(٣) نفس الاية .

فلايستلزم جواز الكذب عدم وجوب الطاعة بعد احراز العدالة ، فكل واجب الطاعة واجب العدالة ، لا أن كل واجب الطاعة واجب العصمة ، ثم ان الصغرى انما أثبتها الشيعة المستدل بهذا الدليل بالاجماع ، والاجماع حجة عند الشيعة بقول المعصوم المندرج فيه ، فاثبات العصمة بدليل صغرية هذا دور .

أقول : ويمكن الاعتراض عليه أما أولا فبان الثابت بالاجماع وغيره أن الامام واجب الطاعة مطلقا ، الا فيما علم مخالفته للشرع ، وهذا كاف في الاستدلال، بعد ضم الكبرى اليه ، بل لو اقتصر في الصغرى على ماذكره المجيب أيضاً من أنه واجب الطاعة فيما لايخالف الشرع لكفى كما لايخفى ، ولعل بين الجواب عن هذا الدليل والدليل السابق خلطاً في الجواب، لتشابه الدليلين في الصورة .

وأما ثانياً فبأن ماذكره في الجواب عن كبرى القضية ، مدفوع بأن وجوب العدالة انما هو في معنى العصمة ، فاذا ثبت وجوب العدالة ثبت العصمة .

وأما ثالثاً فبأن ماسلمه أيضاً من أنه انما تجب العصمة لو كان وجوب الطاعة بمجرد قوله ، لالكونه حكم الله الى آخره غير واضح .

وأما رابعاً فبان دليل الصغرى غير منحصر بالاجماع، بل النص أيضاً، وأيضاً الاجماع على طريقة الشيعة اجماعان كلاهما حجة ، أحدهما اتفاق الامة وهو بنفسه حجة ، ولو كان لكشفه عن قول الله وقول النبي ﷺ ، وأيضاً الاستدلال المذكور انما هو على المخالف الذي يرى الاجماع حجة بنفسه ، وأيضاً الاجماع حجة لدخول الامام فيه كالعصمة ، حتى يستلزم الدور فيه .

الخامس : من الادلة أنه لو لم يكن الامام معصوماً لزم أحد الامرين ، اما الامر من الله بالعصيان والخطاء ، أو عدم امامة الامام وخلو الزمان عنه ، وكلاهما باطلان ، بيان الملازمة : أن الامام تجب متابعته بدليل اللغة والاجماع والعقل .

أما اللغة ، فلان الامام في اللغة عبارة عن الشخص الذي يؤتم به ويقتدى به كالرداء و اللحاف ، فانهما اسمان لمايرتدى به ولمايلتحف به .

وأما الاجماع ، فلانه لاخلاف في أنه يجب على كل واحد من الناس قبول حكم الامام واتباعه في جميع الاحكام ، وفي جميع سياساته .

وأما العقل ، فلانه يجب اتباع الامام قطعاً ، وقبول حكمه : اما أن يكون بمجرد قوله ، أو لدليل دل على ذلك بالضرورة ، ولاجائز أن يقال: الدليل دل عليه لوجوب اتباعه على غير المجتهد ، ولا يتحقق عليه دليل حينئذ ، لانه لا فائـدة حينئذ في توسيط قوله ، فتعين ان يكون بمجرد قوله ، فلوجاز عليه الخطاء .

فبتقدير اقدامه على الخطاء فاما أن يقال بلزوم اتباعه والامر من الله تعالـى باتباعه أولا يقال ذلك ، فان كان الاول لزم كونه تعالى قد أمر بالخطاء ، وان كان الثاني فقدخرج الامام عن كونه اماماً ، لان المأموم اذا رأى ماعلم حسنه فعله ، واذا رأى ماعلم قبحه لم يفعله فحينئذ لايكون متبعاً له ولامقتدياً به ، بل يكون متبعاً للدليل ، وهوخلاف الغرض ، وللزم منه خلو ذلك الزمان عن الامام .

وأجاب عنه الامام فخر بأنه لانزاع في أنه يجب على كل واحد من الرعية أن يقتدي بنواب الامام من القضاة والعلماء ، مع أنهم بالاتفاق ليسوا معصومين وكل ماتقولونه فيهم فهو جوابنا عن الامام الاعظم .

أقول : والمعارضة باطلة ، للمنع من وجوب الاقتداء بهم، بل وجب قبول أحكامهم على المحكوم عليه وان أخطأ في الحكم ، سلمنا لكنه لايلزم من ذلك اللازم الثاني من عدم امامته ، أو خلو الزمان عن الامام ، لان المفروض عـدم امامته، نعم يمكن الاعتراض عليه بوجوه اخر ، والنقض والابرام في ذلك يمنعنا عنه قلة الفرصة ، وعدم الامتناع بدليل دون آخر ، فان الادلة كثيرة .

السادس : من الادلة أن الناس مكلفون في كل زمان باتباع ماجاء به النبي

صلى الله عليه وآله من الشرائع ، وماجاء بـه منها بنفسها ، وأحكامها وفروعها وعوارضها غيرمعلوم الا بناقل من الرسول ،والناقل اما أن يكون معصوماً أوغير معصوم ، والثاني باطل ، والا لماحصل العلم بقوله فيماينقله، ولا اعتمادعلى قوله فتنتفي فائدة التكليف ، فتعين الاول .

والمعصوم : اما الامام، أوالامة فيما اجتمعوا عليه ، أو أهل التواتر نقلوه لا غير،فالقول بمعصوم خارج عن هذه الثلاثة قول لا قائل به ، ولايجوز أن يكون مستند علم من بعد النبي صلى الله عليه وآله بشريعة انعقاد الاجماع من الامة عليه ، فان عصمة الامة عـن الخطاء انما يعرف بالنصوص الواردة على لسان الرسول بـالكتاب والسنة .

وكل نص يدل على كون الاجماع حجة ، فلابد من معرفة كونه منقولا عن الرسول وانه لاناسخ له ولا معارض ، وكان ايضاً يتوقف على صدق الناقل له ، وصدقه اما أن يكون معلوماً بالاجماع أوغيره ، فانكان الاجماع لزم الدور مـن حيث أنا لانعرف صدق الخبر الدال على صدق أهل الاجماع الا بعد صدق ذلك الخبر، ولان الاجماع حجة لاشتماله على قول المعصوم ، ولان المسائل الاجماعية قليلة في الغاية .

وانكان فيه الاجماع ، فاما بالتواتر أو بغيره ، لاجائز أن يكون بالتواتر ، فان غاية التواتر معرفة كون ذلك الخبرمنقولا عن النبي صلى الله عليه وآله ، وليس فيه مايدل على أنه ليس بمنسوخ ولايعارض له ، فلم يبق الا الامام، وهوالمطلوب .

السابع : أنه لولم يكن الامام معصوماً لزم الدور، لان الامام اذا جازعليه الخطأ لم يجز اتباعه الا فيما علم أنه صواب ، لكن هوالناقل للشرع ، وانمايعلم بقوله فيتوقف معرفة صوابه على قبول قوله ، وقبول قوله على معرفة صوابه، فيدور.

وقرره العلامة في الالفين على لازم آخر فاسد ، قال : لو لم يكن الامـام

معصوماً ، لزم افحام الامام ، والتالي باطل،فالمقدم مثله . بيان الملازمة: أن الامام اذا جاز عليه الخطأ لم يجز اتباعه الا فيما علم أنه صواب . ثم قرر الدور ، ثم قال : فينفحم الامام .

الثامن : أن الامام كما تقدم منصوب من الله تعالى ، اذ عمدة دليل وجوب نصب الامام دليل اللطف ، فاذا كان كذلك ثبت كونه معصوماً ، وهذا مما يقرر بوجوه :

منها : أن الامام لو جاز عليه الخطاء لجاز في جميع أحكامه وأقواله وأفعاله، وذلك مفسدة عظيمة ، والله تعالى عليم حكيم لا يجوز عليه المفسدة ، وينافي قاعدة اللطف بل يضاده .

ومنها : أن نصب الله تعالى الامام في الرعية انما هو للقيام بمصالحهم، وازالة مفاسدهم ، ومن جاز عليه الخطاء والذنب والعصيان عسى أن لا يكون مما هو يقوم به الامر المقصود ، فلا يجوز على الله نصب مثل ذلك ، وهو قادر على نصب من يقوم بالامر قطعاً ، فلو نصب السلطان في بلدة رجلا لا يطمئن به من القيام بالامر المقصود قبح عليه نصب مثل ذلك الشخص ، ولو نصبه مع ذلك فلم يقم بالامر، فلا يلومن الا نفسه .

ومنها : أن نصب الامام المعصوم مما فيه مصالح كثيرة ، خال عن كل المفاسد والله تعالى قادر عليه ، فيجب عليه نصب الامام المعصوم .

ومنها : أن الله تعالى عالم بفساد نصب الغير المعصوم ، فلا يجوز على الله نصب مثله .

التاسع : أن الامام لو لم يكن معصوماً ، لكان اما أن يكون عامياً ، أو مجتهداً وكلاهما محالان ، أما الاول فلانه لو كان كذلك لما وجب على المجتهد طاعته ،

بل ولا على العامي ، لعدم الاولوية ، بل ويستحيل من الله الامر بطاعة العامي مطلقا .

وأما الثاني : فلانه لوكان مجتهداً لماوجب على سائر المجتهدين اتباعه أيضاً لعدم الاولوية ، بل ويخير العامي بين قوله وقول غيره من المجتهدين، فلم يبق فائدة في نفسه .

العاشر : أنه لا ريب في وقوع الاختلافات الكثيرة بين الامة في مسائل ليست في كتاب الله ولا السنة المتواترة ولا اجماع عليها ، بل وكذا ما فيها ، لاختلاف الافهام والاهواء ، والظنون لا تغني من الحق شيئاً ، وليس غير المعصوم مما يرفع به هذا الخلاف ، فلابد من معصوم لرفع هذا الخلاف ، وهو الامام.

الحادى عشر : أنه لوجاز على الامام الخطاء ، لزم لزوم اتباع المصيب المخطى ، لان اتباع الامام واجب على كل الامة ، ولاريب في أن كل الامة مصيب أو لا تخلو الامة عن المصيب في كل واقعة .

الثاني عشر : ماذكره في الشافي ، وقال : هذا الدليل من آكد ما اعتمد عليه في عصمة الامام من طريقة العقول وترتيبه أن حاجة الناس الى الامام اذا وجبت بالعقل لم يخل من وجهين : اما أن يكون ثبت وجوبها لارتفاع العصمة عنهم ، وجواز فعل القبيح منهم ، أو لغير ذلك، فان كان لغيره لم يمتنع أن يثبت حاجتهم الى الامام مع عصمة كل واحد منهم ، لان العلة اذا لم تكن ماذكرناه لم يكن لفقدها تأثير، وجاز أن يثبت الحاجة بثبوت مقتضاها ألا ترى أن المتحرك لما لم تكن العلة في كونه متحركاً سواده ، جاز أن يكون متحركاً مع عدم سواده .

ولو جاز أن يحتاج المكلفون الى الامام مع عصمتهم ، لجاز أن يحتاج

الانبياء الى الائمة[١] والرعاة ، مع ثبوت عصمتهم ، والقطع على أنهم لايفارقون شيئاً من القبائح ، وهذا معلوم فساده ، على أنه لو لم تكن العلـة فـي حاجتهم ارتفاع العصمة ، لجاز أن يستغنوا عنه ، مع كونهم غير معصومين ، وليس يجوز أن يستغنوا عن الامام وأحوالهم هذه، لما دللنا عليه عند الكلام في وجوب الامامة.

ولا شيء أظهر في اثبات العلة من وجود الحكم تابعاً لوجودها ، وارتفاعه بارتفاعـها ، وان كانت الحاجة الى الامام انما وجبت لارتفاع العصمة ، وجواز الخطاء وفعل القبيح، لم يخل حال الامام نفسه من وجهين: اما أن يكون معصوماً مامونا منه فعل القبيح، أو غير معصوم .

فان لم يكن معصوماً، وجب حاجته الى امام ، لحصول علـة الحاجة فيه ، ولم يخل امامه أيضاً من أن يكون معصوماً ، أو غير معصوم ، فان لم يكن معصوماً احتاج الى امام، واتصل ذلك بمالانهاية له ، فلم يبق الا القول بعصمة الامام، أو انتهاء أمر الرئاسة والامامة الى معصوم لايجوز عليه فعل القبيح [٢] .

وحاصل هذا الدليل مع اسقاط التعقيدات أن الامام لو لم يكن معصوماً، لكان جهة الحاجة الى الامام أمراً آخر غير عدم العصمة، والتالي باطل ، لان الحاجة الى الامام ثابتة اتفاقـاً ، فان كانت الحاجة شيئـاً آخر غير عدم العصمة وجواز الخطاء ، للزم ثبوت الحاجة مع العصمة في الانبياء والائمة المعصومين، وفساده ظاهر ، وللزم عـدم الحاجة عند وجـود ذلك النبي مع عـدم العصمة ، وهو أيضاً معلوم الفساد ، لان الحاجة مع عدم العصمة معلومة بالبديهـة ، ولمايقتضه قاعدة اللطف المستدل عليها سابقاً .

وأما بيان الملازمة ، فظاهر ان الامام لو لم يكن معصوماً لزم: اما عدم امامته

---

(١) في المصدر : الامة .

(٢) الشافي ١/٢٨٩-٢٩٠ .

وهو خلاف الفرض، أوأن جهة الحاجة غير عدم العصمة حتى يكون اماماً بهذا التقرير لم يحتج الى قولـه ، وان كانت الحاجة الى الامام انما وجبت لارتفاع العصمة ، فان ابطال التالي حينئذ ليس لبطلان التسلسل بل لمامر فتدبـر ، ولذا جعلنا هذا الدليل دليلا آخر غير مامر من الدليل الاول المنجر الى التسلسل .

ثم أورد على هذا الدليل بقوله: فانقال قائل: ولم أنكرتم أن يحتاج المعصوم مع عصمته الثابتة بغير الامام الى امام، ليكون مع وجوده أقرب الى فعل الواجب وترك القبيح ؟

ثم أجاب عنه بقوله قيل له: ليس يجب عندنا اذا فعل الله تعالى مايعلم أن العبد يفعل عنده الواجب وبترك القبيح ، أن يفعل به جميع مايكون معه أقرب الى فعل الواجب وترك القبيح ، لان مافعله مما قد علم أنه لايخل معه بالواجب يغني ويكفي ، واذا ثبتت هذه الجملة بطل ماسأل عنه ، لان المعصوم الذي قد علم الله تعالى أنـه لايختار شيئاً من القبائح عندما فعله بـه من الالطاف التي ليس من جملتها الامامـة ، هو مستغن عن الامام يكون عند وجوده أقرب الى ماذكره .

ثم ذكر سؤالين آخرين يسرين وأجاب عنهما .

ثم قال : واعلم أنا سلكنا في ترتيب الدلالة التي قدمناها على عصمة الامام مسلك من تقدم من سلفنا رضوان الله عليهـم ، وان كنا قد احترزنـا في اثباتها بألفاظ مسقطة لبعض شبه الخصوم اللازمـة على مايخالف ترتيبنا ، واستقصينا الجواب عن قوي مايمكن ايراده عليها من المطاعن والاعتراضات، ويمكن أن يستدل بمعنى هذه الطريقة على الترتيب الذي نرتبه الان .

فنقول : اذا ثبت وجوب الامامة من الوجه الذي تقدم بيانه، فالطريق الذي يعلم وجوبها به يعلم جهة الوجوب والمقتضي، لان الطريق الى وجوب الحاجة

الى الامام اذا كان هو كونـه لطفاً في ارتفاع القبيح وفي فعل الواجب ، وقد ثبت أن فعل القبيح والاخلال بالواجب لايكونان الا ممن ليس بمعصوم .

فقد ثبت أن جهة الحاجة هي ارتفاع العصمة ، وجواز فعل القبيح، واقترن العلم بالحاجة بالعلم بجهتها ، وصارت الحاجة الى وجوب الامامـة ماثبت من كونها لطفاً، وجهة الحاجة الى كونها لطفاً الى ارتفاع العصمة وجواز فعل القبيح فالنافي لجهة الحاجة ومقتضيها، كالنافي لنفس الحاجة .

وجرى هذا في بابـه مجرى مايعتبره في تعلـق أفعالنا بنا من حيث كانت محدثة،لانا نقول مادل على تعلقها بنا وحاجتها الينا هو بعينه دال على أنها احتاجت الينا من حيث كانت محدثـة ، لانا انما اثبتنا التعلق والحاجـة من حيث وجب وقوعها بحسب قصورها وأحوالنا مع السلامة ، واذا وجدنا الصفة التي تحصل عليها عند قصدنا هي الحدوث قطعنا على حاجتها الينا في الحدوث .

ومثل هذا الاعتبار استعملنا في استخراج جهـة الحاجة الى الامام ، فلابد على هذا من أن يكون الامام معصومـاً ليخرج عن العلة المحوجة الى الامام ، والاأدى ذلك الى وجود مالانهاية له من الائمة .

ومتى اعتمد في عصمة الامام على هذا الترتيب ـ بيان لجهة الحاجة واثبات لها باقتضاء مامر من أن نصب الامام لطف ـ بتقرير الذي اخترناه ، سقط سائر مايعترض به المخالفون في استخراج علة الحاجة الى الامام، وخف بذلك شغل كثير (١) .

أقول: وحاصل هذا الترتيب أن جهة الحاجـة الى الامام ليس الا ارتفاع العصمة ، وجواز الخطاء على الامة ، لان دليل وجوب نصب الامام هو اللطف الواجب على الله تعالى ، حتـى يكون العبد به متقربـاً الى الطاعة ومتبعداً عن

(١) الشافي ١/٢٩١ـ٢٩٥ .

المعصية، فلابد من أن يكون جهة الحاجة عدم العصمة، والا فاللطف غير واجب حينئذ لحصول المقصود، وهو القرب الى الطاعة، والبعد عن المعصية .

ثم أقول : وهذا الوجـه ظاهر لايحتاج الى تحمل هذا التعب في الاستدلال عليه ، فلوقرر الاستدلال حينئذ بأنه لولم يكن العصمة في الامام لم ترتفع الحاجة به ، وهو ينافي اللطف ، فكل مادل على وجوب اللطف انمايدل على نصب امام معصوم، فلاوجه حينئذ للتذيل بذيل بطلان التسلسل أصلا، كماتمسك به رحمه الله في التقريرين .

ثم قال بعدما تقدم منه : ويسقط أيضاً مالايزالون يتعلقون بـه ، فيقولون : كيف تحكمـون بأن المعصوم لايجب حاجته الى الامام ، مع اعتقادكـم كون أمير المؤمنين عليه السلام معصومـاً في حياة النبي صلى الله عليه وآله ، وهو مع ذلك محتاج اليـه ومؤتم بـه ، وكذلك القول في الحسن والحسين عليهما السلام في حياة أمير المؤمنين عليه السلام .

الاأن تزعموا أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن محتاجاً الى النبي صلى الله عليه وآله، فتخرجوا عن الدين ، أوتزعموا أنـه لم يكن معصوماً في تلك الحال، فتتركوا مذهبكم ، وذلك أنا انمامنعنا حاجة المعصوم الى امام يكون لطفاً له في تجنب القبيح وفعل الواجب، ولم يمتنع حاجته اليه من غير هذا الوجه .

ألاترى أن كلامنا انماكان في تعليل الحاجة الى امام يكون لطفاً في الامتناع من المقبحات ، ولم يكن في تعليل غير هذه الحاجة ، فاذا ثبت هذه الجملة لم يمتنع استغناء أمير المؤمنين عليه السلام بعصمته في حال حياة النبي صلى الله عليه وآله فيماذكرناه وان لم يكن مستغنياً عنه في غيرذلك، من تعليم وتوقيف وماأشبهها وكذلك القول في الحسن والحسين عليهما السلام أنهما قد استغنيا بعصمتهما مـن امام يكون لطفاً لهما في الامتناع عن القبيح، وان جازت حاجتهما الى امام للوجه الذي ذكرناه .

فاما قول بعضهم : ان الامام احتيج اليه لاقامة الحدود ، وصلاة الجمعة ، والغزو بالمسلمين، وقسمة الفيء، فيبطل بمابيناه من ثبوت الحاجة اليه من الوجه الذي ذكرناه، وبان الحاجة اليه عقلية وسائر ماذكره سمعي، وبان سائر ماذكر قد يسقط عن بعض الامة لاعذار ، مع ثبوت الحاجة الى امام .

وعلى أنه ليس يخلو ماذكروه من اقامة الحدود أن يريدوا بـه اقامتها على مستحقها، أو يريدوا أن الامام يحتاج اليه قبل استحقاقها ليتولى اقامتها عند استحقاق الحياة لها .

فان أرادوا الوجه الثاني، فانا لانضايق فيه، لان المعنى رجع الى ما أردناه لان من لم يقارف مايوجب الحد اذا احتاج الى امام قبل مفارقته، فلم يحتج اليه الا للوجه الذي نعتبره، وهو كونه ممن يجوز أن يفعل القبيح، ويقارف مايستحق به التأديب .

وان أرادوا الوجه الاول ، بطل بأنه مؤد الى أن يكون أبرار الامة ومن كان منهم على حال السلامة ، غير محتاجين الى امام ،وأن تكون الحاجة اليه مختصة بالفساق ومستحقي الحدود ، وهذا فاسد بالعقل والسمع معاً(١) انتهى .

أقول : وهذا الذي ذكره من أنه يسقط به ليس هو الذي أورده على التقرير السابق في قوله «فان قال قائل ولم أنكرتم» الى آخره وهذا الذي أجاب به هاهنا لاينافي ما أجاب به عنه سابقاً فلاحظ ، فان الايراد هو أن تكون الحاجة ثابتة مع العصمة ، لحصول الاقربية ، فجهة الحاجة ليست ارتفاع العصمة .

وأجاب عنه بما أجاب ، وهذا الايراد هو المعارضة بدليل النقض ، وأجاب عنه بأن اللطف في حق غير المعصوم شيء ، وفي المعصوم شيء آخر ، فـان اللطف في الاول تقريب وتبعيد ، وفي الثاني تفهيم وتعليم وتوقيف .

---

(١) الشافي ١/٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

أقول : وهذا كأنه خلاف الاصطلاح في معنى اللطف ، الاأن يعمم في معناه بأن اللطف تقريب الى كل مقصود شريف ، وتبعيد عن كل مكروه ، فاللطف في كل مقام بحسب مايضاف اليه بالتقريب والتبعيد ، والامرسهل.

ثم ان العلامة (ره) قرر في الالفين هذا الاستدلال بتقرير آخر ، حيث قال : لولم يكن الامام معصوماً لزم انتفاء الحاجة اليه حال ثبوتها ، فلزم التناقض ، واللازم باطل ، فالملزم مثله ، بيان الملازمة: أنه اذا تحقق وجه الحاجة الى الشيء فمع تحقق ذلك الشيء: اما أن يبقى وجه الحاجة، أو ينتفي مع فرض وجوده ، والاول يلزم أن لايكون هو المحتاج اليه لان تمام المحتاج اليه ماتندفع الحاجة بوجوده ، فاذا لم تندفع الحاجة[1] بوجوده لم يكن تمام المحتاج اليه .

فأما ان يكون شيئاً غيره ينضم اليه أولا، والاول منتف هنا قطعاً، اذ مع فرض طاعة المكلفين له في جميع مايأمر به وينهاه يتم به الغرض ، ولا يحتاج الى غيره في امتثال أوامر الشرع ، والثاني يقع الاستغناء عنه ، اذ مع وجوده لا تنتفي الحاجة ، ولو بانضمام غيره اليه ، فلايحتاج اليه قطعاً ، اذ نسبة وجوده وعدمه الى انتفاء الحاجة واحدة .

اذا قرر ذلك ،فنقول : الطريق الى وجوب الحاجة الى الامام هو كونه لطفاً الى آخر مامر من السيد المرتضى بتقريره المرضي عنده الى قوله كالنافي لنفس الحاجة .

ثم قال متصلا به : فلولم يكن الامام معصوماً ، لم يخرج عن العلة المحوجة الى الامام ، ولم تندفع الحاجة بوجوده ، فيلزم الاستغناء عنه حال الحاجة اليه .

ثم قال : وأما بطلان التالي فظاهر ، للزوم التناقض ، ثم اعترض الاعتراض المذكور بالمناقضة المذكورة بعصمة علي والحسنين عليهم السلام حال وجود النبي صلى الله عليه وآله

(١) أي مايكون المحتاج اليه شيئاً آخرغيره ينضم اليه «منه» .

وعلي عليه السلام .

ثم قال : أجاب السيد المرتضى قدس الله روحه بأنا انما منعنا الى آخره[(١)].

وتقرير الاستدلال على هذا الوجه أنه بعد ما علم من دليل وجوب نصب الامام أن الحاجة هو عدم العصمة ، فمع وجود الامام ان كانت الحاجة باقية لزم اللازم المذكور ، لان المحتاج اليه على قاعدة اللطف هو الامام ، فمقتضى ذلك رفع الحاجة ، ومقتضى الغرض بقاؤها .

ويمكن تقريره على وجوه أخر لاتخفى على الفطن ، وكل هذه الوجوه من الوجوه التي ذكروها ، ومن الوجوه التي ذكرناها وغيرها لايحتاج الى التمسك بدليل مادل على بطلان التسلسل ، بل لاوجه لذلك أصلا ، فان المقصود اثبات العصمة في الامامة ، أو في كل الامامة لا في فرد فرد حتى يقال : ان هذا الفرد أو فرداً منها لو لم يكن معصوماً ، لكانت الحاجة باقية ، فاحتاج الى آخر ، وهكذا مع أنه لو كان كذلك أيضاً لم يحتج بهذا التقرير أيضاً الى التسلسل ، لان حاصل الاستدلال بقاء الحاجة عند عدم العصمة ، فيلزم اللوازم المذكورة لا التسلسل فتدبر .

الثالث عشر : أن الامام بمنزلة الرسول ، حال محله ، قائم مقامه ، فاذا ثبت عصمة الرسول صلى الله عليه وآله ثبت عصمة الامام ، بيان ذلك على ما ذكره صاحب المغني دليلا للقوم أن من حق الامام أن يكون واحداً من الزمان ، وانه يولى ولا يولى عليه ، ويعزل ولايعزل ، ويأخذ على يد غيره ولا يؤخذ على يده ، ويجب على الغير طاعته ، ولايلزم طاعة غيره ، فحل محل الرسول ، واذا وجبت عصمة الرسول وجبت عصمة الامام .

ثم أورد عليه بأن جميع ماأورده ليس بعلة في عصمة الرسول ، وانمايجب حمل الامام على الرسول في العصمة اذا بين عليه العصمة في الرسول ، وانها قائمة

---

(١) الالفين ص١٩٨ — ١٩٩ .

في الامام ، ولايقتصر على الدعوى ، وليست العلة ماذكروها ، لكنها التي ذكرناها في كتابنا ، وهو أنه اذاكان حجة فيمايؤديه عن الله تعالى ، فيجب أن لايجوز عليه ماينقض كونه حجة من الغلط والسهو وغير ذلك .

وأجاب عنه السيد المرتضى في الشافي بأنه قد تقدم لنا مايدل على أن الامام أيضاً حجة في الاداء ، فيجب أن يكون معصوماً على الطريقة التي فرع اليها صاحب الكتاب ، وظن أنا لانتمكن من مثلها[1] انتهى .

وقد أطال الكلام في النقض والابرام من وجوه اخر .

أقول : وبهذا التقرير في الجواب يخرج عن مقتضى نظم الاستدلال ، فانهذا دليل آخر في عصمة الامام ، وهو أن الامام ناقل للاحكام مخبر عنها ، فلابد أن يكون معصوماً ، والا لم يحصل العلم بخبره ، ولم يكن هناك فرق بين الاخبار عن الله أو عن الرسول .

ثم أقول : ان هذا الدليل يقرر بوجهين : أحدهما ، أن الامام لماكان واحداً في الزمان ، لايقوم مقام غيره ، وان له الرئاسة العامة دون غيره ، وانه الذي تحت طاعة الرعية ، وانه يولي ولايولى عليه ، ويعزل ولايعزل وهكذا ، فلابد من أن يكون معصوماً ، حيث أن غيره لايقوم بهذه الامور ، كما أن الرسول أيضاً كذلك .

وبالجملة لولم يكن الامام معصوماً ، لجاز أن يقوم غيره مقامه ، وهو ينافي ماثبت من الاجماع وغيره ،وصدر به الاستدلال من أنه واحد من الزمان الى آخر ماتقدم، فيكون حينئذ في حد الرسول .

وثانيهما: أنه بمنزلة الرسول، فحكمه في العصمة حكمه، وعلى التقرير الثاني يتجه الايراد المذكور ، ويمكن دفعه بماأشرنا اليه .

---

(١) الشافي ٢٩٩/١ .

والحاصل أن للامام مقام الرئاسة العامة التي لا يقوم بها غيره، ومقام الاخبار والنقل عن الرسول ، وهذان هما العمدة في أمر الامامة ، وكلاهما بنفسهما يقتضيان العصمة، وكذا لو قرر الاستدلال على اقتضاء المنزلة ، لان قيامه مقام النبي لهذين الامرين المقتضين للعصمة، فكما أن الرسول معصوم للامرين المذكورين فكذا الامام .

الرابع عشر : أن الامام المعصوم لطف عام ، والنبي ﷺ لطف خاص ، وانتفاء العام شر من انتفاء الخاص ، فاذا استحال عدم ارسال الرسل منه تعالى ، فاستحال عدم نصب الامام المعصوم، من باب مفهوم الموافقة، كتحريم التأنيف على تحريم الضرب ، وقد استدل به العلامة في الالفين .

الخامس عشر : انتفاء الامام المعصوم في كل عصر ما يستلزم المحال بالضرورة فهو محال ، فانتفاء الامام في عصر محال ، فاذا استحال صدق السالبة الجزئية وجب صدق الموجبة الكلية، فيجب وجوده في كل عصر، أما الكبرى فظاهرة.

وأما الصغرى فلاستلزام انتفاء ثبوت الحجة للمكلف على الله في كل وقت ما مشاركة المعصوم مع النبي في المطلوب، اذ النبي يراد للعلم بالاحكام والتقريب والتبعيد، وهما موجودان في الامام المعصوم ، فيكون نفيه مساوياً لنفي النبي ، فلازم أحد المتساويين لازم للاخر ، لكن انتفاء الرسول يستلزم ثبوت الحجة ، فكذا انتفاء الامام .

السادس عشر : ماذكره العلامة في الالفين ، حيث قال في بيان الدليل الثالث من المائة الخامسة، وهو دليل يوجب عصمة الامام عن السهو والنسيان: هنا مقدمات :

الاولى : كلما أوجبه الله عزوجل على المكلف ، فهو واجب في نفس الامر بالضرورة، لاستحالة أن يوجب الله سبحانه على المكلف ويأمره بشيء، ولا يكون

قد أوجبه عليه في نفس الامر، والالكان مغرياً بالجهل والقبيح، لان الالزام بما ليس بلازم قبيح ضرورة .

الثانية : أن كلماكان طاعة الامام في جميع الاقوال والافعال التي يأمر بها وينهى قد أوجبها الله تعالى على المكلف ، يكون المأمور بـه من جهة الامام واجباً في نفس الامر .

الثالثة : كلما هو معصية لايجب بواسطة أمر الامام لوفرض العياذ بالله تعالى وهو محال أن يوجبه الله تعالى ، والالازم تكليف بالضدين .

الرابعة : الامام هو الموقف على الاحكام والشرع بعد النبي ﷺ ، ومنه يستفاد أحكام الشريعة .

الخامسة: التكليف بالمحال محال، و بين ذلك في علم الكلام .

السادسة : طاعة الامام واجبة دائماً في جميع أوامره ونواهيه ، لانه: اماأن تجب دائماً في جميع الاوامر والنواهي ، أو في بعض الاوقـات ، أو في بعض الاوامر والنواهي دون بعض، أولاتجب في شيء، والكل محال سوى الاول، أما الثاني والثالث فلان ذلك البعض : اماأن يكون معينـاً أولا ، والثاني التكليف بالمحال وقد قررنا استحالته .

والاول : اماأن يكون معيناً اسده كمايقال في الفعل الفلاني ، أو في الوقت الفلاني ، أو بغيرذلك كمايقال : مايظنه المكلف صواباً فيوقت يظنه على الحال المستقيم، وهو باطل لوجهين :

أحدهما: أنه يستلزم افحامه، اذ المكلف يقول له: اني لايجب علي اتباعك الا في ماحصل في ظني بأنك مصيب فيه ، أوأعلم ، وأقل مراتبه الظن في وقت أعلمك أوأظنك في الحال المستقيم ، وان لم يحصل في هذا الظن فينقطع الامام اذ حصول الظن والعلم من الوجدانيات التي لايمكن اقامة البرهان عليها وانما

يحصل لصاحبها .

وثانيهما : أنه المعرف للاحكام ، فاذا لم يكن قوله حجة ، لكان للمكلف أن يقول: اني لاأعرف هذا الحكم واصابتك الا بقولك، وقولك بمجرده ليس حجة عندي ، فيقطع الامام أيضاً ، فلافائدة في نصبه البتة ، والرابع محال، والا لكان وجوده كعدمه ، فيعين الاول، وهو وجوب طاعته دائماً في كل الاوامر والنواهي مطلقا .

اذا تقرر ذلك، فنقول :كلماأوجبه الامام على المكلف أوجبه الله عليه من المقدمة الثانية ، وكلما أوجبه اللهعلى المكلف ، فهو واجبعليه في نفس الامر بالضرورة، من الاولى ينتج كلما أوجبه الامام على المكلف فهو واجب عليه في نفس الامر بالضرورة .

فالامام : اماأن يجوز عليه الخطأ والعصيان أولا ، والاول يستلزم جواز أمره بالمعصية، فان لم يجب ناقض السادسة، وان وجبت في نفس الامر ناقض الثالثة ولزم التكليف بالمحال ، وان لم يكن تجب أمكن صدق قول بعض مايأمر به الامام غيرواجب في نفس الامر، وهو نقيض النتيجة الضرورية، وهو محال، فقد ظهر أن جواز الخطأ على الامام ملزوم بالمحال ، فيكون محالا ، فتعين الثاني ، وهو امتناع الخطاء والعصيان عليه، وهو المطلوب .

ثم قال: واعترض بعض الفضلاء على هذا الدليل، بأنا لانسلم أن امكان صدق قولنا بعض ما يأمر به الامام غير واجب في نفس الامر غير ثابت ، وصدق الضرورية[1] لاينافي امكان صدقه [2]، لان امكان صدق قولنا بعض مايأمر به الامام غيرواجب في نفس الامر امكان صدق القضية .

---

(١) الضرورية أى النتيجة الضرورية التى مر «منه» .

(٢) الضمير فى صدقه راجع الى قولنا «منه» .

والذي [١] ينافي أصل القضية هو قولنا بعض مايأمر بـه الامام بالفعل غير واجب في نفس الامر بالامكان، ولايلزم من صدق الاولى صدق الثانية، لان امكان صدق القضية لايتوقف على صدق الموضوع بالفعل، بل جائز أن يكون المحمول والموضوع بالقوة بخلاف الثانية .

وأجاب عنه أفضل المحققين خواجه نصير الدين الطوسي قدس الله سره ، بأن هذا تجويز لوقوع مايقابل القضية الضرورية، لان امكان صدق القضية هو جواز صدقها بالفعل، وصدقها بالفعل ملزوم للممكنة، فان المطلقة [٢] العامة أخص من الممكنة، وامتناع وقوع مقابل القضية الصادقة معلوم بالضرورة، قوله لا دامكان صدق القضية بأن يكون الموضوع والمحمول بالقوة باطل، لان ذلك قريب من صدق امكانها ولاامكان صدقها، وانما قلنا انه قريب من صدق امكانها، ولم نقل هو صدق امكانها، لان صدق امكانها يكون بأن يكون الموضوع لذلك البعض بالفعل والمحمول بالقوة .

وامكان الصدق غير صدق الامكان، فان الاول دون الثاني ربما يعرض القضية غير الممكنة ، كما يعرض للقضية الفعلية ، كقولنا بعض «ج» «ب» بالفعل ، وهذه القضية من حيث امكان صدقها تقابل صدق الضرورية من حيث هي صادقة من حيث كونها بالفعل تقابل نفس تلك القضية ولاتناقضها، انما تناقضها لو كانت ممكنة بالامكان العام، واذا كانت مقابلة الضرورية لايمكن اجتماعها معها ثبت مطلوبنا، اذ يمتنع صدقها مع صدق الضرورية [٣] انتهى .

---

(١) لان نقيض القضية الضرورية الممكنة العامة، فان سلب ضرورة الايجاب امكان عام لسالب «منه» .

(٢) لانه متى صدق الايجاب بالفعل صدق الايجاب بالامكان، ولاينعكس لجواز أن يكون الايجاب ممكناً ولايكون واقعاً أصلا «منه» .

(٣) الالفين ص٢١٣-٢١٦ .

واعلم أن هذا الدليل وماسيأتي الى العشرين أدلة مرتبطة بقواعد المنطق ، والاول بيان بعض مايتوقف عليه منها .

فنقول: ان القضايـا الموجهة تنقسم الى ضرورية مطلقة ، ومشروطة عامة ، ووقتية مطلقة ، ومشروطة عامة،ووقتية مطلقة، ومنتشرةمطلقة،وعرفية عامة،ومطلقة عامة ، وممكنة عامة ، ومشروطة خاصة ، وعرفيـة خاصة ، والممكنةالخاصة .

وينقسم هذه الاقسام الى أقسام ، لان النسبة في القضية لابد له من كيفية في نفس الامر من الضرورة ، أي: امتناع زوال النسبة،والدوام واللاضرورةواللادوام، وهذه الكيفيات جهة للقضية ، فهنا أقسام خمسة :

الاول : أن يكون النسبة ضرورة، وينقسم الى الاربعة الاول ، لانهذهالنسبة ان كانت ممتنعة الانفكاك عن الموضوع مادام ذات الموضوع موجودة ، كقولك كل انسان حيوان بالضرورة ، فضرورية مطلقة .

أما تسميتها بالضرورة فظاهرة ، وأمـا تسميتها بـالمطلقة ، فللاحتراز عـن المقيدة باللادوام ونحوه، وانكانتالنسبة كذلك، أي:ضرورية مادام الوصف في الموضوع العنوانـي ثابت لذات الموضوع ، نحو كل كاتب محرك الاصابـع بالضرورة مادامكاتباً ، فمشروطة عامة ، وقدظهرت النسبة .

وانكانت النسبة ضرورية في وقتخاص معين ، فوقتية مطلقة ، نحو كلقمر منخسف وقت الحيلولة ، أو غير معين فمنتشرة مطلقة ، نحو كـل انسان متنفس وقتاًما ، ووجه التسمية بالانتشار عدم التعين بالاطلاق مامر .

الثاني : أن يكون جهة النسبة الدوام ، فانكانت مادام ذات الموضوعثابتاً وان لمتكن ممتنعة الانفكاك ، فدائمة مطلقة ، نحو كلفلك متحرك دائماً ، وكـل زنجي أسود دائماً ، وانكانت مادام الوصف فعرفية عامة ، نحوقولك كـلكاتب متحرك الاصابع مادامكاتباً وأما أنه عامة،فلانها أعم من العرفية الخاصية، أما أنها

عرفية فلان أهل العرف يفهمون ذلك .

الثالث : أن يكون جهة النسبة اللاضرورة هـو الامكان ، فعلى أقسام ، لأن الامكان اما أن يكون بحسب الذات ، أو بحسب الوصف العنواني ، فان كان الاول، فاما أن يكون ذلك مع قطع النظر عن الوجود أولا ، وعلى التقادير اما أن يكون نفي الضرورة من الجانب المخالف للنسبة ، أو من الجانب الموافق ، أو مـن الجانبين ، والمضبوط منها أقسام :

الاول : أن يكون نفي الضرورة ، أي : الامكان بحسب الذات مـع قطع النظر من الوجود عن الجانب المخالف للنسبة هو الممكنة العامة ، نحو كـل انسان حيوان بالامكان العام ، ولاشيء من الانسان بحجر بالامكان العام ، اما أنها ممكنة فظاهر، فان الواجب ماامتنع سلبه ، وكان سلب عدمه ضرورياً، والمفروض أن السلب من جانب العدم هنا ليس ضرورياً .

والحاصل أن نفي الضرورة عن الجانب المخالف للقضية ان كان ثابتاً، فان كانت القضية موجبة ، كانت النسبة جائزة العدم والسلب ، اي جاز سلب هـذه النسبة ، فان نفي الضرورة هو في معنى الجواز وان كانت سالبة فبالعكس ، وأمـا انها عامة فلما قيل من أنه الامكان المستعمل عند جمهور الناس .

الثاني : أن يكون نفي الضرورة بحسب الذات عن الجانب المخالف مع ملاحظة وجود النسبة في الخارج ، وهو الوجودية اللاضرورة ، نحو كل انسان ضاحك بالفعل لا بالضرورة ، وهي مركبة من موجبة مطلقة عامـة ، وسالبة ممكنة عامة ، وفي السالبة بالعكس .

الثالث : أن يكون نفي الضرورة بحسب الوصف من الجانب المخالف ، نحو قولنا كل من به ذات الجنب يسعل بالامكان الحيني ، ومعناه أن سلب السعال عن المجنوب ليس بضروري .

الرابع : أن يكون نفي الضرورة عن الجانب المخالف في وقت معين، نحو قولنا كل قمر مضيء بالامكان الوقتي ، أو كل مجنوب يسعل وقت كونه مجنوباً بالامكان الوقتي .

الخامس : أن يكون جهة النسبة اللادوام ، فان انضمت الى المشروطة العامة ، فمشروطة خاصة ، فهي التي حكم فيها بضرورة النسبة ما دام الوصف ، لا دائماً بحسب الذات ، نحو كل كاتب متحرك الاصابع بالضرورة ما دام كاتباً لا دائماً ، فهي مركبة من موجبة مشروطة خاصة ، وسالبة مطلقة عامة ، لان معنى لا دائماً لاشيء لكاتب متحرك الاصابع بالاطلاق العام ، وفي السالبة بالعكس.

وان انضمت الى العرفية العامة ، فعرفية خاصة ، فهي التي حكم فيها بدوام النسبة ، أي ثبوتها مادام الوصف لا دائماً ، نحو كل كاتب متحرك الاصابع مادام كاتباً لا دائماً ، فهي مركبة من موجبة عامة وسالبة مطلقة عامة ، وفي السالبة بالعكس ، وان انضمت الى المطلقة العامة فوجودية لا دائمة ، فهي التي حكم فيها بفعلية النسبة ، ووجودها في أحد الازمنة لا دائماً .

فهي مركبة من مطلقتين عامتين موجبة وسالبة، نحو كل انسان ضاحك بالفعل لادائماً .

السادس : أن تكون جهة النسبة الفعلية والوجود في الخارج في أحد الازمنة ففعلية ، نحو كل انسان متنفس بالاطلاق العام .

وثانيها أن نقيض القضايا المخصوصة لابد فيه من الاتحاد في الوحدات الثمانية المعروفة ، وفي القضايا المحصورة لابد فيه من الاتحاد في الوحدات والاختلاف في الكلية والجزئية ، لامكان صدق الجزئيتين وكذب الكليتين ، اذا كان الموضوع أعم من المحمول ، كقولك بعض الانسان حيوان ، وبعض الحيوان ليس بانسان ، وكل حيوان انسان ، ولاشيء من الحيوان بانسان.

وانما يكون هذا فيماله محصل من النقيض من القضايا المضبوطة، ونقيض القضايا الموجهة لابدفيهمع الاتحاد الاول ، والاختلاف الثاني الاختلاف في الجهة أيضاً،فنقيض الضرورية المطلقة الممكنة العامةوبالعكس،لان الامكان سلب الضرورة عن الجانب المخالف ، واثبات الضرورة في جانب، وسلبها من جانب نقيضان ، ونقيض الدائمة المطلقة مطلقة عامة وبالعكس ، لان السلب في كل الاوقات ينافيه السلب في البعض ، ونقيض المشروطة العامة الحينية المطلقة وبالعكس، والوجه ظاهر .

ومن ذلك يظهر لك الوجه في نقائض المركبات، لان المركبة تركيبهامن قضيتين بسيطتين ، فنقيضهما نقيض المركبة ، وبالجملة اللادوام اشارةالى مطلقة عامة،واللاضرورة الى ممكنة عامة .

ثم ان القياس قول مؤلف من قضايا حملية،أوشرطية موجهة ، أوغيرموجهة، متى سلمت لزم لذاته قول آخر، وهذه القضايا في الحقيقة هي الحجة التي هي في مقابل القول الشارح اللذان هما موضوع علم المنطق .

والقياس على قسمين : اقتراني ، واستثنائي ، فانكانت النتيجة بعينها أو نقيضها مذكوراً في القياس ، فهو استثنائي ، كقولك انكان أب فجد ، لكنه أب فجد ، أوليس جد فليس أب . وان لم يكن كذلك ، فهو اقتراني .

ثم الاقتراني ينقسم الى حملي وشرطي ، والحملي ماتركب من حمليتين ، والشرطي ماتركب من شرطيتين ، والحمل ينقسم الى أشكال أربعة ، فـان الحد الاوسط في القياس ، وهوالذي يتكرر في القضيتين ، انكان موضوعاً فيهما، فهو الشكل الثالث . وانكان محمولا فيهما ، فهوالشكل الثاني ، وانكان موضوعاً في الصغرى محمولا في الكبرى فهو الشكل الرابع ، وانكان بالعكس فهو الاول ، فالاول عكس الرابع، والرابع عكس الاول، والثاني مخالف للثالث وبالعكس.

وهذه الاشكال بحسب الكمية والكيفية لمقدمتيها أي الحصر في المحصورات الاربع : من الكلية والجزئية ، والايجاب والسلب ، تنقسم في كل شكل من الاشكال الاربعة الى ستة عشر قسماً ، باعتبار أربعة محتملات الصغرى ، وأربع محتملات الكبرى ، لكن المنتج منها مقصورة على أقسام ، وبيان ذلك مقصورة في مظانها .

اذا عرفت ذلك ، فنقول : لنافي المقام وجوه من الكلام .

الاول : أن الاستدلال المذكور انماهو من قوله ، فالامام: اما أن يجوز عليه الخطأ والعصيان أولا الى آخره ، والباقي كلها مقدمات على نظم الاستدلال ، والقياس الذي ذكره من قوله كلما أوجبه الامام الى آخره كاف في العصمة ، بل هو أولى بحسب الاستدلال من قوله ، فالامام الى آخره لاقتضائه عدم السهو والنسيان أيضاً .

الثاني : أنه يمكن أن يسقط لفظ الامكان من الاستدلال ، فيقال : وان لم يجب صدق قولنا بعض مايأمره الامام غير واجب في نفس الامر ، وهو نقيض النتيجة .

فان قلت : لعل لفظ الامكان من جهة الجواز المأخوذ في قوله «فالامام» اما أن يجوز عليه الخطأ والعصيان ، أولا ، والاول يستلزم جواز أمره بالمعصية .

قلت قوله فان لم يجب ناقض وان وجب الخ ، فانما هو على تقدير الوقوع وفرضه ، مضافاً الى الامكان في الجزاء فرع امكان الشرط ، وليس كذلك .

الثالث : أنه يمكن أن يفسد عدم الوجوب بمناقضته للنتيجة ، والا فكل ما تقدم مما نقض ماتقدم من المقدمات أمكنا فيه بيان قضية مناقضته لتلك القضايا ، فان كان مثل هذا اللفظ أورد عليه بمثل هذا الايراد ، وان كان بلفظ الصدق فلم لم يقل به في هذا المقام .

الرابع : أن كل قضية موجهة أوغير موجهة ، اذا صدقت وتحققت، امتنع نقيضه ، فلم يمكن صدقه بعد صدق القضية ، فقول المستدل « أمكن صدق قولنا بعض مايأمر به الامام» الى آخره اشارة الى ذلك .

فان قلت : نقيض الضرورية الموجبة الممكنة العامة السالبة ، فليس يثبت التناقض الا بعد أخذ الامكان العام .

قلت : هذا كلام آخر غير ماحاوله المتعرض،ويمكن رفعه بأن الموجبة الفعلية السالبة الجزئية ، وبعبارة اخرى المطلقة العامة السالبة الجزئية تناقض الموجبة الضرورية الكلية ، الا أنها ليست تمام النقيض، وأيضاً الضرورة المأخوذة في النتيجة هي المأخوذة في الكبرى ، وهي في الحقيقة اشارة الى الدليل لقوله في بيان الكبرى بالضرورة من الاول ، لا أن يكون المقصود الجهة المعروفة في القضية .

الخامس : أن مراد خواجه نصير الدين في الجواب أن قوله بعض مايأمر به الامام غير واجب في نفس الامر ، هو لا أقل من كونه قضية فعلية ، والقضية الفعلية وان لم تكن نقيضاً للمطلقة الضرورية ، الا أنها مقابلة لها ، والمقابلتان لاتجتمعان فان بين كل قضيتين اما مساواة ، أو تقابل، أو تناقض، وامكان صدق هذه القضية بمعنى جواز الصدق، ومعنى الجواز ثبوت الصدق.

قوله « وهذه القضية من حيث امكان صدقها تقابل صدق الضرورية، ومن حيث كونها بالفعل تقابل نفس القضية » معناه أنه اذا اعتبر في هذه القضية الجزئية الصدق ، فالمعتبر في القضية الضرورية الصدق ، وأيضاً فهما متقابلتان ، وان اعتبر في هذه القضية الفعلية فكذلك ، والمقابلتان لاتجتمعان أيضاً .

فان قلت : مامعنى قوله وصدقها بالفعل ملزوم للممكنة ، فان المطلقة العامة أخص من الممكنة .

قلت : بين المطلقة العامة والممكنة العامة عموم وخصوص مطلق ، فان الامكان أعم من الفعلية، فاذا تحققت الفعلية تحققت الامكان، فالمطلقة العامة ملزومة للممكنة .

السادس : أن اعتبار الامكان في المحمول في القضية الفعلية، كماهومقتضى قوله « وانماقلنا انه قريب من صدق امكانها » الخ كماترى، فان المعتبر في المطلقة العامة فعلية النسبة ووجودها في الخارج ، وهو موقوف على تحقق المحمول كالموضوع ، كماهومقصود المستدل أيضاً ، ولازم دليله كمالايخفى .

ولعل ماذكره لاجل ماذكره المستدل من لفظ امكان الصدق ، ومراده من الامكان ماعرفت ، وأشار اليه من الجواز ، وهو في الحقيقة صرف عبارة ، والا فمقصوده أنه ان لم يجب صدق قولنا ، ولوعبر بمايسقط فيه لفظ الصدق جاز أيضاً ، بأن يقول: وان لم يجب لزم أن يكون بعض مايأمر به الامام غير واجب ، وهومخالف للنتيجة .

السابع عشر : ماذكره في الالفين أيضاً : كل امام يجب طاعته بالضرورة ما دام اماماً ، اذ لولم تجب طاعته ، لكان الله تعالى ناقضاً لغرضه ، والتالي باطل، فالمقدم مثله .

بيان الملازمة : أن الله تعالى اذا نصب اماماً وأوجب عليه الدعاء لكلامه[1] الى فعل الطاعات ، ثم لم يوجب عليهم طاعته ، بل قال : ان شئتم فاقتدوا به وأطيعوه ، وان شئتم فلا ، انتفت فائدته ، فانتقض الغرض ضرورة .

وأما بطلان التالي فظاهر ، فلوكان امام غير معصوم لصدق بعض الامام لاتجب طاعته بالامكان حين هو امام لان الامام اذا لم يكن معصوماً يمكن أن يدعو الى معصية ، فان وجب وجبت المعصية حال كونها معصية، هذا خلف ، وان لم تجب

(١) في المصدر : للامة .

ثبت المطلوب ، ولوصدقت هذه المقدمة مع صدق الاول لاجتمع النقيضان ، اذ الحينية الممكنة تناقض المشروطة العامة ، لكن الاولى صادقة لما بينا ، فالثانية كاذبة ، فملزومها وهو كون الامام غير معصوم كاذب(١) .

الثامن عشر : ماذكره فيه أيضاً : من أن الامام المعصوم لا ينعقد الاجماع مع مخالفته لانه كبير الامة وسيدهم ، وقوله وحده حجة ، لانه تجب على الامة كافة اتباعه ، ولا نعني بالحجة الا هذا ، وقوله وفعله بمنزلة قول كل الامة وفعل كل الامة فهو بمنزلة كل الامة ، وكل الامة معصومة ، فيلزم أن يكون الامام معصوماً (٢) .

ولعل حاصله أن الامام بمنزلة الكل في القول والفعل بل أشرف وأصوب وأولى ، حيث أنه يجب على الكل اتباعه ، فكما أن الكل معصوم لايجوز عليهم الخطاء ، فكذا الامام .

التاسع عشر : ماذكره فيه حيث قال : لاشيء من غير المعصوم فعله حجة ، وكل امام فعله حجة ، ينتج لاشيء من غير المعصوم بامام .

أما الصغرى : فلان الدليل شرطه عدم احتمال النقيض ، واحتمال الخطاء فيه ظاهر ، لوجود القدرة والداعي وهو الشهوة ، والصارف لغيره من المجتهدين ، اذ لا صارف الا القبيح والعلم بقبحه وهو منازع غير المعصوم ، والامامة زيادة في التمكن ، بل الصارف في المجتهد الذي هو رعيته أولى لخوفه من الرئيس .

وأما الكبرى فلانه قائم مقام النبي ﷺ وهي ظاهرة(٣) .

أقول : قوله لغيره كذا في ثلاث من النسخ ، ولعل الصحيح كغيره بالكاف ،

---

(١) الالفين ص٢١٣ .

(٢) الالفين ص٢١٩ .

(٣) الالفين ص١٧٥ .

ويحتمل أن يكون باللام وخبراً للصارف ، أي المصارف لغير الامـام ، والاول أولى .

قوله « والامامة زيادة في التمكن » دفع لايراد مقدور ، وهو أن الامامة هي المانعة والصارفة ، وليست كغيره من المجتهدين .

العشرون : ماذكره فيه: الامام محتاج اليه في حفظ الشرع،وتقرب المكلف الى الطاعة وتبعده من المعصية ، واقامة الحدود والجهاد ، وحفظ نظام النوع ، فنقول :

أما الاول فلولم يكن معصوماً لزم مساواته لباقي المجتهدين ، ولايتخصص بحفظ الشرع دونهم ، بل يقومون مقامه فيه، فيفتقر احتياجهم اليه فيه.

وأما الثاني ، فاذا لم يكن معصوماً ساوى غيره ،فلوصلح لتقريب غيره مع مساواتهاياه ،لصلح لتقريب نفسه ،فلم يحتج اليه فيه،والامام[1] زيادة في التمكين.

وأمـا الثالث ، فنقول : العلة الموجبة لنصب الامام لاقامة الحدود جـواز وجوبها على المكلف المعلول بعدم العصمة ، فلولم يكن الامام معصوماً ، لـزم أحد الامرين: اما الترجيح بلامرجح، واما التناقض، والتالي بقسميه باطل فالمقدم مثله .

بيان الملازمة : أن الامام اذا لـم يكن معصوماً وجـد منه علة نصب مقيم الحدود فيه ، فاما أن لايشرع لاحد اقامة الحد عليه أو يشرع ، فانكان الاول لزم الترجيح من غيرمرجح اذعلة نصب مقيم عليه موجود فيه ، ونصبهعلى المكلفين الباقين دونه يستلزم ذلك ، وهو أيضاًخارق للاجماع ، وانكان الثاني فاما الرعية فيلزم غلبته عليهم وغلبتهم عليه ، وهوتناقض.

وأما الرابع ، فاذا لميكن معصوماً جوز المكلف خطأه في وجوب الدعاء

(١) في المصدر : الامامة .

الى الجهاد ، فلايبذل نفسه لعدم تيقنه بالصواب .

وأما الخامس ، فتسليط غيرالمعصوم بما لا يؤمن عليه اختلال النظام ، فقد ظهر أن عدم عصمة الامام[1] يناقض الغرض وتنتفي فائدة نصبه[2].

الواحد والعشرون : أن الامام هو الداعي الى الله تعالى والهادي اليه ، لتكمل نفوس العباد به ، فتصل الى أعلى درجات القرب من الله تعالى ، فانه أصل الغاية ومنتهى النهاية ، فلابد من أن يكون له درجة الكمال في النفس الناطقة والعقل باستكمال قوتي العلم بحصول العقل المستفاد له ، والعمل بحصول تخلية السر بالصور القدسية .

فان العقل كماذكره الحكماء له مراتب :

الاولى : العقل الهيولاني ،وهو الاستعداد المحض ،كالعقل الحاصل للاطفال وهذا الاستدلال ليس حاصلا للحيوانات.

الثانية : العقل بالملكة ، وهو الذي يدرك به المعقولات الاولة ، أي : الضروريات والبديهيات ، وليس هو الا الاحساس بالجزئيات ، والنسبة لما بينها من المشاركات والمباينات ، فان النفس اذا أحست بجزئيات كثيرة ، وارتسمت صورها في الانتهاء الجسمانية ، ولاحظت نسبة بعضها الى بعض ، استعدت لان يفاض عليها من المبدء امور كلية وأحكام تصديقية .

الثالثة : العقل بالفعل ، وهوالذي يدرك به المعقولات الثانية ، أي: العلوم الكسبية ، قيل: هو ملكة استنباط النظريات من الضروريات ، بحيث متى شاء استحضر الضروريات ، واستنتج منها النظريات .

---

(١) كذا في بعض النسخ : فقد ظهر أن مع عدم عصمة الامام لا يحصل شيء من هذه المفاسد ، فقد ظهر أن عدم عصمة الامام الى آخره، وهو غلط «منه» .

(٢) الالفين ص١٧٤-١٧٥ .

وقيل : ليس العقل بالفعل ماذكر، بل هو مااشتهر من أنه حصول النظريات وصيرورتها بعد استنتاجها من الضروريات ، بحيث يستحضرها متى شاء بلارؤية وتجشم كسب جديد ، وذلك انما يحصل اذا لاحظ النظريات الحاصلة مرة بعد اخرى ، حتى تحصل له ملكة نفسانية يقوى بهاعلى استحضارها متى أراد من غير حاجة الى فكر .

الرابعة : العقل المستفاد، وهوحصول العلوم النظرية له من دون اكتساب ونظر واستنتاج على حد الصور في المرآة . قيل: وهو أن يحضرعنده النظريات التي أدركها بحيث لا يغيب عنه .

وقيل: ان المسطور في مشاهير الكتب أن هذه المراتب الاربع تعتبر بالقياس الى كل نظري على حده ، والعقل المستفاد بالنسبة الى نظري واحد هو أن يصير مشاهداً للقوة العاقلة ، والذي فسره بالتفسير الاول .

قال : وهل يمكن ذلك أي حضورها بأسرها مشاهدة للقوة العاقلة الانسانية والانسان في جلباب من بدنه أم لا؟ يمكن فيه تردد ، أو يجوز عند العقل أن يتجرد بعض النفوس الكاملة عن العلائق البدنية تجرداً تاماً بحيث يشاهد معقولاتها دفعة واحدة ، كأنها لمعة برق ، ثم يترقى عن هذه الحالة الى مشاهدة بعد مشاهدة ، وهكذا حتى تصير المشاهدة ملكة راسخة فيه ، وان كان رسوخها مستبعداً أكثر من استبعاد كونها بروقاً لامعة .

والظاهر أن استمرار المشاهدة انما يكون في الدار الاخرة ، وعلى التفسير الثاني لاريب ولا شبهة في وقوعه في الحياة الدنيا انتهى .

قلت : الذي يستفاد أن العقل المستفاد هوماذكرناه من حصول العلم في كل أمر ، والا فكل مجهول بعد الاكتساب من النظر عقل بالفعل لاعقل مستفاد، وهذه المراتب في العقل لم يلاحظ في كل نظري نظري ، بل في جميع المجهولات،

فالعقل بالفعل لا يحصل لكل أحد ، بل رشحة من رشحاته فيمن عقل نظرياً مخصوصاً ، فهوعقل بالفعل مقيداً بذلك النظري ، والعقل بالملكة انماهو ملكة التعقل لا فعليته ، فهوعدم مامن شأنه التعقل ، فهوعدم ملكة .

والحاصل أن هاهنا كلامين :

أحدهما : في أن هذه المراتب ليست ملحوظة في أمر دون أمر ، والا فقد يتفق اجتماع الجميع في واحد ، وانماذكروا ذلك مراتب للعقل .

وثانيهما :في أن الملحوظ في العقل بالملكة عدم حصول العلم والتعقل، كما أن الملحوظ في العقل بالفعل حصوله بعد النظر، والملحوظ في العقل المستفاد حصول العلم من غير نظر ، ولذا جعل ذلك أقصى المراتب للعقل ، هذا كله مراتب العقل .

وأما مراتب العمل فهي ثلاثة :

أولها :تهذيب الظاهر بالشرائع النبوية .

وثانيهما : تزكية الباطن من الملكات الردية .

وثالثها : تخلية السر بالصور القدسية ، ولاينفك المرتبة الاخيرة من العقل من المرتبة الاخيرة من العمل، ولابد حصول المرتبة العقلية الاخيرة من المرتبة العملية الاخيرة ، بل الاولة مسببة والاخيرة سبب لها .

ثم قلت : وليس كلامنا في المقام في الاصطلاح ، بل نقول: انه لابد في كل عصر أن يكون امام شأنه السفارة والهداية والدلالة ، والدعوة الى الله تعالى ، وتهذيب النفوس ، وتحليتهم بالحلي الباطنة للتقرب اليه تعالى ، ووصولهم الى المحل الاعلى .

وقد تكلم بعض الحكماء في المقام في الاشراق التاسع من الشاهد الاول من المشهد الخامس ، قال : ان للقلب الانساني ، وهو نفسه الناطقة التي هي

مثال للعرش ومستوى للرحمة ، كما أن العرش مستوى للرحمن بـابين : بـاب مفتوح الى عالم الملكوت ، وهو عالم اللوح المحفوظ ، ومنشأ الملائكة العلمية والعملية ، وباب مفتوح الى القوى المدركة والمحركة ، والله سبحانه كما أنه خلق الخلق ثلاثـة أقسام منهم الملائكة الروحانيون ، فركب فيهـم العقل دون الشهوة ، ومنهم البهائم ، فركب فيها الشهوة دون العقل ، ومنهم بنو آدم فركب فيهم العقل والشهوة .

فهكذا خلق الانسان ثلاثة أقسام .

منهم المستغرقون في معرفة الله وملكوته ، المستهزون بذكره ، المتواجدون في عظمته وكبريائه ، الحائرون في أشعة جماله ، وهم الالهيون من أوليائه المفتحة لهم أبواب الملكوت .

ومنهم المكبون الى الشهوات ، المحتبسون فـي سجن الدنيـا ، المقيدون بسلاسلها وأغلالها ، فهم أهل الدنيا جميعاً ، قد أكبهم الله على مناخرهم في النار ، وحبسهم عن نعيم الاخرة ، فسد عليهم باب الملكوت ، وفتح لهم أبواب الجحيم الا من تاب وأصلح نفسه .

ومنهم الجالس في حد المشترك بين عالم المعقول وعالم المحسوس ، فهو تارة مع الحق بالحب له ، وتارة مع الخلق بالرحمة عليهم والشفقة لهم ، فاذا عاد الى الخلق كان كواحد منهم ، كأنه لايعرف الله وملكوته ، واذا خلا بربـه مشتغلا بذكره وخدمته ، فكأنه لايعرف الخلق ، فهذا سبيل المرسلين والصديقين ، اذ لا شبهة في أن الجامع للطرفين أعلى في المرتبة من المحجوب عن أحدهما بالاخر لضيق صدره ، وعدم انطلاق لسانه .

فالنبي لابد أن يكون آخذاً[1] من الله ، متعلماً من لدنه ، معطياً لعباده معلماً

(١) أي : أخذ من الله وأعطي الخلق «منه» .

وهادياً لهم فيسأل ويجاب ، ويسأل ويجيب ، ناظماً للطرفين واسطة بين العالمين، سمعاً من جانب ولساناً الى جانب ، وهكذا حال سفراء الله الى عباده وشفعاء يوم تناده .

فلقلب النبي بابان مفتوحان : أحدهما وهو الباب الداخلاني الى مطالعة اللوح المحفوظ والذكر الحكيم ، فتعلمه علماً يقيناً لدنياً من عجائب ماكان أو سيكون ، وأحوال العالم فيما مضى وفيما سيقع، واحوال القيامة والحشر والحساب ومآل الخلق الى الجنة أو النار ، وانما ينفتح هذا الباب لمن توجه الى عالم الغيب وأفرد ذكر الله على الدوام .

والثاني : الى مطالعة ما في الحواس ليطلع على سوانح مهمات الخلق ، ويهديهم الى الخير ، ويردعهم عن الشر، فيكون هذا الانسان قد استكملت ذاته في كلتا القوتين ، آخذاً بحظ وافر من نصب الوجود والكمال من الواهب سبحانه ، بحيث يسع الجانبين ، وتوفي حق الطرفين ، فيكون بما أفاضه الله على قلبه وعقله المفارق ولياً من أولياء الله وحكيماً الهياً ، وبما يفيض منه الى قوته المتخيلة والمتصرفة رسولا منزلا بما سيكون ومخبراً بما كان وبما هو الان موجود، وهذا أكمل مراتب الانسانية ، وأول شرائط كون الانسان رسولا من الله .

ثم مع ذلك أن يكون له قدرة بلسانه على جودة التخيل بالقول لكل ما يعلمه ، وقدرة على حسن الارشاد والهداية الى السعادة ، والى الاعمال التي يبلغ بها السعادة ، وأن يكون له مع ذلك قوة نفسانية للمناظرة في العلوم مع أهل الجدال ، وقوة بدنية للمباشرة في الحروب مع الابطال لاعلاء كلمة الله ، وهدم كلمة الكفر ، وطرد أولياء الطاغوت ، ليكون الدين كله لله ولو كره المشركون انتهى .

وقد نزل العلامة في الالفين هذا الدليل على الاية ، وهي قوله تعالى «ان الله

يحب المتوكلين» قال : ان التوكل لايحصل الا بهذه المراتب من العلم والعمل، وذلك موقوف على المعصوم ، لانه اللطف المقرب الى الطاعة ، والمبعد عن المعصية الموقوف عليه فعل المكلف به ، فيجب اذ محبة[1] المتوكل بدون فعل ماهوموقوف عليه ، وهومن فعله ، ولايمكن من غيره يستلزم فعله من الحكم قطعاً، فثبت الامام المعصوم[2].

الثاني والعشرون : ماقاله في الالفين بعد مامر، وجعله دليلا غيره ، قال: التوكل لايحصل الا بثلاثة أشياء :

الاول : تنحية مادون الحق عن مسس[3] الايثار .

الثاني : تطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة لتجذب قوى التخيل والوهم الى التوهمات المناسبة للامر القدسي ، متصرفة عن التوهمات المناسبة للامر السفلي .

الثالث : تلطيف السر للتنبيه [4] ، أي : تهيئته لان يتمثل فيه الصور العقلية بسرعة ،ولان ينفعل عن الامور الالهية ، وانما يحصل الاول بالزهد الحقيقي المقرب الى الطاعة والمبعد عن المعصية ، وذلك لايتم الا بالمعصوم كما تقدم ، وانما يحصل الثاني بثلاثة أشياء :

الاول : بالعبادة المشفوعة بالذكر والفكر في الله تعالى ، لان العبادة تجعل البدن بكليته متابعاً للنفس ، فاذاكان مع ذلك النفس متوجهاً الى جناب الحق بالفكر صار الانسان بكليته مقبلا على الحق ، والا فصارت العبادة سبباً للشقاوة ،

---

(١) فى المصدر : صحة .

(٢) الالفين ص١١٥ .

(٣) فى المصدر : يسير .

(٤) يحتمل للبنية ، أى لبناء الصور عليه ، ويحتمل للتنبه أى للتذكر والفكر«منه».

كماقال تعالى « فويل للمصلين * الذين هم عن صلوتهم ساهون » وبالعبادة تنجز النفس الى جناب الحق من خباب الغرور .

الثاني : بالوعد والوعيد وبالزجر وبالمؤاخذة على فعل المعاصي ، والمدح على فعل الطاعات والتقرب ، وذلك لايحصل الا بالمعصوم ، فان غيره لاتسكن النفس اليه ، ولا يحصل الاعتماد على قوله ، فلا يحصل الغرض ، بل معاصية وخطاءه منفر عظيم عن قبول قوله ، فيحصل ضد الغرض .

الثالث : الكلام المفيد المتصديق بماينبغي أن يفعل وعماذا ينزه من شخص تسكن النفس اليه، ليجعلها غالبة على القوى ولايحصل سكون النفس واعتمادها وتصديقها اليقيني الذي يجعلها غالبة على القوى الا اذا كان زكيا يعلم منه الصدق يقينا، ويعلم عدم صدور ذنب منه، فان وعظ من لايتعظ لاينجع[1] لان فعله يكذب قوله ، وذلك ليس بمعصوم .

وانمايحصل الاول[2] بشيئين : الاول الفكر اللطيف ، وجعل النفس ذات خشوع ورق منقطعة عن الشواغل الدنيوية، معرضة عماسوى الحق، جاعلة جميع الهموم هماً واحداً ، وهو طلب وجه الله تعالى لاغير ، وهذا لايحصل الا بمعرفة طريق يقيناً، وليس ذلك الا المعصوم كماتقدم من التقرير، فقد ثبت الاحتياج الى المعصوم في هذه المراتب كلها .

اذا تقرر ذلك ، فنقول : قد وجد من الله القادر على جميع المقدورات العالم بجميع المعلومات ارادة التوكل، فيريد مايتوقف عليه، لان ارادة المشروط يستلزم ارادة الشرط ، مع العلم بالتوقف واستحالة المناقضة ، فيجب نصب

---

(١) لاينجع بالنون ثم الجيم، أى: لايؤثر «منه» .

(٢) الظاهر أنه الثالث والنسخ الموجودة عندى هكذا «منه» .

المعصوم في كل زمان، لوجود القدرة وانتفاء الصارف فيجب وجود الفعل[١].

الثالث والعشرون: ماقاله فيه أيضاً قال: اعلم أن القوة الحيوانية التي هي مبدأ الادراكات والافاعيل الحيوانية في الانسان اذا لم يكن لها طاعة القوة العقلية ملكه كانت بمنزلة بهيمية غير مرتاضة تدعوها شهوتها تارة وغضبها تارة الى لذائذ تهيجها القوة المتخيلة والمتوهمة بشيئين: الاول مايتذكرانه.

الثاني: مايتأدى اليهما من الحواس الظاهرة تارة الى مايلائمها وتارة مالايلائمها، فتتحرك اليه حركات مختلفة حيوانية بحسب تلك الدواعي، وتستخدم القوة الفاعلة في تحصيل مراداتها، فيكون هي امارة تصدر عنها أفعال مختلفة المبادى والعقلية، مؤتمرة عن كره مضطربة.

أما اذا منعتها القوة العقلية عن التخيلات والتوهمات والاحساسات والافاعيل المثيرة للشهوة والغضب وأجبرتها على مايقتضيه العقل العملي، بحيث صارت تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه، ولايصدر منها ماتقتضيه القوة الغضبية والشهوية من الفساد كانت العقلية مطمئنة، لايصدر عنها أفعال مختلفة المبادى، وباقي القوى بأسرها مؤتمرة ومسالمة لها، وبين الحالتين حالات بحسب استيلاء احداهما على الاخرى تتبع[٢] الحيوانية فيها أحياناً هواها عاصية العاقلة ثم تندم فتلوم نفسها وتكون لوامة، وقد جاء في القرآن الحكيم تسمية هذه النفس بهذه الاسامي.

اذا عرفت ذلك فنقول: قد ظهر مماتحقق أن النفس المطمئنة هي التي

---

(١) الالفين ص١١٦–١١٧.

(٢) تتبع بالمخفف أى تتبع الانسان وحينئذ المناسب ثم يندم فيلوم نفسه بصيغة المذكر «منه».

لايصدر منها ذنب أصلا وألباتـه (١) واعتقاداتها صحيحة يقينية، من باب العقل المستفاد، فيجب أن يكون نفس الامام من هذه، لان هذا القسم موجود، وقدجاء التنزيل به ، فيستحيل أن يكون غيرالامام مع وجوده ، ولان الامام في كل عصر واحد خصوصاً في غير المعصوم ، وفائـدة الامام منع النفسين الاخريـن عن متابعة القوى الحيوانية وحملهما على مطاوعتهما للقوة العقلية والعملية في كل وقت .

فلو كانت نفسه من احدى النفسين اماالاولى أوالثانية لكان في حال غلبةالقوة الحيوانية على نفسه لايحمل النفسين الأخرين على مطاوعة القوة العقلية، فيخلو ذلك الزمان عن فائدة الامام ، وهو يناقض ماذكرناه من وجود حصول فائدتـه في كل وقت ، لاستحالـة الترجيح من غير مرجح ، ووجود المقتضى في كل وقت .

وأيضاً فان هذا الرئيس ليس في زمان واحد، بل في أزمنة متعددة ، واذا جاز خلوها عن فائـدة الامام وغايته جاز خلوها عن الامام اذ انتفاء غايـة الشيء يوجب تجويز انتفائـه ، فيجوز في كل زمان لاستحالـة الترجيح من غيرمرجح هذا خلف ، فيجب أن يكون نفس المعصوم من القسم الثاني، فيكون معصوماً ، وهوالمطلوب (٢) .

الرابع والعشرون : ماذكره فيه أيضاً ، قال : اللذات منها حيوانيـة ومنها عقلية ، أماالحيوانيـة فكماتتعلق بالقوى الشهوية كتكيف العضو الذائق بكيفية

(١) كذا في النسخة المعتبرة وفي بعض النسخ بدون الواو ولعله البتة «منه» أقول: وفي المصدر: والبتة .

(٢) الالفين ص١١٨-١١٩ .

الحلاوة، سواء كانت مادة خارجية، أوحادثة [١] في العضو عن سبب خارج كما يتعلق بالقوى الشهوية [٢] ، كتكيف النفس الحيوانية، بتصور غلبةما ، أوتصور أذى بالمغضوب عليه، وكمايتعلق بالقوى الباطنة ،كتكيف الوهم بصورة شيء يرجوه أوتصور شيء يتذكره، وكذلك في سائرها .

وهذه كلها خيالات حيوانية مختلفة ، وادراكات حيوانية متفاوتـة ، تتبعهما اللذات بحسبها ، والجوهر العاقل لـه أيضاً كمال ولذات ، وهو أن يتمثل فيه مايتعقله [٣] من الحق الاول بقدر مايستطيع ، لان تعقل الاول على ماهوعليه غير ممكن للبشر ، بل لغير الله تعالى ، ثم يتعقله من صور مخلوقاتـه وأفعاله العجيبة أعني الوجود كله تمثلا يقيناً خالياً عن شوائب الظنون والاوهام .

واذا عرفت ذلك، فنقول: ان النفوس البشرية أكثرها مصروف الى تحصيل اللذات الحسية الحيوانية أكثرها، بل بعضها مشغولة [٤] أوقاتها، ثم بعضهامحرم وبعضها مباح، والمباح منها انماأبيح على جهة العدل، بحيث لايقع نزاع ويخرب النظام، ولايكفي الوعد باللذات والآلام الاجلة، فان كثيراً من الجهال يستهين [٥] ذلك في تحصيل مرامه، فلابد من رئيس في كل عصر يلزم النفوس البشرية عدم

---

(١) لعله اشارة الى الخلاف فى أن الحلاوة موجودة فى المذوق تصل الى الذائقة بواسطة اللعاب الخالى عن الطعم ، أولا بل يحدث فى الذائقة عند ذوق المذوق أو بسببه «منه» .

(٢) الظاهر أنه الغضبية لا الشهوية، فهو من سهو القلم «منه» أقول: وفى المصدر: الغضبية .

(٣) فى المصدر: مايسبقه .

(٤) فى المصدر: مستغرقة .

(٥) فى المصدر: يستهل .

تعدي العدل، والوسط في هذه اللذات ، ويقرب من اللذات العقليـة ، ولابد أن يكون متوقفاً من نفسه ، بأن لايتعدى العدل ولايأخذ من الملاذ ، الا ماأبيح لها لاغير، والالكان سبباً لتجرى النفوس الباقيـة على مالايحس ، ولايجوز الاقتداء بالمتعدي، وهو يتوقف بلوغ لذاته على ذلك فيسامح ويجوز فتنتفي فائدته (١).

الخامس والعشرون : ماقاله فيه أيضاً، قال: الامام الذي له الرئاسة العامة وحكم العالم بيده لابد وأن يجتمع فيه أربعة أشياء :

الاول: أن تكون نفسه كاملة، وان كانت في الظاهر ملتحفة بجلاليب الابدان، لكنها في نفس الامر قد خلقها (٢) وتجردت عن الشوائب، وخلصت الى العالم القدسي .

الثاني: انيكون لهم أمور خفية هي مشاهدتهم لماتعجز عن ادراكه الاوهام وتكل عن شأنه الالسن ، وابتهاجاتهم بما لاعين رأت ولاأذن سمعت كماقال الله تعالى « فلاتعلم نفس مااخفي لهم من قرة أعين»(٣) .

الثالث : أمور ظاهرة عنهم هي آثـار كمال واكمال ، تظهر من أقوالهم وأفعالهم .

الرابع: آثار (٤) تختص بهم من جملتها مايعرف بالمعجزات والكرامات كقلع باب خيبر وماظهر من الايات على يد علي عليه السلام ، واخباره بالمغيبـات ، وكذا اخبار صاحب الزمان بذلك لدليل اجمالي وتفصيلي ، أما الاجمالي فلانه مكمل للنفوس ومرقيها الى هذه المراتب، فلابد وأن يكون منها .

---

(١) الالفين ص١٢٠ .

(٢) هكذا فيالنسخة الموجودة عندى، ولعل الاصح قدخلصها بالصاد «منه» أقول: فى المصدر: خلعها .

(٣) سورة السجدة: ١٧ .

(٤) فى المصدر: آيات .

وأما تفصيلي أما الاول ، فلئلا يغتر باللذات الجسمانية والقوى الشهوية والغضبية ، ولايلتفت اليها في حال ليتمكن من اعتماد العدل المطلق في جميع أحواله ، وانمااحتاج الى الثاني ليكون علومه من قبيل فطرة [١] القياس ، والمتسقة المنتظمة لثبوت حكم الله في الوقائع جزماً ، وليعلم الثواب والعقاب والمجازات، ويتنفر خاطره عمايبعده عنأمور الاخرة بالكلية، ليكون مقرباًاليها وانمااحتاج الىالثالث، لان الامام هوالمكمل الكامل ، وانمااحتيج الى الرابع للعلم بصدقه وبعصمته وطاعة العالم، فانهم لهذا أطوع .

اذا تقرر ذلك،فنقول: متى تحققت هذه الامور كان الامام معصوماً قطعاً، لان عدم العصمة ، أعني : صدور الذنب والخطاء انما هو لترجيح القوى الشهوانية واللذات الحسية على الامور العقلية، فلايكون قد حصل له الاول، فعدم العصمة من عدم هذه الاشياء ، فاذا ثبت هذه ثبتت العصمة [٢] .

السادس والعشرون: ماذكره فيه أيضاً، قال: كلماكان الامام أفضل من رعيته وجب أن يكون معصوماً ، لكن المقدم حق، فالتالي مثله . أماالملازمة ، فلان الامام لوعصى في حالما ، فاما في تلك الحال يعصي كل واحد واحد من الناس فتجتمع الامة على الخطاء ، وهومحال ، لماتحقق في أدلة الاجماع ، واما أن لايعصي واحدما، ففي تلكالحالة غيرالعاصي أفضل منالعاصي، فغيرالامامأفضل فيخرج عن الامامة ، فلاتكون امامته مستقرة ، وهذا هوالفساد المتوقع للهرج والمرج، ويلزم تكليف مالايطاق .

واما أن يكون اماماً مع وجوب كون الامام أفضل دائماً ، مع كونه ليس بأفضل فيهذه الحال، وهوتناقض، وأماحقية المقدم، فلاستحالة تفضيل المفضول

---

(١) فى المصدر: فطرية .

(٢) الالفين ص١٢٤-١٢٥ .

على الفاضل، واستحالة تقديم المساوى، لامتناع الترجيح من غير مرجح، والعلم بهما ضروري (١) .

السابع والعشرون: ماذكره فيه أيضاً قوى، قال: قوى النفس تنقسم الى ثلاثة أقسام :

الاول : الملكية ، وهي التي بها التفكر والتميز والنظر في حقائق الامور وآلتها التي تستعملها من البدن والدماغ ، وقد يسمى هذه نفساً ناطقة .

الثاني : البهيمية ، وهي النفس الشهوانية ، وهي التي بها الشهوات وطلب الغذاء، والشوق الى اللذات الحسية وآلتها التي تستعملها من البدن الكبد .

الثالث: السبعية، وهي التي بها الغضب والنجدة (٢) والدفع، وآلتها التي تستعملها من البدن القلب، وهذه الثلاث متباينة ، واذا قوي بعضها أضر بالاخر ، وربما أبطل أحدهما فعل الاخر، وبغلبة الاولى يحصل امتثال أوامر الشرع وانتظام نوع الانسان، وبغلبة الاخرين يحصل الاختلال، فلابد من مقوم للاولى، ومانع للاخرين، وليس من الامور الداخلية، بل من الامور الخارجية المشاهدة، وليس الا توقع العقوبة في العاجلة، وليس ذلك الا من الامام المعصوم، اذ غيره الاخريان فيه أقوى وأغلب، فلايصلح لتقوية ضدهما وكسرهما، لان غلبة أحد الضدين يستلزم ضعف الاخر (٣) .

الثامن والعشرون: ماذكره فيه أيضاً، قال: أجناس الفضائل أربعة: الحكمة والفقه، والشجاعة ، والعدالة .

والاولى: انما تحصل اذا كانت حركة النفس معتدلة .

---

(١) الالفين ص٢٠٨ .

(٢) النجدة بفتح النون فالسكون الشجاعة ـ مجمع .

(٣) الالفين ص١٥٧ .

والثانية : انماتحصل اذا كانت حركة النفس البهيمية معتدلـة منقادة للنفس الناطقة .

والثالثة : انماتحصل اذا ثبتت حركة النفس البهيمية (١) منقادة للنفس .

والرابعة : انماتحصل من اعتدال الفضائل الثلاث، ونسبة بعضها الى بعض فالامام لتحصيل هذه الفضائل للمكلف في كل وقـت ، فلابد أن يكون القوى البهيمية مغلوبـة والقوى الناطقة غالبـة فيه في كل وقت يفرض ، وذلك يستلزم العصمة (٢) .

التاسع والعشرون : مافيه أيضاً: أجناس الرذائل أربعة : الجهل، والشر ، والجبن، والخمود .

اذا تقرر ذلك ، فنقول : الامام لدفع هذه في كل وقت يفرض، فتنتفى عنه بالكلية، والاقدام على القبيح انمايتأتى من أحد هذه ، ومع انتفاء السبب ينتفي المسبب، فيلزم من ذلك العصمة، وهوالمطلوب(٣) .

الثلاثون : مافيه أيضاً : غاية حصول الحكمة أن يعرف الموجودات على ماهي عليه، ويعرف أي المعقولات يجب أن يفعل، وأيها يجب أن لايفعل، وانما يحصل ذلك بمعرفة الاحكام الالهية يقيناً ، وانمايحصل من المعصوم كماتقدم ، وانما يتـم الغرض والفائدة بفعل ذلك ، ولايحصل الا بالمعصوم ، كماتقـدم فيجب (٤) .

الواحد والثلاثون: مافيه أيضاً: أنواع الحكمة الذكاء، وهوسرعة انقداح

---

(١) الظاهر السبعية لاالبهيمة «منه» أقول: وفى المصدر: البهيمية والسبعية .

(٢) الالفين ص١٥٧-١٥٨ .

(٣) الالفين ص١٥٨ .

(٤) الالفين ص١٥٨ .

النتائج ، وسهولتها على النفس ، والذكـر وهـو ثبات صورة مايحصله العقل والوهم من الامور والتعقل ، وهو موافقـة بحث النفس عن الاشياء بقدر ماهي عليه ، وانمايحصل ذلك بكثرة التفات النفس الى المعقـولات ، بحيث تقوى القوة الناطقة وقـوة [١] التفاتها الى القوى البدنية البهيمية ، وانمايحصل ذلك بامتثال الاوامر الالهية ، وانما يتم ذلك علماً وعملا بالمعصوم ،كماتقدم تقريره غيرمرة [٢] .

الثاني والثلاثون: مافيه أيضاً: العفة تحدث عن القوى البهيمية، وذلك اذا كانت حركتها معتدلة منقادة للنفس الناطقة، غيرمباثنة عليها ، وغاية ظهورها في الانسان أن يعرف شهواته بحسب الرأي، أعني: أن يوافق التمييز الصحيح حتى لاينقاد لها[٣]، ويصير بذلك حراً غيرمتعبد لشيء من شهواته، وهي فضيلة عظيمة مطلوبة، وانمايتم ذلك بقهرالقوى الشهوانية، ولايحصل الابالمعصوم[٤] .

الثالث والثلاثون: مافيه أيضاً العفة واسطة بين رذيلتين: الاولى الشرة وهو الانهماك في اللذات، والخروج فيها عماينبغي. الثانية: خمود القوى عن الحركة التي يسلك بها نحواللذة الجميلة التي يحتاج اليها البدن في ضروراتـه ، وهو مايرخصه العقل والشرع .

والاولى أشر من الثانية، فلابد من حافظ للشرع في كل وقت يعرف أحكامه الصحيحة والفاسدة، وماحرم من الشهوات ليخلص من الاول، ويعرف مايحل ليخلص من الثانية، والكتاب والسنة لايفيان بذلك ، فتعين الامام ، ويجب أيضاً

---

(١) النسخ هكذا ولعله «وقلة» فى مقابل بكثرة .

(٢) الالفين ص١٥٨ .

(٣) فى بعض النسخ: حتى لايعادلها، وفى نسخة كماحررناه «منه» .

(٤) الالفين ص١٥٨-١٥٩ .

قهرالقوى الشهويـة بحيث لايقع في الرذيلـة الاولى ، فان أكثر تداعي القوى البشرية الى استعمال القوى الشهوانية ، ولايمنع ذلك الاالرئيس القاهر ، فيجب المعصوم، اذغيره لايصلح لذلك[١] .

الرابع والثلاثون : قاله فيه أيضاً : أنواع العفة ، الاول : الحياء ، وهو انحصار النفس خوف اتيان القبائح[٢] والحذر من الذم والسبب الصارف .

الثاني : الدعة ، وهوسكون النفس عن هيجان الشهوة .

الثالث : الصبر، وهومقاومة النفس للهوى ، لئلا ينقاد لقبائح اللذات.

الرابع : السخاء المتوسط في الاعضاء والاخذ، وهو أن ينفق الأموال فيما ينبغي بقدر ماينبغي على ماينبغي ، وتحته أنواع سنذكرها.

الخامس : الحرية[٣]، وهي فضيلة النفس بهاتكتسب المال من وجهه، ويمتنع من اكتساب المال من غير وجهه .

السادس : القناعة ، وهو التساهل في المأكل والمشرب والزينة .

السابع : الديانة ، وهي حسن انقياد النفس لماتحمله وتسرعها الى الجهل[٤]

الثامن : الانتظام والتدبير ، وهوحال للنفس يقودها الى حسن تدبيرالامور وترتيبها كما ينبغي .

التاسع : الهدى ، وهو حسن السمت وهـي محبة تكميل النفس بـالزينة الحسنة .

---

(١) الالفين ص١٥٩ .

(٢) في نسختين خوف اثبات القبائح «منه» .

(٣) قوله « الحرية » يحتمل بالجيم والهمزة بعد الراء ، ويحتمل الحرية بـالحاء والياء «منه» .

(٤) في المصدر : لمايجمل ويشرعها الى الجميل .

العاشر : المقالة وهي مرادعة تحصيل للنفس عن تكملة الاضطرار فيها .

الحادي عشر: الوقار ، وهوسكون النفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب .

الثاني عشر : الورع ، وهـو لزوم الاعمال الجميلة التي يكون فيها كمال النفس .

اذا عرفت هذا ، فنقول : الامام نصب لتكميل هذه في الناس ، فلابد أن يكون أكمل ما يمكن دائماً في كل وقت ذلك يوجب العصمة[1] .

الخامس والثلاثون: مافيه أيضاً : الشجاعة انماتحصل بانقياد القوة السبعية للنفس الناطقة ، فتكون الحركة السبعية معتدلة ، فلايهتج في غير ماينبغي ، ولا تحمي أكثر مماينبغي، انماتظهر بحسن انقيادها للنفس الناطقة المميزة، واستعمال مايوجبه الرأي في الامور الهائلة أعني : أن لايخاف من الامور المفزعة اذا كان فعلها جميلا ، والصبرعليها محموداً ، واذا لم يظهر أثر انقيادها لها فـي اللذات الجسمانية والشهوات الحيوانية المحرمة ، لم يظهر فعلها في الخارج، ولم يكن على أصل، والامام أشجع الناس في كل وقت تفرض الحاجة[2] الى ذلك وهـو ظاهر ، فلايغلب السبعية الناطقة العقلية في كل وقت من الاوقات خصوصاً فيما يتعلق بالشهوات الحيوانية ، فيكون معصوماً[3] .

السادس والثلاثون : مافيه أيضاً : أنواع الشجاعة ثمانية :

الاول : كبر النفس وهو الاستهانة باليسار ، والاقتصار على جميل الكرامـة والهوان ، وتنزيه النفس عن الدنيا .

---

(١) الالفين ص١٦٠ .

(٢) فى المصدر : يفرض لاحتياجه .

(٣) الالفين ص١٦٠ .

الثاني : النجدة ، وهو ثقة النفس عند المخاوف بحيث لايخامرها جزع.

الثالث : عظم الهمة ، وهي فضيلة للنفس بها تحتمل سعادة الجسد وضدها ، حتى الشدائد التي تعرض عند الموت .

الرابع : الصبر، وهي فضيلة بها تقوى النفس على احتمال الالام، ومقاومتها على الاهوال ، والفرق بينه و بين الصبر الذي في العفة أن هذا يكون في الامور المشاكله[1]، وذلك على الشهوات الهائجة .

الخامس : الحلم وهو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة، فلاتكون سبعية، ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة .

السادس: السكون وهو قوة للنفس تعسر حركتها عند الخصومات وفي الحروب التي يذب بها عن الجرائم أو عن الشريعة لشدتها .

السابع: الشهامة وهو الحرص على الاعمال العظام للاحدوثة الجميلة.

الثامن : الاحتمال وهو قوة للنفس تستعمل آلات البدن في الامور الحسية بالتمرين وحسن العادة ، والامام لتقوية هذه وضعف أضدادها ، فلابد أن يكون فيه في غاية الكمال ، وذلك يقتضي العصمة[2].

السابع والثلاثون :العدالة تحدث من الفضائل الثلاث المتقدمة بعضها في بعض فضيلة هي كمالها وتمامها ، وذلك عند مسالمة هذه القوى بعضها لبعض ، واستلامها للقوة المميزة ، لاتتحرك بتغالب ، ولا تتحرك نحو مطلوبها على سوء طباعها ، وتحدث للانسان بها هيئة يختار بها أبداً الانصاف من نفسه أولا ، ثم الانصاف والانتصاف من غيره ، والامام للحمل عليها وتقويتها ، فيجب أن يكون فيه في جميع الاوقات، وعلى جميع الاحوال، وعلى جميع التقادير على أكمل

(١) فى المصدر : الهائلة .

(٢) الالفين ص١٦٠-١٦١ .

مايمكن أن يكون ، وذلك هو العصمة[1] .

الثامن والثلاثون : مافيه أيضاً ،قال: قد بينا أن العدالة فضيلة يتصف بها الانسان من نفسه ومن غيره ، من غير أن يعطي نفسه من المنافع أكثر وغيره أقل وفي المضار بالعكس،أي : لايعطي نفسه أقل وغيره أكثر لكن يستعمل المساواة التي هي تناسب بين الاشياء ، ومن هذا المعنى تسبق اسمه أعني العدل .

وأما الجائر فبخلاف ذلك ، فانه يطلب لنفسه الزيادة من المنافع ولغيره النقصان منه ، وفي الاشياء الضارة يطلب النقصان لنفسه ولغيره الزيادة ، فيجب أن يتصف حاكم الكل بهذه الصفة على أكمل الانواع ، وذلك هو العصمة[2].

التاسع والثلاثون : مافيه أيضاً ، قال : من أنواع العدالة العبادة ، وهي تعظيم الله عزوجل وتحميده وطاعته ، واكرام أوليائه من الملائكة والانبياء والرسل ، والعمل بماتوجبه الشريعة ، والامام لانمام ذلك والحمل عليه ، فلابد أن يكون ذلك فيه في كل زمان على أكمل الانواع والوجوه ، وهوالعصمة[3]

الاربعون : مافيه أيضاً ، قال : اعلم أن العدالة واسطة بين رذيلتين .

الاول : الظلم ، وهوالتوصل الى أكثر المقتفيات [4]من حيث لا ينبغي بما لا ينبغي .

الثاني : الانظلام وهو الاستجابة في المقتفيات بمالا ينبغي وكما لا ينبغي ولهذا يكون الظالم كثير المال ، لانه يتوصل اليه من حيث لايجب وكمالايجب،

---

(١) الالفين ص١٦١ .

(٢) الالفين ص١٦٢ .

(٣) الالفين ص١٦٢ .

(٤) المقتنيات كذا فى بعض النسخ فى الموضعين وكلاهماصحيحان «منه» أقول : وفى المصدر : المقتنيات .

والمتظالم يسير المال ، لانه يتركه من حيث يجب ويتركه من حيث لايجب ، والعادل في الوسط لانه يقتفي المال من حيث يجب ، ويتركه من حيث لا يجب، والامام لدفع الاول وتعريف طريق الوسط ، ليحتفظ من الثاني ، فلابد أن يكون معصوماً والا لم يثق بقوله وفعله فيهما[١].

الواحد والاربعون : مافيه أيضاً ، قال: الامام يجب ان تكون نفسه لها ملكة التجرد عن العلائق الجسمانية والشواغل البدنية واللذات الحيوانية، بحيث لايلتفت اليها ، ولا يشتغل بتحصيلها ، بل ماجعل[٢] من المباح له لايكترث به ، والى ذلك أشار الله تعالى بقوله « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور »[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً للدنيا : أبي تعرضت أم الي تشوقت طلقتك ثلاثاً .

ونفسه متنقشة بالكمال الاعلى ، وحصل له اللذات العليا : اذ الداعي من جهة الله تعالى الى ذلك، والمبعد للخلق من جميع مايبعده من الله على حسبما أمر الله به من التحريم والكراهة ، والحث على الافعال المقربة من هذا ، كالواجبات والمندوبات واباحة مالا يبعد ولا يقرب لو لم يكن كذلك لم يصلح لذلك وهو ظاهر .

واذا تقرر ذلك ، فنقول: يجب أن يكون معصوماً ، لانه عالم بقبح القبيح، وبقبح ترك الواجب ، ومستغن عنه ، لا يتصور فيه حاجة القوة الوهمية الشهوية الجسمية ولا الجهل ، لكماله في القوتين ، فاذا انتفى الداعي وثبت الصارف ،

---

(١) الالفين ص١٦٢ .

(٢) في المصدر : ماحصل .

(٣) سورة آل عمران : ١٨٥ .

امتنع منه فعل القبيح وترك الواجب ، وهي العصمة ، وهوالمطلوب[١].

الثاني والاربعون : مافيه أيضاً ، قال: الامام أفضل من رعيته من كل وجه، ولاشيء من غير المعصوم أفضل من كل واحد ومن الكل من كل وجه ، فلاشيء من الامام بغيرمعصوم ، أما الصغرى فلما يأتي .

وأما الكبرى ، فلان كل غير معصوم غير بالغ في الكمال الى طرف النهاية الممكنة للبشر، فيمكن أن يكون من هو أكمل منه ، بل يوجد أكمل منه في شيء ما ، لانه في حال ما لابد وأن يكون ناقصاً في قوته العملية أو العلمية ، وفي تلك الحال لم يوجد منه سبب النقصان لايجب موافقة الكمل له في ذلك النقصان ، فيجوز أن يكون بعضهم في تلك الحال لم يوجد منه سبب النقصان، فيكون أكمل منه من وجه ، وهو يناقض الكلية[٢].

الثالث والاربعون : ماقاله فيه أيضاً : الامام قادر على ترك القبيح ، ولم يوجد داعي الفعل منه ووجد الصارف ، فامتنع الفعل منه .

أما الاول فظاهر ، والا لم يكن مكلفاً بتركه ، فلا يكون قبيحاً .

وأما الثاني ، فلان الداعي هوتصور كمال في الفعل، اما للقوة الشهوية، أو للقوة الغضبية ،أو للقوة الوهمية والجسمانية، وقد بينا أنه يجب أن يكون مجرداً عن هذه الاشياء ، قليل المبالات بها ، لا التفات له اليها البتة .

وأما وجود الصارف ، فلانه عالم بقبحه ، ويعلم مايستحق عليه من الذم والعقاب، لانه يجب أن يكون عالماً بجميع القبائح، لانه المبعد عنها، لانه أعلم الناس بالله تعالى لماتقدم ، ولانه الداعي للكل اليه، ولايدعو الى الشيء الا اذا

---

(١) الالفين ص١٢٢ .

(٢) الالفين ص١٢٣ .

علم به ، لاستحالة العكس ، وقال تعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » (١) والخشية التامة صارف عظيم ، فاذا انتفى الداعي ووجد الصارف امتنع الفعل، وهذا معنى العصمة (٢) .

الرابع والاربعون: ماقاله فيه أيضاً الناس في العلم بالله وحضورهم وعدم اشتغالهم عن الجانب الالهي على ثلاثة أقسام :

الاول: الذي لاشعور له ولاحضور .

الثاني: الذي له الشعور التام للبشر، أي الذي يمكن له لافي نفس الامر ، فان ذلك لايكون الا له تعالى، والحضور التام الممكن للبشر وهذا هو صاحب المحبة المفرطة لله تعالى المتلذذ بادراكه في غاية اللذات الممكنة للبشر، ولذته أعظم اللذات، لان اللذات تتفاوت في القوة والضعف بحسب ادراك المؤثر من حيث هو مؤثر، والمؤثر انماهو بحسب كماله، فاذا كان له الكمال الذي لايتناهى كان مؤثراً على جميع ماسواه، فاذا كانت المعرفة به أتم ،كانت اللذة به وبطاعته أقوى اللذات ، ويكون متنفراً عن المعصية غاية التنفر ، فيكون ذلك معصوماً .

الثالث: المراتب بينهما ولاتتناهى بحسب القرب من أحدهما والبعد عنه ، والمحتاج الى الامام انماهوالاول والثالث، لانه المفتقر الى المعاون الخارجي عن طاعته ، والمبعد عن معصيته ، ويقرب من الثانيـة ، فلايكون الامام منهما ، لانه مستغن عن غيره ، فيكون من الثانيـة وهوالمطلوب ،كمانقل عن حال علي عليه السلام (٣) .

الخامس والاربعون : خشية الامام وخوفه من الله تعالى يجب أن يكون

---

(١) سورة فاطر: ٢٨ .

(٢) الالفين ص١٢٣-١٢٤ .

(٣) الالفين ص١٢٤ .

في الغاية، بحيث يستصغر كل شيء بالنسبة اليها ، وتكون راجحة على كل لذة ، أومطلوب، أوشهوة، أوغضب فرضت في جميع الاوقات والاحوال، حتى يحسن من الحكيم تحكيمه، والامر بطاعته وجعله مقرباً الى الطاعة، ومبعداً عن المعصية وحافظاً للعدل التام، فتحصل من ذلك الكراهة التامة للمعاصي، والارادة الجازمة للواجبات، فلايحصل معها شوق الى شيء من المعاصي والارادة لها، بل قد وجد الصارف، فيستحيل فعلها ، فيكون معصوماً [١] .

السادس والاربعون: مافيه أيضاً، قال: الممكن محتاج الى غيره من حيث الامكان، والمغاير من جهة الامكان هو الواجب ، فالممكن من حيث هو محتاج الى الواجب، فممكن الطاعة يحتاج الى واجبها، وهو المعصوم، فيجب أن يكون الامام معصوماً [٢] .

السابع والاربعون: مافيه أيضاً، قال: الممكن محتاج الى العلة في وجوبه، ولاشيء من غير الواجب من حيث هو غير واجب يفيد الوجوب، فكل علة الممكن هي غير واجبة ، اذا تقرر ذلك فالامام علة في فعل الطاعات ، فيجب وجودها للامام ، وهي معنى العصمة ، وهو المطلوب ، ثم أطال بعض الكلام في النقض والابرام في ذلك [٣] .

الثامن والاربعون: مافيه أيضاً، قال :كل مكلف مأمور بجميع الطاعات مع اجتماع شرائط الوجوب ومنهي عن المعاصي كذلك ، وهذا هو العصمة ، فالعصمة مطلوبة من الكل ، وغاية الامام التقريب منها ، وكل واحد من الامة

---

(١) الالفين ص١٢٩ .

(٢) الالفين ص١٦٨ .

(٣) الالفين ص١٦٨ .

ممكن العصمة وغاية الامام (١) التقريب منها بحسب الامكان ، فلو لم يكن واجب العصمة لم يكن علـة مافي ثبوت الممكن ، لماتقرر في المعقول من وجـوب العلة (٢) .

التاسع والاربعون : مافيـه أيضاً ، قال علي عليه السلام أفضل من الملائكـة ، والملائكة معصومون، والأفضل من المعصوم معصوم، فعلي عليه السلام معصوم .

أما المقدمة الاولى ، فلقوله تعالى « ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » (٣) والعالمون هـم ماسوى الله تعالى ، وعلي عليه السلام من آل ابراهيم ، والمصطفى أفضل من المصطفى منـه ، ولان محمداً أفضل من الملائكـة ، ونفس النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام واحدة في الكمال فيكـون علي عليه السلام أفضل من الملائكة أما أفضلية النبي فلما بين في علم الكلام ولنشر هنا الى دليل ينبه على ذلك .

فنقول : انه عليه السلام أفضل من آدم عليه السلام ، وآدم عليه السلام أفضل من الملائكة فالنبي أفضل من الملائكة .

أما المقدمة الاولى فاجماعية ، وأما المقدمـة الثانية ، فلان الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لادم، والمسجود له أفضل من الساجد ، وهو ضروري ، وأما اتحاد نفس علي ونفس النبي بمعنى اتحادهما في الكمال، فلقوله تعالى «وأنفسنا وأنفسكم» وللاجماع على أن المراد بقوله وأنفسنا علي عليه السلام .

وأما المقدمة الثانية ، وهي أن الملائكة معصومون، فلوجوه :

---

(١) في المصدر: وغاية الامكان.

(٢) الالفين ص١٦٩ .

(٣) سورة آل عمران : ٣٣ .

الاول: قوله تعالى «لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون»[١] .

الثاني قوله تعالى « يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون»[٢] ويتناول جميع المأمورات وترك المنهيات ، لان النهي عن الشيء يستلزم الامر بتركه .

فان قيل ماالدليل على أن قوله «ويفعلون مايؤمرون» يفيد العموم ؟

قلنا : لاشيء من المأمورات الا ويصح استثناؤه منه ، والأستثناء يخرج من الكلام مالولاه لدخل ، على مابيناه في أصول الفقه ، ولانه صفة مدح ، فلولا العموم لشاركوا من عداهم في ذلك، فلم يكن لاختصاصهم بصفة المدح فائدة.

الثالث : قوله تعالى « بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» [٣] صريح في برائتهم عن المعاصي، وكونهم في كل الأمور تابعين للامر الالهي والوحي .

الرابع انه تعالى حكى عنهم أنهم طعنوا على البشر بالمعصية ، فلوكانوا عصاة لماحسن منهم ذلك الطعن .

الخامس: انه تعالى حكى عنهم أنهم «يسبحون الليل والنهار لايفترون»[٤] ومن كان كذلك امتنع صدور المعصية عنهم .

وأما المقدمة الثالثة ، وهي ان الأفضل عن المعصوم معصوم ، فظاهرة ، وقد نبه الله تعالى عليها بقوله «ان أكرمكم عند الله أتقاكم»[٥] واذا ثبت أن علياً عليه السلام

---

(١) سورة التحريم: ٦

(٢) سورة النحل: ٥ .

(٣) سورة الانبياء: ٢٧ .

(٤) سورة الانبياء: ٢٠ .

(٥) سورة الحجرات: ١٣ .

معصوم، وجب أن يكون كل امام معصوماً، اذ لاقائل بالفرق (١) .

الخمسون : مافيه أيضاً ، قال : عصمة الامام أهم من شرع الحدود في الغرض المطلوب في شرع الحدود ، وشرع الحدود واجب ، فعصمة الامام واجبة .

أما الاولى، فلان الغرض في شرع الحدود ردع المفسد، وحمل الناس على فعل الواجبات وترك المحرمات كلها ، ولايتم ذلك الا بحافظ للشرع ، ومقيم للحدود، والغاية المطلوبة في نصب القائد هو العلة القريبة لحصولها، فكان أهم، وكونه غير معصوم يؤدي الى عدم الوثوق بحصول الغاية منه، بل يجوز أن يحصل منه ضدها، فيناقض الغرض من نصب الحدود، فكانت عصمته (٢) أهم، لمنافاتها نقيض الغاية منها، ومع عكسه وطاعة المكلف لم يجب حصول الغاية ، ففي الحقيقة العلة المختصة للغاية هي العصمة .

وأما المقدمة الثانية ، فلما ثبت في علم الكلام من وجوب نصب الحدود ، وهو المطلوب (٣) .

أقول : وعلى هذا التقرير ينبغي أن يقرر هكذا عصمة الامام أهم من نصب الامام، ونصب الامام واجب، فعصمة الامام واجب، أما الاول فلان نصب الامام لرفع الفساد واقامة الشرع، وهو لايحصل من غير المعصوم، وأما الثاني فللاجماع ثم ان التقرير الذي ذكره لايدل على أهمية عصمة الامام، بل على أهمية العصمة المطلقة .

---

(١) الالفين ص٣٢٦-٣٢٧ .

(٢) فى المصدر : نسبته .

(٣) الالفين ص٣٤٣ .

الثانى

(فى الايات التى يمكن الاستدلال بها على لزوم عصمة الامام)

الاية الاولى : قوله في سورة الفاتحة « اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم * غير المغضوب عليهم * ولا الضالين » والاستدلال به من مواضع :

أولها : من « اهدنا الصراط المستقيم » وبيانه ان الله تعالى أمر عباده بطلب الهداية الى الصراط المستقيم بهذه اللفظة وماضاها في الصلاة وغيرها، والصراط المستقيم طريق العدل، وهو الطريق الذي أرشد اليه الامام ببيانات :

منها : ما ذكره في الالفين ، حيث قال في الدليل السابع والخمسين من المائة السابعة : أوامر الامام ونواهيه واختياراته وأفعاله وتروكه وتقريراته هي الصراط المستقيم ، التي أشار اليها الله جل جلاله في قوله « اهدنا الصراط المستقيم » لانه تعالى جعلها مساوية لطريقة النبي ﷺ ، ولاوامر الله ونواهيه ، لانه ساوى بين وجوب اتباع النبي واتباع الامام واخباراته ، لكن هذه صراط مستقيم قطعاً ، فيكون مساويها كذلك[1].

ومنها : مافيه في الدليل الثامن والخمسين .

منها : أمر الله عباده وأرشدهم الى سؤال الله تعالى أن يهديهم الى الصراط المستقيم ، فاما أن يكون هي طريقة الامام ، أوطريقة الامام تؤدي اليها، أولا هي ولا تؤدي اليها ، والثالث باطل، لانه يستحيل أن يأمر العباد بأن يسألوه الهداية الى طريق ، ثم يأمرهم بسلوك غيرها ولايؤدي اليها، هذا مناقض للغرض ، فلا

(١) الالفين ص٢٨٨ .

يصدر من الحكيم تعالى مجده .

لايقال : هذا يدل على عصمته في التبليغ لا على عصمته في غيره .

لانا نقول : يلزم أن يأمر الامام بما لايفعل في الجملة ، لكن يلزم أن يكون طريقته هذا غيرصراط مستقيم ، لقوله تعالى «ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون * كبر مقتا عند الله»[١] ونحن قد قررنا أن طريقة الامام طريق مستقيم[٢].

ومنها : أن الصراط المستقيم هو الطريق الذي لاعوج فيه الذي بالسلوك فيه يصل السالك الى المقصود ، وهوالهداية ، وغيره طريق الضلال، وهذا الطريق معصوم من الخطاء والضلال ، ولاريب أن المهتدي اليه هوالنبي والامام القائم مقامه ، فلابد أن يكونوا معصومين ، ولانهم الداعون الى هذا الطريق وأعلامه، والمرشدين الى موارد الهداية والضلال ، فلابد من كونهم مهديين .

ومنها : أن صراط الامام هو الصراط المستقيم، وكذا العكس، وهو ظاهر، فبينهما المساواة ،ولماكان الصراط المستقيم معصوماً كان صراط الامام معصوماً.

وثانيها: من «صراط الذين أنعمت عليهم» ببيانات :

منها : ماذكره في الاولين في دليل «كج» من المائة الاولى ، قال: المراد بالنعمة هنا العصمة ، اذسؤال اتباع طريقتهم التي أنعم الله عليهم بها يدل على ذلك اذ طريقهم هي الصراط المستقيم، وانما يوصف بذلك ماهوصواب دائماً، ويستحيل عليه الخطاء ، ولاشيء من غيرالمعصوم كذلك ، اذطريقته ليست بمستقيمة دائماً ، فدل على أن كل متبوع طريقه كذلك، وكل متبوع معصوم، والامام متبوع، فيجب أن يكون معصوماً[٣].

---

(١) سورة الصف : ٢-٣ .

(٢) الالفين ص٢٨٨-٢٨٩ .

(٣) الالفين ص٦٧ .

ومنها : ان اطلاق الانعام دليل على النعمة الكاملة الشاملة التامة العامة ، وليس فوق العصمة نعمة في الهداية المطلوبة في المقام .

ومنها : أن النعمة في المقام ليست من نعم الدنيا كمالايخفى ، ولا من نعم الاخرة ،لان الصيغة ماضية فالنعمة نعمة الهداية المطلقة وهي العصمة.

وثالثها : من «غير المغضوب عليهم» ببيانات :

منها : أن العبد العاصي لامر المولى هو في مظان الغضب وأهل لان يغضب عليه ، والذي هو لم يغضب عليه أصلا المطيع الممتثل ، وهو المعصوم .

ومنها : أن العصاة من المغضوب عليهم وان ارتفع عنهم الغضب بالعفو ، والمعصومون غير المغضوب عليهم قطعاً، فالطريق المطلوب هو طريق المعصومين.

ومنها : أن كلمة «غير» اما بيان أو وصف للضمير في عليهم لكلمة «الذين أنعمت عليهم» فلماكان الذين أنعم الله عليهم معصومين ، فيكون غير المغضوب عليهم كذلك.

ورابعها : من «ولا الضالين» ببيانات :

منها : ماذكره في الالفين في العشرين من المائة الاولى: ان غير المعصوم ضال ،فلايسأل اتباع طريقه قطعاً ، فتبين أن هنا معصومون[1].

ومنها : ان الذين أنعمت عليهم هو غير المغضوب عليهم وغير الضالين ، وطريق غير المغضوب عليهم وطريق غير الضالين هي طريق غير الذين أنعمت عليهم ، وهي الصراط المستقيم.

ومنها : انه غير الضلال هو الحق ، وغير الهداية هو الضلال ، لقوله تعالى «فماذا بعد الحق الا الضلال»[2] والحق معصوم ، وهو طريق الامام .

---

(١) الالفين ص٦٦ .

(٢) سورة يونس : ٣٢ .

وخامسها : من تمام الاية ، وضم بعضها الى بعض ببيان ماذكره في الالفين في العشرين من المائة الاولى ، حيث قال: الهداية انما هي بالعلم بطريقهم لا بالظن وهونقل، والناقل له أيضاً معصوم ، والاجماع والتواتر غيرمتحقق ، اذ السؤال انماهو اتباعهم في جميع الاحكام ، والاجماع والتواتر لايفيدان ذلك، فليس الا الامام، فانه اذاكان قوله تعالى الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين اشارة الى الانبياء ، فالهداية الى طريقهم بطريق علمي انماهو من المعصوم في كل زمان ، اذ لا يختص هذا الدعاء بقوم دون قوم ، وان كان اشارة الى الانبياء والائمة عليهم السلام ، فالمطلوب أيضاً حاصل[1].

وقد أذعن بذلك أي بدلالة هذه الاية على العصمة الامام فخر في تفسيره حيث قال في الفائدة الاولى من فوائد الفصل الثامن[2] المنعقد لتفسير غير المغضوب عليهم ولا الضالين :

الاول : أن يحمل المغضوب عليهم على كل من أخطأ في الاعمال الظاهرة وهم الفساق ، ويحمل الضالون على كل من أخطأ في الاعتقاد ، لان اللفظ عام والتقييد خلاف الاصل .

وفي الفائدة الثالثة : ان قوله «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» يدل على أن أحداً من الملائكة والانبياء عليهم السلام ما أقدم على عمل يخالف قول الذين أنعم الله عليهم ، ولا على اعتقاد الذين أنعم الله عليهم[3].

ولما كان ذلك باطلا ، علمنا بهذه الاية عصمة الانبياء والملائكة .

أقول : وقد ذكر هو وغيره من المفسرين أن المراد بالمنعم عليهم في الاية

---

(١) الالفين ص٦٦ .

(٢) كذا والصحيح التاسع .

(٣) التفسير الكبير ١/٢٦١-٢٦٢ .

هم الذين ذكرهم الله في قوله « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدآء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً»[1] فلابد أن يكون الجميع معصومين .

وقد استدل هو في الفائدة الثانية من فوائد الفصل السابع[2] المنعقد في بيان قوله تعالى « صراط الذين أنعمت عليهم » قال : الفائدة الثانية قوله « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » يدل على امامة أبي بكر ، لانا ذكرنا أن تقدير الاية : اهدنا الصراط الذين أنعمت عليهم ، والله تعالى قد بين في الاية الاخرى ان الذين أنعم الله عليهم بهم ، وهو قوله تعالى «فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدآء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً» ولا شك أن رأس الصديقين ورئيسهم أبو بكر ، فكان معنى الاية ان الله امرنا ان نطلب الهداية التي كان عليها أبو بكر وسائر الصديقين ، ولو كان ابو بكر ظالماً لماجاز الاقتداء به فثبت بما ذكرناه دلالة هذه الاية على امامة أبي بكر[3] .

أقول : أما دلالة هذه الاية على امامة هؤلاء فنعم بل دلالتها على العصمة كما عرفت ، ولكن كون أبي بكر من الصديقين فلا ، وليت شعري من أين نفى عنه الشك في كونه من الصديقين ورئيسهم ، وهو رأس المشككين وكونه عندهم مسمى بذلك لايوجب رفع الشك عن ذلك .

ولما وصل الكلام الى بيان هذه الاية أحببنا زيادة البيان فيها وان خرجت عن المقام ، وفيها توضيح المرام أيضاً في ضمن امور :

الاول : اعلم أنه قد وقع فيها مواضع من الاشكال :

---

(١) سورة النساء : ٦٩ .

(٢) كذا والصحيح الثامن .

(٣) تفسير الكبير ١/٢٦٠ .

منها : ان الذين يقرؤن القرآن وهذه السورة في الصلاة وغيرها المؤمنون والمسلمون المهتدون ، فما معنى طلب الهداية من الله تعالى بعد ذلك ، وهي حاصلة لهم ؟ وقد أجاب عنه العلماء بأجوبة ذكرها الامام في تفسيره .

حيث قال : والعلماء أجابوا عنه من وجوه :

الاول : ماذكره من أن المرادمنه صراط الاولين في تحمل المشاق العظيمة لاجل مرضات الله تعالى ، يحكى أن نوحاً عليه السلام كان يضرب في كل قوم كذا مرات بحيث يغشى عليه ، وكان يقول في كل مرة : اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون .

فان قيل : ان رسول الله صلى الله عليه وآله ماقال ذلك الا مرة واحدة ، وهوكان يقول كل يوم مرة[1]، فلزم أن يقول : ان نوحاً كان أفضل منه عليهما الصلاة والسلام.

والجواب : لماكان المراد من قوله « اهدنا الصراط المستقيم » طلب تلك الفضيلة من الله تعالى ، والرسول صلى الله عليه وآله كان يقرأ فاتحة الكتاب في كل يوم كذا مرة كان يكلم الرسول بهذه الكلمة أكثر من تكلم نوح عليه السلام بها .

أقول : حاصل هذا الجواب طلب قوة التحمل على المشاق لاجل مرضات الله ، وجوابه عن السؤال انمايصح لوكان مراد الرسول صلى الله عليه وآله من الضمير في اهدنا قومه وامته ، أو مايعمهم ، وسيأتي انشاء الله تعالى .

الثاني : ان أكثر العلماء بينوا أن في كل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط ، وهمامذمومان ، والحق هوالوسط ، ويتأكد ذلك بقوله تعالى «وكذلك جعلناكم امة وسطا»[2] وذلك الوسط هوالعدل والصواب ، والمؤمن بعد أن عرف الله تعالى بالدليل صار مؤمناً مهتدياً .

---

(١) في المصدر : مرات .

(٢) سورة البقرة : ١٤٣ .

أما بعد حصول هذه الحالة ، فلابد من معرفة العدل الذي هو الحد الوسط بين طرفي الافراط والتفريط في الاعمال العصبية ، وفي كيفية انفاق المال، فالمؤمن يطلب من الله أن يهديه الى الصراط المستقيم الذي هو الوسط بين طرفي الافراط والتفريط في كل الأخلاق وفي كل الاعمال ، فعلى هذا التفسير فالسؤال زائل .

أقول : وحاصل هذا الجواب طلب الهداية في مكارم الأخلاق بها ، والتأكيد بالاية كماقال لا وجه له ، بل لعل فيهاعلى ما أراد من الاستدلال بها دلالة على الخلاف .

الثالث : المؤمن اذا عرف الله بدليل واحد، فلاموجود من أقسام الممكنات الا وفيه دلالة[1] على وجود الله وعلمه وقدرته وجوده ورحمته وحكمته ، وربما يصح دين الانسان بالدليل الواحد ، ويبقى غافلا عن سائر الدلائل، فقوله تعالى «اهدنا الصراط المستقيم» معناه عرفنا يا الهنا مافي كل شيء من كيفية دلالته على ذلك ، وصفاتك وقدرتك وعلمك ، وعلى هذا التقدير فالسؤال زائل .

أقول : وحاصل هذا الجواب طلب معرفة دلائل وجود الصانع وصفاته :

الرابع : أنه تعالى قال «وانك لتهدي الى صراط مستقيم * صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الارض» [2] وقال أيضاً لمحمد عليه السلام «وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه»[3] وذلك الصراط المستقيم هو أن يكون الانسان معرضاً عما سوى الله ، مقبلا بكلية قلبه وفكره وذكره على الله تعالى ، فقوله «اهدنا الصراط المستقيم» المراد أن يهديه الله تعالى الى الصراط المستقيم الموصوف بالصفة المذكورة.

---

(١) في المصدر : دلائل .

(٢) سورة الشورى : ٥٢ ـ ٥٣ .

(٣) سورة الانعام : ١٥٣ .

مثاله أن يصير بحيث لو امر بذبح ولده لاطاع ، كما فعل ابراهيم عليه السلام ، ولو أمر بأن ينقاد ليذبحه غيره لاطاع ، كما فعله اسماعيل عليه السلام ، ولو أمر بأن يلقى نفسه في البحر لاطاع ، كما فعل يونس عليه السلام ، ولو أمر بأن يتلمذ لمن هو أعلم منه بعد بلوغه في المنصب الى أعلى الغايات لاطاع ، كما فعله موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام ، ولو أمر بأن يصبر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على القتل والتعريف بنصفين لاطاع ، كما فعله يحيى عليه السلام .

فالمراد بقوله «اهدنا الصراط المستقيم» هو الاقتداء بأنبياء الله في الصبر على الشدائد والثبات عند نزول البلاء ، ولا شك أن هذا مقام شديد هائل لان أكثر الخلق لا طاقة لهم به .

الا أنا نقول : أيها الناس لاتخافوا ولا تحزنوا ، فلايضيق أمر في دين الله الا اتسع ، لان في هذه الاية مايدل على اليسر والسهولة ، لانه تعالى لم يقل صراط الذين ضربوا وقتلوا ، بل قال : أنعمت عليهم .

فليكن نيتك على قراءة هذه الاية أن تقول : ياالهي ان والدي رأيته ارتكب الكبائر كما ارتكبتها ، وأقدم على المعاصي كما أقدمت عليها ، ثم رأيته لماقرب موته تاب وأناب ، فحكمت له بالنجاة من النار والفوز بالجنة فهو ممن أنعمت عليه بأن وفقته للتوبة ، ثم أنعمت عليه بأن قبلت توبته .

فانا أقول : اهدنا الى مثل ذلك الصراط المستقيم طلباً منه لمرتبة التائبين ، فاذا وجدتها أي النية المذكورة فاطلب الاقتداء بدرجات الانبياء عليهم السلام ، فهذا تفسير قوله تعالى «اهدنا الصراط المستقيم» .

أقول : وحاصل صدر الجواب أن يكون المراد طلب اقبال قلبه بكليته الى الله تعالى ، حتى يكون معرضاً عماسوى الله ، وينبغي أن يكون مثاله مايوافق هذا المعنى ، لا ماذكره من الصبر على الشدائد ، الاأنه لما ذكر المثال كما ذكره

كأنه ذهل عماذكره من الجواب وجعل المراد طلب الاقتداء بأنبياءالله في الصبر على الشدائد .

ثم ان ماسلانا به وأرشدنا الى النية والقصد عند قرائة هذه الاية ، يقعدنا عن طلب الصبر على الشدائد بهذه الاية ، ويعرضنا عن المقصود الاول من طلب الاقبال بكلية قلوبنا اليه تعالى شأنه ، ثم اين هذه النية ، وهي القصد الى طلب التوبة من القصدين الاولين من طلب الاقبال وطلب الصبر ، وبالجملة ما أدري وليت شعري أين يذهب الفكر ، هل يسطر في تفسير كلام الله المجيد كلا .

الخامس : كأن الانسان يقول في الطريق : كثرة الاحباب يجرونني الى الطريق ، والاعداء الى طريق ثان ، والشيطان الى طريق ثالث .

وكذا القول في الشهوة والغضب والحقد والحمية ، وكذا القول في التعطيل والتشبيه والجبر والقدر والارجاء والوعيد والرفض والخروج ، والعقل ضعيف ، والعمر قصير ، والصناعة طويلة ، والتجربة خطيرة ، والقضاء عسير ، وقد تحيرت في الكل فاهدني الى طريق أخرج منه الى الجنة ، فالمستقيم السوى الذي لا غلط فيه .

يحكى عن ابراهيم بن ادهم أنه كان يسير الى بيت الله ، فاذا أعرابي على ناقة له ، فقال ياشيخ الى أين ؟ فقال ابراهيم : الى بيت الله تعالى ، قال: كأنك مجنون ، لا أرى لك مركباً ولا زاداً والسفر طويل ، فقال ابراهيم: ان لي مراكب كثيرة ولكنك لا تراها ، قال : وماهي ؟ قال: اذا نزلت على بلية ركبت مركب الصبر ، واذا نزلت على نعمة ركبت مركب الشكر ، واذا نزلت بي قضاء ركبت مركب الرضاء ، واذا دعتني النفس الى شيء علمت أن مابقي من العمر أقل مما مضى ، فقال الاعرابي : سر باذن الله فأنت الراكب وأنا الراجل .

أقول : وحاصل هذا الجواب طلب الهداية في مواضع الشبهات بطريق

مستقيم موصل الى الجنة ، وماذكره من حكاية ابراهيم قليل الربط جداً بالمقام الذي هو فيه .

السادس : قال بعضهم : الصراط المستقيم الاسلام ، وقال بعضهم : القرآن وقال بعضهم : لايصح لان قوله « صراط الذين أنعمت عليهم » بدل من الصراط المستقيم ، واذا كان كذلك كان التقدير : اهدنا صراط من أنعمت عليهم من المتقدمين ، ومن تقدمنا من الامم ماكان لهم القرآن والاسلام واذا بطل ذلك ثبت أن المراد اهدنا صراط المستحقين للجنة .

أقول : وحاصل هذا الجواب طلب الاسلام ، وهو ليس جواباً عن الاشكال الذي دعاه الى هذه الاجوبة ، وماذكره من وجه عدم الصحة انمايصح لوكان المراد من الذين أنعمت عليهم السابقين .

ثم قال : وانما قال الصراط ، ولم يقل السبيل ولا الطريق ، وان كان الكل واحداً ، ليكون لفظ الصراط مذكراً لصراط جهنم ، فيكون الانسان على مزيد خوف وخشية انتهى .

وفيه أيضاً مافيه رسم خيال ، وكيف يمكن تحصيل مراداته بمثل هذا الخيال.

ثم قال : القول الثاني في تفسير «اهدنا» أي : ثبتنا على الهداية التي وهبتها منا ، نظيره قوله تعالى « ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا »[١] فكم من عالم وقعت شبهة ضعيفة في خاطره ، فزاغ وزل وانحرف عن الدين القويم والمنهج المستقيم[٢] انتهى .

وفيه أن المراد لوكان هذا ، فلم لم يجب أولا بهذا الجواب وما الداعي لهذه الاجوبة الطويلة ، والله العالم .

---

(١) سورة آل عمران : ٨ .

(٢) التفسير الكبير ١/٢٥٤ – ٢٥٧ .

وفي هذا المعنى ما ذكره في الكشاف ، حيث قال : ومعنى طلب الهداية وهم المهتدون ، طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف ، كمافي قوله تعالى «والذين اهتدوا زادهم هدى»[١] «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا»[٢] وعن علي وأبي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا[٣].

أقول : وقوله «عن علي» لعله اشارة الى جواب آخر، ويمكن ارجاعه الى سابقه، فالذي ذكره في الكشاف كأنه جوابان آخران ، غير مامر من التفسير الكبير .

وقال الطبرسي في مجمع البيان: قيل في معنى « اهدنا » وجوه: أحدها أن معناه ثبتنا على الدين الحق، لان الله تعالى قد هدى الخلق كلهم الا أن الانسان قد يزل وترد عليه الخواطر الفاسدة، فيحسن أن يسأل الله تعالى أن يثبته على دينه ويديمه عليه، ويعطيه زيادات الهدى التي أسباب الثبات على الدين ، كما قال الله تعالى « والذين اهتدوا زادهم هدى » وهذا كما يقول القائل لغيره وهو يأكل : كل أي دم على الاكل .

أقول: ولعل الزيادة غير الثبات ، كمااستظهرناه من الكشاف، وماذكره من ارجاعها اليه غير بعيد أيضاً .

قال وثانيها : أن الهداية هي الثواب كقوله تعالى « يهديهم ربهم بايمانهم » فصار معناه اهدنا الى طريق الجنة ثواباً لنا، ويؤيده قوله « الحمد لله الذي هدانا لهذا » .

أقول: فمعنى اهدنا اثبتنا وأجزنا ، لكن لما كان هذا المعنى لايوافق بظاهره

---

(١) سورة محمد : ١٧ .

(٢) سورة العنكبوت : ٦٩ .

(٣) الكشاف ١/٦٧ .

تعلق الفعل بالصراط المستقيم، فلذا قال: فصار معناه اهدنا الى طريق الجنة ثواباً لنا، وفيه أن الهداية حينئذ على معناه، الاأن المهدى اليه الجنة التي هي الثواب والجزاء للايمان، وبالجملة هذا المعنى لايلائم المقام، وان كان مما قديستعمل لفظ الهداية في بعض الاستعمالات .

قال وثالثها: أن المراد دلنـا على الدين الحق في مستقبل العمر ، كمادللتنا عليه في الماضي، ويجوز الدعاء بالشيء الذي يكون حاصلا ، كقوله تعالى «قل رب احكم بالحق » وقوله تعالى حكاية ابراهيم عليه السلام « ولاتخزني يوم يبعثون » وذلك أن الدعاء عبادة، وفيه اظهار الانقطاع الى الله تعالى .

فان قيل: مامعنى المسألة في ذلك، وقد فعله الله تعالى ؟

فجوابه أنه يجوز أن يكون لنا في الدعاء به مصلحة في ديننا، وهذا كما تعبدنا بأن نكرر التسبيح والاقرار لربنا عز اسمه بالتوحيد، وان كنا معتقدين لجميع ذلك ويجوز أن يكون الله تعالى يعلم أن أشياء كثيرة تكون أصلح لنا اذا سألناه، واذا لم نسأله لاتكون مصلحة، فيكون ذلك وجهاً في حسن المسألة، ويجوز أن يكون المراد استمرار التكليف والتعريض للثواب، لان ادامته ليس بواجب، بل هو تفضل محض فجاز أن يرغب اليه فيه بالدعاء (١) انتهى .

أقول: وقوله « ويجوز الدعاء بالشيء الذي يكون حاصلا» جواب آخر عن الاشكال، فصار الحاصل ممامر أجوبة عشرة، بعضها ماهو دخيل في معنى الصراط المستقيم، وبعضها ماهو دخيل في معنى اهدنا، وسيأتي من مجمع البيان أقوال في معنى الصراط المستقيم ، فيزيد عن العشرة ، ستة منها ذكرهـا الامام فخر ، وأربعة ذكرها الطبرسي ره والزمخشري .

والاحسن من الاجوبة المذكورة ثلاثة ذكر أحداها ، الاول أو هو اللائح

---

(١) مجمع البيان ١ /٢٨ .

منه في بعض الاجوبة التي ذكرها، من كون المراد الهداية في كل مايكمل به الانسان من الصفات النفسانية والاخلاق الحسنة، من الصبر والرضا والثبات عند البلاء، والعدالة في تمام الاخلاق الحسنة، والسلامة عن الاخلاق الردية، أوكون المراد طلب الثبات على الهداية والزيادة ، أوكون المراد أصل الدعاء ، كما ذكره الاخير في آخر كلامه ، والله العالم .

والاولى أن يجاب عن الاشكال المذكور بوجوه أربعة جامعة للوجوه المرغوبة من العشرة المذكورة :

الاول: أن المطلوب من هذه الكلمة الكمالات العلمية والعملية ، أما العملية فبالتخلق بمكارم الاخلاق ، وهو الطريق المستقيم . والتوصيف بالاستقامة : اما باعتبار أن الطريق العدل هو الطريق المستقيم ، وهو أقرب الطريق المقصود، ألا ترى أن الخط المستقيم أقرب خط يصل بين النقطتين ، وماسواه من الخطوط اماخط الى غير النقطة المقصودة، واما معوجة .

فالمقصود الحقيقي هو الواحد، وهو بمنزلة احدى النقطتين والعبد في مرتبة نفسه واحد، والسير لابد منه ، فالطريق المستقيم هو أقرب الطرق الموصلة، بل ماعداه ليس بموصل، لاقتضاء الاعوجاج الضلال، وهو التكميل للنفس بمعنى عدم الميل الى جانبي الافراط والتفريط في كل صفة من الصفات، فان النفس لها قوى شهوية وغضبية ونفسانية ، والاعتدال والحد الوسط بين الجانبين هو حد الكمال .

بيان ذلك: أن القوة الشهوية طرف افراطها فجور وتفريطها خمود، وكل منهما نقص ومذموم وقبيح ، والحد الوسط بينهما عفة ، وهي استعمال القوة الشهوية في موضعها على مايقتضيه العقل والشرع ويقتضيها الحكمة .

والقوة الغضبية طرف افراطها التهور وتفريطها الجبن، وكل منهما مذموم

وقبيح والحد الوسط الشجاعة الممدوحة عقلا وشرعاً، والقوة النفسانية افراطها جربزة وتفريطها البله ، وهما مذمومان قبيحان ، والوسط هوالحكمة الممدوحة عقلا وشرعاً ، ويحصل من اجتماع الكمالات الثلاث العدالـة أو من كمالـها كمالها .

والغضب في الاصل هو تغير يحصل عند غليان دم القلب لشهوة الانتقام ، وهذا على الله محال، والمراد به هنا الاثر المترتب عليه .

وبيانه على وجه يعم كل مااسند الله تعالى ممايختص بالنفس ماذكره الامام فخر في تفسيره، قال : هنا قاعدة كلية، وهي أن جميع الاعراض النفسانية أعني الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والغيرة والتكبر والاستهـزاء ، لها أوائل ولها غايات، مثاله الغضب ، فان أوله غليان دم القلب وغايته ارادة ايصال الضرر الى المغضوب عليه ، ولفظ الغضب في حق الله تعالى لايحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب، بل على غايته الذي هو ارادة الاضرار .

وأيضاً الحياء له أول وهوانكسار يحصل في النفس، وله غاية وهو ترك الفعل فلفظ الحياء في حق الله تعالى يحمل على ترك الفعل، لاعلى انكسار النفس، وهذه قاعدة شريفة في هذا الباب (١) .

ثم ان العملية منها فعل ومنها انفعال، فالفعل مامر، والانفعال كالحياء، والرفق والصبر، والقناعة، والورع، والحلم، والسكون، والتحمل، والتواضع، والرقة والتعقل، والتذكر، وسرعة التعلم ونحو ذلك، وان كان ذلك كله من لوازم العدالة أي الحكمة والعفة والشجاعة، فان الحياء الى الورع من لوازم العفة، والحلم الى الرقة من لوازم الشجاعة، والعقل الى الاخير من لوازم الحكمة .

والحاصل أن العدل المستقيم من كل ذلك جامع للاخلاق الحسنة .

---

(١) التفسير الكبير ١/٢٦٢ .

وأما العلمية ، وهي القوة النظرية والعقائد الدينية ، فلها طرفا افراط وتفريط والوسط هو العدل المستقيم ، فالافراط هو التجاوز عن حد الاعتدال المسمى بالغلو ، والتفريط هو التجاوز التقاعد عن الدين وعدم الذهاب اليه، وربما يشار الى الطريفين بالمغضوب عليهم ولا الضالين .

فان الغضب على من قصر وفرط غالباً أو يلائمه، بتقريب أن الغضب يلزمه البعد والطرد، والمفرط في كل شيء هو المعرض عنه غير مجد لطائل فهو بعيد عن ذلك ، والمفرط فقد أقبل الا أنه جاوز عن حد الاعتدال ، فغاب عن المقصود ، وحصل له الضلال .

ولذلك قد ورد في تفاسير كثيرة أن المغضوب عليهم اليهود، حيث فرطوا فجعلوا الاله كالاصنام ، قالوا: ياموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة، وقالوا : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فقال الله تعالى فيهم « فباؤا بغضب من الله »(١) والضالين النصارى قالوا: ان الله ثالث ثلاثة ، وقالوا: المسيح بن الله، فقال الله تعالى فيهم « وضلوا عن سواء السبيل »(٢) .

ويقال: الغضب في القوة العملية، والضلال في القوة النظرية، فيصير حاصل هذا الجواب الهداية بالاستقامة في المرتبتين، فيكون جامعاً للجواب الاول والثاني والرابع والخامس فيكون الهداية باقية على معناها ، ويكون ما مر كله مراداً من الصراط المستقيم .

الثاني: أن يكون المراد من الهداية الثبات والدوام في الدين، وهو الذي ورد عن أمير المؤمنين وسيأتي في تفسير الامام بالحق العسكري عليه السلام، وهو الذي تقدم من الكشاف ومجمع البيان .

---

(١) سورة آل عمران: ١١٢ .

(٢) سورة المائدة: ٧٧ .

الثالث: الزيادة في الهداية، وهي التي ذكرها الامام فخر في ثالث أجوبته وذكرها الزمخشري ومجمع البيان، ويمكن ارجاعه الى سابقه ،كماهو المستفاد من المجمع ، وهذان الجوابـان يقتضيان بقاء الصراط المستقيم على معناه من الدين القويم .

الرابع: أن يكون المطلوب من هذا الدعاء نفس الدعاء، لا المعنى المداول منه ، حتى يكون المطلوب منه مدلولـه ، وهذا باب واسع في جملة الامـور الحاصلة لثمرات اخر، مثل فائدة كلمة التوحيد للموحد والشهادتين للمسلم ، وفائدة الصلوات على النبي وآله ، واللعن على أعاديه ، ومثل فوائد الدعاء له في قبول شفاعته ، ومثل فوائد طلب الانبياء الجنة والبعد عن النار وهكذا .

ثم انه قد اختصت الشيعة بمعان للصراط المستقيم وللهداية اليه. أما الصراط المستقيم، فقد ورد في روايات كثيرة أن المراد به أمير المؤمنين عليه السلام .

فقد روى في بصائر الدرجات في الباب الثلاثين ، باسناده عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال أوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وآله « فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم »[1] قال : انك على ولاية علي عليه السلام وعلي عليه السلام هو الصراط المستقيم [2] .

وروى فيه أيضاً في النوادر في الولايـة عن أبي حمزة في حديث عن أبي جعفر عليه السلام : وأما قوله « وانك لتهدى الى صراط مستقيم» انك لتأمر بولاية علي وتدعو اليها ، وعلي هو الصراط المستقيم . وأما قوله « فاستمسك بالذي اوحي اليك» في علي «انك على صراط مستقيم» انك على ولاية علي، وهو على صراط

---

(١) سورة الزخرف: ٤٣ .

(٢) بصائر الدرجات ص٧١-٧٢ .

مستقيم (١) .

وروى فيه أيضاً في الباب السابع والعشرين باسناده عن أبي بصير، عن خيثمة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: نحن جنب الله، ونحن صفوته، الى أن قال: ونحن الطريق وصراط الله المستقيم الى الله الخبر (٢) .

وروى في الكافي في باب فيه نكت ونتف عن التنزيل في الولاية باسناده عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام، قال أوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وآله «فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم» قال: انك على ولاية علي، وعلي عليه السلام هو الصراط المستقيم» (٣) .

وروى فيه أيضاً في الباب المذكور باسناده عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الماضي، قال: سألته عن قول الله عزوجل «ليطفئوا نور الله بأفواههم»(٤) الى ان قال: والصراط المستقيم علي بن أبي طالب عليه السلام (٥) .

والاخبار في هذا المعنى كثيرة، ونقتصر على ماورد في خصوص هذه الاية ففي المناقب عن الباقرين عليهما السلام «اهدنا الصراط المستقيم» قالا: دين الله الذي نزل به جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله «صراط الذين أنعمت عليهم» فهديتهم بالاسلام وبولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، ولم تغضب عليهم، ولم يضلوا، المغضوب عليهم اليهود والنصارى والشكاك الذين لايعرفون امامة أمير المؤمنين عليه السلام، والضالين عن امامة علي بن أبي طالب عليه السلام .

---

(١) بصائر الدرجات ص٧٨ .

(٢) بصائر الدرجات ص٦٣ .

(٣) اصول الكافي ١/٤١٧، ح٢٤ .

(٤) سورة الصف : ٨ .

(٥) اصول الكافي ١/٤٣٢، ح٩١ .

وقال أبوجعفر الهاروني في قوله « وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم» (١) وأم الكتاب الفاتحة يعني ان فيها ذكره قوله « اهدنا الصراط المستقيم » السورة .

علي بن عبدالله بن عباس، عن أبيه وزيد بن علي بن الحسين عليهما السلام « والله يدعو الى دار السلام» (٢) يعني به الجنة « ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم » يعني به ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام (٣) .

وفي معاني الاخبار عن عبيدالله الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام (٤) .

وفيه باسناده عن محمد بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قول الله عزوجل «صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال شيعة علي عليه السلام الذي أنعمت عليهم بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ، لم يغضب عليهم ولم يضلوا (٥) .

وفيه باسناده عن حماد بن عيسى ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل « اهدنا الصراط المستقيم » قال : هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته ، والدليل على أنه أمير المؤمنين عليه السلام قوله عزوجل «وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم» وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أم الكتاب في قوله «اهدنا الصراط المستقيم » (٦) .

---

(١) سورة الزخرف: ٤ .
(٢) سورة يونس : ٢٥ .
(٣) بحار الانوار ٣٥/٣٦٥ عن المناقب .
(٤) معاني الاخبار ص٣٢، ح٢ .
(٥) معاني الاخبار ص٣٦، ح٨ .
(٦) معاني الاخبار ص٣٢-٣٣، ح٣ .

وفي تفسير علي بن ابراهيم في «اهدنا الصراط المستقيم» قال أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته ، والدليل على أنه أمير المؤمنين قوله « وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم » وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أم الكتاب وفي قوله « الصراط المستقيم»[1] .

وفيه أيضاً في قوله «صراط الذين» الاية قال: وحدثني أبي، عن حماد، عن حريز، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قرأ اهدنا الصراط المستقيم، صراط من أنعمت عليهم ، قال: المغضوب عليهم النصاب والضالين اليهود والنصارى [2] .

وعنه عن ابن أذينة ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله « غير المغضوب عليهم» وغير الضالين قال: المغضوب عليهم النصاب، والضالين الشكاك الذين لايعرفون الامام [3] .

هذا ثـم في تفسير الامام الحسن العسكري عليه السلام قال الامام عليه السلام : اهدنـا الصراط المستقيم يقـول أدم لنا توفيقك الذي بـه أطعناك فيمامضى أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا، وهو راجع الى بعض مامر .

ثم قال : والصراط المستقيم هوصراطان : صراط في الدنيا ، وصراط في الاخرة ، فأما الطريق المستقيم في الدنيا ، فهوماقصر عن الغلو، وارتفع عـن التقصير واستقام ، فلم يعدل الى شيء من الباطل .

وأما الطريق في الاخرة ، طريق المؤمنين الى الجنة الذي هو مستقيم ، لا يعدلون عن الجنة الى النار ، ولا الى غير النار سوى الجنة .

ثم قال وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في قوله عزوجل «اهدنا الصراط

---

(١) التفسير القمى ١/٢٨-٢٩ .
(٢) التفسير القمى ١/٢٩ .
(٣) التفسير القمى ١/٢٩ .

المستقيم» قال : يقول : أرشدنا الصراط المستقيم ، أرشدنا للزوم الطريق المؤدي الى محبتك ، والمبلغ الى جنتك ،والمانع الى أن نتبع أهواءنا فنعطب، أونأخذ بآرائنا فنهلك .

ثم قال عليه السلام : ان من تبع هواه وأعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء العامة تعظمه وتصفه ، فأحببت لقائه من حيث لايعرفني لانظر مقداره ومحله ، ثم ذكر خبر الرجل الذي سرق الرغيفتين من الخباز ، والرمانين من صاحب الرمان، فاعطى فقيراً رجاء أن يبقى له بعد وضع السيئات الاربع أربع وثلاثون حسنة ، لقوله تعالى «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلايجزى الا مثلها»(١).

ثم قال الصادق عليه السلام : بمثل هذا لتأويل القبيح المستنكر يضلون ويضلون ، وهذا نحو تأويل معاوية لقوله صلى الله عليه وآله عمار يقتله الفئة الباغية بان القاتل له من ألقاه بين رماحنا ، فاتصل ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : فاذا رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي قتل حمزة لما ألقاه بين رماح المشركين(٢).

وقال في مجمع البيان : قيل : في معنى الصراط المستقيم وجوه :

أحدها : أنه كتاب الله العزيز ، وهو المروي عن النبي وعن علي عليه السلام وابن مسعود .

وثانيها : أنه الاسلام ، وهو المروي عن جابر وابن عباس .

وثالثها : أنه دين الله الذي لايقبل عن العباد غيره ، عن محمد بن الحنفية .

والرابع : أنه النبي صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام القائمون مقامه ، وهو المروي في أخبارنا ، والاولى حمل الاية على العموم ، حتى يدخل جميع ذلك فيه ، لان الصراط المستقيم هو الدين الذي أمر الله به من التوحيد والعدل وولاية من

---

(١) سورة الانعام : ١٦٠ .

(٢) تفسير الامام العسكري عليه السلام ص٤٤-٤٦ .

أوجب الله طاعته[١] انتهى .

وينبغي ختم المقام بفوائد :

منها : أن النعمة كما في مجمع البيان في الأصل المبالغة والزيادة يقال : دققت الدواء فانعمت دقه أي بالغت في دقه [٢] وهذه ما يتعلق بلغات ألفاظ الاية الى آخرها .

الهداية في اللغة الارشاد والدلالة ، ثم ان الهداية يتعدى الى المفعول الثاني باللام ، أو بالى ، لكن في الاية تعدى بنفسه ، فأما أن يكون ذلك لغة فيه ، قال الجوهري: هديته الطريق والبيت هداية أي عرفته ، هذا لغة أهل الحجاز، وغيرهم يقول : هديته الى الطريق والى دار حكاها الاخفش[٣].

وبنى في الكشاف على التوسع ، وقال بعضهم بالفرق في المعنى ، وانما بالحرف انمايقال اذا لم يكن المهدى في ذنب فوصل اليه بالهداية ، وما بدونها لمن كان فيه فازداد أو ثبت ، ولمن لايكون فيه فوصل .

وقال بعضهم بفرق آخر ، فان مابالحرف معناه الدلالة على ما يوصل الى المطلوب ، فيسند تارة الى القرآن ، وتارة الى النبي ﷺ ، وما بدونها معناه الايصال الى المطلوب ، ولايكون الا فعل الله ، فلايسند الى غيره تعالى .

ومنها : ان النعمة كما في مجمع البيان في الاصل المبالغة والزيادة يقال : دققت الدواء فأنعمت دقه ، أي بالغت في دقه ، وهذه النعمة وان لم تكن مذكورة في اللفظ ، فالكلام يدل عليها ، لانه لماقال اهدنا الصراط المستقيم ، وقد بينا

---

(١) مجمع البيان ١/ ٢٨ .

(٢) مجمع البيان ١ / ٣١ .

(٣) صحاح اللغة ٦/ ٢٥٣٣ .

المراد بذلك بين أن هذا صراط من أنعم عليهم به، ولم يحتج الى اعادة اللفظ[١] انتهى .

ولم أفهم معنى هذا الكلام فان المبالغة حاصلة من هذه اللفظة زيادة الفضل، ثم ان النعمة كما حدودها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير، فالمنفعة بدون القيد الاول نفع لنفسه ، كذا ما لم يكن على جهة الاحسان ، بل لتحصيل مقاصده ، كما اذا حسن الى جاريته ليربح عليها .

ثم اختلفوا في أن الله تعالى هل يعم على الكافر أم لا ؟ ومما استدلوا بهذه الاية على الثاني ومما استدلوا به على الاول قوله تعالى «يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم»[٢] وقوله تعالى «وقليل من عبادي الشكور»[٣] وانا نرى نعمة الحياة وسائر النعم على الكفار ، ويمكن الجواب منه بقوله تعالى « ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لانفسهم»[٤].

الثاني : أن ممن ينكشف منه دلالة هذه الاية على العصمة ، عصمة الانبياء والاولياء والائمة الامناء جماعة .

منهم : الامام فخر ، فقد قال في تفسير هذه السورة : ان المداخل التي يأتي الشيطان من قبلها في الاصل ثلاثة : الشهوة ، والهوى ، والغضب ، فالشهوة بهيمية ، والغضب سبعية ، والهوى شيطانية ، فالشهوة آفة ، لكن الغضب أعظم منها ، والغضب آفة لكن الهوى أعظم منه ، وقوله تعالى « ينهى عن الفحشاء » المراد آثار الشهوة ، وقوله «المنكر» المراد منه آثار الغضب، وقوله «والبغي»

---

(١) مجمع البيان ١ /٣٠ .

(٢) سورة البقرة : ٤٠ .

(٣) سورة سبأ : ١٣ .

(٤) سورة آل عمران : ١٧٨ .

المراد منه آثار الهوى .

فبالشهوة يصير الانسان ظالماً لنفسه ، وبالغضب يصيرظالماً لغيره، وبالهوى يتعدى ظلمه الى حضرة جلال‌الله ، فلهذا قال : الظلم ثلاثة ، فظلم لايغفر، وظلم لايترك ، وظلم عسى‌الله أن يتركه ، فالظلم الذي لايغفر هو الشرك بالله تعالى سبحانه ، والظلم الذي لايترك هوظلم العباد بعضهم بعضاً ، والظلم الذي عسى الله أن يتركه هوظلم الانسان نفسه .

فمنشأ الظلم الذي لا يغفر هوالهوى ، ومنشأ الظلم الذي لايترك هوالغضب ومنشأ الظلم الذي عسى الله أن يتركه فالشهوة ، ثم لها نتائج : فالحرص والبخل نتيجة الشهوة ، والعجب والكبر نتيجة الغضب، والكفر والبدعة نتيجة الهوى ، فاذا اجتمعت هذه الستة في بني آدم تولد منها سابع وهو الحسد ، وهو نهاية الاخلاق الذميمة ،كما أن الشيطان هو النهاية في الاشخاص المذمومة.

فلهذا السبب ختم‌الله مجامع الشرور الانسانية بالحسد ، وهو قوله « ومن شر حاسد اذا حسد » كما ختم مجامع خبائث الشيطان بالوسوسة ، فهو قوله «يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس» فليس في بني‌آدم أشر من‌الحسد، كما أنه ليس في الشيطان أشر من الوسوس .

بل قيل : الحاسد أشر من ابليس ، لان ابليس روى أنه أتى باب فرعون ، فقرع الباب فقال فرعون : من هذا ؟ فقال ابليس: لو كنت الهاً لما جهلتني ، فلما دخل قال له فرعون : أتعرف في الارض أشر منك؟ قال : نعم‌الحاسد، وبالحسد وقعت في هذه المحنة .

اذا عرفت هذا ، فنقول : اصول الاخلاق القبيحة هي تلك الثلاثة ، والاولاد والنتائج هي هذه السبعة المذكورة ، فأنزل الله تعالى سورة الفاتحة وهي سبع آيات لحسم هذه الافات‌السبع، وأيضاً أصل‌سورة الفاتحة التسمية، وفيهاالاسماء

الثلاثة ، وهي في مقابلة تلك الاخلاق الاصلية الفاسدة ، فالاسماء الثلاثة الاصلية الثلاث ، والايات السبع التي هي الفاتحة في مقابلة الاخلاق السبعة ، ثم ان جملة القرآن كالنتائج والشعب من الفاتحة ، وكذا جميع الاخلاق الذميمة كالنتائج والشعب من تلك السبعة ، فلاجرم القرآن كله كالعلاج لجميع الاخلاق الذميمة .

أما أن الامهات الثلاثة في مقابلة الامهات الثلاثة ، فنقول : ان من عرف الله وعرف أنه لا اله الا هو ، تباعد عنه شيطان الهوى ، لان الهوى اله سوى الله يعبد ، بدليل قوله تعالى « أفرأيت من اتخذ الهه هواه » وقال تعالى لموسى عليه السلام : ياموسى خالف هواك ، فاني ماخلقت خلقاً نازعني في ملكي الاالهوى ، ومن عرف أنه رحمان لم يغضب ، لان منشأ الغضب طلب الولاية ، والولاية للرحمن ، لقوله تعالى « الملك يومئذ الحق للرحمن » ومن عرف أنه رحيم وجب أن يتشبه به في كونه رحيماً ، فاذا صار رحيماً لم يظلم نفسه ولم يلحظها بالافعال البهيمية .

وأما الاولاد السبعة ، فهي في مقابلة الايات السبع وقبل أن تخوض في بيان تلك المعارضة نذكر دقيقة اخرى ، وهي أنه تعالى ذكر الاسماء الثلاثة المذكورة في التسمية في نفس السورة ، وذكر معها اسمين آخرين : هما الرب ، والمالك والرب قريب من الرحيم ، والمالك قريب من الرحمن لقوله تعالى « الملك يومئذ الحق للرحمن » .

فذكر[1] هذه الاسماء الثلاثة : الملك ، الرب ، الاله ، فلهذا السبب ختم الله سورة القرآن عليها ، والتقدير كأنه قيل : ان أتاك الشيطان من قبل الشهوة فقل أعوذ برب الناس ، وان أتاك من قبل الغضب ، فقل ملك الناس ، وان اتاك من قبل الهوى ، فقل اله الناس .

(١) في المصدر : فحصلت .

ولنرجع الى بيان معارضة تلك السبعة ، فنقول : من قال الحمدلله، فقدشكر الله واكتفى بالحاصل ، فزالت شهوته ، ومن عرف أنه رب العالمين زال حرصه فيما لم يجد وبخله فيما وجد ، فاندفعت عنه آفة الشهوة ولذاتها ، ومن عرف أنه مالك يوم الدين بعد أن عرف أنه الرحمن الرحيم ، زال غضبه ، ومن قال اياك نعبد واياك نستعين ، زال كبره بالاولى وعجبه بالثاني ، فاندفعت عنه آفة الغضب المولد بها .

فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم ، اندفع عنه سلطان الهوى ، واذا قال صراط الذين أنعمت عليهم ، زال عنه كفره ، واذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين اندفعت عنه بدعته ، فثبت أن هذه الايات السبعة دافعة لتلك الاخلاق القبيحة السبعة[1] انتهى .

وهذا التقرير أدل شيء على كون الذين أنعم عليهم معصومين .

ومنهم الطبرسي رحمه‌الله قال في أواخر تفسير سورة الفاتحة في بيان نظم هذه السورة : ان العاقل المميز اذا عرف نعم الله سبحانه بالمشاهدة ، وكان له من نفسه بذلك أعدل شاهد وأصدق رائد[2] ابتدأ بآية التسمية افتتاحاً باسم المنعم واعترافاً بالهيته ، واستروا حا بذكر فضله ورحمته .

ولما اعترف بالمنعم الفرد اشتغل بالشكر له والحمد ، فقال : الحمد لله ، ولما رأى نعم الله تعالى على غيره واضحة ، كما شاهد آثارها على نفسه لائحة عرف أنه رب الخلائق أجمعين ، فقال رب العالمين ، ولما رأى شمول فضله للمربوبين وعموم رزقه للمرزوقين قال الرحمن ، ولما رأى تقصيرهم في واجب شكره وتعذيرهم في الانزجار عند زجره ، واجتناب نهيه وامتثال أمره ، وانه يتجاوز

(١) التفسير الكبير ١/٢٦٦-٢٦٨ .

(٢) الرائد الذي يرسل في طلب الكلا ، ويقال : الرائد لايكذب أهله «منه».

عنهم بالغفران ، ولا يؤاخذهم عاجلا بالعصيان ، ولا يسلبهم نعمه بالكفران قال الرحيم .

ولما رأى ما بين العباد من التباغي والتظالم والتكالم والتلاكم ، وان ليس بعضهم من شر بعض بسالم ، علم أن ورآئهم يوماً ينتصف فيه للمظلوم من الظالم فقال مالك يوم الدين واذا عرف هذه الجملة أي جمع له هذه العلوم حينئذ، فقد علم أنه له خالقاً رازقاً رحيماً يحيي ويميت ، ويبدىء ويعيد ، وهو الحي لايشبهه شيء ، والاله الذي لايستحق العبادة سواه .

ولما صار الموصوف كالمدرك له بالعيان المشاهد بالبرهان تحول عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب ، فقال اياك نعبد ، وهذا كما أن الانسان يصف الملك بصفاته ، فاذا رآه عدل عن الوصف الى الخطاب ، ولما رأى اعتراض الاهواء والشبهات ، وتعاور الاراء المختلفات ، ولم يجد معيناً غير الله تعالى ، سأله الاعانة على الطاعات بجميع الاسباب لها والوصلات ، فقال اياك نستعين.

ولما عرف هذه الجملة ، وتبين أنه بلغ من معرفة الحق المدى[1] ، واستقام على منهاج الهدى ، ولم يأمن العثرة لارتفاع العصمة ، سأل الله التوفيق للدوام عليه ، والثبات والعصمة من الزلات ، فقال اهدنا الصراط المستقيم ، وهذا لفظ جامع يشتمل على معرفة الاحكام ، والتوفيق لاقامة شرائع الاسلام، والاقتداء بمن أوجب الله طاعته من الائمة الانام ، واجتناب المحارم والاثام.

واذا علم ذلك ، علم أن لله تعالى سبحانه عباداً خصهم بنعمته ، واصطفاهم على بريته ، وجعلهم حججاً على خليقته ، فسأله أن يلحقه بهم، ويسلك به سبيلهم وأن يعصمه عن مثل أحوال الزالين المزلين ، والضالين المضلين ، ممن عاند

(١) المدى الغاية ، ولعله بفتح الميم ، والذى هو بالضم جمع المدية بمعنى الشفرة « منه » .

الخلق، وعمي عن طريق الرشد ، وخالف سبيل الرشد ، فغضب الله عليه ولعنه وأعد له خزي المقيم والعذاب الاليم ، أو شك في واضح الدليل ، فضل عن سواء السبيل ، فقال صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين[1] انتهى .

أقول : وبيانه لايخلو عن ضعف مناسبة ، والاولى منه في بيان النظم بيانات، ستأتي انشاء الله تعالى .

ومنهم : الامام فخر أيضاً ، حيث قال في الفصل السابع من فصول القسم الثاني لتفسير مجموع السورة : الانسان مركب من خمسة أشياء : بدنه ، ونفسه الشيطانية ، ونفسه الغضبية ، ونفسه الشهوانية ، وجوهره الملكي العقلي، فتجلى الحق سبحانه بأسمائه الخمسة لهذه المراتب الخمسة .

فتجلى اسم الله للروح الملكية والعقلية القدسية ، فخضع وأطاع كما قال الله تعالى « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » وتجلى للنفس الشيطانية بالبر والاحسان وهو اسم الرب ، فترك العصيان وانقاد لطاعة الله الديان .

وتجلى للنفس الغضبية السبعية باسم الرحمن وهذا الاسم مركب من القهر واللطف كما قال تعالى « الملك يومئذ الحق للرحمن » فترك الخصومة ، وتجلى للنفس الشهوانية البهيمية باسم الرحيم،وهو أنه أطاق المباحات والطيبات، كما قال تعالى « أحل لكم الطيبات من الرزق » فيترك العصيان .

وتجلى للاجساد بقهر مالك يوم الدين ، وان البدن غليظ كثيف فلا بد من قهر شديد ، وهو القهر الحاصل من خوف يوم القيامة ، فلما تجلى سبحانه بأسمائه الخمسة لهذه المراتب انغلقت أبواب النيران ، وانفتحت أبواب الجنان .

ثم هذه المراتب ابتدأت بالرجوع كما جائت فأطاعت الابدان ، وقال اياك

---

(١) مجمع البيان ١/ ٣١ .

نعبد ، وأطاعطت النفوس الشهوانية ، فقال إيـاك نستعين على تـرك اللذات ، والاعراض عن الشهوات ، وأطاعت النفوس الغضبية، فقال اهدنا وأرشدناوعلى دينك فثبتنا .

وأطاعت النفس الشيطانية فطلب من الله الاستقامة والصون عن الانحراف، فقال اهدنا الصراط المستقيم ، وتواضعت الارواح القدسية والملكية، فطلب من الله أن يوصلها بأرواح القدسية العالية المطهرة المعظمة ، فقال صـراط الذيـن أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين(١).

ومنهم : الامام فخر أيضاً ، حيث قال في آخر التفسيرلسورة الفاتحة فـي تلخيص كلامه : للخلق خمس أحوال : أولها الايجاد والتكوين والابداع، ويدل عليه اسم الله .

وثانيها : التربية في مصالح الدنيا ، ويدل عليه اسم الرب .

وثالثها : التربية في معرفة المبدء ، ويدل عليه اسم الرحمن .

ورابعها : في معرفة المعاد ، ويدل عليه اسم الرحيم كي يقدم على ما ينبغي ويحجم عما لا ينبغي .

وخامسها : نقل الارواح من عالم الاجساد الى المعاد ، ويدل عليه مالك يوم الدين .

ثم ان العبد اذا انتفع بهذه الاسماء صار من أهل المشاهدة ، فقال اياك نعبد لانك أنت الله الخالق ، واياك نستعيـن لانك الرب الرازق ، اياك نعبد لانـك الرحمن ، واياك نستعين لانك الرحيم اياك نعبد لانك الملك، واياك نستعين لانك المالك ، اياك نعبد لانا ننتقل من دار الشرور الى دار السرور ، ولابد من زاد ، وخير الزاد العبادة ، واياك نستعين لان الذي نكتسب بقوتنا وقدرتنا لا يكفينا ،

---

(١) التفسير الكبير ١/ ٢٨٦ .

فان السفر طويل والزاد قليل .

ثم اذا حصل الزاد باعانتك فالشقة شاسعة والطرق كثيرة ، فلاطريق الا أن يطلب الطريق ممن هو بارشاد السالكين حقيق ، فقال اهدنا الصراط المستقيم .

ثم انه لابد لسالك الطريق الطويل من رفيق ودليل ، فقال : صراط الذين أنعمت عليهم ، فالانبياء أدلاء والصديقون والشهدآء والصالحون رفقاء ، غير المغضوب عليهم ولا الضآلين ، لان الحجب قسمان : نارية هي الدنيا ومافيها ، ونورية وهي ماسواها[1].

ومنهم : الامام المذكور ، حيث قال في الفصل السادس من القسم الثاني في تفسير سورة الفاتحة ، قال : أعظم المخلوقات جلالة ومهابة المكان والزمان، أما المكان فهو الفضاء الذي لانهاية له ، والخلاء الذي لاغاية له .

وأما الزمان ، فهو الامتداد المتوهم الخارج من قعر ظلمات عالم الازل الى ظلمات عالم الابد ، كأنه نهر خرج من قعر جبل الازل ، وامتد ودخل في قعر جبل الابد ، فلا يعرف لانفجاره مبدء ، ولا لاستقراره منزل ، فالاول والاخر صفة الزمان ، والظاهر والباطن صفة المكان ، وكمال هذه الاربعة الرحمن الرحيم.

فالحق سبحانه وسع المكان ظاهراً وباطناً، ووسع الزمان أولا وآخراً، واذا كان مدبر الزمان والمكان هو الحق سبحانه ، كان هو منزها عن الزمان والمكان.

اذا عرفت هذا ، فنقول: الحق سبحانه له عرش وكرسي وراءه، فعقد المكان بالكرسي، فقال « وسع كرسيه السموات والارض » وعقد الزمان بالعرش فقال «وكان عرشه على الماء » لان جري الزمان يشبه جري المكان ، ولا مكان وراء الكرسي، ولازمان وراء العرش، فالعلو صفة الكرسي، وهو قوله « وسع كرسيه السموات والارض » والعظمة صفة العرش، وهو قوله تعالى «وهو رب العرش

---

(١) التفسير الكبير ١/٢٨٩ - ٢٩٠ .

العظيم » وكمال العلو والعظمة لله ، كما قال « ولا يـؤده حفظهما وهـو العلي العظيم » .

واعلم ان العلو والعظمة درجات من درجات الكمال ، الا أن درجة العظمة أكمل وأقوى من درجة العلو، وفوقها درجة الكبرياء ، وقال تعالى : الكبريـاء ردائي والعظمة ازاري ، ولاشك أن الرداء أعظم من الازار، وفـوق جميع هذه الصفات بالرتبـة والشرف صفة الجلال ، وهو تقديسه في حقيقته المخصوصة ، وهويته المعينة عن مناسبة شيء من الممكنات ، وهو لتلك الهويـة المخصوصة استحق صفة الالهية .

فلهذا المعنـى قال عليه السلام : ألظـوا بياذا الجلال والاكرام ، وقـال تعالى « ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام » وقال تعالى «تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام » .

اذا عرفت هذا الأصل، فاعلم أن المصلي اذا قصد الجلال[1]، صار من جملة من قال الله تعالى في صفتهـم يريدون وجه الله، ومن أراد الدخول على السلطان العظيم ، وجـب عليه أن يطهر نفسه من الادنـاس والانجاس ، ولهذا التطهير مراتب :

المرتبـة الاولى : التطهير من دنس الذنوب بالتوبـة ، كما قال الله تعالى « ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا» ومن كان في مقام الزهد ،كانت طهارته من الدنيا حلالها وحرامها ، ومن كان في مقام المعرفة كانت طهارتـه من الكونين الدنيا والاخرة ، ومن كان في مقام الاخلاص كانت طهارته ترك الالتفات الى أعماله، ومن كان في مقام المحسنين كانت طهارته من الالتفات الى حسناته ، ومن كان في مقام الصديقين كانت طهارته من كل ماسوى الله .

---

(١) في المصدر : الصلاة .

وبالجملة فالمقامات كثيرة ، والدرجات متفاوتة ، وكأنها غير متناهية ، كما قال تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله » فاذا أردت أن تكون من جملة من قال الله في حقهم يريدون وجه الله فقم قائماً واستحضر في نفسك جميع مخلوقات الله تعالى ، من عالم الاجساد والارواح .

وذلك أن تبتدىء في نفسك ، وتستحضر في قلبك جملة أعضائك البسيطة والمركبة، وجميع قواك الطبيعية والحيوانية والانسانية ، ثم استحضر في قلبك جملة مافي هذا العالم من أنواع المعادن والنبات والحيوان من الانسان وغيرهم ثم ضم اليهم البحار والتلال والمفاوز وجملة مافيها من عجائب النبات والحيوانات .

ثم ترق الى عالم الجو وطبقات الهواء، واستحضر كلما فيها من الحيوانات وذوات الهيئات، ثم ترق منها الى سماء الدنيا على عظمتها واتساعها، ثم لاتزال ترتقي من سماء الى سماء ، حتى تصل الى سدرة المنتهى والرفرف ، واللوح والقلم، والجنة والنار ، والكرسي والعرش العظيم، ثم انتقل من عالم الاجسام الى عالم الارواح واستحضر في عقلك جميع الارواح الارضية السفلية البشرية وغير البشرية (١) .

ولما فرغنا من فصول المقدمات على قدر مايسع المجال القابل ، وتركنا ماقصرت الكتب العديدة، فضلا عن هذه الاوراق اليسيرة ، وذكرنا فيها صفات الامام وأصله ونسبه ، وكونه من أهل بيت النبي ﷺ ، شرعنا في الابواب الموعودة ، وهي اثنى عشرة باباً :

---

(١) التفسير الكبير ١/٢٧٩-٢٨١ .

الباب الاول

فى الامام الاول بعد النبى صلى‌الله عليه وآله وهو أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام

وفيه مقاصد :

المقصد الاول

فى النصوص الصراح على امامته من دون الحاجة الى واسطة أمر آخر

وهي كثيرة، ولنقتصر على نص :

النص الاول

(خبر الغدير)

وبيانه في فصول :

الفصل الاول

(فى صحة سند هذا الخبر على وجه الاجمال)

قال في الطرائف : وقد صنف العلماء بالاخبار كتباً كثيرة في حديث يوم الغدير، وممن صنف تفصيل ماحققناه أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني

الحافظ المعروف بابن عقدة، وهو ثقة عند أرباب المذاهب ، وجعل ذلك كتاباً مجرداً سماه «حديث الولاية» وذكر الاخبار عن النبي صلى الله عليه وآله بذلك وأسماء الرواة من الصحابة .

والكتاب عندي، وعليه خط الشيخ العالم الرباني الشيخ أبوجعفر الطوسي وجماعة من شيوخ الاسلام ، لايخفى صحة ماتضمنه على أهل الافهام، وقد أثنى على ابن عقدة الخطيب صاحب تاريخ بغداد وزكاه .

وهذه أسماء من روى عنهم حديث يوم الغدير، ونص النبي صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام بالخلافة، واظهار ذلك عند الكافة، ومنهم من هنأه بذلك :

أبوبكر عبدالله بن عثمان، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب عليه السلام ، طلحة بن عبيدالله ، الزبير بن العوام ، عبدالرحمن بن عوف ، سعيد بن مالك، العباس بن عبدالمطلب ، الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، عبدالله بن عباس، عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، عبدالله بن مسعود ، عمار بن ياسر ، أبوذر جندب بن جنادة الغفاري ، سلمان الفارسي .

أسعد بن زرارة الانصاري، خزيمة بن ثابت الانصاري، أبوأيوب خالد بن زيد الانصاري، سهل بن حنيف الانصاري، حذيفة بن اليمان، عبدالله بن عمر بن الخطاب، البراء بن عازب الانصاري، رفاعة بن رافع الانصاري، سمرة بن جندب سلمة بن الاكوع الاسلمي، زيد بن ثابت الانصاري، أبو ليلى الانصاري، أبوقدامة الانصاري، سهل بن سعد الانصاري .

عدي بن حاتم الطائي، ثابت بن زيد بن وديعة ، كعب بن عجرة الانصاري أبوالهيثم التيهان الانصاري، هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري ، المقداد بن عمرو الكندي، عمر بن أبي سلمة، عبدالله بن أبي عبدالاسدي المخزومي، عمران بن

حصين الخزاعي ، بريدة بن الحصين الاسلمي ، جبلة بن عمر الانصاري، أبو هريرة الدوسي ، أبو برزة نضلة بن عتبة الاسلمي، أبوسعيدالخدري ، جابر بن عبدالله الانصاري، جرير بن عبدالله، زيدبن عبدالله، زيدبن أرقم الانصاري .

أبورافع مولى رسول الله ﷺ ، أبوعمرة بن عمرو بن محصن الانصاري أنس بن مالك الانصاري، ناجية بن عمر الخزاعي، أبوزينب بن عوف الانصاري يعلى بن مرة الثقفي ، سعيد بن سعد بن عبادة الانصاري ، حذيفة بن أسيد أبو شريحة الغفاري ، عمروبن الحمق الخزاعي، زيدبن حارثة الانصاري، ثابت بن وديعة الانصاري .

مالك بن حويرث أبو سليمان جابر بن سمرة السوائي ، عبدالله بن ثابت الانصاري، حبشى[١] بن جنادة الساولي، ضميرة بن الاسدي، عبيدالله بن عازب الانصاري، عبدالله بن أبي أوفى الاسلمي ، يزيد بن شراحيل الانصاري ، عبدالله ابن بشر[٢] المازني، نعمان بن عجلان الانصاري، عبدالرحمن بن نعيم الديلمي أبو الحمراء[٣] خادم رسول الله ﷺ، أبوفضالة الانصاري، عطية بن بشر المازني عامر بن يعلى الغفاري، أبوالطفيل عامر بن واثلة الكناني ، عبدالرحمن بن عبد ربه الانصاري، حسان بن ثابت الانصاري، سعدبن جنادة العوفى .

عامر بن عميرالنميري ، عبدالله بن ياميل ، حبة بن جوين العرني ، عقبةبن عامر الجهني ، أبو ذؤيب الشاعر ، أبوشريح الخزاعي ، أبوحجيفة وهب بن عبدالسواني ، أبو امامة الصدى بن عجلان الباهلي ، عامر بن ليلى بن جند بن سفيان العلقي البجلي ، اسامة بن زيد بن حارثة الكلبي ، وحشي بن حرب، قيس

---

(١) في المصدر: جيش .

(٢) في المصدر: بشير .

(٣) في المصدر: أبوحمزة .

ابن ثابت بن شماس الانصاري ، عبدالرحمن بن مدبح ، حبيب بن بديل بـن ورقآء الخزاعي .

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، عائشة بنت أبـي بكر ، ام سلمة ام المؤمنين ، ام هاني بنت أبي طالب عليه السلام ، فاطمة بنت حمزة بن عبدالمطلب، أسماء بنت عميس الخثعمية .

ثم ذكر ابن عقدة ثمانية وعشرين رجلا من الصحابة لم يذكرهم ولم يذكر أسماؤهم أيضاً(٤).

وقال في كتاب الاقبال عند ذكره عمل يوم الغدير: اعلم أن نص النبي صلى الله عليه وآله على مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الغدير بـالامامة مـا يحتاج الى كشف وبيان لاهل العلم والامامة والدراية، وانما نذكر تنبيهاً علـى بعض مـن رواه ، ليقصد من شاء ، ويقف على معناه .

فمن ذلك ما صنفه أبو سعيد مسعود بن ناصر السجستاني المخالف لاهـل البيت في عقيدته ، المتفق عند أهل المعرفة به على صحة ما يرويه لاهـل البيت وامانته ، صنف كتاباً سماه كتاب الدراية في حديث الولايـة ، وهو سبعة عشر جزءاً ، روى فيه حديث نص النبي عليه أفضل السلام بتلك المناقب والمراتب على مولانا علي بن أبي طالب ، عن مائة وعشرين نفساً من الصحابة .

ومن ذلك ماروا. محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ الكبير في كتاب صنفه وسماه كتاب الرد على الحرقوصية ، روى فيه حديث يوم الغدير ومانص النبي صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام ، بالولايـة والمقام الكبير ، وروى ذلك مـن خمس وسبعين طريقاً .

ومن ذلك مارواه أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله الحسكاني في كتاب سماه كتاب

---

(٤) الطرائف ص ١٣٩ - ١٤٢ .

دعاء الهداة الى أداء حق الولاة .

ومن ذلك الذي لم يكن مثله في زمانه أبوالعباس أحمد بن سعيد بن عقدة الحافظ الذي زكاه وشهد بعلمه الخطيب مصنف تاريخ بغداد ، فانه صنف كتاباً سماه حديث الولاية ، وجدت هذا الكتاب بنسخة قدكتبت في زمن أبي العباس ابن عقدة مصنفه ، تاريخها سنة ثلاثين وثلاثمائة صحيح النقل ، عليه خط الطوسي وجماعة من شيوخ الاسلام ، لايخفى صحة ماتضمنه على أهل الافهام.

وقد روى فيه نص النبي صلى الله عليه وآله على مولانا علي عليه السلام بالولاية من مائةوخمس طرق ، وان عددت أسماء المصنفين من المسلمين في هذا الباب طال ذلك على من يقف على هذا الكتاب وجميع هذه التصانيف عندنا الان الا كتاب الطبري(1).

وقال في الطرائف أيضا : وقد روى الحديث في ذلك محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ من خمس وسبعين طريقاً ، وأفرد له كتاباً سماه كتاب الولاية ، ورواه أيضاً أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة لخبر يوم الغدير من مائة وخمس طرق ، وأفرد له كتاباً سماه حديث الولاية، وقد تقدم تسمية من روى عنهم .

وذكر محمد بن الحسن الطوسي في كتاب الاقتصاد وغيره أن قد روى خبر يوم الغدير غير المذكورين من مائة وخمس وعشرين طريقاً ، ورواه أيضاً أحمد ابن حنبل في مسنده أكثر من خمس وعشرين طريقاً ورواه الفقيه ابن المغازلي الشافعي في كتاب المناقب أكثرمن اثنى عشرطريقاً .

قال ابن المغازلي الشافعي بعد رواياته لخبر يوم الغدير : هذا حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد روى حديث غديرخم نحو مائة نفس منهم العشرة ، وهوحديث ثابت لا أعرف له علة ، تفرد علي بهذه الفضيلة ، لم يشركه

---

(١) الاقبال ص٤٥٣ .

فيها أحد[١] هذا لفظ ابن المغازلي[٢].

وقال الشيخ أبو الحسين يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد بن بطريق الاسدي المشهور بابن بطريق في كتاب العمدة الموجود عندي نسخة عتيقة منه : قد ذكر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ خبر يوم الغدير وطرقه في خمسة وسبعين طريقاً ، وأفرد له كتاباً سماه كتاب الولاية ، وذكر أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة خبر يوم الغدير، وأفرد له كتاباً، وطرقه من مائة وخمسة طرق .

ثم قال : وهذا قد تجاوز حد التواتر ، فلا يوجد أحد[٣] قط نقل من طرق بقدر هذه الطرق ، فيجب أن يكون أصلا متبعاً وطريقاً مهيعاً[٤].

وقال السيد المرتضى في الشافي : أما الدلالة على صحة الخبر ، أي : خبر الغدير، فما يطالب به الا امتنعت، لظهوره وانتشاره، وحصول العلم لكل من سمع الاخبار به ، وما المطالب بتصحيح خبر الغدير والدلالة عليه ، الا كالمطالب بتصحيح غزوات النبي ﷺ الظاهرة المشهورة وأحواله المعروفة، وحجة الوداع نفسها، لان ظهور الجميع، وعموم العلم به بمنزلة واحدة .

وبعد فان الشيعة قاطبة تنقله وتواتر به ، وأكثر رواة الحديث ترويه بالاسانيد المتصلة ، وجميع أصحاب السير ينقلونه عن أسلافهم، خلفاً عن سلف نقلا بغير اسناد مخصوص كما نقلوا الوقائع والحوادث الظاهرة ، وقد أورده مصنفوا الحديث في جملة الصحيح .

(١) المناقب لابن المغازلي ص١٤٢ .

(٢) الطرائف ص١٤٢ .

(٣) في المصدر : خبر .

(٤) العمدة ص١١١ - ١١٢ .

وقد استبد هذا الخبر بمالايشركه فيه سائر الاخبار، لانالاخبار على ضربين: أحدهما لايعتبر في نقله الاسانيد المتصلة ،كالخبر عن وقعة بدر وخيبر والجمل وصفين، وماجرى مجرى ذلك من الامور الظاهرة التي يعلمـها [١] الناس قرناً بعد قرن، بغير اسناد وطريق مخصوص. والضرب الاخر يعتبر فيه اتصال الاسانيد كأخبار الشريعة .

وقد اجتمع في خبر الغدير الطريقان معاً، مع تفرقهما في غيره من الاخبار على أن ماعتبر في نقله من أخبار الشريعة اتصال الاسانيد لوفتشت عن جميعه ، لم تجد رواته الا الاحاد، وخبر الغدير قد رواه بالاسانيد الكثيرة المتصلة الجمع الكثير فمزيته ظاهرة .

ومما يدل على صحة الخبر اطباق علماء الامة على قبوله، ولاشبهة فيما ادعيناه من الاطباق ، لان الشيعة جعلته الحجة في النص على أمير المؤمنين عليه السلام بالامامة ومخالفوا الشيعة تاولوه على خلاف الامامة على اختلاف تأويلاتهم .

ومانعلم أن فرقـة من فرق الامـة ردت هذا الخبر ، واعتقدت بطلانـه ، أوامتنعت من قبوله ، وماتجمع الامة عليه لايكون الا حقاً عندنا وعند مخالفينا.

الى أن قال : فان كانوا، أي المخالفون ، أوبعضهم يعتقدون بطلانه [٢] أو يشكون في صحته، لوجب مع مانعلمه من توفر دواعيهم الى رد احتجاج الشيعة به ، وحرصهم على دفع مايجعلونه الذريعة الى تثبيته أن يظهر عنهـم دفعه سالفاً وآنفاً ، وبشيع الكلام فيهم في تصحيح الخبر ، كماشاع كلامهـم في تأويله ، لان دفعه أسهل من تأويله، وأقوى في ابطال التعلق به وأنفى للشبهة .

ثم قال : فان قال أليس قدحكي عن ابن أبي داود السجستاني دفع الخبر ،

---

(١) في المصدر: نقلها .

(٢) في الاصل بكلامه .

وحكي عن الخوارج مثله ، وطعن الجاحظ في كتاب العثمانية فيه .

قيل له : أول مانقوله انه لامعتبر في باب الاجماع بشذوذ كل شاذ عنه، بل الواجب أن يعلم أن الذي خرج عنه ممن يعتبر قولـه في الاجماع ، ثم يعلم أن الاجماع لم يتقدم خلافه ، فان ابن أبي داود والجاحظ لوصرحا بالخلاف اسقط خلافهما بماذكرناه من الاجماع ، خصوصاً الذي لاشبهة فيه من تقدم الاجماع ، وفقد الخلاف وقدسبقهما ثم تأخر عنهما .

على أنه قد قيل : ان ابن أبي داود لم ينكر الخبر ، وانما أنكر كون المسجد الذي بغدير خم متقدماً، وقد حكى عنه التنصل مـن القدح في الخبر ، والتبري مماقذفه به محمدبن جرير الطبري، وأماالجاحظ فلم يتجاسر أيضاً على التصريح بدفع الخبر، وانما طعن على بعض رواتـه ، وادعى اختلاف مانقل من لفظه ، ولوصرح الجاحظ والسجستاني وأمثالهما بالخلاف لم يكن قادحاً، لماقدمناه.

فأما الخوارج، فمايقدر أحد على أن يحكي عنهم دفعاً لهذا الخبر، وامتناعاً من قوله، وهذه كتبهم ومقالاتهم موجودة معروفة، وهي خالية مماادعى، والظاهر من أمرهم حمل الخبر على التفضيل، أوماجرى مجراه من صنوف تأويل مخالفي الشيعة .

وانماآنس بعض الجهلة بهذه الدعوى على الخوارج ماظهرعنهم فيمابعد من القول الخبيث في أمير المؤمنين عليه السلام ، وظن أن خلافهم له ورجوعهم عن ولايته يقتضي أن يكونوا جحدوا فضائله ومناقبه ، وقد أبعد هذا المدعي غايـة البعد ، لان انحراف الخوارج انماكان بعد التحكيم للسبب المعروف، والا فاعتقادهم لاميرالمؤمنين عليه السلام وفضله وتقدمـه قد كان ظاهراً ، وهم على كل بعض أنصاره وأعوانـه وممن جاهد معه الاعداء، وكان في عداد الاولياء الى أن كان من أمرهم

ماكان (١) الى آخر كلامه، وفيما نقلنا عنه كفاية .

وقال في احقاق الحق في ذكر الاية الثانية من الايات الدالة على امامته يروى الحديث في صحاح القوم، كالبخاري ، ورواه أحمد بن حنبل امامهم في مسنده بطرق متعددة على الوجه الذي ذكره المصنف ، وكذا رواه الثعلبي في تفسيره، وابن المغازلي الشافعي في كتاب المناقب من طرق شتى، وابن عقدة في مائة وخمس طرق .

وذكر الشيخ ابن كثير الشامي الشافعي عند ذكر أحوال محمد بن جرير الطبري الشافعي اني رأيت كتاباً جمع فيه أحاديث غديرخم في مجلدين ضخمين وكتاباً جمع فيه طرق حديث الطير ، ونقل عن أبي المعالي الجويني أنه كان يتعجب ويقول : شاهدت مجلداً ببغداد في يد صحاف فيه روايات هذا الخبر ، مكتوباً عليه المجلدة الثامنة والعشرون من طرق من كنت مولاه فعلي مولاه ، ويتلوه المجلدة التاسع والعشرون .

وأثبت الشيخ ابن الجوزي الشافعي في رسالته الموسومة بأسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب تواتر هذا الحديث من طرق كثيرة ، ونسب منكره الى الجهل والعصبية (٢) .

وقال في الصواعق : مقدمة في بيان الحديث ومخرجه، مشيراً الى ماتقدم منه من قوله ﷺ يوم غديرخم موضع بالجحفة مرجعه من حجة الوداع، بعد أن جمع الصحابة، وكرر عليهم ألست أولى بكم من أنفسكم ثلاثاً، وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف، ثم رفع يدي علي عليه السلام، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر

---

(١) الشافي ٢/٢٦١-٢٦٥ .

(٢) احقاق الحق ٢/٤٨٥-٤٨٧ .

من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار .

قال: وبيانه أنه حديث صحيح لامرية فيه، وقد أخرجه جماعة، كالترمذي ، والنسائي، وأحمد وطرقه كثيرة جداً، ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً، وفي رواية لاحمد أنه سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابياً ، وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته ، كمامر وسيأتي ، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان ، ولا التفات لمن قدح في صحته ، ولا لمن رده بأن علياً ؑ كان باليمن لثبوت رجوعه منها ، وادراكه الحج مع النبي ﷺ ، وقول بعضهم ان زيادة اللهم وال من والاه ، هو مبدعة مردودة ، فقد ورد ذلك من طرق ، وصحح الذهبي كثيراً منها [١] انتهى .

وقال الخوارزمي في مناقبه اتفق علماء الاسلام على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع رسول الله ﷺ من حجة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجة ، وكان معه من الصحابة ومن الاعراب وممن يسكن حول مكة والمدينة مائة وعشرون ألفاً، وهم الذين شهدوا معه حجة الوداع، وسمعوا منه هذه المقالة.

وبالجملة قد بلغ هذا الخبر في الاشتهار الى حد لايواري به خبر من الاخبار وتلقته محقق الامة بالقبول والاعتبار، فلايرده الا معاند جاحد، ومن لااطلاع له على الحديث والاثار .

وقال أيضاً في الاية الخامسة والثلاثين : قد نقل هذا الحديث مشيراً الى خبر الغدير من المتقدمين الثعلبي في تفسيره ، ومحمد بن جرير الطبري الشافعي في مجلدات له في طرق هذا الحديث ، وأبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني الحافظ المعروف بابن عقدة، وأبو الحسن بن المغازلي الشافعي وغيره ومن المتأخرين الشيخ الحافظ محمد الجزري الشافعي في رسالته الموسومة

(١) الصواعق المحرقة ص٢٦-٣٩ .

بأسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، وأثبت فيها تواتر هذا الحديث من طرق متعددة، ونسب المنكر الى الجهل والتعصب [١].

وقال الناصب فضل بن روزبهان مع ماعهد من حاله: أما ماروي من أن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكره يوم غدير حين أخذ بيد علي، وقال: ألست أولى، فقد ثبت هذا في الصحاح.

وفي البحار: قال ابن حجر العسقلاني في المجلد الثالث [٢] من كتاب فتح الباري في شرح باب فضايل أمير المؤمنين عليه السلام من صحيح البخاري، وأما حديث من كنت مولاه فعلي مولاه، فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان [٣].

وفيه عن المناقب: العلماء مطبقون على قبول هذا الخبر، وانما وقع الخلاف في تأويله، ذكره محمد بن اسحاق، وأحمد البلاذري، ومسلم بن الحجاج، وأبو نعيم الاصفهاني، وأبو الحسن الدارقطني، وأبو بكر بن مردويه، وابن شاهين وأبو بكر الباقلاني، وأبو المعالي الجويني، وأبو اسحاق الثعلبي، وأبو سعيد الخركوشي وأبو المظفر السمعاني، وأبو بكر بن شيبة، وعلي بن الجعد، وشعبة والاعمش، وابن عياش، وابن الثلاج، والشعبي، والزهري، والاقليشي، وابن البيع، وابن ماجد، وابن عبد ربه، والاسكافي، وأبو ليلى [٤] الموصلي من عدة طرق.

(١) احقاق الحق ٣/٣٢٨–٣٣٥.

(٢) في البحار: السادس.

(٣) بحار الانوار ٣٧/١٩٩.

(٤) في البحار: أبو يعلى.

وأحمد بن حنبل من أربعين طريقاً ، وابن بطة من ثلاث وعشرين طريقا ، وابن جرير الطبري من نيف وسبعين طريقا في كتاب الولايـة ، وأبوالعباس بن عقدة من مائة وخمس طرق، وأبوبكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين طريقا وقد صنف علي بن هلال المهلبي كتاب الغدير، وأحمد بن محمد بن سعيد كتاب من روى خم غدير ومسعود الشجرى كتاباً فيه رواه هذا الخبر وطرقها، واستخرج منصور اللالي الرازي في كتابـه أسماء رواتها على حروف المعجم الى آخر مافيه (١) .

وقال في غاية المرام: قال الشيخ الفاضل محمد بن علي بن شهرآشوب في فصل قصة غدير خم من كتابه ، قال : العلماء مطبقون على قبول هذا الخبر، وان وقع الخلاف في تأويله، وقد وقع الخلاف في تأويله، وقد بلغ الانتشار والاشتهار الى حد لايوازي به خبر من الاخبار وضوحاً وبياناً وظهوراً وعرفاناً، حتى لحق في المعرفـة والبيان والعلم والحوادث الكبار والبلدان، فلايدفعه الا جاحد ولا يرده الا معاند وأي خبر من الاخبار جمع في روايته ومعرفة طرقه أكثر من ألف مجلد من تصانيف العامة والخاصة من المتقدمين والمتأخرين الى آخر مافيه .

الفصل الثانى

(فى أصل الخبر مع ذكر أسانيده على وجه التفصيل)

وقد نقلوه على أنواع : النوع الاول الاخبار المقتصرة فيها على قوله ﷺ في حق علي عليه السلام من الاقوال الثلاثة : الاستفهام، والنصب، والدعاء، وهي على وجوه :

---

(١) بحار الانوار ١٥٧/٣٧.

الوجه الاول، ماهو المشتمل على جزء واحد، وهو قوله عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ، وهي كثيرة :

منها : مافي مسند أحمد بن حنبل الى سفيان، عن أبي نجيح عن أبيه، وربيعة الجرشي أنه ذكر علي عند رجل وعنده سعد بن أبي وقاص ، فقال سعد : أتذكر علياً عليه السلام ان له مناقب أربعاً لو يكون لي واحدة منهن أحب الي من كذا وكذا حمر النعم، قوله صلى الله عليه وآله لاعطين الراية ، وقوله أنت مني بمنزلة هارون من موسى وقوله من كنت مولاه فعلي مولاه ونسي سفيان واحدة [1] .

بيان: حمر النعم الابل الحمر، فانها مرغوبة عند العرب .

ومنها: مافي الطرائف نقلا عن مسند أحمد بن حنبل من رواية أبي يعلى [2] الكندي عنه أنـه سئل زيد بن أرقـم عن قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي « من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال زيد: نعم قالها رسول الله صلى الله عليه وآله أربع مرات [3] .

ومنها : مافي العمدة نقلا عن مسند أحمد بن حنبل ، قال : حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنا أبي ، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، قال: سمعت أبي الطفيل يحدث عن أبي السريحة أو زيد بن أرقم ـ شعبة الشاك ـ [4] عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، قال سعيد بن جبير: وأنا قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بمثل هذا عن ابن عباس، قال: أظنه قال وكتمته [5] .

---

(١) الطرائف ص١٥١ عنه .

(٢) فى الطرائف: أبى ليلى .

(٣) الطرائف ص١٥٠ .

(٤) أى: الشك من شعبة «منه» .

(٥) العمدة ص٩٣-٩٤ .

ورواه في غاية المرام عن أحمد بن حنبل .

ومنها: مافيه نقلا عنه أى عن المسند، قال: حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنا أبي ، قال: حدثنا يحيى بن آدم ، قال، حدثنا حنش بن الحرث بن لقيط النخعي ، عن رياح بن الحرث، قال: جاء رهط الى علي عليه السلام في الرحبة قالوا : السلام عليك يامولانا ، قال: وكيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب ؟ قالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه فهذا مولاه ، قال رياح : فلمامضوا اتبعتهم وسألت منهم، فقالوا نفر من الانصار فيهم أبو أيوب الانصاري (١). ورواه في غاية المرام عن أحمد بن حنبل .

ومنها: مافيه نقلا عن المسند، قال: حدثناعبدالله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي اسحاق قال: سمعت سعيد بن وهب ، قال نشد علي الناس ، فقام خمسة أوستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال من كنت مولاه فعلي مولاه (٢) ومنها: مافي غاية المرام نقلا عن الجمع بين الصحاح الستة من الخبر الثالث ، من جمع أبي الحسن زرين العبدي امام الحرمين في باب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ، وذلك على حد ثلث الكتاب من صحيح أبي داود السجستاني ، وهو كتاب السنن ، وصحيح الترمذي، قال ابن سريحة وزيد بن أرقم: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه (٣) .

الوجه الثاني: ماهو المشتمل على جزئين ، وهو على ضروب :

الضرب الاول : ماهو المشتمل على النصب والدعاء، ففي العمدة نقلا عن

---

(١) العمدة ص٩٤، ح١١٩ .

(٢) العمدة ص٩٥، ح١٢١ .

(٣) غاية المرام ١/٣٣٥ .

مسند أحمدبن حنبل ، قال: حدثنا عبدالله بن أحمد بـن حنبل، قال حدثنا أبي ، وفي غاية المرام نقلا عن المسند، قال: أحمدبن حنبل، قال: حدثنا عبدالملك عن أبي عبدالرحمن الكندي عن زاذان أبي‌عمر ، قال : سمعت علياً عليه السلام في الرحبة وهو ينشد الناس: من شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول ماقال فقام ثلاثة عشر رجلا فشهدوا انهم سمعوا رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول : من كنت مـولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من‌عاداه (١) .

وفي العمدة وغاية المرام نقلا عن كتاب المناقب لابن المغازلي الشافعي ، قال: حدثني أبو القاسم الفضل بن محمدبن عبدالله الاصفهاني ، قدم علينا واسطاً املاءاً من كتابـه لعشر بقين من‌رمضان ، سنة أربـع وثلاثين وأربعمائـة ، قال: حدثني محمدبن علي‌بن عمربن المهدي، قال: حدثني سليمان بن أحمدبن‌أيوب الطبراني، قال: حدثني أحمد بن ابراهيم بـن كيسان الثقفي الاصفهاني ، قال : حدثني اسماعيل‌بن‌عمرالبجلي، قال: حدثني مسعربن‌خدام، عن طلحة بن‌مصرف عن عمار بن سعد .

قال : شهدت علياً عليه السلام على المنبر ناشداً أصحاب رسول‌الله صلى الله عليه وآله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غديرخم يقول ماقال فليشهد ، فقام اثناعشر رجلا ، منهم أبو سعيد الخدري ، وأبوهريرة ، وأنس بن مالك ، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى‌الله عليه وآله يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من‌عاداه .

وقال ابن المغازلي متصلا بذلك: قال أبوالمغازلي الراوي لذلك: قال أبو القاسم الفضل بـن محمد: هذا حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد روى حديث غدير خـم عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله نحواً من مائـة نفس منهم العشرة ، وهو

(١) العمدة ص٩٤ وغاية المرام ٣٢٦/١ .

حديث ثابت لاأعرف له علة تفرد علي بهذه الفضيلة لم يشركه فيها أحد [١].

وفي العمدة : وقد ذكر المغازلي من أحاديث يوم الغدير ماقدمنـا ذكره من طرق أحمد بن حنبل يشير الى أول الراوي والى من يرفع الخبر اليه، كراهة التطويل من غير اثارة نفع زائد [٢]. ثم ذكر من هذا القبيل اثنى عشر خبراً سيأتي بعضها، وتركت أكثرها .

وفي الطرائف نقلا عن كتاب ابـن المغازلي باسناده عن عمير بن سعد قال شهدت علياً عليه السلام على المنبـر ناشداً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآلـه يوم غدير خم يقول ماقال فليشهـد ، فقام اثنى عشر رجلا منهم أبو سعيد الخدري ، وأبو هريـرة ، وأنس بـن مالك ، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهـم وال من والاه وعاد من عاداه [٣] .

وفي العمدة وغايـة المرام نقلا عن مناقب أبي الحسن علي بـن المغازلي الواسطي الشافعي، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر بن عبدالله بن شوذب ، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن الحسين الزعفراني، قال: حدثني أحمد ابن يحيى بن عبدالحميد، حدثني اسرائيل الملائي، عن الحكم، عن أبي سليمان المؤذن، عن زيد بن أرقم، قال: نشد علي الناس في المسجد، قال: أنشد الله رجلا سمع من النبي صلى الله عليه وآله يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فكنت أنا فيمن كتم فذهب بصري [٤] .

(١) المناقب لابن المغازلي ص٢٦–٢٧ .

(٢) العمدة ص١٠٨ .

(٣) المناقب ص٢٦، الطرائف ص١٤٨ .

(٤) المناقب ص٢٣ .

وفيهما أيضاً نقلا من المناقب لابن المغازلي اخبرنا أحمدبن محمد بن طاوان قال: حدثنا الحسين بن محمد العلوى العدل، قال : حدثني علي بن عبدالله بن مبشر، قال: حدثني أحمدبن منصور الرمادي، قال: حدثنا عبدالله بن صالح، عن أبي لهيعة ، عن أبي هريرة، وبكر بن سوادة ، عن قبيصة بن ذؤيب، وأبي سلمة بن أبي عبدالرحمن، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ نزل بخم، فتنحى الناس عنه وأمر علياً فجمعهم ، فلما اجتمعوا قام فيهم، وهو متوسد يد علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه .

ثم قال : أيها الناس انه قد كرهت تخلفكم عني حتى خيل لي أنه ليس شجرة أبغض اليكم من شجرة تليني ، ثم قال: لكن علي بن أبي طالب أنزل الله مني بمنزلة منه، فرضي الله عنه كما أنا عنه راض، فانه لايختار على قربي ومحبتي شيئاً ، ثم رفع يديه فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

قال فابتدر الناس الى رسول الله ﷺ يبكون ويتضرعون ويقولون يارسول الله ماتنحينا عنك الا كراهية أن نثقل عليك ، فنعوذ بالله من سخط رسوله ، فرضي رسول الله ﷺ عنهم عند ذلك (١) الى غير ذلك من الاخبار من هذا الضرب .

الضرب الثاني : ماهو المشتمل على الاستفهام والنصب ، ففي العمدة نقلا عن المسند عن عبدالله بن أحمد قال حدثني أبي، وفي غاية المرام نقلا عن أحمد ابن حنبل، قال: حدثنا ابن نمير ، قال: حدثنا عبدالملك بن عطية العوفي، قال: أتيت زيدبن أرقم، فقلت له ان خالي حدثني عنك بحديث في شأن علي عليه السلام يوم غدير خم، فأنا أحب أن أسمعه منك .

(١) المناقب ص٢٥-٢٦ .

فقال : انكم معشر أهل العراق فيكم مافيكم، فقلت: ليس عليك مني بأس، قال: نعم كنا بالجحفة، فخرج رسول‌الله ﷺ الينا ظهراً، وهو آخذ بيد علي عليه السلام فقال: أيها الناس ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال : من كنت مولاه فعلي مولاه، قال فقلت: هل قال رسول‌الله ﷺ اللهم وال من والاه وعاد من عاداه؟ قال: انما أخبرك كما سمعت [١] .

وفي الطرائف نقلا عن كتاب ابن المغازلي في كتابه باسناده الى عطية العوفي، قال : رأيت ابن أبي أوفى وهو في دهليز له بعدما ذهب بصره ، فسألته عن حديث، فقال: أيكم ياأهل الكوفة فيكم مافيكم، قال قلت: أصلحك الله أني لست منكم ليس عليك عار ، قال: أي حديث ؟ قال قلت: حديث علي عليه السلام يوم غديرخم .

قال: خرج علينا رسول‌الله ﷺ في حجة الوداع يوم غديرخم ، وقد أخذ بعضد علي عليه السلام فقال:أيها الناس ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يارسول‌الله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه [٢] .

الوجه الثالث : ماهو المشتمل على ثلاثة أجزاء : الاستفهام ، والنصب ، والدعاء .

منها: مافي العمدة نقلا عن مسند أحمد بن حنبل ، قال: حدثنا عبدالله بن أحمدبن حنبل، عن أبيه ، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عفان ، قال: حدثنا أبي عوانة، عن المغيرة، قال: حدثنا أبوعبيدة، عن ابن ميمون بن أبي عبدالله، قال قال زيدبن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول‌الله ﷺ بواد يقال لها وادي خم، فأمر بالصلاة فصلاها قال : فخطبنا وظلل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة من

---

(١) العمدة ص٩٥، غاية المرام ص٣٢٧، مسند احمد بن حنبل ٣٦٨/٤ .

(٢) المناقب ص٢٤، الطرائف: ١٤٥-١٤٦ .

الشمس فقال النبي ﷺ أولستم تعلمون أولستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه [١] .

ورواه في غاية المرام عن أحمد بن حنبل[٢] .

ومنها : مافي العمدة نقلا عن مسند أحمد بن حنبل قال حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثنا عبدالله بن نعيم، عن أبيه ، حدثنا حسين بن محمد وأبو نعيم، قالا: حدثنا فطر، عن أبي الطفيل، قال: جمع علي عليه السلام الناس في الرحبة ثم قال: أنشد بالله كل امرىء مسلم سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خم ماسمع لماقام، فقام ثلاثون من الناس .

قال أبو نعيم: فقام الناس كثير، فشهدوا حين أخذ بيده، فقال للناس: أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم يارسول الله، قال: من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه [٣] .

ورواه في العمدة وغاية المرام عن عبدالله بن أحمد بن حنبل[٤] .

ومنها: مافي الطرائف، قال: روى أبو سعيد مسعود السجستاني، واتفق عليه مسلم في صحيحه والبخاري وأحمد بن حنبل في مسنده من عدة طرق بأسانيد متصلة الى عبدالله بن عباس رضي الله عنه والى عايشة قال: لماخرج النبي ﷺ الى حجة الوداع نزل بالجحفة ، فأتاه جبرئيل عليه السلام فأمره أن يقوم بعلي عليه السلام ، فقال ﷺ: أيها الناس ألستم تزعمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا :

---

(١) العمدة ص٩٢-٩٣ .

(٢) غاية المرام ١/٣٢٤ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٤/٣٧٠ .

(٤) العمدة ص٩٣، غاية المرام ١/٣٢٥ .

بلى يارسول الله ، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه ، وأبغض من أبغضه ، وانصر من نصره ، وأعز من أعزه، وأعن من أعانه ، قال ابن عباس رضي الله عنه : وجبت والله في أعناق القوم [١] .

النوع الثاني : ماهو المشتمل على الاقوال السابقة، مضافاً الى تهنئة عمر اياه بذلك .

فمنها : مافي العمدة نقلا عن مسند أحمدبن حنبل ، قال: حدثنا عبدالله بن أحمدبن حنبل، عن أبيه ، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا حماد ابن سلمة، قال: حدثنا علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا بغديرخم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ بين شجرتين .

وصلى الظهر وأخذ بيد علي، فقال: ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا: بلى، فأخذ بيد علي عليه السلام ، فقال لهم : من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، قال: فلقيه عمر ، فقال هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة [٢] .

ورواه في غاية المرام أيضاً [٣] .

وفي العمدة وغاية المرام نقلا عن المسند، قال: حدثنا عبدالله بن أحمدبن حنبل، قال: حدثنا حجاج ، قال: حدثنا حماد، عن علي بن زيد ، عن عدي بن

---

(١) الطرائف ص١٢١ .

(٢) العمدة ص٩٢ .

(٣) غاية المرام ١/٣٢٨ .

ثابت، عن البراء بن عازب ، قال : أقبلنا مع النبي ﷺ في حجة الوداع حتى كنا بغديرخم نودي فينا الى الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ بين شجرتين وأخذ بيد علي عليه السلام .

فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا: بلى يارسول الله قال: هذا مولى من أنا مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة (١) .

وفي غاية المرام نقلا عن الثعلبي، قال: أخبرنا ابو القاسم يعقوب بن أحمد السري حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد ، حدثنا مسلم الكجي، حدثنا ابن منهال، حدثنا حماد، عن علي بن يزيد، عن عدي بن ثابت ، عن البراء ، قال: لما أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع بغديرخم ، فنادى ان الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة، فأخذ بيد علي عليه السلام .

فقال ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يارسول الله قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا: بلى، قال: هذا مولى من أنا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: فلقيه عمر، فقال: هنيئا لك يابن أبي طالب أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة (٢) .

بيان: الكسح الكنس ، كسحت البيت أي كنسته .

وفي غاية المرام نقلا عن ابراهيم بن محمد الحمويني ، قال: أخبرنا الامام الزاهد وحيد الدين محمد بن أبي بكر بن أبي يزيد الجويني بقراءتي عليه بخيرآباد في جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وستمائة، قال: أنبأنا الشيخ الامام سراج الدين

---

(١) العمدة ص٩٦، غاية المرام ١/ ٣٢٤ .

(٢) غاية المرام ١/ ٣٣٢ .

محمدبن علي بن الفضل القاري .

وأخبرنـي السيد الامام الاطهر فخر الدين المرتضى بـن محمود الحسني الاشتري اجازة في سنة احدى وستين وستمائة بروايته عن والده، قال: أخبرني الامام مجدالدين أبوالقاسم عبدالله بن محمد القزويني، قال: أنبأنا جمال السنة أبوعبدالله محمد بن حمويـة بن محمد الجويني ، قال: أنبأنا جمال‌الاسلام أبو المحاسن علي بن شيخ‌الاسلام الفضل بـن محمد الفارندي ، قال : أنبأنا الامام عبدالله بـن علي ، شيخ وقته المشار اليه في الطريقـة ، ومقدم أهل الاسلام في الشريعة .

قال: نبأنا أبوالحسن علي‌بن محمدبن بندار القزويني بمكة، نبأنا علي بن عمربن محمد الجبري قراءة عليه، نبأنا محمد بن عبيدة القاضي، نبأنا ابراهيم بن الحجاج، نبأنا حماد، عن علي بن زيد وأبي‌هارون العبدي، عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب .

قال: أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع حتى اذا كنا بغديرخم، فنادى فينا الصلاة جامعة ، وكسح للنبـي صلى الله عليه وآله بين شجرتين فأخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام ، قال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى، قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قال: أليس أزواجي أمهاتهم؟ قالوا: بلى .

فقال رسول‌الله صلى الله عليه وآله: فان هذا مولى من أنامولاه، اللهم وال من‌والاه، وعاد من‌عاداه، ولقيه عمربن الخطاب‌بعد ذلك، فقال: هنيئاًلك يا ابن أبي‌طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة .

ثم قال: أورده الامام الحافظ شيخ السنة أبوبكر أحمدبن الحسين البيهقي بتفاوت فيه في‌فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ونقلته من‌خطه المبارك[١] .

---

(١) غاية المرام ١/٣٥٥-٣٥٦ .

وفي غاية المرام نقلا عن السمعاني، باسناده عن البراء أن النبي ﷺ نزل بغديرخم، وأمر فكسح بين شجرتين، وصيح بالناس فاجتمعوا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألست أولى بالمؤمنين من آبائهم؟ قالوا: بلى، فدعا علياً عليه السلام فأخذ بعضده، ثم قال: هذا وليكم من بعدي، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقام عمر الى علي ليهنئه فقال يابن أبي طالب أصبحت أوقال أمسيت مولى كل مؤمن [١].

وفي غاية المرام نقلا عن السمعاني ، باسناده عن البراء بن عازب، قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، حتى اذا كنا بغديرخم، نودي فينا ان الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين ، فأخذ النبي ﷺ بيد علي عليه السلام ، فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ثم قال رسول الله ﷺ فان هذا مولى من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، قال: فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك ، فقال: هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة [٢].

أقول : وهذا بمتنه قريب مماتقدم عن المسند .

وفي غاية المرام نقلا عن كتاب موفق بن أحمد الخوارزمي أخطب الخطباء باسناده عن أحمد بن الحسين هذا أخبرنا الحاكم، أخبرنا أبوعبدالله الحافظ ، حدثني أبويعلى الزبير بن عبدالله الثوري ، حدثنا ابوجعفر احمد بن البزاز ، حدثنا علي بن سعيد الرقي، حدثنا ضمرة بن شوذب ، عن منظر [٣] الوراق، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، قال: من صام اليوم الثامن عشر من ذي الحجة

---

(١) غاية المرام ١/٣٥١، ح٥٥ .

(٢) غاية المرام ١/٣٥١، ح٥٣ .

(٣) في المصدر: مطر .

كتب الله له صيام ستين سنة .

وهو يوم غدير خم لما اخذ النبي ﷺ بيد علي عليه السلام، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، فقال له عمر بن الخطاب : بخ بخ لك ياعلي اصبحت مولاي ومولى كل مسلم [١] .

وفي غاية المرام نقلا عن الحمويني اخبرنا الشيخ الامام عماد الدين عبدالحافظ بن بدران بقراءتي عليه بمدينة نابلس في مسجده، قلت له : اخبرك القاضي ابو القاسم عبدالصمد بن محمد بن ابي الفضل الانصاري الحرستاني اجازة فأقربه ، قال انبأنا ابو عبدالله محمد بن الفضل الفراوي اجازة ، قال: انبأنا شيخ السنة ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي الحافظ، قال : انبأنا الحاكم ابو عبدالله الحافظ ، قال: حدثني ابو يعلى الزبيري ابن عبدالله الثوري، حدثنا ابو جعفر احمد بن عبدالله البزاز، حدثنا علي بن معبد الرقي، حدثنا ضمرة، عن ابن شوذب، عن منظر الوراق، عن شهر بن حوشب .

عن ابي هريرة، قال: من صام يوم الثماني عشر من ذى الحجة، كتب له صيام ستين سنة ، وهو يوم غدير خم لما اخذ النبي ﷺ يد علي عليه السلام ، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، فقال له عمر بن الخطاب : بخ بخ لك يابن ابي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم [٢] .

وفي غاية المرام نقلا عن الحمويني، قال: أخبرني الامام العلامة علاء الدين أبو حامد محمد بن أبي بكر الطاووسي القزويني فيما كتب الي من مدينة قزوين

---

(١) غاية المرام ٣٤٨/١ .

(٢) غاية المرام ٣٦٤/١-٣٦٥ .

سنة ست وستين وستمائة ، أنه سمع عن الشيخ تقي الدين محمد بن محمود بن ابراهيم الحمادى جميع مسند الامام أبي عبدالله أحمد بن حنبل، قال: أنبأنا الامام ابومحمد عبدالغني بن الحافظ، نبأنا أبويعلى الحسن بن أحمد العطار الهمداني والشيخ أبوعلي بن اسحاق بن الفتوح، قال: نبأنا أبوالقاسم بن الحصين، قال: أنبأنا أبوعلي بن المذهب، قال: أنبأنا أبوبكر القطيعي، قال: أنبأنا أبوعبدالرحمن عبدالله بن احمد بن حنبل، قال: حدثنا عفان، قال: أنبأنا علي بن زيد، عن عدى بن ثابت، عن البراء، ثم ذكر الخبر كمامر عن المسند مع اختلاف يسير .

ثم قال قال أبوعبدالرحمن بن أحمد ، قال: حدثنا هدبة بن خالد، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله نحوه [١] .

وفي مناقب ابن الجوزي الحنبلي في الثالث من ابوابه قال قد ذكر ابو حامد الغزالي في كتاب له سماه سر العالمين وكشف مافي الدارين، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال عمر بن الخطاب بخ بخ ياأباالحسن أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة .

ثم قال قال الغزالي: وهذا رضى وتسليم وولاية وتحكيم، ثم بعد ذلك غاب الهوى لحب الرئاسة، وعقود البنود، وخفقان الهوى في قعقعة الرايات وازدحام الخيول في فتح الامصار والامر والنهي فحملهم على الخلاف فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس مايشترون[٢] .

وفي مناقب ابن الجوزي الحنبلي أيضاً نقلا عن فضائل احمد بن حنبل ، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا علي بن زيد ، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن

(٢) غاية المرام ١ / ٣٦٠-٣٦١ .

(٣) سر العالمين ص٢١ .

عازب، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ بين شجرتين، فصلى بنا الظهر، وأخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، وقال: اللهم من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، فقال له عمر بن الخطاب هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة [١] .

وفي منهاج الكرامة للعلامة: وفي الخبر المتواتر عن النبي ﷺ أنه لما نزل قوله تعالى « ياأيها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك » خطب الناس في غدير خم، وقال للجمع كله: ياأيها الناس ألست أولى بكم منكم لانفسكم قالوا: بلى قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، فقال له عمر بخ بخ أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة .

وفي الصواعق نقلا عن الدارقطني أنه قيل لعمر : انك تصنع لعلي شيئاً لاتصنعه بأحد من الصحابة فقال: انه مولاي .

النوع الثالث: ماهو المشتمل عليها، وعلى آية الاكمال، وآية التبليغ، وآية العذاب، وان يوم الغدير وواقعته مورد نزولها. ففي العمدة والطرائف وغاية المرام عن مناقب ابن المغازلي، قال: اخبرنا أبو بكر احمد بن محمد بن طاوان، قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن الحسين بن السماك، قال: حدثني أبو محمد جعفر بن محمد بن بصير الجلدي، حدثني علي بن سعيد بن قتيبة الرملي، قال: حدثني حمزة بن ربيعة القرشي، عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثماني عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين سنة .

وهو يوم غدير خم لما أخذ رسول الله ﷺ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال:

(١) تذكرة الخواص فى المناقب لابن جوزى ص٢٩ .

ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا: بلى يارسول الله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال عمربن الخطاب بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، فأنزل الله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » (١) .

وأكمل مافي هذا النوع ماهوالمشتمل على أبيات الشعراء في التهنئة لـه عليه السلام .

وفي غاية المرام نقلا عن صدر الائمة أخطب خوارزم موفق بـن أحمد من أعيان علماء العامة في كتاب فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام، قال: أخبرني سيدالحفاظ شهردار بن شيرويـه بن شهردار الديلمي فيما كتب الي من همدان ، أخبرنا أبو الفتح عبدوس بن عبدالله بن عبدوس الهمداني كتابة، حدثنا عبدالله بن اسحاق البغوى، قال: حدثنا الحسين بـن عليل الغنوي ، حدثنا محمد بـن عبدالرحمن الزراع، حدثنا قيس بن حفص، حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبوهريرة، عن أبي سعيد الخدري (٢) .

وفي الطرائف نقلا عن أبي بكر بن مردويـه الحافظ عندهم ، باسناده الى أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله يوم دعى الناس الى غديرخـم ، أمر بماتحت الشجرة من الشوك فقم ، وذلك يـوم الخميس ، يوم دعى الناس الى علي فأخذ بضبعه (٣)، ثم رفعها حتى نظر الناس الى بياض ابط رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم لم يفترقا حتى نزلت هذه الاية « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» .

(١) المناقب لابن المغازلى ص١٨-١٩ .

(٢) غاية المرام ١/٣٤٥-٣٤٦ .

(٣) الضبع العضد «منه» .

فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر على اكمال الدين وتمام النعمة ، ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي ، قال : اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره ، واخذل من خذله، فقال حسان بن ثابت: أتأذن لي يارسول الله أن أقول أبياتاً؟ قال: قل على بركة الله تعالى، فقال حسان بن ثابت: يامعشرقريش اسمعوا شهادة رسول الله ﷺ .

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم واسمع بالنبي مناديـا

بأني مولاكم نعم ووليكم فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

الهك مولانـا وأنت ولينـا ولانجدن في الخلق للامر عاصيا

فقال لـه قم ياعلي فانني رضيتك من بعدي اماماً وهاديا

وفي الطرائف زيادة هذا عن كتاب مردويه :

هناك دعا اللـهم وال وليه ولكن للذي عادى علياً معادياً

فقال: فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك ، فقال : هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (١) .

وفي الطرائف : ومن ذلك روايـة الشيخ الموصوف أبي‌عبدالله محمدبن عمران المرزباني لهذا الحديث أيضاً بألفاظه في أواخر الجزء الرابع من كتاب مرقاة الشعراء الى آخر الابيات التي أنشدها حسان بن ثابت (٢) .

وفي العمدة نقلا عن تفسير الثعلبي في تفسير قولـه تعالى « ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك» باسناده قال قال أبوجعفر محمدبن علي عليه السلام : معناه بلغ ماأنزل اليك من ربك في فضل علي بن أبي‌طالب عليه السلام .

وفي نسخة أخرى أنه عليه السلام قال «ياأيها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك»

---

(١) الطرائف ص١٤٦–١٤٧ .

(٢) الطرائف ص١٤٧ .

في علي، وقال: هكذا أنزلت ، رواه جعفر بن محمد، فلما نزلت هذه الاية أخذ رسول الله ﷺ بيد علي عليه السلام وقال من كنت مولاه فعلي مولاه [١] .

وفيه أيضاً باسناده، قال: أخبرني أبو محمد عبدالله بن محمد القاضي، حدثنا ابو الحسن محمد بن عثمان النصيبي، حدثنا ابو بكر محمد بن الحسين، عن حسان عن الكلبي، عن أبي صالح ، عن ابن عباس في قوله تعالى « ياأيها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك» الاية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام أمر النبي ﷺ بأن يبلغ فيه فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي عليه السلام ، فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه [٢] .

وفي الطرائف : ومن روايات الثعلبي في تفسيره لخبر يوم الغدير غير ماتقدمت الاشارة اليه من تأويل قوله تعالى «ياأيها الرسول» الاية ثم ذكر الخبرين السابقين [٣] .

وفي فصول المهمة لعلي بن احمد المالكي ، وفي مناقب ابن الجوزي الحنبلي ، والعمدة ، والطرائف نقلا عن تفسير الثعلبي في تفسير قوله تعالى «سأل سائل بعذاب واقع» باسناده قال: وسئل سفيان بن عيينة عن قول الله تعالى «سئل سائل بعذاب واقع» فيمن نزلت؟ فقال: لقد سألتني عن مسألة ماسألني عنها أحد قبلك، حدثني جعفر بن محمد عن آبائه ، قال: لما كان رسول الله ﷺ بغدير خم نادى الناس ، فاجتمعوا ، فأخذ بيد علي عليه السلام ، فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه .

---

(١) العمدة ص٩٩-١٠٠ .
(٢) العمدة ص١٠٠ .
(٣) الطرائف ص١٥١-١٥٢ .

فشاع ذلك وطاره في البلاد ، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الضمرى [١] فأتى رسول الله ﷺ على ناقته حتى اتى الابطح، فنزل عن ناقته، فاناخهاوعلقها ثم اتى النبي ﷺ وهو في ملاء من أصحابـه ، فقال: يامحمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لااله الاالله وأنك رسول‌الله، فقبلنا منك، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا أن نحج البيت فقبلناه ، ثم لم‌ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته علينا، وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه، وهذا شيء منك أم من الله تعالى .

قال: والذي لااله الاهو انه من أمر الله تعالى، فولى‌الحرث بن‌النعمان يريد راحلته ، وهو يقول: اللهم انكان مايقولـه محمد حقاً ، فأمطر علينا حجارة من السماء أوائتنا بعذاب أليم، فماوصل اليها حتى رماه الله بحجر، فسقط على‌هامته وخرج من دبره فقتله ، فأنزل الله تعالى «سئل سائل بعذاب واقع*للكافرين‌ليس له دافع» [٢] .

وفي كتاب كشف اليقين للعلامـة روى الخطيب خوارزم حديث غدير خم وان النبي ﷺ أخذ بضبع علي عليه السلام حتى نظر الناس الى بياض ابطه ، ثم لم يتفرقا حتى نزل « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي» فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ، ورضى الرب برسالتي ، والولاية لعلي بن أبي‌طالب، ثم قال: اللهم وال من‌والاه، وعاد من‌عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله .

وفي كتاب منهاج الكرامة للعلامـة : روى أبونعيم باسنـاده الى أبي‌سعيد الخدري ، قال: ان النبي ﷺ دعا الناس الى علي في غديرخم، وأمر بماتحت

---

(١) كذا وفي المصادر، الفهرى .

(٢) العمدة ص١٠١، الطرائف ص١٥٢-١٥٣ .

الشجرة من الشوك، فقام فدعا علياً عليه السلام فأخذ بضبعيه، فرفعهما حتى نظر الناس الى بياض ابط رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الاية « اليوم أكملت لكم دينكم » الاية فقال رسول الله: الله أكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضى الرب برسالتي، وبالولاية لعلي من بعدي، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

وفي فصول الفصول المهمة روى الامام أبوالحسن الواحدي في كتابه المسمى بأسباب النزول يرفعه بسند الى أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الاية « ياأيها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك» يوم غديرخم في علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثم قال: قوله « بغديرخم » بضم الخاء وتشديد الميم، مع التنوين اسم لغيظة على ثلاثة أميال من الجحفة عندها غدير مشهور يضاف الى الغيظة فيقال: غديرخم، هكذا ذكره الشيخ محيي الدين النووي (١).

النوع الرابع: الاخبار المشتملة على أخبار النبي صلى الله عليه وآله بوفاته في هذه الواقعة، واستشهاده الناس بوفاته بحسن الرسالة والنصيحة والتبليغ.

ففي فصول المهمة لعلي بن احمد المالكي الذي هو من أعيان العلماء العامة روى الحافظ أبوالفتوح أسعد بن أبي الفضائل بن خلف العجلي في كتابه الموجز في فضل الخلفاء الاربعة، يرفعه بسنده الى حذيفة بن أسيد الغفاري، وعامر بن أبي ليلى بن أبي ضمرة (٢)، قالا: لما صدر رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع ولم

---

(١) الفصول المهمة ص٤٢-٤٣.

(٢) في المصدر: عامر بن ليلى بن ضمرة.

يحج غيرها، أقبل حتى اذاكان بالجحفة نهى عن سمرات[١] متقاربات[٢] بالبطحاء أن لاينزل تحتهن أحد .

حتى اذا اخذ القوم منازلهـم أرسل فقم ماتحتهـن حتى اذا نودي بالصلاة صلاة الظهر، عمد اليهن فصلى الناس تحتهن، وذلك يوم غديرخم .

ثم بعد فراغه من الصلاة قال: أيها الناس قدنبأني اللطيف الخبير أنه لن يعمر نبي الا نصف عمر النبي الذي كان قبله، واني لاظن بأني ادعى فاجيب واني مسئول وانتم مسئولون، هل بلغت فما أنتم قائلون؟ قالوا: نقول قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيراً .

قال : ألستم تشهدون أن لااله الاالله، وان محمداً عبده ورسوله ، وان الجنة حق، والنار حق، والبعث بعدالموت حق؟ قالوا: بلى نشهد، قال: اللهم اشهد ، ثم قال: أيها الناس ألاتسمعون، ألا فان الله مولاي وأناأولى بكم من أنفسكم، ألا ومن كنت مولاه فعلي مولاه، وأخذ بيد علي فرفعها حتى نظر القوم، ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه[٣] .

وفي العمدة والطرائف وغاية المرام نقلا عن مناقب الفقيه أبي الحسن بن المغازلي الواسطي الشافعي، قال: أخبرنا أبويعلى علي بـن عبيدالله بن العلاف البزاز اذناً، قال: أخبرني عبدالسلام بن عبدالملك بن حبيب البزاز، قال: أخبرني عبدالله بن محمد بن عثمان، قال: حدثني محمد بن بكر بن عبدالرزاق، حدثني أبوحاتم مغيرة بن محمد المهلبي ، قال : حدثني مسلم بن ابراهيم، حدثني نوح بن قيس

(١) في الصحاح : سمرة بضم الميم شجر الطلح ، والطلح شجر عظام مـن شجر الغضا «منه» .

(٢) في المصدر: متفاديات .

(٣) الفصول المهمة ص٤١ .

الحداد [1] حدثني الوليد بن صالح، عن امرأة زيدبن أرقم قالت: أقبل نبي الله ﷺ من مكة في حجة الوداع حتى نزل بغدير الجحفة بين مكة والمدينة، فأمر بالدوحات فقم ماتحتهن من شوك .

ثم نادى الصلاة جامعة، فخرجنا الى رسول الله ﷺ في يوم شديد الحر ، انمنا ليضع ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدة الحر، حتى انتهينا الى رسول الله ﷺ، فصلى بنا الظهر، ثم انصرف الينا فقال :

الحمدلله نحمده ونستعينه ، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، الذي لاهادي لمن أضل، ولا مضل لمن هدي وأشهد أن لااله الاالله، وأن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد أيها الناس، فانه لم يكن لنبي من العمر الا نصف ماعمر من قبله، وان عيسى بن مريم لبث في قومه أربعين سنة، واني قدأسرعت في العشرين، ألا واني يوشك أن افارقكم، ألا واني مسئول، وأنتم مسئولون، فهل بلغتكم فماذا أنتم قائلون فقام من كل ناحية من القوم مجيب يقولون: نشهد أنك عبدالله ورسوله، قد بلغت رسالته، وجاهدت في سبيله، وصدعت بأمره، وعبدته حتى أتاك اليقين، جزاك الله عنا خير ماجزى نبياً عن أمته .

فقال: ألستم تشهدون أن لااله الاالله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وان الجنة حق، والنار حق، وتؤمنون بالكتاب كله ! قالوا: بلى، قال: فاني أشهد أن قد صدقتكم وصدقتموني، ألاواني فرطكم وأنتم تبعي، توشكون ان تردوا علي الحوض، فان لكم حين تلقونني عن ثقلي كيف خلفتموني فيهما قال: فاعيل علينا ماندري ماالثقلان، حتى قام رجل من المهاجرين فقال بأبي انت وأمي يارسول الله ماالثقلان ؟

قال: الاكبر منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله تعالى وطرف بأيديكم ،

---

(١) في المناقب: الحداني .

فتمسكوا به ولاتولوا ولاتضلوا ، والاصغر منهما عترتي من استقبل قبلتي وأجاب دعوتي ، فلاتقتلوهم ولاتقهروهـم ولاتقصروا عنهم ، فانـي سألت لهما اللطيف الخبير فأعطاني، ناصرهما لي ناصر ، وخاذلهـما لي خاذل، ووليهما لي ولي ، وعدوهما لي عدو .

ألاوانهما لم يهلك الله قبلكم حتى يدين بأهوائهما، وتظاهر على نبوتها، وتقتل من قام بالقسط، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب، فرفع بها، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قالها ثلاثاً آخر الخطبة [١] .

بيان: الدوحات جمع دوحة، وهي كمافي الصحاح الشجرة العظيمة من أي شجر كان[٢] .

قوله « فاعيل علينا » يحتمل ان يكون بالياء بعدالعين، كمافي بعض الكتب ويحتمل ان يكون بالتاء كمافي بعض الكتب، فعلى الاول بمعنى غاب علينا، وعلى الثاني أي شق علينا .

وفي فصول المهمة لعلي بـن احمد المالكي عن الزهـري ، قال : لما حج رسول الله ﷺ حجة الوداع، وعاد قاصداً المدينة ، قام بغديرخم ، وهو مابين مكة والمدينة ، وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام وقت الهاجرة فقال: أيها الناس اني مسئول وأنتم مسئولون، هل بلغت؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت، قال: وأنا أشهد أني قدبلغت ونصحت .

ثم قال: أيها الناس أليس تشهدون أن لااله الاالله واني رسول الله ؟ قالوا: نشهد أن لااله الاالله وانك رسول الله ، قال: وأنااشهد مثل ماشهدتم .

ثم قال: أيها الناس نحن قدخلفت فيكـم مان تمسكتم به لم تضلوا بعدي ،

---

(١) المناقب لابن المغازلي ص١٦-١٨ .

(٢) صحاح اللغة ١/٣٦١ .

كتاب الله، وأهل بيتي، ألاوان اللطيف الخبير أخبرني انهما لم يفترقا حتى يردا علي الحوض، حوضي ما بين بصرى وصنعاء عدد آنية عدد النجوم، ان الله يسألكم كيف خلفتموني في كتابه وأهل بيته .

ثم قال: ايها الناس من أولى الناس بالمؤمنين ؟ قالوا: الله ورسوله أولى بالمؤمنين من انفسهم، قال: ان أولى الناس بالمؤمنين أهل بيتي، يقول ذلك ثلاث مرات، ثم قال في الرابعة وأخذ بيد علي عليه السلام : اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره يقولها ثلاث مرات، ألا فليبلغ الشاهد الغائب (١) .

روى في الصواعق عن الطبراني وغيره بسند صحيح انه صلى الله عليه وآله خطب بغدير خم تحت شجرات ، فقال: ايها الناس اني قد نبأني اللطيف الخبير انه لم يعمر النبي الا نصف عمر الذي يليه من قبله، اني لاظن ان يوشك ان ادعى فأجيب ، واني مسئول وأنتم مسئولون فماذا انتم قائلون؟ قالوا: نشهد انك قد بلغت وجاهدت ونصحت، فجزاك الله خيراً .

فقال: اليس تشهدون ان لا اله الا الله، وان محمد رسول الله، وان جنته حق وناره حق، وان الموت حق، وان البعث حق بعد الموت، وان الساعة آتية لاريب فيها، وان الله يبعث من في القبور ؟ قالوا: بلى نشهد بذلك .

قال: اللهم اشهد، ثم قال: أيها الناس ان الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه يعني علياً عليه السلام ، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه .

ثم قال : أيها الناس اني فرطكم، وانكم واردون علي الحوض ، حوض أعرض فيما بين بصرى الى صنعا، فيه عدد النجوم قدحات من فضة، واني سائلكم

(١) الفصول المهمة ص ٤٠ .

حين تردون علي عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الاكبر كتاب الله عزوجل سبب طرفه بيد الله تعالى ، وطرف بأيديكم فاستمسكوا به، لاتضلوا ولاتبدلوا ، وعترتي أهل بيتي، فانه قدنبأني اللطيف الخبير انهما ان ينقضيا حتى يردا علي الحوض [١] .

وفي كتاب الاقبال لابن طاووس الثقة الجليل، بعدما تقدم منه في أول الباب فصل في بعض تفصيل ماجرت عليه حال يوم الغدير من التعظيم والتبجيل :

اعلم أن مايذكر في هذا الفصل مارواه أيضاً مخالفوا الشيعة المعتمد عليهم في النقل .

فمن ذلك ماروا‌ه عنهم مصنف كتاب الخالص المسمى بالنشر والطي وجعله حجة ظاهرة باتفاق العدو والولي ، وحمل به نسخة الى الملك شاه مازندران رستم بن علي لماحضر بالري، فقال فيمارواه عن رجالهم .

وعن احمدبن محمدبن علي المهلب، أخبرنا الشريف ابوالقاسم علي بن محمدبن علي بن القاسم الشعراني، عن أبيه ، حدثنا سلمة بن الفضل الانصاري عن أبي مريم، عن قيس بن حنان، عن عطية السعدي، قال : سألت حذيفة بن اليمان عن اقامة النبي ﷺ علياً يوم الغدير غديرخم كيف كان ؟

فقال: ان الله أنزل على نبيه ﷺ أقول أنا لعله يعني بالمدينة « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين» فقالوا: يارسول الله ماهذه الولاية التي أنتم بها أحق منا بأنفسنا .

فقال ﷺ : السمع والطاعة فيماأحببتم وكرهتم،فقلنا: سمعنا وأطعنا، فأنزل الله « واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا »

---

(١) الصواعق المحرقة ص٨٥ .

فخرجنا الى مكة مع النبي ﷺ في حجة الوداع ، فنزل جبرئيل فقال: يامحمد ان ربك يقرؤك السلام ، ويقول: انصب علياً علماً للناس .

فبكى النبي ﷺ حتى اخضلت لحيته ، وقال: ياجبرئيل ان قومي حديثوا عهد بالجاهلية ، ضربتهم بالدين طوعاً وكرهاً حتى انقادوا الي فكيف واذا حملت على رقابهم غيري، قال: فصعد جبرئيل .

ثم قال صاحب كتاب النشر والطي: عن حذيفة وقدكان النبي بعث علياً الى اليمن فوافي مكة، ونحن مع الرسول ، ثم توجه علي يوماً نحوالكعبة يصلي ، فلماركع أتاه سائل فتصدق عليه بحلقة خاتمه، فأنزل الله «انماوليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » فكبر رسول الله ﷺ وقرأه علينا .

ثم قال: قوموا نطلب هذه الصفة التي وصف الله بها ، فلمادخل رسول الله المسجد استقبله سائل، فقال: من أين جئت ؟ فقال : من عند هذا المصلي تصدق علي بهذه الحلقة وهوراكع، فكبر رسول الله ﷺ ومضى نحو علي عليه السلام، فقال: ياعلي ماأحدثت اليوم من خير، فأخبره بماكان منه الى السائل، فكبر ثالثة .

فنظر المنافقون بعضهم الى بعض، فقالوا: ان أفئدتنا لاتقوى على ذلك أبداً مع الطاعة له، فنسأل رسول الله ﷺ انيبدله لنا، فأتوا رسول الله ﷺ فأخبروه بذلك، فانزل الله قرآنا وهو «قل مايكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي» الاية فقال جبرئيل : يارسول الله أتمه فقال : حبيبي جبرئيل قدسمعت ماتؤامروا به فانصرف رسول الله الامين جبرئيل .

ثم قال صاحب كتاب النشر والطي : من غيرحديث حذيفة ، وكان من قول رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمنى: ياأيها الناس اني قدتركت فيكم أمرين ، ان أخذتم بهما لن تضلوا كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وانه قدنبأني اللطيف الخبير

انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، كاصبعي هاتين وجمع بين سبابتيه، ألا فمن اعتصم بهما فقدنجى، ومن خالفهما فقدهالك، ألا هل بلغت أيها الناس؟ قالوا: نعم قال: اللهم اشهدتم .

ثم قال صاحب كتاب النشر والطي: فلما كان في آخر يوم من أيام التشريق أنزل الله عليه « اذا جاء نصر الله والفتح » الى آخرها، فقال عليه السلام : نعيت الى نفسي فجاء الى مسجد الخيف، فدخله ونادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر خطبته عليه السلام .

ثم قال فيها أيها الناس اني تارك فيكم الثقلين : الثقل الاكبر كتاب الله عزوجل، طرف بيدالله وطرف بأيديكم فتمسكوا به ، والثقل الاصغر عترتي أهل بيتي، فانه قدنبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، كاصبعي هاتين وجمع بين سبابتيه. ولاأقول كهاتين وجمع بين سبابتيه والوسطى، فتفضل هذه على هذه .

قال مصنف كتاب النشر والطي: فاجتمع قوم وقالوا: يريد محمد أن يجعل الإمامة في أهل بيته ، فخرج منهم أربعة ودخلوا الى مكة ودخلوا الكعبة وكتبوا فيما بينهم ان أمات الله محمداً أوقتل لايرد هذا الامر في أهل بيته، فانزل الله تعالى « أم أبرموا أمراً فانا مبرمون أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجويهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون» .

أقول: فانظر هذا التدريج من النبي صلى الله عليه وآله، والتلطف من الله جل جلاله سبحانه في نصه على مولانا علي عليه السلام ، فأول أمره بالمدينة، قال سبحانه «واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين» فنص على ان الاقرب الى النبي صلى الله عليه وآله أولى به من المؤمنين والمهاجرين، فعزل جل جلاله عن هذه الولاية المؤمنين والمهاجرين، وخص منها أولى الارحام من سيدالمرسلين .

ثم انظر كيف نزل جبرئيل بعد خروجه عليه السلام الى مكة بالتعيين على علي عليه السلام، فلما راجع النبي صلى الله عليه وآله وأشفق على قومه من حسدهم لعلي عليه السلام كيف عاد الله جل جلاله أنزل « انما وليكم الله ورسوله » وكشف عن علي عليه السلام بذلك الوصف، ثم انظر كيف مال النبي صلى الله عليه وآله الى التوطأة بذكر أهل بيته بمنى، ثم عاد ذكرهم في مسجد الخيف .

ثم ذكر صاحب كتاب النشر والطي توجههم الى المدينة ، ومراجعة رسول الله صلى الله عليه وآله مرة بعد مرة لله جل جلاله ، وماتكرر من الله تعالى الى رسول الله صلى الله عليه وآله الى ولاية علي عليه السلام، قال حذيفة: وأذن النبي صلى الله عليه وآله بالرحيل نحو المدينة فارتحلنا .

ثم قال صاحب كتاب النشر والطي: فنزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله بضجنان في حجة الوداع باعلان علي، ثم قال صاحب الكتاب: فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نزل الجحفة فلما نزل القوم وأخذوا منازلهم ، فأتاه جبرئيل فأمره أن يقوم بعلي عليه السلام ، وقال: يارب ان قومي حديثوا عهد بالجاهلية فمتى أفعل هذا يقولوا فعل بابن عمه.

أقول: وزاد في الجحفة أبو سعيد مسعود بن ناصر السجستاني في كتاب الدراية فقال باسناده من عدة طرق الى عبدالله بن عباس ، قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع، فنزل جحفة أتاه جبرئيل عليه السلام، فأمره أن يقوم بعلي عليه السلام .

قال: ألستم تزعمون أني أولى بالمؤمنين من انفسهم؟ قالوا: بلى يارسول الله قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، وأعن من أعانه، قال ابن عباس: وجب والله في أعناق الناس .

أقول: وسار النبي صلى الله عليه وآله من الجحفة، قال مسعود السجستاني في كتاب الدراية باسناده الى عبدالله بن عباس رضي الله عنه أيضاً ، قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن

يبلغ ولاية علي عليه السلام ، فأنزل الله تعالى «ياأيهاالرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» .

يقول رضي الدين ركن الاسلام أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد الطاووس أمده الله بعناياته وأيده بكراماته : اعلم أن موسى نبي الله راجع الله في ابلاغ رسالته، وقال في مراجعته: اني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون، وانما كان قتل نفساً واحدة ، وأما علي بن أبي طالب ، فانه كان قد قتل من قريش وغيرهم من القبائل قتلى، كل واحد منهم يحتمل مراجعة النبي عليه السلام شفيقا على أمته، كما وصفه الله جل جلاله، فاشفق عليهم من الامتحان باظهار ولاية علي في أوان، ويحتمل أن يكون الله جل جلاله أذن النبي صلى الله عليه وآله في مراجعته لتظهر لامته أنه ما آثره لمولانا علي عليه السلام ، وانما الله جل جلاله آثره ، قال «وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » .

قال صاحب كتاب النشر والطي في تمام حديثه ماهذا لفظه : فهبط جبرئيل، فقال: اقرء «ياأيها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك» الاية وقد بلغنا غدير خم في وقت لو طرح اللحم فيه على الارض لانشوى ، وانتهى الينا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فنادى الصلاة جامعة ، ولقد كان أمر علي عليه السلام (١) أعظم عند الله مما يقدر ، فدعى المقداد وسلمان وأباذر وعمار (٢) فأمرهم أن يعمدوا الى اصل شجرتين فيقموا ماتحتهما فكسحوه وأمرهم ان يصنعوا الحجارة بعضها على بعض كقامة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر بثوب فطرح عليه ، ثم صعد النبي صلى الله عليه وآله المنبر ينظر يمنة ويسرة ، ينتظر اجتماع الناس اليه .

---

(١) قوله «ولقد كان» الى آخره ، أى : هذا النزول فى هذا الوقت لان أمر على عليه السلام وشأنه عند الله أعظم من أن يقدر بقدر «منه» .

(٢) المناسب عماراً بالتنوين «منه» .

فلما اجتمعوا فقال: الحمد لله الذي علا في توحده، ودنا في تفرده، الى أن قال: أقر له على نفسي بالعبودية، وأشهد له بالربوبية، وأؤدي ماأوحى الي حذار أن لم أفعل أن تحل بي قارعة أوحى الي «ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك» الاية.

معاشر الناس ماقصرت في تبليغ ماأنزل الله تبارك وتعالى، وأنا أبين لكم سبب هذه الاية، ان جبرئيل هبط الي مراراً أمرني من السلام أن أقول في المشهد وأعلم الابيض والاسود، ان علي بن أبي طالب عليه السلام أخي وخليفتي والامام بعدي أيها الناس علمني بالمنافقين الذين يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم، وكثرة أذاهم لي مرة سموني اذناً لكثرة ملازمته اياي واقبالي عليه، حتى أنزل الله «ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن» مخبط ولوشئت أن أسمي القائلين بأسمائهم لسميت.

واعلموا أن الله قد نصبه لكم ولياً واماماً، مفترضاً طاعته على المهاجرين والانصار، وعلى التابعين وعلى البادي والحاضر، وعلى العجمي والعربي، وعلى الحر والمملوك، وعلى الكبير والصغير، وعلى الابيض والاسود، وعلى كل موحد، فهو ماض حكمه جائز قوله، نافذ أمره، ملعون من خالفه، مرحوم من صدقه.

معاشر الناس تدبروا القرآن، وافهموا آياته ومحكماته، ولاتتبعوا متشابهاته فوالله لايوضح تفسيره الا الذي أنا آخذ بيده ورافعها بيدي ومعلمكم، ان من كنت مولاه فهو مولاه وهو علي.

معاشر الناس ان علياً والطيبين من ولدي من صلبه هم الثقل الاصغر، والقرآن الثقل الاكبر، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ولايحل امرة المؤمنين لاحد بعدي غيره، ثم ضرب بيده الى عضده، فرفعه على درجة دون مقامه متيامنا عزوجه رسول

الله ﷺ، فرفعه بيده .

وقال : أيها الناس من أولى بكم من انفسكم ؟ قالوا: الله ورسوله، فقال: ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، انما أكمل الله دينكم بولايته وامامته ، ومانزلت آية خاطب الله بها المؤمنين الا بدأ به ، ولا شهد الله بالجنة في هل أتى الا له ولاأنزلها في غيره ذرية كل نبي من صلبه، وذريتي من صلب علي، لايبغض علياً إلا شقي، ولايوالي علياً الا تقي .

وفي علي نزلت «والعصر» وتفسيرها، ورب العصر القيامة «ان الانسان لفي خسر» أعداء محمد «الاالذين آمنوا » بولايتهم « وعملوا الصالحات » مواساة اخوانهم «وتواصوا بالصبر» في غيبة غائبهم .

معاشر الناس آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل الله في ثم في علي، ثم النسل منه الى المهدي الذي يأخذ بحق الله، معاشر الناس أني رسول الله قد خلت من قبلي الرسل ، الاأن علياً الموصوف بالصبر والشكر ، ثم من بعده من ولده من صلبه .

معاشر الناس قد ضل من قبلكم أكثر الاولين ، أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم أن تسلكوا الهدى اليه ، ثم علي من بعدي ، ثم ولدي من صلبه أئمة يهدون بالحق أني قد بينت لكم وفهمتكم هذا علي يفهمكم بعدي ألا وعند انقطاع خطبتي أدعوكم الى مصافحتي على بيعته والاقرار له، ألا اني بايعت الله، وعلي بايع لي، وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله، فمن نكث فانما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد الله عليه فسيؤتيه أجراً عظيماً .

معاشر الناس انتم اكثر من أن تصافحوني بكف واحدة ، قد أمرني الله أن آخذ من ألسنتكم الاقرار بما عقدتم الامرة لعلي بن أبي طالب عليه السلام ومن جاء من

بعده من الائمـة مني ومنه على ماأعلمتكم أن ذريتي من صلبه ، فليبلغ الحاضر الغائب ، فقولوا سامعيـن مطيعين راضين امابلغت من ربك، تبايعك على ذلك قلوبنا وألسنتنا وأيدينا، على ذلك نحيي ونموت ونبعث، لانغير ولانبدل، ولانشك ولانرتاب، أعطينا بذلك الله وأياك، وعلياً والحسن والحسين والائمة الذين ذكرت كل عهد وميثاق من قلوبنا وألسنتنا، لانبتغي بذلك بدلا، ونحن نؤدي ذلك الى كل من رأينا .

فبادر الناس بنعم نعم سمعنا وأطعنا أمر الله وأمر رسوله ، آمنا بـه بقلوبنا وتداكوا على رسول الله وعلي بأيديهـم الى أن صليت الظهر والعصر في وقت واحد ، وباقي ذلك اليوم الى أن صليت العشائيـن في وقت واحد، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول كلماأتى فوج: الحمد لله الذي فضلنا على العالمين .

ثم قال: فصل وأمامارواه مسعود بـن ناصر السجستاني في صفة نص النبي صلى الله عليه وآله على مولانا علي بالولاية، فانه مجلد أكثر من عشرين كراساً وأماالذي ذكره محمدبن جرير صاحب التاريخ في ذلك، فانه مجلد، وكذلك ماذكره ابوالعباس بـن عقدة وغيره من العلماء وأهل الروايـات ، فانها عدة مجلدات .

ثم قال: فصل وأماماجرى من اظهار بعض من حضر في يوم الغدير الكراهة نص النبي ﷺ على مولانا علي صلوات الله عليه، فقد ذكره الثعلبي في تفسيره ان الناس تنحوا عن النبي ﷺ فأمر علياً فجمعهم، فلمااجتمعوا قام وهو متوسد على يد علي بن أبي طالب عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه .

ثم قال : أيهاالناس أنه قدكرهت تخلفكـم عني ، حتى خيل الي انه ليس شجرة أبغض اليكم من شجرة تليني ، ثـم قال : لكن علي بن أبي طالب أنزله الله مني بمنزلتي منه ، فرضي الله عنه كما أنا راض عنه ، فانه لايختار على قربي

ومحبتي شيئاً، ثم رفع يديه ، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

قال فابتدر الناس الى رسول الله ﷺ يبكون ويتضرعون، ويقولون يارسول الله ماتنحينا عنك الا كراهية أن تثقل عليك، فنعوذ بالله من سخط رسوله، فرضي رسول الله ﷺ عنهم عند ذلك .

ثم قال: فصل وقال مصنف كتاب النشر والطي : قال أبو سعيد الخدري : ولم ننصرف حتى نزلت هذه الاية « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» فقال رسول الله: الحمد لله على اكمال الدين وتمام النعمة ، ورضى الرب برسالتي، وولاية علي بن أبي طالب، ونزلت « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم» الاية ، قال صاحب الكتاب فقال الصادق عليه السلام : يئس الكفرة وطمع الظلمة .

قلت أنا وقال مسلم في صحيحه باسناده الى طارق بن شهاب ، قال قالت اليهود لعمر : لو علينا معشر اليهود نزلت هذه الاية « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» ونعلم اليوم الذي أنزلت فيه لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، وروى نزول هذه يوم الغدير جماعة من المخالفين ذكرناهم في الطرائف .

وقال مصنف كتاب النشر والطي: فصل وروى أن الله تعالى عرض علياً على الاعداء يوم الابتهال ، فرجعوا على العداوة ، وعرضه على الاولياء يوم الغدير فصاروا أعداءاً فشتان ما بينهما .

وروى أبو سعيد السمان باسناده ان ابليس أتى رسول الله ﷺ في صورة شيخ حسن السمت، فقال: يامحمد ما أقل من بايعك على ماتقول في ابن عمك ، فأنزل الله «ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين» فاجتمع

جماعة من المنافقين نكثوا عهده، فقالوا: قدقال محمد بالامس في مسجد الخيف ماقال، وقال هاهنا ماقال، فان رجع الى المدينة يأخذ البيعة له، والرأي أن نقتل محمداً قبل أن يدخل المدينة .

فلما كان في تلك الليلة قعد لـه ﷺ أربعة عشر رجلا في العقبة ليقتلوه ، وهي عقبة بين الجحفة والابـواء، فقعد سبعة عن يمين العقبة ، وسبعة عن يسارها لينفروا ناقته ﷺ ، فلماأمسى رسول الله ﷺ وصلى وارتحل وتقدم أصحابـه وكان ﷺ على ناقة ناجية ، فلماصعد العقبة ناداه جبرئيل يامحمد أن فلاناً وفلاناً وسماهم كلهم ، وذكر صاحب الكتاب أسماء القوم المشار اليهم .

ثم قال قال جبرئيل يامحمد هؤلاء قد قعدوا الك في العقبة ليغتالوك[1]،فنظر رسول الله ﷺ الى من خلفه ، فقال: من هذا خلفي؟ فقال حذيفة بن اليمان: أنا حذيفة يارسول الله ، قال: سمعت ماسمعناه ؟ قال : اكتم ، ثم دنـا منهم فناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، فلماسمعوا نداء رسول الله ﷺ مروا ودخلوا في غمار الناس وتركوا رواحلهم، وقدكانوا عقلوها داخل العقبة، ولحق الناس رسول الله صلى الله عليه وآله، وانتهى رسول الله الى رواحلهم فعرفها .

فلمانزل قال: مابال قوم تحالفوا في الكعبة ان أمات الله محمداً أوقتل لانرد هذا الامر الى أهل بيتـه ، ثم هموا بما هموا بـه ، فجاؤا الى رسول الله ﷺ يحلفون أنهـم لم يهموا بشيء من ذلك ، فأنزل الله تبارك وتعالى « يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهـم وهموا بما لم ينالـوا » الاية .

ثم قال: فصل وبلغ أمر الحسد لمولانا علي عليه السلام على ذلك المقام والانعام

(١) الاغتيال هو أن يخدعه فيذهب بـه الى موضع فاذا صار اليه قتله . مجمع البحرين «منه» .

الى بعضهم الهلاك والاصطلام ، فروى الحاكم عبيدالله بن عبدالله الحسكاني في كتاب دعاء الهداة الى أداء حق الموالاة، وهو من أعيان رجال الجمهور .

فقال : قرأت على أبي بكر محمد بن محمد الصيدلاني، فأقر به ، حدثكم أبو محمد عبدالله بن احمد بن جعفر الشيباني ، حدثنا عبدالرحمن بن الحسين الاسدي ، حدثنا ابراهيم بن الحسين الكسائي ، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا سفيان بن سعيد، حدثنا منصور بن ربعي عن حذيفة بن اليمان ، قال قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام : من كنت مولاه فهذا مولاه .

قام النعمان بن المنذر الفهري ، فقال : هذا شيء قلته من عندك ، أو شيء أمرك به ربك ؟ قال : لا بل أمرني به ربي ، فقال : اللهم أنزل علينا حجارة من السماء ، فمابلغ رحله حتى جاء حجر فأدماه فخر ميتاً ، فأنزل الله تعالى « سأل سائل بعذاب واقع » .

أقول : وروى هذا الحديث الثعلبي في تفسيره للقرآن بأفضل وأكمل من هذه الرواية ، وكذلك رواه صاحب كتاب النشر والطي ، قال: لماكان رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا ، الى آخر ماتقدم سابقاً عن تفسير الثعلبي [1] .

وفي الصواعق روى الطبراني وغيره بسند صحيح أنه ﷺ خطب بغدير خم تحت شجرات ، فقال : أيها الناس انه قدنبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي الا نصف عمر الذي يليه من قبله، واني لاظن أني يوشك أن ادعى فأجيب واني مسئول وانكم مسئولون ، فماذا أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قدبلغت وجاهدت ونصحت، فجزاك الله خيراً .

فقال: أليس تشهدون أن لااله الاالله، وان محمداً رسول الله، وان جنته حق

(١) الاقبال ص٤٥٤-٤٥٩ .

وناره حق، وان الموت حق، وان البعث بعد الموت حق وان الساعة آتية لاريب فيها، وان الله يبعث من في القبور ، قالوا: بلى نشهد بذلك .

قال: اللهم اشهد تم، قال: ياأيها الناس ان الله تعالى مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه يعني علياً، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه .

ثم قال: أيها الناس اني فرطكم، وانكم واردون على الحوض حوض أعرض مما بين بصرى الى صنعاء، فيه عدد النجوم قدحات من فضة، واني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، الثقل الاكبر كتاب الله عزوجل ، سبب طرفه بيد الله تعالى وطرفه بأيديكم ، فاستمسكوا بـه ولاتضلوا ولاتبدلو، وعترتي أهل بيتي فانه قدنبأني اللطيف الخبير انهما ان ينقضيا حتى يردا علي الحوض (١) .

تذنيب :

في ذكر أمرين ، أحدهما: في الاشعار وغيرها المقولـة في هذه الواقعة في ذلك الزمان والازمنة بعدها .

ففي مناقب ابن الجوزي الحنبلي : وقد أكثر الشعراء في يوم الغدير فقال حسان بن ثابت :

يناديهـم يوم الغديـر نبيهـم	بخـم فاستمع بالنبي مناديـا
وقال فمن مولاكـم ووليكم	فقالوا ولم يبدوا هناك تعاديـا
الهك مولانـا وأنت ولينـا	ومالك منا في الولايـة عاصيا
فقال لـه قـم ياعلي فانني	رضيتك من بعدي اماماً وهاديا

(١) الصواعق المحرقة ص٨٥ .

فمن كنت مولاه فهذا وليه ... فكن للذي عادى علياً معاديا

فقال له النبي ﷺ : ياحسان لاتزال مؤيداً بروح القدس مانافحت عنا بلسانك، وقال قيس بن سعد بن عبادة الانصاري، وانشدها بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين :

قلت لمابغى العدو علينا ... حسبنا ربنا ونعم الوكيل
وعلي امامنا وامام ... لسوانا أتى به التنزيل
يوم قال النبي من كنت مولاه ... فهذا مولاه خطب جليل
انما قاله الرسول على الامة ... حتم مافيه وقيل قال

وقال الكميت :

نفى عن عينك الارق الهجوعا ... ومنها تمترى عنها الدموعا
الرحمن يشفع بالمثاني ... وكان لنا أبوحسن شفيعا
ويوم الدوح دوح غدير خم ... أبان له الولاية لو أطيعا
ولكن الرجال تدافعوها ... فلم أر مثلها خطراً منيعا
فلم أبلغ به لعنا ولكن ... أساء بذلك أولهم صنيعا

ولهذه الابيات قصة عجيبة حكاها الي بعض أقراننا ، قال : أنشدت هذه الابيات وبت مفكراً فيها فنمت، فرأيت أمير المؤمنين في منامي، فقال لي أنشدني أبيات الكميت فأنشدته اياها ، فلما انتهيتها، قال عليه السلام :

فلم أر مثل ذاك اليوم يوماً ... ولم أر مثله حقاً أضيعا

قال فانتبهت مذعوراً، وقال السيد الحميري

ياباًيع الاخرى بدنياه ... ليس بهذا أمر الله
من أين أبغضت علي الرضا ... وأحمد قد كان يرضاه
من الذي أحمد من بينهم ... يوم غدير الخم ناداه

أقامـه من بين أصحابه وهـم حواليـه فسمـاه
هذا علي بـن أبي طالـب مولـى لمن قد كنت مـولاه
فوال مـن والاه يـاذا العلى وعـادمـن كان قـد عـاداه[1]

وفي مجالس المفيد : ومما يشهد لقول الشيعة في معنى المولى وأن النبي صلى الله عليه وآله أراد به يوم الغدير الامامة، قول حسان بن ثابت على ما جاء به الاثر ان رسول الله لما نصب عليا للناس علما، وقال فيه ماقال، استأذنه حسان بن ثابت أن يقول شعراً في ذلك المقام، فاذن له وأنشأ يقول :

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم واسمع بالرسول مناديـا
يقول فمن مولاكـم ووليكم فقالوا ولم يبدو هناك التعاديـا
الهك مولانـا وأنت ولينا ومالك منا في المقالـة عاصيا
فقال لـه قـم ياعلي فانـنـي رضيتك من بعدي اماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليـه فكونوا له أنصار صدق مواليا
هنالك دعا اللهـم وال وليـه وكـن للذي عادى علياً معاديـا

قال : فلمافرغ من هذا القول ، قال له النبي ﷺ : لاتزال ياحسان مؤيداً بروح القدس مانصرتنـا بلسانك، فلولا أن النبي ﷺ أراد بالمولى الامامة لما أثنى عليه على حسان باخباره بذلك، ولانكره عليه ورده عنه، ومنه قول قيس ابن سعد بن عبادة ، وهو متوجه الى صفين قصيدته اللامية التي أولها :

قلت لما بغـى العدو علينـا حسبنـا الله وهو نعم الوكيل
حسبنا ربنا الذي فتح البصرة بالامس والحديث يطول

الى قوله :

وعلي امامنـا وامـام لسوانـا أتى بـه التنزيل

(١) تذكرة الخواص لابن الجوزي ص٣٣-٣٤ .

يوم قال النبي من كنت مولاه فهذا مـولاه خطب جليـل
انما قالـه النبي على الامة حتماً مافيه قال وقيـل

ثم قال : وهذه الاشعار مع تضمنها الاعتراف بامامـة أمير المؤمنين عليه السلام ، فهي دليل على ثبوت سلف الشيعة، وابطال عناد المعتزلة في انكارهم ذلك(١).

وثانيهما: في أن قوله صلى الله عليه وآله «من كنت مولاه فعلي مولاه» لايختص بيوم الغدير بل قاله صلى الله عليه وآله في مواقع أخر، منها: وقعة اليمن .

ففي العمدة نقلا عن ابن المغازلي في حديث الثاني عشر ، قال : أخبرنـا أحمد بن محمد ، قال : حدثني الحسين بن محمد العلوي الواسطي ، يرفعه عن ابن عباس عن بريدة ، قال : غزوت مع علي اليمن ، فرأيت منه جفوة، فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فذكرت علياً فتنقصته ، فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتغير فقال: يا بريدة أولست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يارسول الله، قال من كنت مولاه فعلي مولاه (٢) .

بيان: قال في مجمع البحرين: فلان ينتقص فلاناً، أي يقع فيه ويعيبه(٣) .

وفي كشف الغمة: ونقلت من مناقب الخوارزمي، وقد أورده أحمد في مسنده عن ابن عباس عن بريدة الاسلمي ، قال: غزوت مع علي الى اليمن، فرأيت منه جفوة الى آخر الخبر بمثل ماتقدم .

ثم قال: ونقلت من مسند أحمد بن حنبل عن بريدة، قال: بعثنا رسول الله في سرية ، قال : فلما قدمنا قال : كيف رأيتم صحابة صاحبكم ؟ قال: فاما شكوته أو شكاه غيري ؟ قال : فرفعت رأسي وكنت رجلا مكباباً ، قال: فاذا النبي صلى الله عليه وآله قد

---

(١) مجالس المفيد ص١/ ٨٧-٨٨ .
(٢) المناقب لابن المغازلي ص٢٤-٢٥ .
(٣) مجمع البحرين ٤/ ١٨٨ .

أحمر وجهه ، وهو يقول: من كنت وليه فعلي وليه [١] .

وفي الطرائـف : نقلا عن الفقيه الشافعي ابن المغازلي في كتاب المناقب باسناده الى أنس ، قال: لما كان يوم المباهلة وآخى النبي ﷺ بين المهاجرين والانصار ، وعلي عليه السلام واقف يراه ويعرف مكانـه ، لم يواخ بينـه وبين أحد ، فانصرف علي باكـي العين ، فافتقده النبي ﷺ ، فقال : مافعل أبـوالحسن ؟ قالوا: انصرف باكي العين يارسول الله قال: يا بلال اذهب فأتني به، فمضى بلال الى علي عليه السلام وقد دخل الى منزله باكي العين .

فقالت فاطمة : مايبكيك لاأبكى الله عينيك ، قال : يافاطمة آخى النبي بين المهاجرين والانصار ، وأنا واقف يراني ويعرف مكاني ، ولم يواخ بينـي وبين أحد، قالت: لايحزنك الله لعله انما ادخرك لنفسه ، قال بلال: ياعلي أجب النبي فأتى علي النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ مايبكيك ياأباالحسن؟ قال: آخيت بين المهاجرين والانصار يارسول الله وأنا واقف تراني وتعرف مكاني، ولم تواخ بيني وبين أحد .

قال: انما ادخرتك لنفسي، ألا يسرك أن تكون أخا نبيك؟ قال: بلى يارسول الله أنى لي بذلك ؟ فأخذه بيده وأرقاه المنبر ، وقال: اللهم هذا مني وأنا منه ، ألاأنه مني بمنزلة هارون من موسى، الا من كنت مولاه فهذا علي مولاه [٢] .

وفي الطرائف نقلا عن مسند أحمد بن حنبل عن أبي ليلى الكندي أنه سئل زيد بن أرقم عن قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال زيد: نعم قالها رسول الله ﷺ أربع مرات [٣] الى غير ذلك من الاخبار .

---

(١) كشف الغمة ٢٨٩/١ .

(٢) المناقب ص٢٥، الطرائف ص١٤٨-١٤٩ .

(٣) الطرائف ص١٥٠ .

الفصل الثالث

(في بيان دلالة الخبر على المقصود)

فنقول : نحن بعونـه تعالى نتم دلالته على المرام من وجوه، ونقدم لبيان ذلك، وهي في بيان معنى المولى ، وان من معانيـه الاولى بالتصرف، والسيد الامام المطاع ، وانه مما لايمكن انكاره ، وتحقيق ذلك وتنقيحه في ضمن بيان مطالب :

المطلب الاول

(في أن من معاني المولى الاولى به والامام المطاع)

وقد ذكره جماعة من أهل اللغة والتفسير وغيرهـم ، قال في الشافي : ان من كان له أدنى اختلاط باللغة وأهلها يعرف أنهم يضعون هذه اللفظة مكان أولى كماأنهم يستعملونها في ابن العم ، ومالمنكر لاستعمالها في الاولى الا كالمنكر لاستعمالها فيغيره من أقسامها، ومعلوم أنهم لايمتنعون من أن يقولوا في كل من أولى بالشيء أنه مولاه .

ومتى شئت أن تفحم المطالب بهذه المطالبة، فاعكسها عليه وطالبه بأن يدل على أن لفظة مولى تفيد في اللغة ابـن العم والجار وغيرهما من الاقسام ، فانه لايتمكن الا من ايراد بيت شعر أومقاضاة الى كتاب أوعرف لاهل اللغة ، وكل ذلك موجود ممكن لمن ذهب الي أنها تفيد الاولى .

ثم قال :على أنا نتبرع بايراد جملة تدل على ماذهبنا اليه، فنقول: قد ذكر أبو

عبيدة معمر بن المثنى ، ومنزلته في اللغة منزلته في كتابه المعروف بالمجاز في القران لماانتهى الىقوله « مأواكـم النار هي مولاكـم » أولى بكم وأنشد بيت لبيد شاهداً .

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه　　مولى المخافة خلفها وامامها

وليس ابوعبيدة ممن يغلط في اللغة، ولوغلط فيها أووهم لماجاز أنيمسك عن النكير عليه والرد لتأويله غيره من أهل اللغـة ممن أصاب ماغلط فيه ، على عادتهم المعروفة في تتبع بعضهم بعضاً، ورد بعضهم على بعض، فصار قول أبو عبيدة الذي حكيناه مع انـه لميظهر من احد من اهل اللغة رد لـه ، كأنه قول للجميع .

ولاخلاف بين المفسرين في أن قولـه تعالى « ولكل جعلنا موالي مماترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيداً»(١) ان المراد بالاولياء من كان أملك بالميراث، وأولى بحيازته وأحق به ، وقال الاخطل يخاطب بني امية :

أعطاكم الله جداً تنصرون بـه　　لاجد الا صغيـر بعد محتقـر

لمتأشروا فيه اذ كنتم مواليـه　　ولويكون اقوم غيركم أشروا

وقال ايضاً يمدح عبدالملك بن مروان :

فأصبحت مولاهـا من الناس كلهم　　وأحرى قريش ان تهاب وتحمدا

وقال غيره :

كانـوا موالي حق يطلبـون بـه　　فأدركـوه وما ملـوا ولا تعبـوا

وقال الحجاج :

الحمد لله الذي أعطى الخير　　موالي الحق ان المولى شكر

(١) سورة النساء: ٣٣ .

وروى في الحديث : أيماامرأة تزوجت بغير اذن مولاها فنكاحها باطل [١]

ثم قال : وكل مااستشهدنا بـه لم يرد بلفظ مولى فيه الا معنى أولى دون غيره وقد تقدمت حكايتنا عن المبرد قوله ان أصل تأويل الولي الذي هو أولى أي أحق ومثله المولى .

أقول : وقد أشار بذلك الى كلامه في آية « انما وليكم الله » الاية قال وقال أبو العباس المبرد في كتابه المترجم بالعبارة عن صفات الله تعالى : أصل تأويل الولي الذي هو أولى أي أحق ومثله المولى .

ثم قال : وقال أي المبرد في هذا الموضع بعد أن ذكـر تأويل قولـه تعالى « ان الله مولى الذين آمنوا » والولي والمولى معناهما سواء ، وهو الحقيق بخلقه المتولي لامورهم .

وقال الفراء في كتاب معاني القرآن : والولي والمولى في كلام العرب واحد وفي قرائة عبدالله بن مسعود « انما موليكم الله ورسوله » مكان «وليكم» .

وقال أبو بكر محمد بـن القاسم الانباري في كتابـه في القرآن المعروف بالمشكل : والمولى في اللغة ينقسم الى ثمانية أقسام، أولهن المولى المنعم المعتق ثم المنعم عليه المعتق ، ثم المنعم والمولى الولي والمولى الاولى بالشيء ، وذكر شاهداً عليه الاية التي قدمنا ذكرها وبيت لبيد ، والمولى الجار ، والمولى ابن العـم ، والمولى الصهـر والمولى الحليف ، واستشهد على كل قسم من أقسام المولى بشيء من الشعر لم نذكره لان غرضنا سواه.

وقال أبو عمرو غلام ثعلب في تفسير بيت الحارث بن حلزة الذي هو

زعموا ان كل من ركب العير   موال لنـا وأنـى الـولاء

أقسام المولى، وذكر في جملة الاقسام أن المولى السيد، وان لم يكن مالكاً

---

(١) سنن الترمذى ١/٢٠٤ .

والمولى الولي ، وقد ذكر جماعة ممن يرجع الى مثلهم في اللغة أن من جملة أقسام المولى السيد الذي ليس بمالك ولا معتق ، ولو ذهبنا الى ذكر جميع ما يمكن أن يكون شاهداً فيما قصدناه لاكثرنا ، وفيما أوردناه كفاية ومقنع .

فان قيل : أليس ابن الانباري قد أورد أبيات الاخطل التي استشهدتم بها ، وشعر العجاج والحديث الذى رويتموه ، وتأول لفظة مولى في جميعه على ولي دون أولى ، فكيف ذكرتم أن المراد بها الاولى ؟

قيل له : الامر على ماحكيته عن ابن الانباري ، غير أنه معلوم في اللغة أن لفظ ولي تفيد معنى أولى ، وقد دللنا على ذلك فيما تقدم من الكلام في تأويل قوله تعالى « انما وليكم الله ورسوله » وجميع ماستشهدنا به من الشعر والخبر لايجوز أن يكون المراد بمولى منه الا الاولى ، ومن كان مختصاً بالتدبير ومتولياً للقيام بأمر ماقيل انه مولاه ، لانه متى لم يحمل على ماقلنا لم يفد ، وكيف يصح حمل قوله « بغير اذن مولاها » اذا قيل ان المراد به وليها على غير من يملك تدبير امورها واليه العقد عليها .

فان قيل : قد دللتم على استعمال لفظة « مولى » في أولى ، فما الدليل على أن استعمالها جرى على سبيل الحقيقة ، لان المجاز قد يدخل في الاستعمال كما يدخل في الحقيقة .

قيل له : انما يحكم في اللفظ بأنه يستعمل في اللغة على وجه الحقيقة ، بأن يظهر استعماله فيها من غير أن يثبت مايقتضي كونه مجازاً من توقيف أهل اللغة ، أو مايجري مجرى التوقيف ، فأصل الاستعمال يقتضي الحقيقة ، وانما يحكم في بعض الالفاظ المستعملة بالمجاز لامر يوجب علينا الانتقال عن الاصل[1] انتهى كلامه .

---

(١) الشافي ٢ / ٢٦٨ - ٢٧٤ .

وقال يحيى بن الحسن بـن بطريق في العمدة : اعلم أن لفظة « مولى » في اللغة ينقسم على عشرة أوجه :

أولها : الاولى، وهو الاصل والعماد الذي يرجع اليه المعاني في باب الاقسام ثم اعلم أن أهل اللغة ومصنفي العربية قد نصوا على أن لفظة «مولى» تفيد الاولى وفسروا ذلك في كتبهم من كتاب الله تعالى ومن اشعار العرب .

فأما من كتاب الله العزيز فان أبا عبيدة معمر بن المثنى ، وهو مقدم في علم العربية غير مطعون عليه في معرفتها ، وقد ذكر في كتابـه المتضمن تفسير غريب القرآن المعروف بالمجاز في سورة الحديد في تفسير قوله تعالى « فاليوم لا يؤخذ منكم فديـة ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير »(١) يريد جل اسمه هي أولى بكم على ماجاء في التفسير ، واستشهد بقول لبيد :

فغدت كلا الفرجين يحسب انه ... مولى المخافـة خلفها وأمامها

معناه أنـه أولى بالمخافة يريـد أن هذه الظبية تحيرت فلم تدر أخلفها أولى بالمخافة أم أمامها ، ويقول الاخطل في عبد الملك بن مروان :

فما وجـدت فيها قريش لامرهـا ... اعف وأوفى مـن أبيك وأمجدا

وأورى بزنـد به ولو كان غيره ... غداة اختلاف الناس أكدى وأصلدا

فأصبحت مولاها مـن الناس كلهم ... وأحرى قريش أن تهاب وتحمدا

فخاطبه بلفظة مولى ، وهو خليفة مطاع الامر ، من حيث اختص بالمعنى الذي احتمله ، وليس أبو عبيدة متهماً بالتقصير في علم اللغة ، ولامظنوناً به الميل الى أمير المؤمنين عليه السلام ، بل هو معدود من جملة الخوارج ، وقد شاركه في مثل ذلك تفسير ابن قتيبة ، وهو أيضاً لاميل له الى أمير المؤمنين عليه السلام ، لانه لو علم أن الحق في غير هذا المعنى لقاله .

---

(١) سورة الحديد : ١٥ .

وقال الفراء في كتابه كتاب معاني القرآن في تفسير هذه الايـة : ان الولي والمولى في لغة العرب واحد .

وقال أبوبكر محمد بن القاسم الانباري في كتابه المعروف بتفسير المشكل في القرآن في ذكر أقسام المولى : ان المولى الولي ، والمولى الاولى بالشيء واستشهد على ذلك بالاية المقدم ذكرها ، وببيت لبيد أيضاً :

كانوا موالي حق يطلبون به فأدركوه وماملوا ومالعنوا

وقد روي أن في قراءة عبدالله بن مسعود : انما مولاكـم الله ورسوله مكان « انما وليكم الله ورسوله » وفي الحديث أيما امرأة تزوجت ـ ويروى نكحت ـ بغير اذن مولاها فنكاحها باطل ، والمعلوم مـن ذلك أن المراد بمولاهـا وليها ، والذي هو أولى الناس بها .

والاخطل هو أحد شعراءِ العرب ، وممن لايطعن عليه في معرفته ، ولا ميل له الى مذهب الاسلام ، بل هو من المبرزين في علم اللغة، وقد حكى عن أبي العباس المبرد أنـه قال : الولي الذي هو أحق والاولى ومثله المولى ، فيجعل الثلاث عبارات بمعنى واحد ، ومن له أدنى انس بالعربية وكلامها لايخفى عليه ذلك .

الثاني: من أقسام المولى هو مالك الرق ، قال الله تعالى « ضرب الله مثلا عبداً مملوكاً لايقدر على شيء وهو كل على مولاه »[١] يريد مالكه ، والامر في ذلك أشهر من أن يحتاج الى استشهاد .

والثالث : المعتق ، والرابع : العتق ، والخامس : ابن العم، قال الله تعالى «اني خفت الموالي من ورائي »[٢] يعني بني العم ، ومنه قول الشاعر :

مهلا بني عمنا مهلا موالينا لاتنبشوا بيننا ما كان مدفونا

---

(١) سورة النحل : ٧٥ .

(٢) سورة مريم : ٥ .

والسادس : الناصر ، قال الله تعالى «وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه»[١] يريد ناصره ، وقال الله تعالى « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم »[٢] يريد لاناصر لهم .

والسابع : المتولي لتضمن الجريرة وتحويز الميراث .

والثامن : الحليف ، قال الشاعر موالي حلف لاموالي قرابة .

والتاسع : الجار ، قال الشاعر : مولى اليمين ومولى الجار والنسب .

والعاشر : الامام السيد المطاع ، وهذه الاقسام التسعة بعد الاولى ، اذا تأمل المعنى فيها ، وجد راجعاً الى معنى الاولى ، ومأخوذاً منه ، لان مالك الرق لما كان أولى بتدبير عبده من غيره ، كان مولاه دون غيره ، والمعتق لما كان أولى بميراث المعتق من غيره ،كان لذلك مولاه ، والمعتق لما كان أولى بمعتقه في تحمل جريرته وألصق به ممن أعتقه غيره ، كان مولاه أيضاً لذلك .

وابن العم لما كان أولى بالميراث ممن بعد عن نسبه وأولى بنصرة ابن عمه من الاجنبي ، كان مولاه لاجل ذلك . والناصر لما اختص بالنصرة ، فصار بها أولى ، كان من أجل ذلك مولاه ، والمتولي لتضمن الجريرة لما ألزم نفسه مايلزم المعتق ، كان بذلك أولى ممن لايقبل الولاء وصار به أولى بمنزلته ، فكان لذلك أولى .

والحليف لاحق في معناه بالمتولي ، فلهذا السبب كان مولاه . والجار لماكان أولى بنصرة جاره ممن بعد عن داره وأولى بالشفعة في عقاره، فلذلك صار مولى. والامام المطاع لماكان له من طاعة الرعية وتدبيرهم مايماثل الواجب بملك الرق ،كان لذلك مولى، فصارت جميع تلك المعاني فيماحددناه ترجع الى معنى

---

(١) سورة التحريم : ٤ .

(٢) سورة محمد : ١١ .

الوجه الاول الذي هوالاولى ، وتكشف عن صحة معناه فيماذكرنـاه في حقيقته ووصفناه، فليتأمل ذلك، ففيه بيان لمن تأمله (١) انتهى كلامه .

ولنعم ماأفاد من ارجاع المعاني كلها الى معنى واحد، ولابأس بذكر كلمات بعض أهل اللغة في المقام .

قال الجوهري في الصحاح : الولي القرب والدنو، يقال: تباعد بعدولى ، الى أن قال: والمولى المعتق، والمعتق، وابن العم، والجار، والناصر، وكل من ولي أمر واحد فهو وليه ، قال الشاعر :

هم المولى وان جنفوا (٢) علينا وانـا مـن لقـائـهم لزور

قال أبوعبيدة: يعني الموالي أي بني العم، وهو كقوله تعالى «ثم يخرجكم طفلا» وأما قول لبيد :

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافـة خلفها وأمامها

فيريد به أنه أولى موضع أن يكون فيه الخوف، وقوله «فغدت» تم الكلام كأنه قال : فغدت هذه البقرة وقطع الكلام ، ثم ابتدأ كأنه قال : تحسب أن كلا الفرجين مولى المخافة، والمولى الحليف، وقال :

موالي حلف لا موالي قرابـة ولكن قطينا يسألون الاتـاويا

يقول: هم الحلفاء لاأبناء عم، وقول الفرزدق :

فلو كان عبدالله مولى هجوتـه ولكن عبدالله مولى مواليـا

لان عبدالله بن اسحاق مولى الحضرميين ،وهم حلفاء بني عبدشمس بن عبدمناف والحليف عند العرب مولى، وانما قال مواليا فنصبه، لانه رده على أصله للضرورة

---

(١) العمدة ص١١٢-١١٥ .

(٢) الجنف الميل والجور «منه» .

وانما لم ينون لانه جعله بمنزلة غير المعتل الذي لاينصرف (١) .

وقال في القاموس: الولي القرب والدنو والمطر بعد المطر، الى أن قال: والمولى المالك، والعبد، والمعتق، والمعتق، والصاحب، والقريب كابن العم ونحوه ، والجار، والحليف، والابن، والعم، والنزيل، والشريك ، وابن الاخت، والولي والرب، والناصر، والمنعم، والمنعم عليه ، والمحب، والتابع، والصهر(٢) .

وقال في الكشاف في تفسير قوله تعالى في سورة الحديد « ماواكم النار وهي مولاكم وبئس المصير » (٣) هي مولاكم قيل هي أولى بكم ، وأنشد قول لبيد :

فغدت كلا الفرجين يحسب انه مولى المخافة خلفها وأمامها

وحقيقة مولاكم مجراكم ومقمنكم، أي مقامكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم أي مكان لقول القائل انه لكريم ، ويجوز أن يراد هي ناصركم أي لاناصر لكم غيرها، والمراد نفي الناصر على البتات، ونحوه قولهم اصيب فلان فاستنصر الجزع، ومنه قوله تعالى «يغاثوا بماء كالمهل» وقيل تتولاكم كما تتوليتم في الدنيا أعمال أهل النار (٤) .

وقال البيضاوي في تفسير تلك الاية هي أولى بكم ، كقول لبيد ، ثم ذكر بيت لبيد، ثم قال: وحقيقة مجراكم أي مكانكم الذي يقال فيه أولى بكم، كقولكم هو مئنة للكرم أي مكان قول القائل انه لكريم، أومكانكم عما قريب من الولي وهو القرب، أوناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ، أومتوليكم كما

---

(١) صحاح اللغة ٦/٢٥٢٨-٢٥٣٠ .

(٢) القاموس ٤/٤٠١ .

(٣) سورة الحديد: ١٥ .

(٤) الكشاف ٤/٦٤ .

توليتم موجباتها في الدنيا [١] .

وقال الرازي في اربعينه في معنى الاية : قال المفسرون معناه أولى بكم .

تنبـيه :

قد ظهر لك ممامر أن من معاني الولي الاولى بـه ، وقد ذكر في الشافي جملة وافية من الشواهد عليه ، منها : بيت لبيد بن ابي‌ربيعة ناسباً الى أبي‌عبيدة أنه جعل معنى المولى في الاية الاولى متمسكاً بهذا البيت ، وقدتقدم كلامه.

وفي هذا البيت على ماذكره الزوزنـي وحكى عنه الطيبي يصف فيه بقرة وحشية نفرت من صوت الصائد ، ولم‌تقف لتنظر ان قاصدها خلفـها أم أمامها ، فغدت فزعة مذعورة، لاتعرف منجاها من مهلكها، الفرحين الجانبين وهوالخاف والقدام ، أي غدت على حاله كلا جانبيهما مخوف، وقيل: الفرج الثغر موضع المخافة، وقيل: الفرج مابين‌قوائم الدواب فيما بين اليدين فرج ومابين الرجلين فرج اى تحسب كل فرج من‌فرجها اولى المخافة .

ومعنى مولى أولى ، والضمير الذي هو اسم ان عائد الى كلا ، لانه مفرد اللفظ، كقوله «كلتا الجنتين آتت اكلها» ومولى المخافة خبر وأن خلفها وامامها خبران لمبتداء محذوف، ويجوز ان يكونا تفسيراً لكلا الفرحين ، أو بدلا منه ، وتقديره، فغدت كلا الفرحين خلفها وأمامها تحسب انها مولى المخافة انتهى .

أقول : قديظهر الاختلاف في معنى الشعر ، فان هذا المعنى للبيت هومعناه الظاهر والصدوق في معاني الاخبار قد ذكر ان المولى فيه اسماً لمايلي الشيء وفيه مالايخفى على من لاحظ ماتقدم منه في بيانه .

---

(١) أنوار التنزيل ٢/٤٩٧ .

وذكر ابن بطريق ماتقدم في العمدة [1] من انها تحيرت فلم تدر أن أياً من الجانبين اولى بالمخافة ، وفيه ان صريح البيت أن كلا من الجانبين مولى المخافة .

وذكر الطيبي ان المراد من الفرجين الجانبين ، وهذا لايوافقه اللغة، فان الفرج كمافي الصحاح والقاموس الثغر وموضع المخافة ، والفرجان كمافيهما الخراسان والسجستان أوالسند ، قال في الصحاح قال أبوعبيد : الفرجان سند وخراسان، وقال الاصمعي سجستان وخراسان [2] .

والمراد من الفرجين في هذا البيت لايلائم البلدين بل الظاهر أن حاصل المراد ماذكره في البيت نفسه من الخلف والقدام، وان المعنى: اماالثغر أوموضع المخافة، وانكان الثغر كمافي الصحاح موضع المخافة، قال: الثغر موضع المخافة من فروج البلدان [3] .

فصار معنى البيت انها غدت حاسبة ان كلاالفرجين، اي المدخل والمخرج اوالامام والخلف مولى المخافة واستعمال الفرج عليهما من جهة أن كلا منهما اولى بالمخافة، اي محل الخوف التام .

ومنها الاية ، وهي قوله تعالى في سورة الحديد «مأويكم النار هي موليكم وبئس المصير » [4] وقديظهر الاختلاف في تفسيره ففي معاني الاخبار للصدوق تفسيره بالعاقبة [5] وفيه أنا لانجده من غيره، وليس له شاهداً عليه ، والمشهور

(١) العمدة ص١١٢ .
(٢) صحاح اللغة ٣٣٣/١ .
(٣) صحاح اللغة ٦٠٥/٢ .
(٤) سورة الحديد: ١٥ .
(٥) معاني الاخبار ص٦٨ .

في تفسيره هذا الذي ذكره السيد ره وغيره من كون معناه الاولى به، بل ونسبه جماعة الى المفسرين كالامام فخر ونحوه .

المطلب الثاني

(في بيان المعاني الاخر للمولى)

اعلم ان جماعة قد صرحوا بارجاع سائر المعاني الى معنى القرب الذي هو اصل المعنى في اللغة .

قال ابن فارس في مجمل اللغة: الولي القرب، يقال: تباعدنا بعدولي وجلست ممايليه ، اي : ممايقاربه ، والولية البردغة المجمال ، والولي المطر بعد الوسمي سمي ولياً لانه يلي الوسمي، والمولى المعتق، والمعتق، والصاحب، والحليف وابن العم، والناصر، والجار، وكل من ولي أمر واحد فهو وليه ، وتقول: فلان أولى بكذا أي أحرى به وأجدر .

فأما قولهم في الشتم أولى له، فحدثني علي بن عمر، قال: سمعت تغلباً يقول: أولى تهدد ووعيد، وأنشد .

فأولى ثم أولى   وهل للدر يحلب من مرد

قال الاصمعي: معناه قاربه مايهلكه أي نزل به وأنشد .

فعادى بين هاديتين منها   وأولى أن يزيد على الثلاث

أي ان قارب يزيد قال ثعلب: ولم يقل أحد في أولى أحسن مماقاله الاصمعي وقال غيره : أولى تحسر على مافات ، والولاء الموالون يقال : هم ولاء فلان ، والولاء أيضاً ولاء العتق ، وفي الحديث نهى عن بيع الولاء وعن هبته ،

ووالبت بين الشيئين أي تابعت ولاءاً ، وافعل هذه الاشياء على الولاء أي متابعة، وكل ذلك يرجع الى القرب، ثم قال: والولاية النصرة، والولاية أيضاً والولاية السلطان [١] .

وقد تقدم من العمدة ارجاع سائر المعاني الى معنى الاولى بـه ، كماهو الظاهر من مجمع البيان في بعض موارد التعرض له، وهو المحكي عن أبي الصلاح في التقريب .

وهنا بيان على وجه أبين وصل الى الخاطر، وان كان أمراً بينا على وجه الاجمال وهو أن المولى كما عرفت هو مفعل، اما من الاولى الذي هو من الولي وهو القرب الأأنه يختلف موارده باختلاف المتعلق .

فقديكون الاولى الاولى بالميراث، كما في الموالي في قوله تعالى «ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون» [٢] وقوله « واني خفت الموالى من ورائي» [٣] .

وقديكون الاولى بأمور أخر، فيكون مول فيه ، ومندرج في هذا جملة من المعاني، كالمعتق، والمعتـق ، والحليف ونحو ذلك . واما من الولي الصفتي الذي هو المتولي لامـر واحد كالناصر ونحوه ، واما مـن الولي المصدري بمعنى القرب، كالجار والصديق ونحوهما، وهذا وجه الجمع بين معاني الاولى والله العالم .

---

(١) مجمل اللغة ٣/٩٣٦-٩٣٧ .

(٢) سورة النساء : ٣٣ .

(٣) سورة مريم: ٥ .

المطلب الثالث

(فى تفسير قوله تعالى النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم)

اعلم أن في سورة الاحزاب « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطورا»[١] .

قد ذكر في المجمع انه بعد تفسيره بقوله: أي هو أولى بهم منهم بأنفسهم قيل في معناه أقوال :

أحدها: أنه أحق بتدبيرهم ، وحكمه عليهم أنفذ من حكمهم على أنفسهم ، خلاف مايحكم بــه لوجوب طاعته التي هي مقرونــة بطاعة الله تعالى ، عن ابن زيد .

وثانيها: أنه أولى بهم في الدعوة ، فاذا دعاهم النبي الى شيء كانت طاعته أولى لهم من طاعة أنفسهم، عن ابن عباس وعطاء، وهذا قريب من الاول .

وثالثها: أن حكمه أنفذ عليهم من حكم بعض على بعض ، كقوله «فسلموا على أنفسكم» واذا كان هو أحق بهم وهو لايرث أمته بماله من الحق، فكيف يرث من توجبون حقه بالنبي ، وروي أن النبي ﷺ لما أراد غزوة تبوك وأمر الناس بالخروج، قال قوم: نستأذن آبائنا وأمهاتنا، فنزلت هذه الاية[٢] .

وقال البيضاوي : والنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم في الامور كلها ، فانه لايأمرهم ولايرضى منهم الا بمافيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس ، فلذلك أطلق، فيجب عليهم أن يكون أحب اليهم من أنفسهم، وأمره أنفذ عليهم من أمرها

---

(١) سورة الاحزاب: ٦ .

(٢) مجمع البيان ٣٣٨/٤ .

وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها (١) .

وقال في الكشاف: النبي أولى بالمؤمنين في كل شيء من أمور الدين والدنيا من أنفسهم، ولهذا أطلق ولم يقيد، فيجب عليهم أن يكون أحب اليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها ، وحقه آثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها ، وأن يبذلوها دونه ، ويجعلوها فداءه ، اذا أعضل خطب ووقاءه(٢)، اذا لقحت حرب، وأن لا يتبعوهم ماتدعوهم اليه نفوسهم، ولاماتصرفهم عنه، ويتبعوا كل مادعاهم اليه رسول الله ﷺ وصرفهم عنه .

لان كل مادعى اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة، والظفر بسعادة الدارين وماصرفهم عنه فأخذ بحجزهم، لئلا يتهافتوا فيمايرى بهم الى الشقاوة وعذاب النار، أوهو أولى بهم على معنى أنه أرأف بهم، وأعطف عليهم، وأنفع لهم كقوله تعالى « بالمؤمنين رؤوف رحيم» .

وعن النبي ﷺ مامن مؤمن الا أنا أولى بـه في الدنيا والاخرة اقرؤوا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فأيما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا، وان ترك ديناً أوضياعاً فالي (٣) انتهى .

الخبر كمافي الطيبي من رواته احمد والبخاري ومسلم : مامن مؤمن الا أنا أولى به في الدنيا والاخرة ، وابن ماجة والدارمي ، وحكى الخبر كماذكره في الكشاف، الا أن في آخره: فان ترك ديناً وضياعاً فليأتني فاني مولاه .

وقال في التبيان: أخبر الله تعالى أن النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم بمعنى أحق بتدبيرهم، وبأن يختاروا مادعاهم اليه ، وأحق بأن يحكم فيهم بما

(١) أنوار التنزيل ٢/٢٦٥ .

(٢) الوقاءة ماوقت به الشيء. ولقحت اذا اشتدت «منه» .

(٣) الكشاف ٣/٢٥١ .

لايحكم به الواحد في نفسه، لوجوب طاعته التي هي مقرونة بطاعة الله ، وهو أولى في ذلك ، وأحق من نفس الانسان، لانهار بمادعته الى اتباع الهوى ، ولان النبي ﷺ لايدعو الا الى طاعة الله وطاعة الله أولى أن يختار على طاعة غيره ، وواحد الانفس نفس وهي خاصة الحيوان الحساسة الدراكة التي هي أنفس مافيه وأكرمه [1] .

وقال في تفسير الامام في تفسير قوله تعالى «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» ان دفع الحاجات على مراتب دفع حاجة الأجانب ، ثم دفع حاجة الاقارب الذين على حواشي النسب ، ثم دفع حاجة الاصول والفصول، ثم دفع حاجة النفس، والاولى عرفاً دون الثاني، وكذلك شرعاً، فان العاقلة تتحمل الدية عنهم ولاتتحملها عن الاجانب، والثاني دون الثالث أيضاً، وهو ظاهر بدليل التفقه ، والثالث دون الرابع، فان النفس مقدم على الغير، واليه اشار النبي ﷺ فقال: ابدء بنفسك ثم بمن تعول .

اذا علمت هذا فالانسان اذا كان معه مايغطى به احدى الرجلين، أو يدفع به حاجة من أحد شقي بدنه أخذ الغطاء من احداهما وغطى بـه الاخرى ، لايكون لاحد أن يقول لم فعلت، فضلا من أن يقول بئس مافعلت .

اللهم الا أن يكون أحد العضوين اشرف من الاخر، مثل ماإذا وقى الانسان عينه بيده ويدفع البرد عن رأسه الذي هو معدن حراسه، ويترك رجله تبرد، فانه الواجب عقلا، فمن يعكس الامر يقال له: لم فعلت .

واذا تبين هذا فالنبي أولى بالمؤمن من نفسه، فلودفع المؤمن حاجة نفسه دون حاجة نبيه، يقول مثله مثل من يدهن شعره، ويكشف في رأسه في برد مفرط قاصداً به تربية شعره ، ولايعلم انـه يؤذي به رأسـه الذي لانبات لشعره الا منه

(١) التبيان ٢٨٦/٨-٢٨٧ .

فكذلك دفع حاجة النفس، لفراغها الى عبادة الله، ولاعلم بكيفية العبادة الا من الرسول .

فلودفع الانسان حاجته لاللعبادة ، فهو ليس دفعاً للحاجة ، لان دفع الحاجة ماهو فوق تحصيل المصلحة، وهذا ليس في مصلحة فضلا من أن تكون حاجة، وان كان للعبادة، فترك النبي الذي منه يعلم كيفية العبادة في الحاجة، ودفع حاجة النفس مثل تزيينه الشعر مع اهمال الرأس فبين ان النبي ﷺ اذا اراد شيئاً حرم على الامة التعرض اليه في الحكمة الواضحة انتهى كلامه .

والحاصل أن الاولوية من النفس على قول مطلق تقتضي الولايـة المطلقة له ﷺ ، واولويـة الرسول ﷺ عليهـم من انفسهم يقتضي ان لايكون الخيرة لانفسهم بل له ﷺ، وهذا مخ الولاية، ومحض الامامة بالمعنى الاعم الذي اشرنا اليه في اوائل الكتاب، وهذا الذي اثبته الله لرسوله، هوالذي اثبته الرسول لعلي عليه السلام .

وقال في مجمع البيان: والى هذا المعنى اشار النبي ﷺ في يوم الغدير في قوله ألست أولى بكم من انفسكم فلماقالوا بلى ، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه [1] .

وقوله «واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» ايضاً شاهد للمعنى الذي يفيده قوله النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من انفسهم، الاانه من النفس والثاني بالميراث .

اذا عرفـت ذلك ، فنقول : يمكن الاستدلال بهذا الخبـر على المطلوب بوجوه :

الاول : ان المراد من المولى هنا هوالاولى به المطاع المتبع ، كمااعترف

---

(١) مجمع البيان ٣٤٠/٤ .

جملة من المخالفين، وللصدوق ره في كتاب معاني الاخبار كلام واف في هذا المرام، قال: انا ومخالفينا قد روينا عن النبي ﷺ انه قام يوم غدير خم وقد جمع المسلمين، فقال: ايها الناس ألست اولى بالمؤمنين من انفسهم: فقالوا: اللهم بلى قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره، واخذل من خذله .

ثم نظرنا في معنى قول النبي ﷺ ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم في معنى قوله من كنت مولاه فعلي مولاه، فوجدنا ذلك ينقسم في اللغة على وجوه لايعلم في العربية غيرها أنا ذاكرها انشاء الله .

ونظرنا فيما يجمع له النبى ﷺ الناس ويخطب به ، ويعظم الشان ، فاذا هو شيىء لايجوز أن يكونوا علموه ، فكرره عليهم ، ولاشيء لايفيدهم بالقول فيه معنى ، لان ذلك صفة العابث والعبث عن رسول الله منفي ، فنرجع الى ما يحتمله لفظ المولى في اللغة .

يحتمل أن يكون المولى مالك الرق ، كما يملك الموالى عبيده وله أن يبيعه ويهبه ويحتمل أن يكون المولى المعتق من الرق ويحتمل أن يكون الموالى المعتق وهذه الثلاثة الاوجه مشهورة عند الخاصة والعامة ، وهي ساقطة في قول النبي ﷺ لانه لايجوز ان يكون عنى بقوله « فمن كنت مولاه فعلي مولاه » واحدة منها ، لانه لايملك بيع المسلمين ولا عتقهم من رق العبودية ولا اعتقوه .

ويحتمل أيضاً أن يكون المولى ابن العم قال الشاعر :

مهلا بني عمنا مهلا موالينا لم تظهرون لنا ما كان مدفوناً

ويحتمل أن يكون المولى العاقبة قال الله عزوجل « ماواكم النار هي مولاكم » أي عاقبتكم ومايؤول بكم الحال اليه ، ويحتمل أن يكون المولى لما يلي الشيء ، مثل خلفه وقدامه قال الشاعر :

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وامامها

ولم نجد أيضاً شيئاً مـن هذه الاوجه يجوز أن يكون النبي ﷺ عناه بقوله « من كنت مولاه فعلي مولاه » لانه يجوز أن يقول : من كنت ابن عمه فعلي ابن عمه ، لان ذلك معروف ومعلوم ، وتكريره على المسلمين عبث بلا فائدة وليس يجوز أن يعني به عاقبة امرهم ولاخلف ولاقدام ،لانه لامعني له ولافائدة .

ووجدنا اللغة تجيز أن يقـول الرجل فلان مـولاي اذا كان ملك طاعته ، فكان هذا هو المعنى الـذي عناه النبي ﷺ بقوله « فمن كنت مولاه فعلي مولاه » لان الاقسام الذي تحتملها اللغة ، لم يجز أن يعنيها بما بيناه ،ولم يبق قسم غير هذا ، فوجب أن يكون الذي عناه بقوله ﷺ « فمن كنت مولاه فعلي مولاه » .

ومما يؤكد ذلك قوله ﷺ « الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم » ثم قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، فدل ذلك على أن معني مولاه هوأنه أولى بهم مـن أنفسهم ، لان المشهور في اللغة والعرف أن الرجل اذاقال لرجل : انك أولى بي من نفسي فقد جعله مطاعاً آمراً عليه ، ولايجوز أن يعصيه ،وانا لوأخذنا بيعة على رجل وأقربأنا أولى به من نفسه ، لم يكن له ان يخالفنا فيشيء نأمره به ، لانهان خالفنا به بطل معنى اقراره بأنا أولى به من نفسه .

ولان العرب أيضاً اذا أمر منهم انسان انساناً بشيء وأخذه بـالعمل به وكان له أن يعصيه وعصاه ، قال له : يا هذا أنا أولى بنفسي منك أن لي ان أفعل بها مـا اريد ، وليس ذلك لك مني فاذا كان قول الانسان أنا اولى بنفسي منك يوجب له أن يفعل بنفسه مايشآء اذا كان في الحقيقة أولى بنفسه منغيره وجب لمن هوأولى بنفسه منه أن يفعل به مايشآء ولايكون له أن يخالفه ولايعصيه اذا كان ذلك كذلك ثم قال النبي ﷺ ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فاقروا له ، ثم قـال متبعاً لقوله الاول بلافصل فمن كنت مولاه فعلي مولاه فقد علم أن قوله « مولاه » عبارة

عن المعنى الذي أقروا له بأنه أولى بهم من أنفسهم فاذا كان انما عنى بقوله « من كنت مولاه فعلي مولاه» أي أولى به ، فقد جعل ذلك لعلي بـن ابيطالب عليه السلام بقوله « فعلي مولاه » لانه لايصلح أن يكون عنى بقوله « فعلي مولاه » قسما من الاقسام التي أحلنا أن يكون النبي صلى الله عليه وآله عناها في نفسه .

لان الاقسام هي أن يكون مالـك رق ، أو معتقا ، أوابـن عم ، أوعاقبة ، أو خلفا ، أو قداما ، فاذا لم يكن لهذه الوجوه فيه معنى ، لم يكن لها في علي عليه السلام معنى وبقي ملك طاعته ، فثبت أنه عناه .

واذا وجب ملك طاعة المسلمين لعلي عليه السلام ، فهومعنى الامامة لان الامامة انما هي مشتقة مـن الائتمام بالانسان ، والائتمام هو الاتباع والاقتداء ، والعمل بعمله والقول بقوله .

الى أن قال ونظير قول النبي صلى الله عليه وآله الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فلما أقرواله بذلك ، قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، قول رجل لجماعة اليس هذا المتاع بيني وبينكم نبيعه والربح بيننا نصفان والوضيعة كذالك ، فقالوا له : نعم قال فمن كنت شريكه فزيد شريكه وقد أعلم انما عناه بقوله « فمن كنت شريكه » أنه انما عنى به المعنى الذي قررهم به بدءاً من بيع المتاع واقتسام الربح والوضيعة ثم جعل ذلك المعنى الذى هوالشركة لزيد بقوله « فزيد شريكه » وكذلك قول النبي صلى الله عليه وآله الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم واقرارهم له بذالك ، ثم قوله صلى الله عليه وآله « فمن كنت مولاه فعلي مولاه » انما هواعلام أنه عنى بقوله المعنى الذي أقروا به بدءاً وكذلك جعله لعلي عليه السلام بقوله « فعلي مـولاه » كما جعل ذلك الرجل الشركة لزيد بقوله «فزيد شريكه» ولافرق في ذلك .

الى أن قال :ولا أعلم عبارة عن معنى فرض الطاعة أوكد من قول النبي صلى الله عليه وآله ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم قوله « فمن كنت مولاه فعلي مـولاه » لانـه

كلام مرتب على اقرار المسلمين للنبي ﷺ فمن كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه ، لان معنى فمن كنت مولاه هو من كنت أولى به من نفسه ،لانه عبارة عن ذلك بعينه ، اذا كان لايجوز في اللغة غير ذاك .

الاترى أن قائلا او قال لجماعة أليس هذا المتاع بيننا نبيعه ونقسم الربح والوضيعة فيه فقالوا له :نعم ، فقال: من كنت شريكه فزيد شريكه كان كلاماً صحيحاً ، والعلة في ذلك أن الشركة هي عبارة عن معنى قول القائل هذا المتاع بيننا نقسم الربح والوضيعة .

ولذلك صح بعد قول النبي ﷺ ألست أولى بكم من أنفسكم فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، أن مولاه عبارة عن قوله ألست اولى بكم من انفسكم والا متى لم تكن اللفظة التي جائت مع الفاء الاول عبارة عن المعنى ، لم يكن الكلام منتظما أبداً ولامفهوماً ولاصوابا ، بل يكون داخلا في الهذيان ، ومن أضاف ذلك الى رسول الله ﷺ كفر بالله العظيم .

واذا كانت لفظة « فمن كنت مولاه » تدل على من كنت أولى به من نفسه على ما أريناه وقد جعلها لعلي عليه السلام فقد جعل أن يكون علي عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وذلك هو الطاعة لعلي عليه السلام ،كما بيناه بدءاً .

ومما يؤيد ذلك بياناً أن قوله عليه السلام « فمن كنت مولاه فعلي مولاه » لوكان لم يرد بهذا أنه أولى بكم من أنفسكم جاز أن يكون لم يرد بقوله « فمن كنت مولاه» أي من كنت أولى به من نفسه ، فان جاز ذلك لزم الكلام الذي من قبل هذا من أنه كلاماً مختلفاً فاسداً ، غير منتظم ولامفهم معنى ، ولامما يلفظ به حكيم ولاعاقل .

فقد لزم بمامر من كلامنا وبينا أن معنى قول النبي ﷺ « ألست أولى بكم من أنفسكم » أنه يملك طاعتهم ولزم أن قوله فمن كنت مولاه انما أراد به فمن كنت

أملك طاعته ، فعلي يملك طاعته بقوله « فعلي مولاه » وهذا واضح (١) .

أقول : ويكفي في هذا المقام فضلا عن ظهور المرام اذعان الخصوم بدلالة الخبر .

منهم : ابن الجوزي ، فانه قال بعد ذكر الخبر : ولابد من تفسير لفظة المولى وما المراد بها فنقول اختلف علماء العربية فيها على أقوال: أحدها ، أنها ترد بمعنى المالك ، قال الله تعالى «ضرب الله مثلا عبداً مملوكا لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه » أي مالك رقه .

والثاني : المولى المعتق بكسر التاء .

والثالث المولى : المعتق بفتح التاء .

والرابع : بمعنى الناصر ، ومنه قوله تعالى « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لامولى لهم »

والخامس: ابن العم ، ومنه قوله الشاعر :

مهلا بني عمنا مهلا مـوالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

والسادس : الحليف ، ومنه قول الذبياني « موالي حلف لامـوالي قرابة » يقول :هم حلفاء لاأبناءعم .

والسابع: المتولي لضمان الجريرة وحيازة التراث ، وكان ذلك في الجاهلية ثم نسخ بآية الميراث .

والثامن: الجار لما له من الحقوق بالمجاورة

والتاسع : السيد المطاع ، وهوالمولى المطلق .

والعاشر: بمعنى الاولى، ومنه قوله تعالى « فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولامن الذين كفروا مأواكم النار» أي أولى بكم .

---

(١) معاني الاخبار ص ٦٧-٧٤ .

واذا ثبت هذا لم يجز حمل لفظة «المولى» على مالك الرق، ولاعلى المعتق بفتح التاء ، لان أمير المؤمنين عليه السلام كان حراً ، ولاعلى الناصر لانه كان ينصره ، ولاعلى ابن العم ، لانه كان ابن عمه ، ولاعلى الحليف ، لان الحلف يكون بين الغرماء للتعاضد والتناصر وهـذا المعنى موجـود فيه ، ولاعلى المتولي لضمان الجريرة ، لان ذلك منسوخ، ولاعلى الجارلانه يكون لغواً ، فتعين السيد المطاع والاولى ، ومعناه من كنت أولى به فعلي أولى به .

وقد صرح بهذا ابن الفرج يحيى بـن سعيد الثقفي الاصفهاني في كتابـه المسمى بمرج البحرين ومقصوده هذا الحديث ، وقال: فأخذ رسـول الله صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام ، وقال : من كنت وليه فعلي وليـه ، وهذا نص صريح في اثبات امامته وقبول طاعته، وكذا قوله عليه السلام « وأدر الحق معه كيفما دار » نص صريح في ذلك، واجماع الامة منعقد على أنه ماجرى خلاف بينه وبين أحد من الصحابة الا وكان الحق مع أمير المؤمنين عليه السلام (١) .

وقال علي بن أحمد المالكي في كتاب فصول المهمة، بعد ذكر خبر الغدير تنبيه على معاني كلمات في هذا الفصل، منها: قوله صلى الله عليه وآله من كنت مولاه فعلي مولاه» قال العلماء : لفظة المولى مستعملة بازاء معان متعددة، وقد ورد القرآن العظيم بها، فتارة يكون بمعنى أولى، قال الله تعالى في حق المنافقين « مأواكم النار هي مولاكم» معناه أولى بكم.

وتارة بمعنى الناصر، قال الله تعالى « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم » معناه أن الله ناصر الذين آمنوا وان الكافرين لاناصر لهم وتارة بمعنى الوارث ، قال الله تعالى « ولكل جعلنـا موالي مما ترك الوالدان والاقربون » معناه وارثاً .

(١) تذكرة الخواص ص٣١-٣٣ .

وتارة بمعنى العصبة، قال الله تعالى « واني خفت الموالي من ورائي» معناه عصبتي ، وتـارة بمعنى الصديق ، قال الله تعالى « يوم لايغني مولى عن مولى شيئاً » معناه حميم عن حميم وصديق عن صديق، وتارة بمعنى السيد والمعتق ، وهو ظاهر .

واذا كانت واردة بهذه المعاني ، فيكون معنى الحديث: من كنت ناصره أو حميمه أوصديقه أومولاه ، فان علياً منه كذلك [1] .

والاولى ضبط مااشتمل عليه القرآن العظيم مـن لفظة المولى والموالـي مضافين أولا .

فمن الاول قوله تعالى في سورة محمد ﷺ «ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم*والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم*ذلك بأنهم كرهوا ماأنزل الله فأحبط أعمالهم*أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها*ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم» [2] .

التعس الانحطاط والعثار والوقوع على الارض أي أتعسهم الله فتعسوا تعساً وهو كناية عن الهلاك .

قال في الصحاح: التعس الهلاك، وأصله الكب [3] .

ولعل المراد أن المؤمنين ان نصروا الله ، فالله يثبت أقدامهـم في الدارين وينصرهم، والذين كفروا، فهم أقدامهم غير ثابتة فيتعسون، وذلك لكراهتهم ماأنزل من القرآن والاحكام، أوالنازلة فأعمالهم في دفع العدو غير مؤثرة، ولوساروا في

---

(١) الفصول المهمة ص٤٣ .

(٢) سورة محمد: ٧-١١ .

(٣) صحاح اللغة ٩٠٧/٢ .

الارض لرأوا ذلك بأعينهم في حق المشركين من هلاكهم وللكافرين بك بعد ذلك أمثال هذه العاقبة .

وأصل السبب في ذلك أن الله هو مولى المؤمنين وناصرهم وحافظهم ويدفع عنهم، وان الكافرين لامولى لهم ، فالمولى في هذا المقام بمعنى الناصر، كمافسروه به ، ويدل عليه ماتقدم وماتأخر من قوله تعالى متصلا بمامروا «كأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك اهلكناهم فلاناصر لهم » وهذا حاصل المعنى .

ومنه قوله تعالى في آخر سورة الحج « واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير»[1] قال الرازي: «هو مولاكم» وسيدكم والمتصرف فيكم فنعم المولى فنعم السيد «ونعم النصير»[2] .

قال في مجمع البيان: هومولاكم أي وليكم وناصركم والمتولي لاموركم ومالككم، فنعم المولى هو لمن تولاه، ونعم النصير هو لمن انتصره [3] .

وقال البيضاوي: «هومولاكم» هو ناصركم ومتولي أموركم «فنعم المولى ونعم النصير » هو اذ لامثل له في الولاية والنصرة، بل ولامولى ولانصير سواه في الحقيقة [4] .

أقول : قدتقدم بآيات عديدة « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءاً فتصبح الارض مخضرة» الاية ثم قال «ألم تر أن الله سخر لكم مافي الارض والفلك تجري

---

(١) سورة الحج: ٧٨ .

(٢) التفسير الكبير ٢٣/ ٧٤ .

(٣) مجمع البيان ٤/ ٩٧ .

(٤) أنوار التنزيل ٢/ ١١٤ .

بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم»[١] وفي هذه الايات دلالة على كمال قدرته ورحمته ورأفته على العباد .

ثم قال «ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب لايستنقذوه منه ضعف » الاية وفيه دلالة على ضعف آلهتهم، ثم قال بفاصلة قليلة « فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير»[٢] .

ونظير هذه الاية قوله تعالى في سورة الانفال « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بمايعملون بصير * وان تولوا فاعلموا أن الله موليكم نعم المولى ونعم النصير » [٣] أي قاتلوا الكافرين حتى لاتكون فتنة مشرك أو كافر بلاعهد ، فان الكافر بدون عهد الاسلام وذمته فتنة أولايكون مؤمن من يفتتن عن دينه « ويكون الدين كله لله فان انتهوا » أي عن الكفر والانتهاء ورجعوا عنه « فان الله بماتعملون بصير» ويغفر لهم ماقدسلف .

كماتقدم في الاية المتصلة « قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف وان تولوا » والتولي عن الدين الذهاب عنه الى خلافه ، والتولي في الدين هو الذهاب اليه ومتابعته، فان الله مولاكم .

قال في مجمع البيان: أي ناصركم وسيدكم وحافظكم « نعم المولى » أي نعم السيد والحافظ [٤].

ومنه قوله تعالى في أوائل السورة « ومن الناس من يعبد الله على حرف »

---

(١) سورة الحج: ٦٣-٦٥ .

(٢) سورة الحج: ٧٣-٧٨ .

(٣) سورة الانفال: ٣٩-٤٠ .

(٤) مجمع البيان ٢/٥٤٣ .

الاية «يدعو من دون الله مالايضره ومالاينفعه ذلك هو الضلال البعيد* يدعو لمن أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير»[١].

ومنه قوله تعالى في آخر سورة البقرة «ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أوأخطأنا ربنا ولاتحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين»[٢].

قال في مجمع البيان: أنت مولانا أي ولينا وأولى بالتصرف فينا وناصرنا[٣].

ومنه قوله تعالى في سورة آل عمران «ياأيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين * بل الله مولاكم وهو خير الناصرين»[٤].

ومنه قوله تعالى في سورة التحريم «ان تتوبا الى الله فقدصغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير»[٥].

الخطاب الى عائشة وحفصة، وصغت قلوبكما، أي مالت وأتت بمايوجب التوبة «وان تظاهرا عليه» أي على النبي ﷺ وتعاضدتم على خلافه وأذيته «فان الله هو مولاه» الايـة فان المولى في هذه الايـات بمعنى الناصر لقرائن فيها.

ومنه قوله تعالى في سورة الدخان «يوم لايغني مولى عن مولى شيئاً ولاهم

---

(١) سورة الحج: ١١-١٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٣) مجمع البيان ٤٠٤/١.

(٤) سورة آل عمران: ١٤٩-١٥٠.

(٥) سورة التحريم: ٤.

ينصرون» (١) .

قال في مجمع البيان : المولى الصاحب الذي من شأنه أن يتولى معونة صاحبه على أموره، فيدخل في ذلك ابن العم والناصر والحليف، وغيرهم ممن هذه صفته، والمعنى: ان ذلك اليوم يوم لايغني فيه ولي عن ولي شيئاً، ولايدفع عنهم عذاب الله ولاهم ينصرون (٢) .

ومن الثاني قوله تعالى في أوائل سورة مريم «كهيعص* ذكر رحمة ربك عبده زكريا * اذ نادى ربه نداءاً خفياً * قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا»(٣) .

الشقي المخيب المحروم يقال شقي فلان في حاجته اذا تعب بسببها ولم يحصل مطلوبه ، أي: لم أكن دعائي الا مستجاباً، وتوسل بماسلف وتنبه على أن المدعو له وان لم يكن معتاداً ، لكن الاجابة معتادة منه .

في البيضاوي: اختلف في سنه حينئذ، فقيل: ستون ، وقيل: سبعون، وقيل : خمس وسبعون، وقيل: خمس وثمانون ، وقيل: تسع وتسعون (٤) .

«واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا» في البيضاوي : يعني بني عمه لانهم كانوا أشرار بني اسرائيل، فخاف أن لايحسنوا خلافته على أمته (٥) وقال في مجمع البيان: نقلا عن ابن عباس وهم الكلالة، وقيل: العصبة عن مجاهد، وقيل:

---

(١) سورة الدخان: ٤١ .
(٢) مجمع البيان ٥/٦٧ .
(٣) سورة مريم: ١-٤ .
(٤) أنوار التنزيل ٢/٣١ .
(٥) أنوار التنزيل ٢/٣١ .

هم العمومة وبنوا العم عن الجبائي، وقيل: هم الورثة عن الكلبي [١] .

كما عن القمي حيث قال: يقول خفت الورثة من بعدي [٢] .

أقول: ويمكن أن يكون المراد الذين يلونه، كما يرشد اليه قوله « فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب» .

ثم ان يعقوب في الاية قد اختلفوا فيه ، فقيل : يعقوب بن اسحاق ، وقيل : يعقوب بن ماثان ، وهو أخو عمران بن ماثان أبو مريم .

وكذا في الميراث هنا انه ميراث المال مطلقا، أو ميراث العلم، أو فيه ميراث المال، وفي آل يعقوب ميراث العلم والملك، فان امرأة زكريا أخت مريم بنت عمران بن ماثان وبنو ماثان اذ ذاك رؤساء بني اسرائيل .

ومنه قوله تعالى في سورة النساء « ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا» [٣] قد فسروا الموالي هنا بالوارث .

وقوله « مما ترك » ففي مجمع البيان : الجار والمجرور وقع موقع الصفة لقوله «موالي» أي موالي كائنين مما ترك، أي: خلف الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم معطوف على قوله الوالدان والاقربون ويكون مرفوع الموضع ويحتمل أن يكون مما ترك الوالدان والاقربون متعلقاً بفعل محذوف ، وتقديره موالي يعطون مما ترك الوالدان والاقربون، ويكون «الذين عقدت أيمانكم» مبتدء وقوله «فآتوهم نصيبهم» خبره [٤] .

---

(١) مجمع البيان ٥٠٢/٣ .

(٢) تفسير القمي ٤٨/٢ .

(٣) سورة النساء: ٣٣ .

(٤) مجمع البيان ٤١/٢ .

وقال في مجمع البحرين: الموالي هم الوارث، ومن للتعدية، والضمير في ترك للانسان الميت، أي يرثونه مماترك، والوالدان خبر مبتدء محذوف، أي: هم الوالدان [١] .

أقول: وماذكراه بعيد ، لحاجة الجميع الى التقدير ، بل الاولى أن يكون «مماترك»متعلقا بموالي، أي الاولى بالمال مماترك الوالدان ومن للتعدية، والمعنى: ان لكل جعلنا هذا الحكم ، وهو انهم يرثون المال مماترك الوالدان والاقربون « والذين عقدت ايمانكم» عطف على الوالدين والاقربين .

واختلفوا في المراد منهم على أقوال، وعلى كل حال فالحكم منسوخ بآيات الفرائض .

ثم ان في مجمع البيان قال في هذا المقام: أصل المولى من ولي الشيء يليه ولاءاً، وهو اتصال الشيء بالشيء من غير فاصل، والمولى يقع على وجوه: المعتق والمعتق، وابن العم، والورثة ، والحليف، والولي، والسيد المطاع ، والاولى بالشيء ، والاحق ، وهو الاصل في الجميع ، فسمي المعتق مولى لانه أولى بميراث المعتق، والمعتق أولى بنصرة المعتق من غيره، وابن العم أولى بنصرة ابن عمه لقرابته .

والورثة أولى بميراث الميت من غيرهم ، والحليف أولى بأمر محالفه للمحالفة التي جرت بينهما، والولي أولى بنصرة من يواليه، والسيد أولى بتدبير من يسوده من غيره، ومنه الخبر أيماامرأة نكحت بغير اذن مولاها أي من هو أولى بالعقد عليها، وقال أبوعبيدة في قوله تعالى « النار مولاكم » معناه أولى بكم ، وأنشد بيت لبيد[٢] .

---

(١) مجمع البحرين ١/٤٦١ .

(٢) مجمع البيان ٢/٤١ .

ومنه قوله تعالى في سورة الاحزاب « وماجعل أدعيائكم أبنائكم ذاكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل* دعوهم لابائهم هو أقسط عندالله فان لم‌تعلموا آبائهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيماأخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيما» (١) الاية .

كمافي المجمع: نزلت في‌زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي من‌بني عبد ود، تبناه رسول‌الله ﷺ قبل الوحي، وكان قدوقع عليه السبي فاشتراه رسول‌الله صلى الله عليه وآله بسوق عكاظ ، الادعياء جمع الدعي ، وهو الذي يتبناه الانسان .

ومواليكم في المجمع اي بني‌أعمامكم ، قال الزجاج : ويجوز أن يكون المراد أوليائكم في وجوب النصرة ، قيل : معناه ومعتقوكم ومحرروكم اذا أعتقتموهم من رق، فلكم ولاؤهم (٢) .

وفسره في البيضاوي: مواليكم بأوليائكم في الدين (٣) . أي : فان تعلموا آبائهم فتبنونهم اليهم ، فهم اخوانكم في الدين ومواليكم ، فقولوا هذا أخي ومولاي بهذا التأويل .

ومنه قوله تعالى في‌سورة يونس«هنالك تبلوا كل‌نفس ماأسلفت وردوا الى الله موليهم الحق وضل عنهم ماكانوا يفترون » المشار اليه بهنالك ماتقدم على الاية من قوله تعالى «ويوم نحشرهم جميعا» (٤) الاية، والمراد عرصة القيامة .

قوله « تبلوا » بالباء هو قراءة الاكثر قال في المجمع: معناه تختبرون من

---

(١) سورة الاحزاب: ٤-٥ .

(٢) مجمع البيان ٣٣٧/٤ .

(٣) أنوار التنزيل ٢٦٥/٢ .

(٤) سورة يونس: ٢٨-٣٠ .

قولهم البلاء ثم الثناء أي الاختبار للمثنى عليه ينبغي أن يكون قبل الثناء عن علم بقدر مايوجبه ، ومعنى اختبارها ماأسلفت أنـه ان قدم خيراً أوشراً جوزي عليه كماقال « فمن يعمل مثقال ذرة » الى آخره « ومن عمل صالحاً فلنفسه » وغيرذاك من الاي[١] انتهى .

وقرأ تتلوا بالتاء أهل الكوفة غير عاصم وروح وزيد بن يعقوب ، وهو من التلاوة التي هي القرابة ، دليله قوله تعالى « فاولئك يقرؤن كتابهـم »[٢] وقوله « اقرء كتابك »[٣] .

ويحتمل أن يكون تتلوا بمعنى تتبع من قولهم تلى الفريضة النفل اذا تبعها النفل ، فيكون المعنى تتبع كل نفس ما اسلفت : من حسنة أو سيئة فعلى القرائة الاولى يكون معناه كما في المجمع تجرب وتعلم كل نفس ماأسلفت وقدمت من خير أوشر به وترى جزاء .

وعلى القرائة الثانية فعلى الوجه الاول معناه تقرء كل نفس كتاب عملها ،وعلى الوجه الثاني تتبع كل نفس جزاء عملها وجزآء ماقدمته وقوله «وردوا الى الله» نفي الجمع أي ردوا الى جزآء الله ، والى الموضع الذي لايملك أحد الحكم فيه الا الله، الذي هومالكهم وسيدهم وخالقهم والحق صفة الله، فهوالقديم الدائم الذي لايفني وماسواه يبطل .

ومنه قوله تعالى في سورة الانعام « وهوالقاهرفوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت تـوفته رسلنا وهم لايفرطـون * ثم ردوا الى الله

---

(١) مجمع البيان ١٠٥/٣ .
(٢) سورة الاسراء : ٧١ .
(٣) سورة الاسراء : ١٤ .

موليهم الحق ألاله الحكم وهو أسرع الحاسبين [١] »

اذا علمت ذلك ، فنقول : قد أشرنا سابقاً الى بيان معنى المولى ومايظهر من اختلاف معانيه ، ونزيد هنا بأن معنى المولى المطلق المستعمل في الباري جل اسمه في جملة من الايات بصيغة الافراد من دون ذكر المتعلق هو الاولوية المطلقة الثابتة في ذات الخالق القادر الذي له الخيرة كلها .

وقد يثبتها في الرسول بقوله تعالى « النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم » وقد يثبت الرسول ﷺ في علي عليه السلام في يوم الغدير بقوله بعد اخذ القرار من قومه بأنه اولى بهم من أنفسهم ، فمن كنت مولاه فعلي مولاه .

وأما معنى المولى المقيد بالجمعة أو بالميراث خاصة ، أو نحوه خاصة ، فهو الشائع السائر في المخلوقين ، وهو المراد في آيات الموالي من قوله تعالى « ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون » ونحوه .

قال في النهاية : في الحديث « من أسلم على يده رجل فهو مولاه » أي يرثه كما يرث من أعتقه ، ومنه الحديث « أنه سئل عن رجل مشرك يسلم على يد رجل من المسلمين ، فقال : هو أولى الناس بحياته ومماته » أي : أحق به من غيره [٢].

وبوجه آخر هو أوفق باللغة أن المولى اسم مكان ، اما من الاولى به ، أو من الولي الذي هو المتولي للامر كلية أو جزئية ، الذي منه الناصر المتولي لامر النصرة ، أو من الولي الذي هو بمعنى القرب .

فمن الاول قوله تعالى « هي مولاكم » كما فسروه به أهل التفسير واللغة ، وقد تقدم كلام المفسرين وغيرهم مستشهدين ببيت اللبيد وغيره ، وكذا أهل اللغة قال في الغريبين قوله تعالى « هي مولاكم » أي هي أولى بكم .

---

(١) سورة الانعام : ٦١-٦٢ .

(٢) نهاية ابن الاثير ٥/٢٢٩ .

ومن الثاني قوله تعالى « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا » قال في الغريبين أي وليهم والقائم بأمورهم وقوله تعالى « وان الكافرين لامولى لهم » أي لاولي لهم وهو قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام وفي الحديث : أيما امـرأة نكحت بغير اذن مولاها ، وروي بغير اذن وليها ثم قال : وكل من ولي عليك أمرك فهو مولاك .

وقال أيضاً وقال الفراء : المولى والولي واحد ، بل في الشافي عن الفراء في كتاب بيان القران الولي والمولى في لغة العرب واحد، وفي قراءة عبدالله بن مسعود مكان « انما وليكم الله ورسوله » انما مولاكم الله ورسولـه ، وحكى فيه والعمدة عن الانباري أن المولى الولي .

ومن الثالث قـوله « واني خفت الموالي من ورآئي » قال فـي الغريبين : يعني بني الاعمام والعصبة ، ومعناه الذين يلونه في النسب ، ولعل من هذا جملة من موارد استعمال المولى من الجار والصهر .

فصار الحاصل أن المولى بمعنى الاولى وبمعنى الولـي ، ممالايمكن انكاره أصلا بل يمكن ارجاع الثاني الى الاول ، فقد تقدم من الشافي عن أبـي العباس المبرد أن أصل تأويل الولي الذي هو أولى أي أحق ومثله المولى انتهى .

بل نقول : هذا هو الاصل في المولى وغير ذلك من المعاني محتاج الـى القرينة ، والافالمتبادر من لفظ المولى الاولى أو الولي والتفاوت بينهما يسير كما لايخفى على من لاحظ مـوارد استعماله ، وان كان يمكن ارجاع المعانـي الاخر بكونها من جزئيات المعنيين الاوليين ، فان الاول على وجه مطلق، والولى كذلك هو المولى المطلق، واما الاولى بشيء مخصوص أو على وجه مخصوص والولي كذلك فيحتاج الى قرينة مفيدة للتخصيص ، كما هو المستفاد من العمدة .

تنبيهات :

اولها : قال في النهاية : قدتكرر ذكر المولى في الحديث، وهو اسم يقع على جماعة كثيرة ، وهم الرب ،و المالك ، والسيد ، والمنعم ، والمعتق ، والناصر والمحب، والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر، والعبد، والمعتق والمنعم عليه ، وأكثرها قد جاءت في الحديث يضاف كل واحد الى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه وكل من ولي أمراً أوقام به فهو مولاه ووليه [١] ، وقد زاد صاحب القاموس [٢] على هذه المعنى ، وقد نقص بعضهم منه .

قال في الغريبين : المولى ابن العم ، والمولى الحليف ، وهو العقيد ، والمولى المنعم على المعتق ، والمولى المنعم عليه ، والمولى الولي وقريب منه الصحاح [٣] ، والكل على ما أشرنا اليه يرجع الى معان ثلاث :

الاول : الاولي والاحق من كل جهة ، ويندرج فيه معنى الرب والمالك والسيد ونحو ذلك ، أومن جهة مخصوصة كالارث والنصرة ، ويندرج فيه جملة من المعاني ، كالمعتق و ابن العم والناصر ونحوهما .

الثاني : الولي بمعنى المتولي للامر من كل جهة ويندرج فيه المعاني السابقة أيضاً ، أو من جهة مخصوصة .

الثالث : الولي المصدري بمعنى القرب ويندرج فيه جملة من المعانى كالجار ، وجملة أخر ، ويمكن ارجاع الجميع الى معنى واحد وهذه المعاني كلها مأخوذة من الاستعمال في الايات والاحاديث والاشعار وغيرها ، كما يظهر لك من النهاية وكذا من الشافي والعمدة ومعاني الاخبار وغيرها .

(١) نهاية ابن الاثير ٢٢٨/٥ .

(٢) القاموس ٤٠١/٤ .

(٣) صحاح اللغة ٢٥٢٩/٦ .

وعلى كل حال فالظاهر أنه ليس مشتركا لفظياً في هذه المعاني ، بل هو من قبيل استعمال اللفظ في موارد المعنى الواحد ومصاديقه أو في موارد المعنيين أو المعاني المتعددة باعتبار ، فالسيد مثلا الاولى باعتبار ، والولي باعتبار ، وقريب باعتبار وهكذا .

وثانيها : أنه قد صرح بعض أهل اللغة الفرق بين مصادر بعض اشتقاق هذه المادة .

قال في النهاية في أسماء الله تعالى الولي هو الناصر وقيل: المتولي لامور العالم والخلائق القائم بها ، ومن أسمائه عزوجل الوالي ، هو مالك الاشيآء جميعها المتصرف فيها، وكان الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، ومالم يجتمع ذالك فيها لم ينطلق عليه اسم الوالي .

وفيه « أنه نهى عن بيع الولاء » يعني ولاء المعتق، وهو ما اذا مات المعتق ورثه معتقه ، أوورثه معتقه ،كانت العرب يبيعه ويهبه فنهي عن ذالك ، لان الولاء كالنسب فلا تزول بالازالة .

ومنه الحديث «الولاء للكبر» أي الاعلى فالاعلى من ورثة المعتق ، الى أن قال: وكل من ولي أمراً أوقام به فهو مولاه ووليه، وقد يختلف مصادر هذه الاسمآء ، فالولاية بالفتح في النسب والنصرة والمعتق والولاية بالكسر في الامارة ، والولاء في المعتق والموالاة من والي القوم (١) .

وقال في الغريبين: نقلا عن الازهري الولاية بالفتح في النسب والنصرة يقال: ولي بين الولاية وأما الولاية بالكسر فهو كالامارة يقال : والي بين الولاية يشبه بالصناعة .

وثالثها : أن بعض أهل اللغة قد ذكروا تفسير هذا الحديث ، قال في الغريبين

(١) نهاية ابن الاثير ٥/٢٢٧- ٢٢٨ .

في الحديث من كنت مولاه فعلي مولاه ، قال أبو العباس : أي من أحبني وتولاني فليتوله .

وقال في النهاية بعد قوله: والموالاة من والى القوم، ومنه الحديث «من كنت مـولاه فعلي مولاه » يحتمل على أكثر الاسمآء المذكورة ، وقـال الشافعي يعني بذلك ولاء الاسلام كقوله تعالى « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم » وقول عمر لعلي عليه السلام : أصبحت مولى كل مومن [١] .

ورابعها: في ضبط كلام جملة من أهل اللغة في هذه المادة، قال في المصباح المنير: الولي مثل فلس القرب ، وفي الفعل لغتان أكثرهما وليه يليه بكسرتين ، والثانية من باب وعد ، وهي قليلة الاستعمال، وجاست مما يليه أي يقاربه، وقيل: الولي حصول الثاني بعد الاول من غير فصل، ووليت الامر اليه ولايـة بكسرتين توليت ووليت البلد وعليه، ووليت على الصبي والمرئة، والفاعل وال والجمع ولاة والصبي والمرئة مولى عليه ، والاصل على مفعول .

والولاية بالفتح والكسر النصرة، واستولى عليه غلب عليه وتمكن منه والمولى ابن العم، والمولى العصبة، والمولى الناصر، والمولى الحليف، وهو الذي يقال له: مولى الموالاة، والمولى المعتق، وهو مولى النعمة، والمولى العتيق، وهم موالي بني هاشم أي عتقاؤهم .

والولاء النصرة، لكن خص بالشرع بولاء العتق، ووليه توليته جعلته والياً ومنه بيع التولية ، ووالاه موالاة وولاءاً مـن باب قاتل تابعه ، وتوالت الاخبار تتابعت، والولي فعيل بمعنى فاعل من وليه اذا قام به، ومنه «الله ولي الذين آمنوا» والجمع أولياء .

قال ابـن فارس: وكل من ولي أمر أحد فهو وليه، وقد يطلق الولي أيضاً

---

(١) نهاية ابن الاثير ٥/٢٢٨ .

على المعتق، والعتيق، وابن العم، والناصر، وحافظ النسب، والصديق، ذكراً كان أوأنثى، وقديؤنث بالهاء ، فيقال هي ولية .

قال أبوزيد : سمعت بعض بني عقيل يقول : هن وليات الله وعدوات الله ، وأولياؤه وأعداؤه، ويكون الولي بمعنى مفعول في حق المطيع، فيقال: المؤمن ولي الله، وفلان أولى بكذا، أي أحق به، وهم الاولون بفتح اللام، والاوالي مثل الاعلون والاعالي، وفلانة هي الوليا، وهن الولاء، مثل الفضلى والفضل، والكبرى والكبر، وربماجمعت بألف والتاء، فقيل الوليات، ووليت عنه أعرضت وتركته وتولى أعرض (١) .

وقال في معرب اللغة : المولى على وجوه: ابن العم والعصبة كلها ، ومنه «واني خفت الموالي منورائي» والرب والمالك في قوله تعالى « ثم ردوا الى الله موليهم الحق» وفي معناه الولي، ومنه أيماامرأة نكحت بغير اذنوليها، ويروى موليها .

والناصر في قولـه تعالى « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لامولى لهم» والحليف، وهوالذي يقال له مولى الموالاة، قال: موالي حلف لا موالي قرابة، والمعتق هو مولى النعمة، والمعتق في قوله ﷺ «مولى القوم من أنفسهم» يعني موالي بني هاشم في حرمة الصدقة عليهم، وهو مفعول من الولي .

وعن علي بن عيسى الولي حصول الثاني بعد الاول من غير فصل، فالاول يليه الثاني، والثاني يليه الثالث، يقال ولي الشيء والشيء يليه ولياً، ومنه ليلني أولوا الاحلام والنهى ، ويقال : ولي الامر وتولاه اذا فعله بنفسه ، ومنه قوله في باب الشهيد لوافاكم أي تولوا أمره .

وولي اليتيم والقتيل ، ووالي البلد الذي يمالك أمرها، ومصدرها الولايـة

(١) المصباح المنير ص٦٧٢-٦٧٣ .

بالكسر والولاية بالفتح النصرة والمحبة ، وكذا الولاء الأنه اختص في الشرع بولاء العتق، وولاء العتق الموالاة .

وأماقولهم هم ولاء أي موالون، أي: على حذف المضاف، أي ذو ولاء، أو وصف بالمصدر، والتولية أن يجعله والياً، ومنها بيع التولية والموالاة والمحاباة والمحابة والمتابعة أيضاً والولاء بالكسر، في معناها يقال: والي الكتب فتوالت أي تتابعت .

وتمام تقرير الكلام اشتقاقاً وتصريفاً في كتابنا الموسوم برسالة المولى الذي هو الاهم فيمانحن فيه أن الموالي بمعنى العتقاء ، ولماكانت غيرعرب في الاكثر غلبت على العجم، حتى قالوا الموالي اكفاء بعضهابعضا، والعرب اكفاء بعضهم لبعض، وقال عبدالملك في الحسن : أمولي هو أم عربي، فاستعملوها استعمال الاسمين المتقابلين، ورباط وليان في ظاهر بخارى، وأصل الياء فيها مشددة .

وحيث وفينا الكلام في المقدمة، شرعنا في بيان الاستدلال بهذا الخبر، فنقول: فيه وجوه من الدلالة .

الاول : ان المعنى المتبادر الى الذهن مـن لفظ المولى ، ويقتضيـه مواد اشتقاقاته، ومصادره المتشعبة من الاصل، وهو الولي من الولي والوالي والاولى والتولية والولاء والولاية ، هو المالك للامر فضلا عماتقدم .

وظهر لك ممامر من كلمات أهل اللغة وغيرهم من أن أصل المعنى هو ذاك والباقي يرجع اليه، ومالايرجع الا بتأويل ليس من معانيه الظاهرة المتبادرة منه بل انماينصرف اليه بقرينة .

الثاني: أنه اذا كان للفظ معان عديدة، ولم نعلم الوضع في جميعها ، ولكن علمنا الوضع في بعضها، نأخذ المعلوم ، وندفع المشكوك، تقديماً للمجاز على الاشتراك ، والامر في لفظ المولى كذلك، والمعنى المعلوم كون اللفظ حقيقة فيه

مايستفاد منه معنى الاول والولي كمالايخفى .

الثالث : أن المعانـي للمولى ماعدا الاولى مما لايصح في المقام ، فتعين الاولى .

بيان ذلك: ماذكره السيد في الشافي: من أنا قد علمنا أنالنبي ﷺ أوجب لاميرالمؤمنيـن عليه السلام أمراً كان واجباً لـه لامحالة ، فيجب أن يعتبر مايحتمله لفظة «مولى» من الاقسام، ومايصح منها كونالنبي ﷺ مختصاً به، ومالايصح ومايصح أن يوجبه لغيره في تلك الحال ، ومالايجوز ومايحتماه لفظة «مولى» ينقسم الى أقسام، منها: مالم يكن ﷺ عليه، ومنها ماكان عليه ، ومعلوم لكل أحد أنه ﷺ لم يرده ، ومنها ماكان عليه ومعلوم بالدليل أنه لم يرده ، ومنها ماكان حاصلا لـه ويجب أن يريده لبطلان سائر الاقسام واستحالة خلو كلامه من معنى وفائدة .

فالقسم الاول هوالمعتق والحليف ، لان الحليف هوالذي ينضم الى قبيلة أو عشيـرة فيحالفها على نصرته والدفاع عنه فيكون منتسباً اليها متعززاً بها ، ولـم يكن النبي ﷺ حليفاً لاحد على هذا الوجه .

أقول : ويمكن اندراجه تحت القسم الثالث أيضاً ، اذليس الحليف الا من حولف له ، فكيف يمكن أن يجعل غيره مكانه .

ثم قال والقسم الثاني ينقسم الى قسمين : أحدهما أنه معلوم أنه عليه السلام لم يرده لبطلانه في نفسه ، كالمعتق والمالك والجار والصهر والحليف والامام، اذا عد من أقسام مولى ، والاخر معلوم أنه عليه السلام لم يرده من حيث لم يكن فيه فائدة ، وكان ظاهراً شائعاً ، وهو ابن العم .

والقسم الثالث الذي يعلم بالدليل أنه لم يرده ، وهو ولاية الدين والنصرة فيه والمحبة أو ولاء المعتق ، والدليل على انه عليه السلام لم يرد ذلك أن كل أحديعلم من دينه ﷺ وجوب تولي المؤمنين ونصرتهم ، وقد نطق الكتاب به .

وليس يحسن أن يجمعهم على الصورة التي حكيت في تلك الحال ويعلمهم ماهم [١] ، مضطرون اليه من دينه ، وكذلك هم يعلمون أن ولاء العتق لبني العم قبل الشريعة وما بعدها ، وقول ابن الخطاب في الحال على ماتظافرت به الرواية لامير المؤمنين عليه السلام أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن يبطل أن يكون المراد بالخبر ولاء العتق .

وبمثل ماذكرناه في ابطال أن يكون المراد بالخبر ولاء العتق ، أو ايجاب النصرة في الدين ، استبعد أن يكون المراد به قسم ابن العم لان خلو الكلام من فائدة متى حمل على أحد الامرين كخلوه منها اذا حمل على الاخر .

فلم يبق الا القسم الرابع الذي كان حاصلا له عليه السلام ، ويجب أن يريده ، وهو الاولى بتدبير الامة وأمرهم ونهيهم ، وقد دللنا على أن من كان بهذه الصفة فهو الامام المفترض الطاعة ودللنا أيضاً فيما تقدم على أن من جملة أقسام مولى الاولى .

فليس لاحد أن يعترض بذلك ، وليس له أن يقول أيضاً : قد ادعيتم في صدر الاستدلال أن النبي صلى الله عليه وآله أوجب أمراً كان له ، وليس يجب ما ادعيتموه ، بل لا يمتنع أن يريد بقوله عليه السلام « فمن كنت مولاه » مايرجع الى وجوب الطاعة ويريد بقوله « فعلي مولاه » أمراً آخر لم يكن عليه ولا يتعلق بما تقدم ، لانا نفتقر في هذه الطريقة الى ان نثبت أن النبي صلى الله عليه وآله أوجب ماكان حاصلا له ، لانه عليه السلام لا بد أن يوجب بلفظة « مولى » على كل حال أحد ما يحتمله اللغة من الاقسام .

وقد علمنا بطلان ايجابه لما عدا الامامة من سائر الاقسام ، لما تقدم ذكره ، فوجب أن يكون المراد هو الامامة ، والا فلا فائدة في الكلام ، وليس له أن يقول ان المراد هو اثبات الموالاة ظاهراً وباطناً ، لان ابطال هذا الوجه يأتي عند الكلام

---

(١) أي: ماهم يعلمون ذلك من دينه «منه» .

على صاحب الكتاب مستقصى انشاءالله تعالى[1]. انتهى ، وقد تقدم من الصدوق هذا الوجه بما يقرب من هذاالبيان في معاني الاخبار .

الرابع : أن سائرالمعاني مما لم يحتمله أحد ممن يعتد به سوى معنى الناصر وفائدة تبليغة الى الناس بهذا النوع من الكلام من أن من كنت ناصره ، فعلي ناصره اما ان يكون ارشاداً لعلي عليه السلام في أن ينصر من نصره ويخذل من خذله فينبغي ان يأمرعليا بذلك .

واما أن يكون ارشاداً للناس في معرفتهم ناصرهم من خاذلهم ، فلابد من أن يكون علياً قادراً على نصرتهم ، كما أن النبي صلى الله عليه وآله قادرعلى ذلك ، حتى يتساوى القدرتان المفهومان من الشرط والجزآء ، والقدرة على النصرة لايتحقق الا في الرئيس ولاسيما النصرة العامة التامة الشاملة لكل أحد من آحاد المسلمين .

واماأن يكون ارشاداً للناس اليه واستجلابهم به، وهذا معنى الرئاسة المطلوبة من هذا الكلام على هذا التقدير .

وقد أشار الى هذا الوجه في البحار حيث قال : أكثرالمخالفين لجاؤا في دفع الاستدلال به الى تجويز كون المراد الناصروالمحب ، ولايخفى على عاقل أنه ماكان يتوقف بيان ذلك على اجتماع الناس لذلك في شدة الحر ،بل كان هذا أمراً يجب أن يوصي به علياً بأن ينصر من كان الرسول ينصره ويحب من كان يحبه ولايتصور في اخبارالناس بذلك فامره يعتد بها الااذا أريد بذلك نوع من النصرة والمحبة يكون للامراء بالنسبة الى رعاياهم ، أواريد به جلب محبتهم بالنسبة اليه ووجوب متابعتهم له حيث ينصرهم في جميع المواطن، ويحبهم على الدين وبهذا أيضاًيتم المدعى .

ثم قال : وبوجه آخر نقول : ظاهر قوله من كنت ناصره فعلي ناصره ، هو

(١) الشافي ٢/٢٧٩-٢٨١ .

أنه يتمشى منه النصرة لكل احد ، كما كان يتأتى من النبي ﷺ ولايكون ذلك الابالرئاسة العامة ، اذلا يخفى على منصف أنه لايحسن من أمير قوي الاركان كثير الاعوان أن يقول في شأن بعض آحاد الرعايا : من كنت ناصره فهذا ناصره ، فأما اذا استخلفه وأمره على الناس فهذا في غاية الحسن لانه جعله بحيث يمكن أن يكون ناصر من نصره [1] انتهى .

الخامس ما ذكره في البحار أيضاً : من أنه على تقدير أن يراد بـه المحب والناصر أيضاً يدل على امامته عند ذوي العقول السليمة ، والفطرة القديمة لقرائن الاحوال ، فانا لوفرضنا أن أحداً من الملوك جمع عند قرب وفاته جميع عسكره وأخذ بيد رجل هو أقرب أقاربه وأخص الخلق به وقال : من كنت محبه ونـاصره فهذا محبه وناصره ، ثم دعا لمن نصره ووالاه ولعن من خذله ولم يوالِه ثم لم يقل هذا لاحد غيره ولم يعين لخلافته رجلا سواه ، فهل يفهم أحد من رعيته ومن حضر ذلك المجلس الا أنه يريد بذلك استخلافه وتطميع الناس في نصره ومحبته وحث الناس على اطاعته وقبول أمره ، ونصرته على عدوه [2] .

السادس : ما ذكره الصدوق والسيد ره في معاني الاخبار والشافي أن في الكلام قرينة على أن المراد من المولى الاولى ، وهو قوله عليه السلام مقدماً على قوله « فمن كنت مولاه فعلي مولاه » ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وقد تقدم عبارة معاني الاخبار .

وقال في الشافي : أما الدلالة على أن المراد بلفظة « مولى » في خبر الغدير الاولى ، فهو أن من عادة أهل اللسان في خطابهم اذا أوردوا جملة مصرحة وعطفوا عليها بكلام محتمل لما تقدم التصريح به ولغيره ، لم يجز أن يريدوا بالمحتمل الا

---

(١) بحار الانوار ٣٧/٢٤١-٢٤٢ .

(٢) البحار ٣٧/٢٤٢ .

المعنى الاول .

يبين صحة ماذكرناه أن أحدهم اذا قال مقبلا على جماعة مفهماً لهم وله عدة عبيد : ألستم عارفين بعبدى فلان ، ثم قال عاطفاً على كلامه : فاشهدوا أن عبدي حر لوجه الله ، لم يجز أن يريد بقوله عبدى ، بعد أن قدم ماقدمه ، الا العبد الذي سماه في أول كلامه دون غيره من سائر عبيده .

ومتى أراد سواه كانت عندهم ملغزاً خارجاً عن طريق البيان ، ويجري قوله «فاشهدوا أن عبدى حر» اذا كرو مجرى تسميته وتعيينه ، وهذه حالة كل لفظ عطف على لفظ مفسر على الوجه الذى صورناه ، فلا حاجة بنا الى تكرير الامثلة فيه .

ثم قال فان قال : فكيف يشبه المثال الذى ذكرتموه خبر الغدير ، وانما تكررت فيه لفظة عبدي غير موصوفة على سبيل الاختصار ، بعد أن تقدمت موصوفة وخبر الغدير لم يتكرر فيه لفظة واحدة ، وانما وردت لفظة مولى ، فادعيتم أنها تقوم مقام لفظ أولى المتقدم .

قيل له : انك لم تفهم بموضع التشبيه من المثال وخبر الغدير وكيفية الاستشهاد به لان لفظة عبدى وان كانت متكررة فيه ، فانها لما وردت أولا موصولة بفلان جرى مجرى المفسر المصرح الذي هو ماتضمنته المقدمة في خبر الغدير من لفظة اولى ، ثم لما وردت من بعد غير موصولة ، حصل فيها احتمال واشتباه لم يكن في الاولى فصارت كانها لفظة أخرى تحتمل ماتقدم وتحتمل غيره وجرى مجرى لفظة مولى من خبر الغدير في احتمالها لما تقدم ولغيره .

على أنا لو جعلنا مكان قوله « فاشهدوا أن عبدى حر » اشهدوا أن غلامي أو مملوكي حر لزالت الشبهة في مطابقة المثال للخبر ، وان كان لافرق في الحقيقة ما بين لفظة عبدى اذا تكررت ، وبين مايقوم مقامها من الالفاظ في المعنى الذى قصدناه .

ثم قال فان قال : ماتنكرون من أن يكون انما قبح أن يريد القائل الذى حكيتم

قوله بلفظة عبدي [١] الثانية والتي تقوم مقامها من عدا المذكور الاول الذي قررهم بمعرفته من حيث تكون المقدمة اذا أراد ذلك لامعنى لها ولافائدة فيها ، ولانه أيضاً لاتعلق لها بما عطف عليها بالفاء التي تقتضي التعلق بالكلامين.

وليس هذا في خبر الغدير كذلك ، لانه اذا لم يرد بلفظة مولى أولى ، وأراد أحد مايحتمله من الاقسام، لم يخرج المقدمة من أن تكون مفيدة ومتعلقة بالكلام الثاني ، لانها تفيد التذكير بوجوب الطاعة ، وأخذ الاقرار بها ليتأكد لزوم ماأوجبه في الكلام الثاني لهم، ويصير معنى الكلام اذا كنت أولى بكم، وكانت طاعتي واجبة عليكم، فافعلوا كذا وكذا، من جملة ماآمركم بطاعتي فيه، وهذه عادة الحكماء فيمايلزمونه من يجب عليه طاعتهم ، فافترق الامران ، وبطل أن يجعل حكمهما واحداً .

قيل له : لوكان الامر على ماذكرت، لوجب أن يكون متى حصل في المثال الذي أوردناه فائدة لمقدمته وان قلت، وتعلق بين المعطوف والمعطوف عليه، أن يحسن ماحكمنا بقبحه ، ووافقنا عليه ، ونحن نعلم أن القائل اذا أقبل على جماعة ، فقال: ألستم تعرفون صديقي زيداً الذي كنت ابتعت منه عبدي فلاناً ، الذي صفته كذا، وأشهدناكم على أنفسنا بالمبايعة، ثم قال عقيب قوله: فاشهدوا أني قدوهبت له عبدي، لم يجز أن يريد بالكلام الثاني الا العبد الذي سماه وعينه في صدر الكلام .

وان كان متى لم يرد ذلك، يصح أن يحصل فيما قدمه فائدة، ولبعض كلامه تعلق ببعض، لانه لايمتنع أن يريد بماقدمه أولا من ذكر العبد تعريف الصديق، ويكون وجه التعلق بين الكلام أنكم اذا كنتم قدشهدتم بكذا وعرفتموه، فاشهدوا أيضاً بكذا .

---

(١) قوله بلفظة عبدي متعلق بقوله يريد «منه» .

ولو صرح بماقدمناه ، حتى يقول بعد المقدمة : فاشهدوا أني قد وهبت له أورددت اليه عبدي فلاناً، الذي كنت ملكته منه ، ويذكر من عبيده غير من تقدم ذكره لحسن، وكان وجه حسنه ماذكرناه ، فثبت أن الوجه في قبح حمل الكلام الثاني على غير معنى الاول ، مع احتماله له خلاف ماادعاه السائل، وانه الذي ذهبنا اليه (١) .

أقول : وقدكتبنا في أوائل السن في اثبات الامامة ، وتعرضنا لهذا الخبر، ثم قلنا : وربمااعترض على ذلك بأنـه أراد أولا من بيان كونه أولى من أنفسهم التوطئة والتمهيد المحكم اللاحق، والتذكر لوجوب اطاعته فيمايحكم عليكم ، ليجري عليهـم كل حكم أراد ، سواء كان ذلك جعل غيره نازلا منزلته أوحكماً آخر ، ككون أميرالمؤمنين عليه السلام مولى لهـم ،كماأنه صلى الله عليه وآله مولى لهم على غير المعنى المقصود للمستـدل ، وذلك كمااذا قال العالم مخاطبـاً لمن حضر عنده ألست عارفـاً بأحكامكم ؟ فقالوا : بلى ، فقال : حكمكم في المسألة الفلانية كذا .

والجواب عنه: أنه لوكان المقصود ذلك، لم يحتج الى ذكر قوله «فمن كنت مولاه » بل المناسب أن يقول : فاعلمـوا أن علياً مولاكـم ، ولم يكن المناسب اثبات أولويته لانفسهـم أولا ، بل ينبغي أن يقول : ألست نبيكـم ورسول الله عليكم .

وفي هذا المقام تقرير آخر للاستدلال ، ذكرناه في ذلك الوقت ، وهو أن كل مقدمة من هذا القبيل يقتضي أن يكون مايتفرع عليه وجوب طاعته، فلوقال : ألست المختار في أمركم وأولى بكم من أنفسكم ؟ يكون مايتفرع عليه ماهو من قبيله .

---

(١) الشافي ٢/ ٢٧٤–٢٧٦.

نفي الخبر لما أثبت ولاية أنفسهم لنفسه، فاقتضى ذلك أن يكون مايثبته في علي عليه السلام منها أوهي هي، ولما لم يذكر بعض الاحكام المترتبة على ذلك، يكون المقصود هو الجمع .

وان شئت أن يتضح لك الامر تمام الاتضاح ، فافرض أن سيدا لوكان لـه عبيد متعددة، فقال لهم: ياعبيدي أليس خياركم بيدي، فلما قالوا نعم، فان قال: فعليكم أن تخدموا فلاناً، أوتحبوا فلاناً، أونحوذلك، فهذا وانكان يدل على لزوم طاعته لكن لايدل هذا على ثبوت الاختيار لغيره، بل انمايدل على لزوم طاعته ، وفرعه على كونه سيداً لهم ، وعلى كونه ممن يجب اتباعه عليهم .

لكن اذا قال بعد ذلك : فمن كان منكم أنا مولاه ففلان مولاه ، لايشك أحد منهم أنـه أراد أن يكون له مالنفسه من الاختيـار ، فلم يشك من يشك في مثل المقام .

ثم ان في الشافي ذكر بعدما تقدم نقله أحببنا ايراده بتمامه، قال: فأما الدليل على أن لفظة أولى تفيد معنى الامامة ، فهو أنـا نجد أهل اللغة لايضعـون هذا اللفظ الا فيمن كان يملك ماوصف بأنـه أولى بتدبيره وتصريفه وينفذ فيه أمره ونهيه .

ألا تراهم يقولون : السلطان أولى باقامة الحدود من الرعية، وولد الميت أولى بميراثه من كثير من أقاربه، والزوج أولى بامرأته والمولى بعبده، ومرادهم في جميع ذلك ماذكرناه ، ولاخلاف بين المفسرين في أن قوله تعالى « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» المراد به أنه أولى بتدبيرهم والقيام بأمرهم، حيث وجبت طاعته عليهم، ونحن نعلم أنه لايكون أولى بتدبير الخلق وأمرهم ونهيهم من كل أحد الا من كان اماماً لهم، مفترض الطاعة عليهم .

ثم قال فان قالـوا : دلوا على أن المراد بلفظة مولى في الخبر ماتقدم من

معنى أولى من أين لكم أنه أراد كونـه أولى بهم في تدبيرهم وأمرهم ونهيهم، دون أن يكون أراد به أولى بأن يوالوه ويحبوه، أويعظموه ويفضلوه، لانه ليس يكون أولى بذواتهم، بل بحال لهم وأمر يرجع اليهم، فأي فرق في ظاهراللفظ أومعناه بين أن يريد بمايرجع اليهم في تدبيرهم وتصريفهم، وبين أن يريد أحد ماذكرناه .

قيل له : سؤالك يبطل من وجهين، أحدهما ان الظاهر من قول القائل: فلان أولى بفلان، أنه أولى بتدبيره وأحق بأمره ونهيه ، فاذا انضاف الى ذلك القول أولى به من نفسه ، زالت الشبهة في أن المراد ماذكرناه .

ألاترا هم يستعملون هذه اللفظة مطلقة في كل موضع حصل فيه تحقق بالتدبر واختصاص بالامر والنهي ،كاستعمالهـم لها في السلطان ورعيته والوالد ووالده والسيد وعبده وان جاز أن يستعملوها مقيدة في غير هذا الموضع اذا قالوا فلان أولى بمحبة فلان أو بنصرته أوبكذا وكذا منه ، الاأن مع الاطلاق لايعقل عنهم الا المعنى الاول

ولذلك نجدهم يمتنعون من أن يقولوا في المؤمنين: ان بعضهم أولى ببعض ويريدون مايرجع الى المحبة والنصرة وماأشبههما ، ولايمتنعون من القول بأن النبي صلى الله عليه وآله أوالامام أو من اعتقدوا أن له فرض طاعته عليهم أولى بهم من أنفسهم ويريدون أنه أحق بتدبيرهم وأمرهم ونهيهم .

والوجه الاخر أنـه اذا ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله أراد بماقدمه من كونـه أولى بالخلق من نفوسهم أنه أولى بتدبيرهم وتصريفهم من حيث وجبت طاعته عليهم بلاخلاف، وجب أن يكون مااوجبه لاميرالمؤمنين عليه السلام في الكلام الثاني جارياً ذلك المجرى ، لانه عليه السلام بتقديم ماقدمه قديستغني عن أن يقول: فمن كنت أولى به في كذا وكذا فعلي أولى به فيه ، كماأنه بتقديم ماقدمه استغنى من أن يصرح

بلفظة أولى اذا قام مقامها لفظة مولى .

يشهد بصحة ماقلناه أن القائل من أهل اللسان اذا قال: فلان وفلان۔ وذكر جماعة ـ شركائي في المتاع الذي من صفته كذا وكذا، ثم قال عاطفاً على كلامه: فمن كنت شريكه فعبدالله شريكه، اقتضى ظاهر لفظه أن عبدالله شريكه في المتاع الذي قدم ذكره ، وأخبر أن الجماعة شركاؤه فيه ، ومتى أراد أن عبدالله شريكه في غير أمر الاول، كان سفيهاً عابثاً ملغزاً .

فان قيل: اذا سلم لكم أنه عليه السلام أولى بهم بمعنى التدبير ووجوب الطاعة ، من أين لكم عموم وجوب الطاعة في جميع الامور التي تقوم بها الائمة؟ ولعله اراد به أولى بأن يطيعوه في بعض الاشياء دون بعض .

قيل له : الوجه الثاني الذي ذكرناه في جواب سؤالك المتقدم يسقط هذا السؤال، ومما يبطله أيضاً أنه اذا ثبت بأنه عليه السلام مفترض الطاعة على جميع الخلق في بعض الامور دون بعض، وجبت امامته، وعموم فرض طاعته ، لانه معلوم أن من وجبت على جميع الناس طاعته وامتثال تدبيره لايكون الا للامام .

ولان الامة مجمعة على أن من هذه صفته هو الامام ، ولان كل من أوجب لامير المؤمنين عليه السلام من خبر الغدير فرض الطاعة على الخلق أوجبها عامة في الامور كلها على الوجه الذي يجب للائمة عليهم السلام ، ولم يخص شيئاً دون شيء .

وبمثل هذا الوجه نجيب من قال : كيف علمتم عموم القول بجميع الخلق مضافاً الى عموم ايجاب الطاعة لسائر الامور ، ولستم ممن يثبت للعموم صيغة في اللغة ، فتتعلقون بلفظة من وعمومها، وما الذي يمنع على أصولكم من أن يكون أوجب طاعته على واحد من الناس، أو جماعة من الامة قليلة العدد، لانه لاخلاف في عموم تقدير النبي صلى الله عليه وآله للامة ، وعموم قوله من بعد « فمن كنت مولاه » وان لم يكن للعموم صورة .

وقد بينا أن الذي أوجبه ثانياً يجب مطابقته لماقدمه في وجهه وعمومه من الامور، فكذلك يجب عمومه في المخاطبين بمثل هذه الطريقة، لان كل من أوجب من الخبر فرض الطاعة ومايرجع الى معنى الامامة ، ذهب الى عمومه بجميع المكلفين، كماذهب الى عمومه في جميع الافعال[1] انتهى كلامه .

السابع : تهنئة عمر اياه بعد القول المذكور في حقه ؛ وفيه وجوه من الدلالة :

الاول: في قوله «بخ بخ» بيان ذلك: ان بخ كمافي المصباح المنير: كلمة يقال عند الرضا بالشيء، وهي مبنية بالكسر، وتخفف في الاكثر [2] .

وفي المغرب: بخية بتشديد الخاء والياء نوع من أجود الدراهم نسب الى بخ أمير ضربها، وقيل: كتبت عليها بخ، وهي كلمة استحسان واستجادة .

وفي المحيط: وبخ كلمة تقال عند الاعجاب بالشيء وتخفف، ودرهم بخي كتب عليه بخ .

وفي الغريبين: في الحديث أنه لماقرأ «وسارعوا الى مغفرة من ربكم» قال رجل: معناه تفخيم الامر وتعظيمه، وسكنت الخاء فيه ، كماسكنت اللام في هل وبل، ويقال: بخ بخ بالكسر منوناً، فمن فعل ذلك شبهها بالاصوات بصه وماأشبه ذلك، وقال ابن السكيت: بخ بخ وبه به بمعنى واحد .

وقال في النهاية هي كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء مبنية على السكون فان وصلت جررت ونونت ، فقلت بخ بخ ، وربما شددت، وبخبخت الرجل اذا قلت له ، ومعناها تعظيم الامر وتفخيمه وقد كثر مجيئها في الحديث[3] .

---

(١) الشافي ٢/٢٧٦-٢٧٩ .

(٢) المصباح المنير ص٣٧ .

(٣) نهاية ابن الاثير ١/١٠١ .

الثاني: في قوله «هنيئاً لك يا بن أبي طالب» فان التهنئة لايكون الا لمنصب جليل عظيم ، ولشأن حادث فخيم ، وليس هو الا الخلافة والرئاسة على الخلق المستفاد من قوله «من كنت مولاه فعلي مولاه» .

الثالث: في قوله « أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة » فانه يدل على أنه ﷺ جعله مولاه ، بعد أن لم يكن كذلك ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وليس ذلك الا الرئاسة ، ومعنى النصرة والمحبة ممالايليق فيه هذا الكلام، ومماكان له ولكل مؤمن ومؤمنة بالنسبة الى الاخر .

ولايخفى عليك أن في هذا القول أيضاً مواضع من الدلالة من قوله «أصبحت» ومن قوله «مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة» ومن أنه اعترف بأنه مولاه، ومن أنه المولى عليه فلايمكن أن يصير رئيساً عليه .

الثامن : أن الدعاء لمن والاه ، والدعاء على من خذله ، ممايدل على أن مقصوده جعل الرئاسة العامة له، لانها التي تحتاج الى الاعوان والانصار ، فان المبالغة في الدعاء على هذا الوجه، وهو قوله « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله » يقتضي أن يكون مقصوده من قوله «من كنت مولاه فعلي مولاه» أنه الرئيس الذي يجب عليهم اتباعه وطاعته، ويحرم عليهم معاداته وخذلانه .

ولو كان المقصود منه أنه الناصر والمحب لقومه، لكان يجب أن يدعو لناصر قومه وعلى خاذلهم .

بل قد يدل ذلك على امامته من وجه آخر، وهو أن الدعاء لكل من يواليه في كل وقت وزمان بطلب الموالاة له من الله تعالى، وطلب المعاداة لكل من عاداه وخذله، يقتضي أن يكون على حد يكون كذلك أبداً ، وهو معنى العصمة، ولما كان قد ادعى الامامة يكون من الامة ونصرته واجبة ، وخاذله ومعاديه مخذولا

عند الله ، وعدو الله والله عدو له .

التاسع: الاية الامرة بهذا التبليغ ، وهي قوله تعالى « ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك وان لم تفعل فمابلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لايهدي القوم الكافرين»[١] ممايفهم منها انه في أمر عظيم خطير .

ففي مجمع البيان : روى العياشي في تفسيره باسناده عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس وجابر بن عبدالله ، قالا: أمر الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله أن ينصب علياً عليه السلام، فيخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله صلى الله عليه وآله ان يقولوا حابى ابن عمه، وان يطعنوا في ذلك عليه ، فاوحى الله اليه هذه الاية، فقام عليه السلام بولايته يوم غدير خم .

ثم قال وهذا الخبر بعينه قد حدثنا السيد أبوالحمد ، عن الحاكم أبي القاسم الحسكاني باسناده الى ابن أبي عمير الى آخره في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفصيل والتأويل .

وفيه أيضاً بالاسناد المرفوع الى حيان بن علي الغنوى ، عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الاية في علي عليه السلام فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيده، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه [٢] .

وفي غاية المرام نقلا عن تفسير الثعلبي في تفسيرقوله تعالى « ياأيها الرسول بلغ » الاية قال ابو جعفر محمد بن علي عليه السلام معناه بلغ ما أنزل اليك في فضل علي بن أبي طالب وفي نسخة أخرى أنه قال : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك في علي عليه السلام وقال: هكذا انزل رواه جعفر بن محمد فلما نزلت هذه الاية أخذ

---

(١) سورة المائدة : ٦٧ .

(٢) مجمع البيان ٢/٢٢٣ .

رسول الله ﷺ بيد علي عليه السلام وقال من كنت مولاه فعلي مولاه [١] .

وفيه أيضاً نقلا عن تفسير الثعلبي ، قال : أخبرني أبومحمد عبدالله بن محمد القاضي ، قال : حدثنا أبوالحسين محمد بن عثمان النصبي، حدثنا أبو بكر محمد ابن الحسين، عن حسان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله تعالى «ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك » الاية نزلت في علي بن أبيطالب عليه السلام أمر النبي بأن يبلغ فيه فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي عليه السلام ، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه [٢] .

وقد أورد هذا الخبر ابواسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي في تفسيره باسناده مرفوعاً الى ابن عباس ، قال : نزلت الاية في علي عليه السلام أمر النبي ﷺ أن يبلغ فيه فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي عليه السلام ، فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه .

وقد اشتهرت الروايات عن أبي جعفر وأبي عبدالله أن الله تعالى أوحى الى نبيه أن يستخلف علياً ، فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه وأنزل الله هذه الاية ، تشجيعاله على القيام بما أمره باداته والمعنى ان تركت تبليغ ما أنزل اليك وكتمته ، كنت كانك لم تبلغ شيئاً من رسالات ربك في استحقاق العقوبة .

وقال ابن عباس : ان كتمت آية مما أنزل اليك فما بلغت رسالته أي لم تكن ممتثلا لجميع الامر والله يعصمك من الناس أو يمنعك من أن ينالوك بسوء .

وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير : ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الاية وجوهاً الى أن قال : العاشر نزلت هذه الاية في فضل علي عليه السلام واما نزلت

(١) غاية المرام ١/٣٣١-٣٣٢ .

(٢) غاية المرام ١/٣٣٢-٣٣٣ .

هذه الاية أخذ بيده ، وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، فلقيه عمر فقال : هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب، ومحمد بن علي [١]

العاشر : استشهاد علي عليه السلام في مواضع به ، وقد تقدم في ذلك جملة من الاخبار منها : ما اشتملت على استشهاده في الرحبة كالخبر المذكور في غاية المرام نقلا عن عبدالله بن أحمد بن حنبل باسناده عن أبي الطفيل ، قال : جمع علي عليه السلام الناس في الرحبة ثم قال : أنشد الله كل امرىء مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم ماسمع لما قام ؟ فقام ثلاثون من الناس ، قال أبو نعيم : فقام أناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده ، فقال للناس : أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : نعم يارسول الله صلى الله عليه وآله قال : من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه [٢] .

الى غير ذلك من الاخبار من طرقهم ، وسمي كثيره استنشاده في المسجد ، وقد تقدم منها جملة .

نحو ما رواه ابن المغازلي ، قال حدثني أبو القاسم الفضل بن محمد بن عبدالله الاصفهاني ، قدم علينا واسطاً املاءاً من كتابه ، لعشر بقين من شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ، قال : حدثني ، ثم ذكر باقي الاسناد الى أبي سليمان باسناده عن أبي سليمان المؤذن عن زيد بن ارقم قال : نشد علي الناس في المسجد أنشد الله رجلا سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، فكنت أنا فيمن كتم فذهب بصري [٣] .

---

(١) التفسير الكبير ١٢/٤٩-٥٠ .

(٢) غاية المرام ١/٣٢٥ .

(٣) المناقب ص٢٣ .

وما رواه ابن المغازلي باسناده عن عميرة بن سعد ، قال : شهدت علياً عليه السلام ناشداً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم يقول ما قال فليشهد ؟ فقام اثنى عشر رجلا منهم أبو سعيد الخدرى، وأبو هريرة ، وانس بن مالك ، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

قال قال أبو الحسن المغازلي الراوي لذلك: قال أبو القاسم الفضل بن محمد هذا حديث صحيح عن رسول الله عليه السلام (١) .

وفيه نقلا عن الجزء الرابع من كتاب حلية الاولياء لابي نعيم عن حديث طلحة بن مصرف ، يرفعه الى عمير بن سعد : قال : شهدت علياً عليه السلام على المنبر شداً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وفيهم أبو سعيد الخدرى وأبو هريرة وأنس بن مالك وهم حول المنبر وعلي عليه السلام على المنبر وحول المنبر اثنى عشر رجلا هؤلاء منهم فقال علي عليه السلام : انشدكم بالله هل سمعتم رسول الله يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه ؟ قالوا اللهم نعم ، وقعد رجل هو أنس بن مالك فقال : مامنعك أن تقوم قال : ياأمير المؤمنين كبرت ونسيت ، فقال : اللهم ان كان كاذباً فاضربه ببلاء ثم قال : فمامات حتى رأينا بين عينيه نكتة بيضاء لاتواريها العمامة .

قال قال أبو نعيم : ورواه أيضاً ابن عائشة ، عن اسماعيل مثله ، قال : ورواه أيضاً الاجلح وهانى بن أيوب عن طلحة بن مصرف والذي به الوضح هو أنس ابن مالك (٢) .

وفيه من كتاب الانساب لاحمد بن يحيى بن البلاذرى في الجزء الاول من فضائل امير المؤمنين عليه السلام ، قال قال علي عليه السلام على المنبر : أنشد الله رجلا سمع رسول

---

(١) المناقب ص٢٦-٢٧ .

(٢) غاية المرام ١/٣٤٩-٣٥٠ .

الله ﷺ يقول يوم غديرخم : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه الاقام فشهد ؟ وتحت المنبر أنس بن مالك ، والبراء بن عازب وجرير بن عبدالله البجلي ،فأعادها فلم يجبه أحد ، فقال : اللهم من كتم هذه الشهادة وهو يعرفها ، فلاتخرجه من الدنيا حتى تجعل به آية يعرف بها فبرص أنس وعمي البرآء ورجع جرير أعرابياً بعد هجرته فاتى الشراة فمات في بيت امه (١) .

ومنها استنشاده بهذه الواقعة من غيرأن يعين فيه الموضع .

ففي شرح النهج لابن ابي الحديد عن عثمان بن سعيد عن شريك بن عبدالله قال: لما بلغ عليا عليه السلام أن الناس يتهمونه فيما يذكره من تقديم النبي ﷺ وتفضيله على الناس ، قال : أنشد الله من بقي ممن لقي رسول الله ﷺ وسمع مقالته في يوم غديرخم الاقام فشهد بما سمع ؟ فقام ستة ممن عن يمينه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وستة ممن عن شماله من الصحابة ، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول ذلك اليوم ، وهو رافع بيدي علي عليه السلام : من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله وأحب من أحبه وابغض من أبغضه (٢) .

الحادي عشر أن بعضاً من أخبار الغدير مشتملة على قرائن تدل على أن المراد من المولى في الخبر الاولي سوآء كان من غير خبر الغدير أو نحوه ، فان اللفظ واحد .

منها : مارواه أحمد بن حنبل ، قال : حدثنا معمر عن طاووس عن أبيه ،قال بعث رسول الله ﷺ علياً الى اليمن علينا وخرج بريدة الاسلمي فبعث علي عليه السلام في بعض السبي ، فشكاه بريدة ، قال قال رسول الله ﷺ : من كنت مولاه فعلي

---

(١) غاية المرام ١/٣٥٠ .

(٢) غاية المرام ١/٣٦٨، شرح نهج البلاغة ١/٢٠٩ .

مولاه (١) .

اولها :

منها : الاخبار المشتملة على اخبارالنبي ﷺ بوفاته في هذه الواقعة ، وانه خلف في امته أمرين : كتاب الله وعترته ، وأمر بالتمسك بهما .

كالخبر المروي في صحيح مسلم باسناده عن يزيد بن حيان ، قال : انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم الى زيد بن أرقم ، فلما جلسنا اليه ، قال له حصين : لقد لقيت يازيدخيراً كثيراً ورأيت رسول الله ﷺ ، وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه ، لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً ، حدثنا يازيد ماسمعت من رسول الله ﷺ

قال : ياابن اخي والله لقدكبرت سني وقدم عهدى ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ ، فما حدثتكم فاقبلوه ، ومالا فلا تكلفونيه ، ثم قال : قام رسول الله يوماً فينا خطيبا بما يدعي في ما بين مكة والمدينة ، فحمدالله وأثنى عليه ووعظ وذكر .

ثم قال : أما بعد أيها الناس أنابشريوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأناتارك فيكم الثقلين ، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله ورغب فيه .

ثم قال وأهل بيتي أذكركم اللهفي أهل بيتي أذكركم الله في اهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، فقال حصين : ومن أهل بيته يازيد اليس نساؤه من اهل بيته ؟ قال : نساوه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده (٢)

(١) غاية المرام ١/ ٣٢٩. أقول: وهنا بياض في النسختين .

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٨٧٣ .

ومثله مافي غاية المرام وغيره نقلا مـن الجمع بين الصحيحين للحميري باختلاف يسيرفي آخره (١) .

وفيه نقلا عن الجمع بين الصحاح الستة من صحيح أبي داود ، وهو كتاب السنن صحيح الترمذي ، عن حصين بن سبرة أنه قال ازيد بن أرقم : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً ، حدثنا يا زيد ماسمعت من رسول الله ﷺ .

قال : يا ابن أخي والله لقد كبرت سني ، وقدم عهدي ، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوه ومالا فلا تكلفونيه ، ثم قال : قام رسول الله ﷺ يـوماً فينا خطيباً بمآء يدعي خماً فيما بين مكة والمدينة عند الجحفة ، فحمدالله واثنى عليه ، ووعظ وذكر .

ثم قال : اما بعد أيهاالناس انما أنا بشريوشك أين يأتيني رسول ربي عزوجل فاجيب وأناتارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال : وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي (٢) .

وقد تقدم من هذا جملة من الاخبار .

وثانيها : أن أخبار الغدير مشتملة على أنه أخذ بيد علي بن أبـي طالب عليه السلام حين قال في حقه هذه المقالة ، على اختلاف ألفاظها ، ففي بعضها أنه ﷺ أخذ بيده وأقامه ، وفي بعضها أخذ بعضده ، وفي بعضها أخذ بضبعه فرفعها ، ومنها أخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس الى بياض ابطي رسول الله ﷺ أوابطيه .

وثالثها : أن هذا الخبر قد يكون مروياً بألفاظ أخر سالمة عن بعض المناقشات مشتملة على جملة من المؤيدات والقرائن والالفاظ الدالة على المطلوب بنفسها.

---

(١) غاية المرام ١/٣٣٤ .

(٢) غاية المرام ١/٣٣٥-٣٣٦ .

ففي غاية المرام نقلا عن الحمويني ، قال : أخبرنا الشيخ كمال الدين أبو غالب هبة الله بن أبي القاسم بن غالب السامري ، بقراءتي عليه ببغداد ليلة الاحد السابع والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين وستمائة بجامع القصر شرقي دجلة. قال أنبأنا محاسن بن عمر بن رضوان الخراساني سماعاً عليه عشية السبت الحادي والعشرين من المحرم سنة اثنتين وعشرين وستمائه، قال أنبأنا أبو بكر محمد ابن عبدالله بن نصر الزعفراني، سماعا عليه يوم الجمعة السادس عشر من رجب سنة خمسين وخمسمائة ، قال : أنبأنا ابو عبدالله مالك بن أحمد بن ابراهيم الناسي ، قال : أنبأنا أبو الحسن أحمد بن موسى الصلت القرشي .

قال :أنبأنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي،قال : أنبأنا محمد بن رنجويه قال حدثنا الحميرى، قال نبأنا يعقوب بن جعفر، قال: نبأنا أبو كثير المدني عن مهاجر بن مسمار .

قال : أخبرني عائشة بنت سعد عن سعد أنه قال : كنا مع رسول الله بطريق مكة ، وهو متوجه اليها ، فلما بلغ غدير خم الذي بخم وقف الناس ، ثم رد من مضى ، ولحقه من تخلف منهم ، فلما اجتمع الناس ، قال ايها الناس هل بلغت ؟ قالوا : بلى ، قال : اللهم اشهد ، قال أيها الناس هل بلغت ؟ قالوا بلى .

قال : اللهم اشهد ثلاثا ، أيها الناس من وليكم ؟ قالوا : الله ورسوله ثلاثاً ، أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه‌السلام فأقامه ، ثم قال : من كان الله ورسوله وليه ، فان هذا وليه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه [1] .

الى غير ذلك من الاخبار المشتملة على لفظ الولي .

الثاني عشر : ان الحاضرين في المكان والغائبين انما فهموا من هذه الالفاظ أنه صلى‌الله‌عليه‌وآله نصبه علماً للناس ومن ذلك أخبار كثيرة .

---

(١) غاية المرام ١/٣٥٩-٣٦٠ .

فمنها : مارواه في غاية المرام نقلا عن موفق بـن أحمد أخطب خوارزم ، باسناده ، قال قال الاصبغ بن نباته : دخلت على معاوية ، وهوجالس على نطع[١] من الادم متكئا على وسادتين خضراوتين ، وعن يمينه عمرو بن العاص ، وحوشب وذو الكلاع ، وعن يساره أخوه عتبة وابن عامر ، والوليد بن عتبة ، وعبدالرحمن بن خالد وشرحبيل بن السمط ، وبين يديه أبوهريرة وأبوالدرداء ، والنعمان بن بشير، وابوأمامة الباهلي .

فلما قرأ الكتاب قال: ان علياً لايدفع الينا قتلة عثمان ، فقلت له يامعاوية لاتعتل بقتلة عثمان ، فانك تطلب الملك والسلطان : ولو كنت أردت نصرته حياً ولكنك تربصت به لتجعل ذلك سبباً الى وصولك الى الملك ، فغضب .

فأردت أن يزيـد غضبه ، فقلت لابي هريرة : ياصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله أنـي أحلفك بالله الذي لا اله الا هـو عالم الغيب والشهادة وحق حبيبه المصطفى ألا أخبرتني أشهدت غدير خم ؟ قال : بلى شهدته ، قلت : فماسمعته يقول في علي؟ قال سمعته يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد مـن عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل مـن خذله ، قلت له : فاذن واليت عـدوه ، وعاديت وليه ، فتنفس أبو هريرة صعداً وقال انا لله وانا اليه راجعون[٢].

ومنها: مافي غاية المرام نقلا عن السمعاني، باسناده عن سالم بن أبي الجعد قال: قيل لعمر انك تصنع بعلي مالاتصنعه بأحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال:

(١) النطع المتخذ من الاديم معروف، فيه أربع لغات: فتح النون وكسرها ، ومع كل منهما فتح الطاء وسكونها. الادم بفتحتين جمع الاديم وهو الجلد المدبوغ ـ المصباح المنير «منه» .

(٢) غاية المرام ١/٣٤٩ .

لانه مولاي (١) .

أقول: وقد أشار به الى هذه المقالة من النبي ﷺ فيه عليه السلام، فلوكان المراد غير معنى الولاية والامارة، لماكان الامر مخصوصاً به، ومن هذا القبيل قول عمر أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة .

ومنها: مافي شرح ابن ابي الحديد لنهج البلاغة قال قال عمار بن ياسر في حديث له مع عمرو بن العاص في يوم صفين، قال له عمار: سأخبرك على ماأقاتلك عليه وأصحابك، ان رسول الله ﷺ أمرني أن أقاتل الناكثين وقد فعلت، وأمرني ان أقاتل القاسطين وأنتم هم ، وأما المارقون فلاأدري أدركهم أم لا، أيها الابتر ألست تعلم أن رسول الله ﷺ قال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأنا مولى الله ورسوله، وعلي مولاي بعدهما (٢) .

ومنها: ماتقدم من تفسير الثعلبي في تفسير قوله تعالى «سأل سائل بعذاب واقع» وماتقدم من كتاب النشر والطي أنه نزل في الحارث بن النعمان السامع لهذه القضية المنكر لها .

الثالث عشر: آيات الاكمال والتبليغ والعذاب، فانها كماقد ورد في تفاسير العامة وأخبارهم في تفسير آيتي الاكمال والتبليغ والعذاب أنها نزلت في هذه الواقعة، كماتقدم من ذلك جملة .

فأما آية الاكمال، فقد روى في غاية المرام، عن الحمويني، قال: أنبأني الشيخ تاج الدين أبوطالب علي بن الحسين بن عثمان بن عبدالله الخازن ، قال : أنبأنا الامام برهان الدين قائد بن أبي المكارم المطرزي اجازة ، قال: أنبأنا الامام أخطب خوارزم أبوالمؤيد الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي .

---

(١) غاية المرام ١/٣٥١-٣٥٢ .

(٢) غاية المرام ١/٣٦٩ .

قال أخبرني سيدالحفاظ فيماكتب الي من همدان، أنبأنا الرئيس ابوالفتح كتابه، حدثنا عبدالله بن اسحاق البغوي، نبأنا الحسن بن عقيل الغنوى، نبأنامحمد ابن عبدالله الزارع، نبأنا قيس بن حفص ، قال: حدثني علي بن الحسين العبيدي عن أبي هارون العبدى .

عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ يوم دعى الناس الى غدير خم، أمر الناس بماكان تحت الشجرة من الشوك فقم، وذلك يوم الخميس، ثم دعى الناس الى علي عليه السلام فأخذ بضبعه، فرفعها حتى نظر الناس الى بياض ابطيه عليه السلام ، ثم لم يفترقا حتى نزلت هذه الاية « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر على اكمال الدين، واتمام النعمة، ورضى الرب لرسالتي، والولاية لعلي عليه السلام، ثم قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، فقال حسان بن ثابت يارسول الله أتأذن لي أن أقول أبياتاً ، قال: قل ببركة الله تعالى، فقال حسان بن ثابت: يامشيخة قريش اسمعوا شهادة رسول الله ﷺ، ثم انشأ يقول :

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم واسمع بالنبي مناديا
بأني مولاكم نعم ووليكم ... وقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
الهك مولانا وأنت ولينا ... ولاتجدن في الخلق للامر عاصيا
فقال له قم ياعلي فانني ... رضيتك من بعدي اماماًوهاديا(١)

وفيه أيضاً عن الحمويني، عن سيدالحفاظ هو أبو منصور شهردار بن شيروية ابن شهردار الديلمي، قال: أخبرني الحسن بن احمد بن الحسن بن الحداد المقري الحافظ، قال: نبأنا احمد بن عبدالله بن أحمد، قال: نبأنا محمد بن احمد بن علي

(١) غاية المرام ١/٣٦١-٣٦٢ .

قال نبأنا محمدبن عثمان بن أبي شيبة، قال: نبأنا يحيى الحماني، قال: حدثنا قيس بن الربيع ، عن أبي هارون العبدي .

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ دعى الناس الى علي عليه السلام في غديرخم ، وأمر بما تحت الشجرة من الشوك فقم ، وذلك يوم الخميس ، فدعا علياً عليه السلام فأخذ بضبعيه، فرفعهما حتى نظر الناس الى بياض ابطي رسول الله ﷺ ثم لم يفترقا حتى نزلت هذه الاية «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» .

فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر على اكمال الدين، واتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله .

فقال حسان بن ثابت اءذن لي يارسول الله، فأقول في علي عليه السلام أبياتاً تسمعها فقال: قل على بركة الله، فقام حسان بن ثابت، فقال: يامعشر مشيخة قريش اسمعوا قولي بشهادة من رسول الله ﷺ في الولاية الثابتة، فقال :

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم واسمع بالرسول مناديا

الابيات المتقدمة ، ثم قال في الغاية : وهذه الابيات والحديث مشهور في كتب العامة والخاصة ، وقال الحمويني عقيب هذا الحديث والابيات : هذا حديث له طرق كثيرة الى أبي سعيد سعد بن مالك الخدري الانصاري (١) .

وروى هذا الخبر في الطرائف نقلا عن ابن مردويه الحافظ عندهم باسناده الى أبي سعيد الخدري بزيادة بعض الابيات من حسان وتهنئة عمر اياه عليه السلام كما تقدم منا في الفصل الاول .

وروى أيضاً عن كتاب مرقاة الشعراء لابي عبدالله محمد بن عمران المرزباني

---

(١) غاية المرام ١/٣٦٢-٣٦٣ .

هذا الحديث بألفاظه (١) .

وفي العمدة والطرائف وغاية المرام عن مناقب ابن المغازلي، بسنده السابق في الفصل المذكور عن أبي هريرة ، قال: من صام يوم ثماني عشر خلت من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم، لما أخذ رسول الله ﷺ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام .

فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يارسول الله ، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال عمر بن الخطاب بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، فأنزل الله تعالى «اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا»(٢) .

وفي كتاب كشف اليقين للعلامة : روى خطيب خوارزم حديث غدير خم وان النبي ﷺ أخذ بضبع علي عليه السلام حتى نظر الناس الى بياض ابطيه ، ثم لم يتفرقا حتى نزل «اليوم أكملت لكم دينكم» فقال رسول الله ﷺ : الله اكبر على اكمال الدين ، واتمام النعمة ، ورضى الرب برسالتي ، والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، ثم قال : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله .

وفي كتاب منهاج الكرامة له: روى ابو نعيم باسناده الى أبي سعيد الخدري قال: ان النبي ﷺ دعا الناس الى علي في غدير خم، وأمر بما تحت الشجرة من الشوك فقم ، فدعا علياً فأخذ بضبعيه ، فرفعهما حتى نظر الناس الى بياض ابط رسول الله، ثم لم يفترقوا حتى نزلت هذه الاية « اليوم أكملت لكم دينكم» الاية فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على اكمال الدين، واتمام النعمة، ورضى الرب

(١) الطرائف ص١٤٦-١٤٧ .

(٢) المناقب لابن المغازلي ص١٩ .

برسالتي، وبالولاية لعلي من بعدي، ثم قال من كنت مولاه فعلي مولاه .

الى غير ذلك من الاخبار .

وأما آية التبليغ، فقدتقدم ماورد فيها جملة، وفي فصول المهمة روى الامام ابوالحسن الواحدي في كتابه المسمى بأسباب النزول يرفعه بسنده الى أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الاية «ياأيهاالرسول بلغ ماانزل اليك من ربك» يوم غديرخم في علي بن أبي طالب عليه السلام (١) .

وفي العمدة والطرائف نقلا عن تفسير الثعلبي وغيره ، وقد تقدم لفظ العمدة .

وقال في الطرائف: وأماروايات أحمدبن حنبل لحديث يوم الغدير، فمنها: مااتفق على معناه الثعلبي في تفسير قوله تعالى « ياأيهاالرسول بلغ ماانزل اليك من ربك » الاية باسنادهما الى البراء بن عازب، قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع بغديرخم فنادى الصلاة جامعة، وكسح للنبي صلى الله عليه وآله تحت شجرتين وأخذ بيد علي عليه السلام، فقال: ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا: بلى .

فأخذ بيد علي عليه السلام وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، قال: فلقيه عمر بن الخطاب، وقال: هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (٢) .

وفي العمدة والطرائف نقلا عن تفسير الثعلبي في هذه الاية ، قال قال أبو جعفر محمدبن علي: معناه بلغ ماأنزل اليك من ربك في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، وفي نسخة أخرى كمافي العمدة، وفي رواية أخرى كمافي الطرائف

---

(١) الفصول المهمة ص٤٢ .

(٢) الطرائف ص١٤٩-١٥٠ .

معناه : بلغ ماأنزل اليك من ربك في علي (١) .

وقال : هكذا أنزلت الاية ، رواه جعفر بن محمد ، فلمانزلت هذه الاية أخذ رسول الله ﷺ بيد علي عليه السلام، وقال: من كنت مولاه، وقدتقدم من العمدة ذلك عن ابن عباس (٢) .

وقال في الطرائف: ومن ذلك باسناد الثعلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله تعالى « ياأيهاالرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك» قال: نزلت في علي بن أبي طالب ، أمر النبي ﷺ بأن يبلغ عنه ، فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي عليه السلام ، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه (٣) .

وأماالاية الثالثة ، وهي آية العذاب، وهي قوله « سأل سائل بعذاب واقع» وقدتقدم في الفصل الاول أيضاً مافي تفسير الثعلبي ، بنقل صاحب العمدة (٤) والطرائف (٥) عنه أنها نزلت في الحارث بن النعمان الفهري ، حيث أنكر هذه الواقعة بلفظ تقدم في الرواية .

أماوجه دلالات هذه الايات، فظاهر لايحتاج الى بيان، أما لزيادة التوضيح والبيان، فنحن نقول: أماالاية الاولى وهي آية الاكمال ، فمن وجوه :

منها: أنهاتدل على أن قدوقع في ذلك اليوم أمرعظيم، هوأصل من أصول الدين الذي به اكماله، وان بدونه نقص مافيه .

حتى روى في صحيح مسلم باسناده عن طاووس عن شهاب قال قالت اليهود

---

(١) الطرائف ص١٥٢ .

(٢) العمدة ص٩٩-١٠٠ .

(٣) الطرائف ص١٥٢ .

(٤) العمدة ص١٠١ .

(٥) الطرائف ص١٥٢ .

لعمر لو علينا معشر اليهود نزلت هذه الايـة اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ونعلم اليوم الذي أنزلت فيه لاتخذنـاه ذلك اليوم عيداً .

ومنها : أنهاتدل على أن بدون هذا الامر الواقع في هذا اليوم لم‌يتم نعمته وانه النعمة الكاملة العامة التامة الشاملـة لامر الدين والدنيا ، وهي نعمة الامامـة والرئاسة العامة التي بها نظام أمر العالمين، وصلاح حالهم في النشأتين .

ومنها: أنهاتدل أن بدونه لم‌يرض الله لهم‌الاسلام دينا، فالاسلام بنفسه اسلام لكن الله لم‌يرض بـه أن يكون ديناً الاأن يقترن بهذا الامر، فلابد أن يكون هذا الامر أمراً به يكون الاسلام مرضياً عند الله أن يتدين الناس به .

ومنها : أن المقدم على قوله‌تعالى« اليوم اكملت لكم‌دينكم» الاية قوله‌تعالى في سورة المائدة « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلاتخشوهم واخشون»[1] فانه يدل على‌أن هذاالامر الواقع‌أمربه‌قوة الدين وشوكة الاسلام، وانه أمريوجب اتصال قوته الى الابد ، وهوأمرالخلافة بعده ﷺ ، والافـلا ييئسون ، وكيف ييئسون اذالم يعلموا أن بعده خليفة وخليفة .

واعلم أن بيننا وبين‌الامام فخر بعدالمشرقين ، حيث أنا استدللنا بنص‌الغدير وبمعونة ماورد في هذه الايات في هذا الوجه الثاني عشر أوضحنا الدلالة .

وهوقال في هذه الاية : قال أصحابنا هذه الاية دالة على‌بطلان قول الرافضة وذلك لانه تعالى بين أن الذين كفروا يئسوا من تبديل الدين ، وأكد ذلك بقوله « ولاتخشوهم واخشوني » .

فلوكانت امامة علي بن أبي طالب عليه السلام منصوصاً عليها من قبل الله ورسولـه نصاً واجب الطاعة ، لكان من‌أراد اخفائه‌وتغييره آيساً من‌ذلك بمقتضى‌هذه الاية

---

(١) سورة المائدة : ٣ .

فكان يلزم أن لايقدر أحد من الصحابة على انكار ذلك النص ، وعلى تغييره واخفائه.

ولما لم يكن الامر كذلك ، بل لم نجد لهذا النص ذكر ، ولاظهر منه خبر ولا أثر علمنا أن ادعاء النص كذب ، وان علي بن أبي طالب عليه السلام ماكان منصوصاً عليه بالخلافة (١) .

وفيه أولا: أن اليأس بنص الاية من الكفار لامن المسلمين، والذي أراد اخفائه من المسلمين المنافقين لامن الكفار ، فقوله فلو كانت الى آخره ، وتعريفه على ما تقدم باطل .

وثانياً : أنا ننقض بنفسه ، ألاترى أن هذا النص الواضح الجلي في هذا اليوم وغيره من النصوص كيف يريد اخفائه وهذا امامهم .

وثالثاً : أن النصوص بحمدالله تعالى ظاهرة واضحة باهرة شارقة، كالشمس في رابعة النهار .

ورابعاً : ان هذه الاية دالة على بطلان قولهم لاقولنا ، لانه لم يكن نص لكان كل آيساً من وضع النصوص ، لان النقص والزيادة كلها على حد سواء ، فلما كان النص موجوداً ، علمنا أنه صحيح صادر من النبي صلى الله عليه وآله .

ثم انه قد أورد في تفسير قوله « اليوم أكملت لكم دينكم» سؤالا ، وهو أن قوله « اليوم اكملت لكم دينكم » يقتضي أن الدين كان ناقصاً قبل ذلك ، وذلك يوجب أن الدين الذي كان محمد صلى الله عليه وآله عليه مواظبا أكثر عمره كان ناقصا ، وانه انما وجد الدين الكامل في آخر عمره مدة قليلة .

ثم قال والمفسرون لاجل الاحتراز عن هذا الاشكال ذكروا وجوها الاول أن المراد من قوله « أكملت لكم دينكم» هو لازالة الخوف عنهم واظهار القدرة لهم على أعدائهم ، وهذا كما يقول الملك عندما يستولى على عدوه ويقهره قهراً كلياً

(١) التفسير الكبير ١٣٩/١١ .

اليوم كمل ملكنا .

قال وهذا الجواب ضعيف ، لان ملك ذلك المكان لما كان قبل قهر العدو ناقصاً وينبغي أن يقال : ان دين محمد كان قبل اليوم ناقصاً .

أقول : انه بعد أن لم يكن المقصود الا اظهار القدرة ، لم يبق مجال لهذا التضعيف، اذ ليس مقصوده النقص قبل اليوم .

ثم قال : الثاني ان المراد اني اكملت ما تحتاجون اليه في تكاليفكم من تعلم الحلال والحرام ، قال : وهذا أيضاً ضعيف ، لانه لو لم يكمل لهم قبل هذا اليوم ما كانوا محتاجين اليه من الشرائع ،كان ذلك تأخير البيان عن وقت الحاجة.

أقول : الممنوع تأخير البيان في لفظ يوهم الخلاف لا مطلقا ، سلمنا لكن مراد المجيب من السؤال الاكمال في كل ما يحتاجون اليه أو ما يحتاج اليه كل الامة .

ثم قال الثالث وهو الذي ذكره القفال وهو المختار ان الدين ما كان ناقصاً البتة بل كان أبداً كاملا ، يعني كانت الشرائع النازلة من عندالله في كل وقت كافية في ذلك الوقت الا أنه تعالى كان عالما في اول وقت المبعث بان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا صلاح فيه ، فلاجرم كان ينسخ بعد الثبوت ، وكان يريد بعد العدم .

وأما في آخر زمان المبعث ، فانزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة ،فالشرع أبداً كان كاملا ، الا أن الاول كان الى زمان مخصوص ، والثاني كان الى يوم القيامة ، فلاجل هذا المعنى قال اليوم اكملت لكم دينكم [١] .

أقول : وحاصل مراده أن المراد بالكمال البقاء الى الابد ، وأنت ترى أنه تأويل صرف ، ولاسيما بعد أن ادعى كمال الدين مطلقا .

---

(١) التفسير الكبير ١١/١٣٧- ١٣٨ .

ثم انه ذكرفي تأويل اليوم في قوله تعالى « اليوم يئس »قولين .

أحدهما أنه ليس المراد هو ذلك اليوم بعينه ، حتى يقال انهم مايئسوا قبله بيوم أو يومين ، وانما هو كلام خارج على عادة أهل اللسان ، معناه لاحاجة بكم الان الى مداهنة هؤلاء الكفار لانكم الان صرتم بحيث لايطمع أحدمن أعدائكم في توهين أمركم ، ونظيره قوله « كنت بالامس شاباً واليوم قد صرت شيخاً » ولايريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ، ولاباليوم يومك الذي أنت فيه .

وثانيهما : أن المراد به يوم نزول هذه الاية ، وكان عصر يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر والنبي صلى الله عليه وآله واقف بعرفات على ناقة العضباء[1].

المطلب الخامس

في رفع شبه الخصم على الخبر والاعتراضات والايرادات التي أوردوها عليه.

منهـا : ماأورده جماعة من كون المولى مشتركاً بين معان وتعيين بعض دون بعض من غيرمايدل عليه تحكم وان اشتملت على غيرذلك أيضاً ، وأنا أذكر في المقام عين عبارة الصواعق .

فانه بعد أن قرر الاستدلال به بأن مـن النص التفصيلي المصرح بخلافة علي عليه السلام قوله صلى الله عليه وآله يوم غديرخم موضع بالجحفة مرجعه من حجة الوداع، بعد أن جمع الصحابة وكررعليهم ألست أولى بكم من أنفسكم ثلاثـاً وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف .

ثم رفع يدي علي عليه السلام ، وقال : مـن كنت مولاه فعلي مـولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، واحب من احبه وابغض من ابغضه ، وانصرمن نصره

---

(١) التفسيرالكبير ١١/١٣٧.

واخذل من خذله ، وادر الحق معه حيث دار .

قالوا : فمعنى المولى الاولى، أي فلعلي عليهم من الولاء ماله عليهم منه بدليل قوله «ألست أولى بكم » الخ لاالناصر ، والالما احتاج الى جمعهم كذلك مع الدعاء له ،لان ذلك يعرفه كل أحد، ولايكون هذا الدعاء الا لامام معصوم مفترض الطاعة ، قالوا : فهذا نص صريح صحيح على خلافته .

قال : وجواب هذه الشبهة التي هي أقوى شبههم يحتاج الى مقدمة ، وهي بيان الحديث ومخرجه ،وبيانه أنه حديث صحيح لامرية فيه ، وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد ، وطرقه كثيرة جدا ، ومن ثم رواه ستة عشر صحابيا وفي رواية لاحمد أنه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله ثلاثون صحابياً ، وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته كما مروسيأتي .

وكثير من أسانيدها صحاح وحسان ، ولاالتفات لمن قدح في صحته ولالمن رده بأن علياً عليه السلام كان باليمن لثبوت رجوعه منها ، وادراكه الحج مع النبي صلى الله عليه وآله وقول بعضهم ان زيادة اللهم وال من والاه موضوعة مردودة ، فقد ورد ذلك من طرق ، وصحح الذهبي كثيرمنها .

ثم قال وبالجملة فمازعموه مردود من وجوه، نتلوها عليك وان طالت لمسيس الحاجة اليها ، فاحذر أن تسأم منها ، أوتغفل عن تأملها .

احدها : أن فرق الشيعة اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدل به على الامامة وقد علم نفيه ، لمامر من الخلاف في صحة هذا الحديث بل الطاعنون في صحته جماعة من ائمة الحديث وعدوله المرجوع اليهم فيه ،كابي داود السجستاني وأبي حاتم الرازي وغيرهم ، فهذا الحديث مع كونه آحاداً مختلف في صحته فكيف ساغ لهم أن يخالفوا ماتفقوا عليه من اشتراط التواتر في أحاديث الامامة ويحتجوا بذلك ، ما هذا الاتناقض قبيح وتحكم لم يعتضد بشيء من أسباب

الترجيح .

أقول : أما أولا ، فقد اعترف في المقدمة بأنه حديث صحيح لامرية فيه فهل هذا الاتناقض قبيح منه .

وأما ثانياً ، فانه لايبقى لنا ولك ريب بعد ماتقدم ، فان من المقطوع به لدى المنصف وغيره أن هذا الخبر صادرمن النبي ﷺ .

وأما ثالثا ، فقد عرفت اعتراف جماعة من المخالفين بتواتر هذا الخبر ، واتفاق أهل السير عليه ، فلا حظ ما تقدم منا سابقاً .

وأما رابعاً، فقد عرفت ايضا مما تقدم من الشافي أن أبي داود لم ينكرالخبر بل حكى عنه التنصل من القدح فيه وبالجملة من لاحظ ماتقدم منا في الفصل الاول لم يبق له ريب في صحة هذاالخبر .

ثم قال وثانيها : لانسلم أن معنى المولى ماذكره ، بل معناه الناصر لانه مشترك بين معان ، كالمعتق ، والعتيق ، والمتصرف في الامروالناصر والمحبوب وهو حقيقة في كل منها ، وتعيين بعض معاني المشترك من غيردليل يقتضيه ، تحكم لايعتدبه وتعميمه في معانيه كلها لايسوغ ، لانه ان كان مشتركا لفظيا ، بأن تعدد وضعه بحسب تعدد معانيه كان فيه خلاف .

والذى عليه جمهور الاصوليين وعلماء البيان واقتضاء استعمالات الفصحاء للمشترك أنه لايعم جميع معانيه ، على أنا لوقلنا بتعميمه على القول الاخر ، أوبناء على أنه مشترك معنوي، بأن وضع وضعاً واحداً للقدرالمشترك، وهوالقرب المعنوى من الولي بفتح فسكون لصدقه بكل مامر ، فلايتأتى تعميمه هنا ، لامتناع ارادة كل من المعتق والعتيق، فتعين ارادة البعض ، ونحن وهم متفقون على صحة ارادة الحب بالكسر وعلي رضي الله عنه سيدنا وحبيبنا .

على أن كون المولى بمعنى الامام ، لم يعهد لغة ولاشرعاً، اما الثاني فواضح

وأما الاول فلان أحداً من أئمة العربية لم يذكر أن مفعلا يأتي بمعنى افعل وقوله تعالى « ماواكم النار هي مولاكم » أي مقركم أو ناصركم مبالغة في نفي النصرة كقولهم الجوع زاد لمن لازاد له .

وأيضاً فالاستعمال يمنع من أن مفعلا بمعنى افعل، اذ يقال : هو أولى من كذا دون مولى من كذا ، أو أولى الرجلين دون مولاهما، فانما جعلنا من معانيه المتصرف في الامور ، نظراً للرواية الاتية من كنت وليه، فالغرض من التنصيص على موالاته اجتناب بغضه ، لان التنصيص عليه أوفى لمزيد شرفه وصدره بألست أولى بكم من أنفسكم ثلاثاً ، ليكون أبعث على قبولهم ، وكذا بالدعاء لاجل ذلك ، أيضاً يرشد لما ذكرناه ﷺ في هذه الخطبة على أهل بيته عموماً ، وعلى علي خصوصاً

ويرشد اليه ايضاً ما ابتدأ به هذا الحديث ، ولفظه عند الطبراني وغيره بسند صحيح أنه ﷺ خطب بغديرخم تحت شجرات فقال : أيها الناس أنه قدنبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي الا نصف عمر الذي يليه من قبله، واني لاظن أني يوشك أن ادعى فأجيب، واني مسئول وانكم مسئولون فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قدبلغت وجاهدت ونصحت، فجزاك الله خيرا .

فقال: أليس تشهدون أن لااله الاالله، وان محمداً رسول الله، وان جنته حق وناره حق، وان الموت حق، وان البعث حق بعدالموت، وان الساعة آتية لاريب فيها، وان الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك .

قال: اللهم اشهد، ثم قال: ياأيها الناس ان الله تعالى مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه، يعني علياً، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه .

ثم قال : ياأيها الناس اني فرطكم ، وانكم واردون علي الحوض، حوض

أعرض مما بين بصرى الى صنعاء فيه عدد النجوم قدحات من فضة، واني سائلكم حين تردونه علي من الثقلين ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الاكبر كتاب الله عزوجل، سبب طرفه بيد الله ، وطرفه بأيديكم ، فاستمسكوا به لاتضلوا ولا تبدلوا وعترتي أهل بيتي، فانه قدنبأني العليم الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا علي الحوض .

وأيضاً فسبب ذلك كما نقله الحافظ شمس الدين الجزرى عن ابـن اسحاق أن علياً عليه السلام تكلم فيه بعض من كان معه في اليمن ، فلماقضى صلى الله عليه وآله حجه خطبها تنبيهاً على قدره ورداً على من تكلم فيه كبريدة في البخاري أنه كان يبغضه .

وسبب ذلك على ماصححه الذهبي أنه خرج معه الى اليمن فرأى منه جفوة(١) فنقصته للنبي، فجعل يتغير وجهه ويقول يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يارسول الله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، وأما رواية ابن بريدة عنه: لاتقع يا بريدة في علي فان علياً مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي، ففي سندها الاصلح وهو وان وثقه ابن معين ، لكن ضعفه غيره على أنه شيعتي ، وعلى تقدير الصحة فيحتمل أنه رواه بالمعنى بحسب عقيدته .

وعلى فرض أنـه رواه بلفظه ، فيتعين تأويله على ولايـة خاصة ، نظير قوله صلى الله عليه وآله « أقضاكم علي » على أنه وان لم يحتمل التأويل، فالاجماع على حقية ولايـة أبي بكر وفرعيتها ، قاض بالقطع بحقيتـها لابي بكر وبطلانها لعلي، لان مفاد الاجماع قطعي، ومفاد خبر الواحد ظني ، ولاتعارض بين قطعي

---

(١) جفوت الرجل أجفوه أعرضت عنه أوطردتـه ، وهو مأخوذ من جفاء السيل ، وهو مانفـاه السيل ، وقديكون مع بغض نقضت الحبل برمـه ، ويحتمل أن يكون بالصاد المهملة، قال في مجمع البحرين : فلان ينتقص فلاناً أى يقع فيه ويعيبه ، ووقع فلان فى فلان وقوعاً سبه وسلبه «منه» .

وظني ، بل يعمل بالقطع ويلقى الظني ، على أن الظني لاعبرة فيها عند الشيعة كمامر[١] .

أقول: وفي كلامه فصول :

الاول: أن المولى مشترك لفظي، ولايصح فيه ارادة جميع المعاني، فيكون الخبر مجملا، فلادلالة فيه .

وجوابه : أنه قدظهر مماتقدم منا أنه ليس توهم الاشتراك الا من موارد الاستعمالات، والاستعمال أعم من الحقيقة والوضع، ولوسلمنا أنه مشترك لفظي فقد ذكرنا أن السير والتقسيم يقتضيان المعنى الاولى والاحق، اذ جميع المعاني الاخر لاتصح الا هذا المعنى .

سلمنا لكن تقديم المقدمة من قوله «ألست أولى» الى آخره قرينة على ارادة المعنى المراد من المولى كمافصلناه، سلمنا قرائن الالفاظ الاخر والاحوال الشاهدة على ذلك أيضاً ، وقدتقدمت منها جملة .

سلمنا لكن المعنى الذي يمكن ارادته هنا من المحب والناصر، هو أيضاً كاف في اثبات المطلوب، حيث انه جعل علياً هوالقاصر والمحب لهم في المحضر العام قريب فوته وحج وداعه، ولم يقل في حق غيره ذلك، مع أن الناصر لابد له أن يكون ممن يأتي منه النصرة والاعانة .

الثاني : أن المولى بناءاً على كونه مشتركاً لفظياً ، وصح فيه ارادة جميع معانيه، أومشتركاً معنوياً لم يصح ارادة جميع معانيه هنا كالمعتق والعتيق ونحوهما فتعين ارادة البعض، والحب ممايصح ارادته اتفاقاً بين الفريقين، فتعين أن يكون هوالمراد .

وجوابه: أن على القول الاخر في المشترك اللفظي، ليس الواجب أن يكون

---

(١) الصواعق المحرقة ص٨٥ .

سائر المعاني غير المعنى الذي يمنع ارادته مراداً، غاية الامر امكان ذلك، وعلى الاشتراك المعنوي يكون المعنى من كنت قريب منه فعلي قريب منه، وهذا المعنى ممالايمكن ارادته من النبي ﷺ في ذلك المقام العظيم، فانه لابد أن يكون لامر فخيم .

ثم ان مانسب الى الشيعة والسنة من صحة ارادة الحب ، فليس بصحيح فيما نسبه الى الشيعة ، فانـه قد أنكر جماعة من عدم صحة هذا المعنى ، كما تقدم من الشافي، بل وجملة من أهل السنة .

ثم ان ماذكره من كسر الحاء في الحب ، وجهه ان الحب بالكسر بمعنى الحبيب، كماصرح به أهل اللغة وبالضم المحبة، ولماكان المراد هنا من المولى اللذات، يكون المراد الحبيب بمعنى المحبوب، ثم ان قوله «وعلى سيدنا وحبيبنا» اعتراف منه من حيث لايحتسب في معنى السيد .

الثالث: أن المولى بمعنى الامام لم يعهد من اللغة، لان أحداً من أئمة العربية لم يذكر أن مفعلا يأتي بمعنى افعل، وأيضاً الاستعمال يمنع من ذلك، اذ لايصح وضع مولى مكان أولى في قولك هو أولى من كذا .

أقول : ولعل مراده من المولى بمعنى الامام المولى بمعنـى الاولى كما لايخفى .

وجوابه أن جملة من الائمة العربية قد صرحوا بأن الاولى من معاني المولى كما تقدم وسيأتي من الفخر الرازي، وان لم يصرحوا بأن افعل من معاني مفعل، فان في المعاني الشخصية للالفاظ لابد من بيان المعنى الشخصي .

ثم ان ماذكره من أن الاستعمال يمنع من ذلك قد ذكره الفخر الرازي في تفسيره الكبير في تفسير قوله تعالى «هي مولاكم»[1] قال قال الكلبي: يعني أولى

---

(١) سورة الحديد: ١٥ .

بكم، وهو قول الزجاج والفراء وأبي عبيدة .

ثم قال: هذا الذي قالوه معنى، وليس بتفسير اللفظ، لانه لو كان مولى وأولى بمعنى واحد في اللغة ، لصح استعمال كل منهما في مكان الاخر، فكان يجب ان يصح ان يقال: هذا أولى فلان، كما يقال هذا مولى فلان، ولما بطل ذلك علمنا أن الذي قالوه معنى وليس بتفسير .

ثم قال وانما نبهنا على هذه الدقيقة ، لان الشريف المرتضى لما تمسك في امامة علي عليه السلام بقوله « من كنت مولاه فعلي مولاه » قال: أحد معاني مولى أنه أولى، واحتج في ذلك بأقوال أئمة اللغة في تفسير هذه الاية، بأن معناه أولى .

واذا ثبت أن اللفظ محتمل لـه ، وجب حمله عليه ، لان ماعداه : اما بين الثبوت ، ككونـه ابن العم والناصر ، أو بين الانتفاء كالمعتق والمعتق ، فيكون على التقدير الاول عبثاً، وعلى التقدير الثاني كذبـاً ، وأما نحن فقد بينا بالدليل أن قول هؤلاء في هذا الموضع معنى لاتفسير وحينئذ يسقط الاستدلال به (١) .

أقول: أما المولى بمعنى الاولى، فقد صرح جماعة من اهل اللغة به، كما تقدم من الشافي وغيره، وقول صاحب الصواعق ان أئمة اللغة لم يذكروا مفعلا بمعنى افعل فانما لم يذكروه في قياس ذلك، كما يقتضيه قوله مفعلا بمعنى افعل، لا السماع منه .

وأما ماذكره من ان الاستعمال يمنع من ذلك كما ذكره الامام فخر، فجوابه من وجوه :

احدها : ان الاولى له استعمالان ، احدهما : المعنى التفضيلي ، وهو الذي ذكراه ، وثانيهما : المعنـى الصفتي ، ويمكن ان يكون المراد هنا الثاني لا الاول .

---

(١) التفسير الكبير ٢٩/ ٢٢٨ .

وثانيها: ان المولى متضمن معنى المفضل عليه، فالمولى في مكان الاولى منه لاالاولى المجرد، وتحقيق ذلك أن حذف المتعلق يفيد للعموم يعني المولى الاولى المطلق المفيد للعموم وكل أحد ومن كل جهة، فمعنى زيد أولى من عمر وان كان المراد الاولى من غيره من كل جهة ، صح استعمال المولى مكانه .

والحاصل أن الاولى من كل جهة حتى من جهة النفس هو معنى المولى ، لا الاولى من بعض جهة دون بعض، ولذا لم يصح استعمال المولى مكان الاولى في كل مكان .

وثالثها: أنه قد يستعمل الاولى بمعنى الاحسن والافضل ، وهذا المعنى ليس من معاني المولى، حتى يصح استعمال المولى مكان الاولى، فصار الحاصل مما مر أن الاولى المطلق من كل جهة هو معنى المولى، ويصح استعمال كل مقام الاخر، كما يقال للسيد هو مولى عبده، كما يقال: هو الاولى به.

ورابعها : أنه قد اعترف الامام فخر بأن الاولى معنى المولى، وان لم يكن تفسير لفظه ، وهذا وان كان محلا للانكار كما عرفت وعرفت فساد ما اوقعه في هذا الوهم من عدم صحة استعمال المولى مكان الاولى، لكن يكفينا في المقام، اذ ليس مرادنا ازيد من كونه المعنى المراد .

الرابع: انه قال في قوله «مأواكم النار» الذي صرح المفسرون بأنه بمعنى الاولى أنه بمعنى المقر .

أقول : من ذكر المقر من معانـي المولى ، واما الناصر بالتوجيه الذي ذكره وان احتمله بعض المفسرين الا أنه مجاز فيه ومحتاج الى قرينة واستعمال اللفظ المشترك في غير المعنى الملائم أيضاً مجاز في اللفظ وفي النسبة .

الخامس : أن المتصرف في الامـور ، وان كان من معاني المولى ، الا أنه مع الدليل لاستعمال الولي في مكان المولى في قولـه « من كنت وليـه فعلي

وليه » .

أقول : واذا كان الامر كذلك ، فلم لايكون ذلك دليلا على المراد في هذا اللفظ المتشابه في التركيب ، بل هو كذلك من غير ريب ان هذا الاعتراف منه في الحق ألقى على لسانه من الغيب .

السادس : أن الغرض من التنصيص على موالاته اجتناب بغضه ، وهو وان كان معلوماً من الشرع في حق المؤمنين ، الا أن التنصيص عليه أوفى لمزيد شرفه .

وجوابه أنه من أين يعلم ان هذا هو الغرض، مع أن هذا غير موافق لما تقدم منه، من كون المراد من المولى الحبيب ، بل لايوافق معنى الحب بالكسر هذا الذي قال من التنصيص على موالاته .

وماقاله من أن التصدير بقوله ﷺ « ألست أولى بكم من أنفسكم » ثلاثاً ليكون أبعث على قبولهم موالاته والاجتناب عن بعضه، فاسد، لانه لاحاجة معه الى هذا التصدير ثلاثاً ، ولايلائمه بل المناسب ذكر مايدل على مساوي البغض وفوائد الحب .

السابع : أن ابتداء الحديث مشتمل على التوقية بحال أهل بيته عموماً وبعلي عليه السلام خصوصاً، وقد روى الطبراني وغيره بسند صحيح الى آخر مامر .

أقول : ولاحظ ألفاظ هذا الخبر وأنصف وماوصى به في حال أهل بيته ، فانما هو بعد أن قال في علي عليه السلام قال : ثم لاحظ ماقاله في اهل بيته وعترته بعدما قال في الثقل الاكبر ماقال ، وانهما لم ينقضيا حتى يردا علي الحوض .

الثامن : أن السبب في هذه الخطبة على ماذكره شمس الدين ان بريدة كان يبغض علياً عليه السلام ويتكلم فيه ، فتغير وجه رسول الله ﷺ فخطب فيه هذه الخطبة وسبب بغضه على ماصححه الذهبي انه خرج معه الى اليمن فرأى منه جفوة ،

فنقصه للنبي ﷺ فجعل يتغير وجه رسول الله ﷺ ، ويقول يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من انفسهم، قلت: بلى يارسول الله ، قال : من كنت مولاه فعلي مولاه .

أقول : لاحظ هذا الكلام الغير المرتبط فانه انكان السبب هذا ، فقد ارتفع بقوله ﷺ لبريدة، فالخطبة في هذا المحضر لماذا، مع ان قوله لبريدة كاف في الاستدلال أيضاً وواف في المطلوب .

سلمنا انالسبب ذلك، لكن أي دلالة في كون هذا السبب انيكون المعنى ماهو خلاف ظاهر اللفظ، بل الحق ان مثل هذا الكلام قد صدر من النبي ﷺ فيحقه فيمواضع عديدة كماأشرنا اليه سابقاً .

التاسع : انه قد روى ابن بريدة عن النبي ﷺ انه قال يا بريدة لاتقع في علي، فان علياً مني وأنا منه ، وهو وليكم بعدي ، وفي سنده الاصلح، وهو وان وثقه ابن معين، لكن على ماذكره غير ابن معين شيعي ، فليس بصحيح ، وعلى تقدير الصحة يحتمل انيكون روايته بالمعنى .

أقول : ومجرد احتمال كونه شيعياً، لايوجب فساد السند ، مع كون ظاهره خلافه .

ثم قال : ثالثها سلمنا انه اولى ، لكن لانسلم ان المراد انه الاولى بالامامة بل بالاتباع والقرب منه ، فهو كقوله تعالى « أن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه» ولاقاطع، بلولاظاهر علىنفي هذا الاحتمال، بلهو الواقع، اذهوالذي فهمه ابوبكر وعمر .

وناهيك[1] بهما من الحديث فانهما لماسمعاه قالا له أمسيت يابن أبي طالب

---

(١) قال في المصباح المنير: ناهيك بزيد فارساً كلمة تعجب واستعظام، تأويلهاانها غايـة تنهاك عن طلب غيره ، فلفظة «من» في «من الحديث» لعله غيرمناسب ، وكذا لفظ «بهما» والمناسب وناهيك بذلك الحديث الى آخره «منه» .

مولى كل مؤمن ومؤمنة ، اخرجه الدارقطني، وأخرج أيضاً انـه قيل لعمر انك تصنع بعلي شيئاً لاتصنعه بأحد من اصحاب النبي ﷺ، فقال: انه مولاي .

وجوابه أولا: انه بعد ان سلم انه بمعنى الاولى، فالاولى هو الاولى المسبوق بالذكر، وهو الاولى من النفس، وهو القاطع على نفي هذا الاحتمال .

وثانياً: انه اي معنى اماذكره من الاولى بالاتباع والقرب، فهل يكون معناه من كنت أولى باتباعه فعلي أولى باتباعه .

وثالثاً: ان المعنى الذي فهمه الحضار هذا الذي ذكرناه حتى ابي بكر وعمر وناهيك به الحديث الذي ذكره .

ورابعاً: انه ليس من معنى المولى لفظ الاولى، بل المراد السيد المطاع ، فانه بمعنى المولى، لاالاولى الذي يختلف باختلاف موارده .

وخامساً انـه ليس المراد بالاولى في معنى المولى الاولى بالامامـة ، بل الاولى بهم من انفسهم ومن كل جهة، ولازم هذا المعنى الامامة .

وسادساً: ان من طريقة اهل السنة الاستدلال بآية ليكون ذلك أسكت للخصم من غير تأمل في معنى الاية، ومعنى هذه الاية وهي قوله تعالى « ان أولى الناس بابراهيم»[١] ان اليهود والنصارى كانوا يقولون: ان ابراهيم على دينهم .

فقد رد عليهم في قوله تعالى قبل هذه الايـة ان ابراهيم ماكان يهودياً ولا نصرانياً، وماأنزلت التوراة والانجيل الا من بعده، وانما يكون الاولى به من غيره والاحق به للذين اتبعوه في زمانه، وهذا النبي والذين آمنوا به، وهم الذين يقولون نصرته بالحجة لماكان عليه من الحق، اي هم الذين لهم ان يقولوا نحن على دين ابراهيم ولهم ولاية .

وايضاً الاحق والاولى في هذه الاية مقيد ، والاحق والاولى في هذا الخبر

(١) سورة آل عمران: ٥٨ .

مطلق، فلايجوز الاستناد بها في المقام .

والحاصل ان الفرق واضح بين الاولى المطلق والاولى المقيد، فقديستعمل الاولى المقيد في العبد ، لانـه أولى بطاعة مولاه من غيره، والاولى فيهذه الاية الاولى المقيد بأن يكون على دين ابراهيم عليه السلام .

ومنها: ماأورده جملة منهم ،كصاحب المغنى والصواعق مماحاصله : أنـه لمالم يصح الامامة في زمان الرسول صلى الله عليه وآله، فلابد من أحد أمرين :

اماأن يكون المراد من هذا الخبر تعيين الامامة فيه عليه السلام في زمان آخر، ومع الاجمال فيه يعمل على قدر اليقين وبعد خلافة الثلاثة ، واماان يكون المراد من الخبر غير معنى الامامة .

أما الامر الاول، فقد ذكره صاحب الصواعق، واماالامر الثاني، فقد ذكره صاحب المغنى ، وأنا أذكر الامر الاول الذي ذكره ابن حجر في مقام رد دلالة الخبر على المطلوب ، ثـم نذكر الامر الثاني الذي ذكره قاضي القضاة ليكون كلمات صاحب الصواعق متصلا بمامر وماسيأتي .

قال في الصواعق بعدماتقدم منه : ورابعها سلمنا أنه أولى بالامامة، فالمراد المال والا كان هوالامام مع وجوده صلى الله عليه وآله، ولاتعرض فيه لوقت المال، فكان المراد حين يوجد عقد البيعة لـه ، فلاينافي حينئذ تقديم الائمة الثلاثـة عليه ، لانعقاد الاجماع حتى من علي كمامر، وللاخبار السابقة المصرحة بامامة أبي بكر .

وأيضاً فلا يلزم مـن أفضلية علي على معتقدهم بطلان تولية غيره كمامر أن أهل السنة اجتمعوا على صحة امامة المفضول مع وجود الفاضل بدليل اجماعهم على صحة خلافة عثمان واختلافهم في أفضليته على علي ، وان كان أكثرهـم على أن عثمان أفضل منه كما يأتي .

وقد صح عن سفيان الثورى أنه قال : من زعم أن علياً كان أحق بالولاية من

الشيخين ، فقد خطأهما والمهاجرين والانصار ، وما أراه يرفع له عمل مع هذا الى السمآء نقل ذلك النووى عنه كما مرثم قال : أي النووى هذا كلامه ، وقد كان حسن اعتقاده في علي بالمحل المعروف انتهى .

وما اشاراليه من حسن اعتقاده في علي مشهور ، بل أخرج أبونعيم عن زيد بن الحباب أنه كان يرى رأي أصحابه الكوفيين كيف يكون يفضل علياً على أبي بكروعمرفلما صار الى البصرة رجع الى القول بتفضيلهما عليه .

أقول : وكلامه هذا أيضاً مشتمل على فصول .

الاول : قوله سلمنا أنه أولى بالامامة لكن المراد المال ولاتعرض له لوقت المال ، فكان المرادحين يوجد عقد البيعة ، فلاينافي تقديم الائمة ان الثلاثةعليه وامامتهم ، لانعقاد الاجماع عليهم حتى من علي عليه السلام ، وللاخبارالدالة على امامة أبي بكر.

وجوابه أما فياول كلامه هذا فيماعرفت من أن المستدل بهذا الخبر لم يقل انه الاولى بالامامة ، وهواشتباه وغلط وتوهم منه ، بل مراده انه الاحق بالناس من انفسهم وهومعنى الامامة .

واما في ثاني كلامه المراد المال ، والاكان هوالامام مع وجود النبي صلى الله عليه وآله فيما ستعرف مفصلا من أن المراد الامامة بعده والقيام مقامه ، مع امكان أن يقال: كماسياتي انشاء الله تعالى من كونه الامام بعده في الحال ، وهو امام بعده في الحال فتدبر .

وأما في ثالث كلامه ، من انه لاتعرض فيه لوقت المال ، فكان المرادحين يوجد عقد البيعة له ، فبأنه لاتعرض له لوقت المال ، فكان متصل بوقت وفاته ، فانه المال في القيام مقامه .

ثم أن يكون المراد عند عقد البيعة له دوراً ظاهراً لتوقف الامامة المستفاد

من هذاالخبر على عقد البيعة ، وتوقف عقد البيعة علىالامامة .

والحاصل أنه اذا عقدالبيعة ، فالامامة حاصلة على مذهبهم ، فأي معنى لهذا الخبر ،وأيضاً الخبر تدل على امامته ، فتقييده بوقت البيعة لاوجه له .

وأما في رابع كلامه ،من أنه لاينافي حينئذ تقديم الائمة الثلاثة عليه فبأنه ينافيه حيثأنه جعله الامام دون غيره ، ومعنى كلامه هوماقيده بزمان انعقاد البيعة عليه ، وقد عرفت فساده .

وأما ماذكره في وجهه من انعقاد الاجماع عليهم ففيه أنه لاحاجة الى اقامة الدليل ، بعد أن كان المراد بعد انعقاد البيعة له ، الا أن يكون مراده اقامة دليل على خلافتهم ، ثم في انعقاد الاجماع عليهم فيه كلام طويل سيأتي انشآءالله .

وقد ذكر فيالباب الاول : في كيفية خلافة الصديق اخباراً عديدة صريحة معتبرة على أن خلافة أبي بكرلميكن من مشورة من علي عليه السلام وانه عاتب أبابكر بذلك ، وان بيعة أبيبكر كانت فلتة .

والاخبار في هذين المقامين من طرقهم كثيرة جداً ، ليس المقام مقام ذكرها الا انانذكرفيها خبراً أوخبرين ذكره بنفسه في الباب المذكور واستدل به على خلافته .

قال أخرج الدارقطني عن عائشة أنعلياً بعث لابي بكران ائتنا ، فأتاهم أبوبكر وقد اجتمعت بنوهاشم الى علي ، فخطب ومدح أبابكر ، ثم اعتذر عن تخلفه من البيعة ، بأنه كان له حق في المشورة ولم يشاوروه ، فلما فرغ عن خطبته خطب أبوبكر واعتذر بما سيأتى انشآء الله .

وقال هو بنفسه في ذلك الباب أنه لايقدح في حكاية الاجماع تأخرعلي والزبيروالعباس وطلحةلامور، منها أنهم رأوا أن الامرتم بمن تيسرحضوره حينئذ من أهل الحل والعقد .

ومنها : أنهم لما جآؤا بايعوا واعتذروا ، كما مرمن الاولين من طرق بأنهم أخروا عن المشورة مع أن لهم فيها حقاً ، لاللقدح في خلافة الصديق ، هذا مع الاحتياج في هذا الامر لحظره الى الشورى التامة ولهذا قدمرعن عمر بسند صحيح أن تلك البيعة كانت فلتة ولكن وقى الله شرها ، ويوافق مامرعن الاولين من الاعتذار ما أخرجه الدارقطني من طرق كثيرة .

ولنذكرهنا بعض كلام ابن أبي الحديد فيما يناسب المقام في شرح الاصل « ومن كتاب له ﷺ انه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر[1] » الى آخره واعلم ان هـذا الفصل دال بصريحه على كون الاختيار طريقاً الـى الامامة ، كما يذكره أصحابنا المتكلمون ، لانه احتج على معاوية ببيعة أهل الحل والعقد له ، ولم يراع في ذلك لاجماع المسلمين كلهم ، وقياسه على بيعة أهل الحل والعقد لابي بكر ، فانه ماروعي فيها اجماع المسلمين ، لان سعد بن عبادة لم يبايع ولا أحد من أهل بيته وولده .

لان علياً وبنى هاشم ومن انضوى اليهم لم يبايعوا وامتنعوا ، ولم يتوقف المسلمون في تصحيح امامة أبي بكر وتنفيذ أحكامه على بيعتهم ، وهذا دليل على صحة الاختيار ، وكونه طريقاً الى الامامة ، وانه لايقدح فـي امامته ؑ امتناع معاوية من البيعة واهل الشام [2] .

وقال أيضاً في شرح الاصل واعجباً أتكون الخلافة بالصحابة ولاتكون بالصحابة والقرابة ، قال الرضي ره : وقدروي شعر من هذا المعنى .

فان كنت بالشورى ملكت امورهم	فكيف بهـذا والمشيرون غيب
وان كنت بالقربى حججت خصيمهم	فغيرك أولـى بـالنبي وأقـرب

الى أن قال: وأما النظم فموجهه الى أبي بكر لان أبابكر حاج الانصار يوم

(١) نهج البلاغة ص ٣٦٦ ، رقم الكتاب ٦٤

(٢) شرح نهج البلاغة ١٤ /٣٦ .

السقيفة ، فقال : نحن عترة رسول الله ﷺ الى أن قال : فلما بويع احتج على الناس بالبيعة وانها صدرت من أهل الحل والعقد ، فقال علي عليه السلام : اما احتجاجك على الانصار بانك من بيضة رسول الله ﷺ ومن قومه فغيرك أقرب نسباً منك اليه وأما احتجاجك بالاختيار ورضي الجماعة بك ، فقد كان قوم من جلة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد فكيف يثبت (١) .

بل وان شئت حق الدراية ، فقد كان عمر هو الاصل في هذه البيعة .

قال ابن أبي الحديد في شرح الخطبة الشقشقية : وعمر هو الذي شيد بيعة أبي بكر ، ورقم المخالفين فيها ، فكسر سيف الزبير لما جرده ، ودفع في صدر المقداد ووطىء في السقيفة سعد بن عبادة ، وقال : اقتلوا سعداً قتل الله سعداً وحطم أنف الحباب بن المنذر الذى قال يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب وتوعد من لجأ الى دار فاطمة من الهاشميين وأخرجهم منها، ولولاه لم يثبت لابي بكر ولاقامت له قائمة (٢) انتهى .

وليس المقام مقام استيفآء الكلام في هذا المرام .

وأما ما في خامس من قوله « حتى من علي عليه السلام » ففيه أنه أي اعتبار مع الاكراه الشديد والاجبار العنيد ، ونقتصر في هذا المقام الى ماذكره هذا الرجل في سابق كلامه .

قال وفي الحديث المتفق على صحة التصريح بهذه القصة بأبسط وجه ، روى البخارى عن عائشة أن فاطمة أرسلت الى أبي بكر تسأل ميراثها من النبي ﷺ مما أفآء الله على رسوله من المدينة ، وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر ان رسول الله ﷺ قال: لانورث ماتركناه صدقة انما يأكل ال محمد من هذا ،

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤١٦/١٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة ١٧٤/١ .

واني والله لاأغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت في عهد رسول الله ﷺ ولاعملن فيها بما عمل رسول الله ﷺ ، فأبى أبو بكر أن يدفع الى فاطمة منها شيئاً .

فوجدت على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة اشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلا، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها ، وكان لعلي عليه السلام من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر على وجوه الناس ، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ، ولم يكن يبايع تلك الاشهر فارسل الى أبي بكر ان ائتنا ولايأتنا أحد كراهة ليحضر عمر فقال عمر : لاوالله ما تدخل عليهم وحدك ، وماغشيتهم أن يفعلوا بي والله لاتينهم الخبر [1] .

وأما الاخبار التي ادعاها، فلم يدع نظراوه،فان من أصلهم أن الخلافة بالاجماع وعقد البيعة لاالنص كما ستعرف .

الثاني : قوله وأيضاً فلا يلزم من أفضلية علي على معتقدهم بطلان تولية غيره الى آخره ، هذا الكلام بتمامه ساقط عن هذا المقام ينبغي اسقاطه، اذ ليس الكلام في أفضليته ، والخبر دال على التولية كما بني الكلام على التسليم لذلك ، وأما ما يرد على هذه الكلمات بتفصيلها فللبيان له مقام آخر وقال صاحب المغني ....

الى هنا جف قلمه الشريف رحمه الله ورضوانه عليه .

وتم تحقيق الكتاب وتصحيحه والتعليق عليه في اليوم الخامس من شهر رمضان المبارك سنة (١٤١١) هـ ق في بلدة قم المقدسة على يد العبد السيد مهدي الرجائي عفي عنه .

---

(١) صحيح البخارى ١٧٧/٥ وصحيح مسلم ١٣٨٠/٣ .

لفت نظر

وقع خبط واختلال في ترقيم أبواب الكتاب وفصوله وعناوينه ، وذلك لوجوده في النسختين المقابلتين على نسخة المؤلف وذلك لعدم توفيق المؤلف لاعادة النظر ومراجعة الكتاب وترتيب ترقيم الابواب والفصول، اذ وافاه الاجل في أثناء تأليف الكتاب .

المحقق

فهرس الكتاب

سيصدر انشاءالله :

كتاب الغيبة

للعلامة الفقيه الزاهد

السيد أسدالله الموسوى ابن المعروف

بحجة الاسلام السيد محمد باقر الشفتى الجيلانى الاصفهانى

المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ ق